مفتاح السعادة
في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
محمد تقي النقوي القايني

مكتبة الروضة الحيدرية
www.haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مفتاح السّعادة
فى
شرح نهج البلاغة

المجلد السابع عشر

لِمُؤلّفه سيد محمد تقى النّقوى

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٠٧٥٤٩
التاريخ ٢٠١١/٨/٩

قائن
انتشارات قائن

نقوی قائنی، محمد تقی، ۱۳۰۸ -
مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغه [علی بن ابی‌طالب علیه السلام] تألیف محمد تقی نقوی القائنی.- تهران: قائن، ۱۳۸۳.

ISBN - SET : 964 - 94687 - 5 - 7: (دوره).
ISBN : 964 - 8981 - 07 - 8: (ج ۱۷).

فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.

عربی.
کتابنامه.

۱. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه - نقد و تفسیر. ۲. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - کلمات قصار. ۳. علی‌بن ابی‌طالب علیه السلام، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - خطبه‌ها. الف. علی بن ابی‌طالب علیه السلام، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - نهج البلاغه. شرح. ب. عنوان. ج. عنوان: نهج البلاغه. شرح.

BP۳۸/۰۲/ن۷ ۲۹۷/۹۵۱۵
۱۳۸۳
کتابخانه ملی ایران م۸۳-۳۴۵۷۱

مفتاح السعادة فی شرح نهج البلاغة - المجلد السابع عشر

المؤلف: محمد تقی نقوی قائنی
الکمیة: ۱۰۰۰
الطبعة: الاولی
تاریخ الطبع: ۱۳۸۴ ش. - ۱٤۲٦ ق.
تنسیق الصفحات: نشرقائن - ۸-٤٤٤٦٥۲۷
لیتوغرافی: نوین
المطبعة: زنبق
انتشارات : قائن
تهران: شارع جنت‌آباد، هاتف: ۸-۴۴۴۴۶۵۲۷

جمیع الحقوق محفوظة للناشر

با مشارکت و حمایت معاونت امور فرهنگی وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامی
شابک: ۸ - ۰۷ - ۸۹۸۱ - ۹٦٤ ISBN : 964 - 8981 - 07 - 8
شابک دوره: ۷ - ٥ - ۹٤٦۸۷ - ۹٦٤ ISBN-SET : 964 - 94687 - 5 - 7

الروضة الحيدرية
النجف الأشرف

١٠٦

□ **قوله ﷺ: نحنُ النُّمْرُقَةُ الوُسْطىَ بَهَا يَلْحَقُ التَّالِي وإِلَيْها يَرْجَعُ الْغالِي...**

النُّمرقة بضّم النّون وسكون الميم وضّم الرّاء وفتح القاف، الوسادة والغالي المتّجاوز يشبّه ﷺ نفسه الشّريفة وغيره من أهل البيت عليهم السّلام بالوسادة في الإطمئنان والرّاحة فكما أنّ الوسادة أُعدّت لراحة الظّهر وإطمئنان الأعضاء لِلإستراحة عليها كذلك أهل البيت حيث أنّ المُتّمسِك بهم يستريح من هـمّ الدّنيا والآخرة وتطمئن بمتابعتهم والإقتداء بهم القلوب ثمّ وَصَفَ ﷺ النُّمرَقة بالوُسطى مشعراً بأنّ طريق أهل البيت طريق الوَسَط بين الإفـراط والتّفريط يُلحق بهم التّالي القاصي ويرجع اليهم من علىٰ وتجاوز عن الحَدّ وقد مرّ نظير هذا الكلام منه ﷺ في الخطبة الثّانية حيث قال، اليهم يفئ الغالي وبهم يلحق التّالي، وقد تكلّمنا هناك في شرح الكلام حسب ما إقتضاه المقام ولا بأس بالإشارة الىٰ بعض الأُمور التّي لا محيص عنها لمن آمن باللّه واليـوم الآخـر فنقول يستفاد من كلامه ﷺ أُمور:

أحدها: أنّه قال نحن النُمرُقَة الوُسطىٰ، فأنّ التّعبير بكلمة (نحن) إشارة الىٰ أنّ الأئِمّة المعصُومين سلام اللّه عليهم أجمعين كلّهم نور واحد لا فرق بينهم من هذه الجهة ولازم ذلك هو أنّ الأوصاف المذكورة في الكلام ثابتة لهم من حيث المجمُوع بمعنىٰ أنّ التّمسك بأحدهم أو ببعضهم دون بعضٍ لا يفيد ذلك لأنّه ﷺ **قال نحن النُمرُقَة ولم يقل أنا مثلاً ونحن ضمير جمع:**

ويدّل عليه ما رواه في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه أنّه قال من أنكَر واحداً من الأحياء فقد أنكَر الأموات...

وبأسناده عن أبان بن تغلب قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام من عرف الأئمّة ولم يعرف الإمام الّذي في زمانه أمؤمن هو قال لا قلت أمسلمٌ هو قال نعم...

وبأسناده عن الرّضا عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يا علّي أنتَ والأئمّة من وُلدك بعدي حُججُ اللّه علىٰ خلقه وأعلامه في بريتّه فمن أنكَر واحداً منهم فقد أنكَرني ومن عصىٰ واحداً منهم فقد عصاني ومن جفا واحداً منهم فقد جفاني ومن وَصَلكم فقد وَصَلني ومن أطاعكم فقد أطاعني ومن والاكم فقد والاني ومن عاداكم فقد عاداني لأنّكم منّي خُلقتم من طينتي وأنا منكم...

وبأسناده عن محمّد بن تمام قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام أنّ فلاناً مولاك يقرؤك السّلام ويقول لك أضمن لي الشّفاعة فقال عليه السلام أمِن موالينا قلت نعم قال أمَره أرفَع من ذلك قال قلت أنّه رجل مُولي علّياً ولم يعرف من بعده من الأوصياء قال ضالٌّ قال قلت فأقّر بالأئمّة جميعاً وجَحد الآخر قال هو كمَن أقّر بعِيسىٰ وجَحَد بمُحمّدٍ أو أقَّر بمُحمّدٍ وجَحَد بعِيسىٰ نعوذ باللّه من جَحَد حجّةً من حُجّجه انتهىٰ...

وبأسناده عن مُحمّد بن مُسلم قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام رجل قال لي إعرف الأخير من الأئمّة ولا يضّرك أن لا تَعرف الأوّل قال الصّادق عليه السلام لَعَن اللّه هذا فأنّي أُبغضه ولا أعرفه وهل يُعرف الأخير إلّا بالأوّل انتهىٰ والأحاديث نقلناها عن البحار «ج ٧ ص ٢٠»...

وثانيها تَشبيههم بالوسادة في الإطمئنان والرّاحة وأنّ الإهتداء لا يَحصل إلّا بهم...

روي في البحار بأسناده قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله لعلّي ثلاث إسم أنّهنّ حقّ، أنّك والأوصياء من بعدك عُرفاء لا يُعرف اللّه إلّا بسبيل معرفتكم، وعُرفاء لا يدخل الجنّة إلّا مَن عَرفكم، وعُرفاء لايَدخل النّار إلّا من أنكَركم وأنكَرتموه انتهىٰ« ص ٢١»....

وبأسناده عن الصّادق عليه السلام قال نحن السَّبَب بينكم وبين اللّه عزّ وجلّ انتهىٰ« ص ٢١»....

وبأسناده عن الحَسن بن علّي عليه السلام قال أنّ اللّه عزّ وجلّ بمّنه ورحمته لمّا فَرض عليكم الفَرائض لم يَفرض عليكم لحاجة منه اليه بل رحمةٌ منه اليكم لا

إله إلّا هو ليُميز الخَبيث من الطّيب وليبتلي ما في صدُوركم وليُمحص ما في قلُوبكم ولتتَّسابقوا الىٰ رحمته ولتتَفاضل منازلكم في جنّته فَفَرض عليكم الحجّ والعُمرة وإقام الصّلٰوة وإيتاء الزّكٰوة والصّوم والولاية وجَعَل لكم باباً لِتَفتحوا به أبواب الفَرائض ومفتاحاً الىٰ سبيله ولولا مُحمّد والأوصياء مِن ولدُه كنتم حيارىٰ كالبَهائم لا تَعرفُون فَرضاً من الفَرائض وهل يَدخل قرية إلّا من بابها الحديث« ص ٢١»...

وثالثها، توصيفَهم بالوُسطىٰ وهو أيضاً حقّ فأنّ المراد بالوُسطىٰ هو الطّريق المُستقيم الّذي لا إعوجاج فيهمن الإفراط والتّفريط...

رُوي في البحار بأسناده عن أبي جعفر لمّا سُئل عن قول اللّه تعالىٰ:(وأنّ هذا صراطي مُستَقيماً فإتَّبعُوه) الآية قال فَبَسط أبو جعفر يَده اليَسار ثُمّ دُور فيه يَده اليُمنىٰ ثُمّ قال نحن صراطه المُستَقيم فإتَّبعُوه ولا تَتَّبعُوا السّبُل فَتَفَرّق بكم عن سَبيله يَميناً وشمالاً ثُمّ خَطّ بيده انتهىٰ « ص ٨٣ ج ٧»...

وبأسناده عنه عليه السلام قال في تَفسير الآية هو علّي بن أبي طالب والأئمّة من ولد فاطمة هُم صراط اللّه فَمَن أباهم سَلك السّبُل«ص ٨٣»...

وعن تفسير الثّعلبي عن أبي يزيد في قول اللّه تعالىٰ: (إهدنا الصّراط المُستقيم) قال صراط مُحمّدٍ وآله...

وعن إبن عبّاس في تفسير قوله تعالىٰ:﴿فَستَعلمُون من أصحاب الصّراط السّوي﴾ واللّه هو مُحمّد وأهل بيته «ص ٨٣»...

وأمّا قوله عليه السلام بها يَلحَق التّالي واليها يَرجع الغالي فَيمكن أن يكون المراد به أنّ من يتَبعهم في أُمور دينه ودُنياه فهو يَلحق بهم في السّعادة لا محالةٍ ومن يَغلو في حقّهم بما ليس في شأنهم فهو يَرجع اليهم أيضاً بعد وقُوفه علىٰ خَطأه وأنّه كان غالياً هذا إذا حَمَلنا لفظ التّالي والغالي علىٰ ظاهره:

وأمّا إذا قلنا بأنّ المراد بالتّالي القاصر وبالغالي المُتجاوز فالمعنىٰ أنّ القاصر والمُتجاوز عنهم يَلحق ويَرجع اليهم فَمَن قَصر عن مَعرفتهم والأخذ عنهم يَلحق بهم لا محالة بعد وقوفه علىٰ قصُوره ومن تَجاوز عنهم وأخَذ دينه عن نفسه أو عن غيرهم فهو أيضاً يَرجع اليهم فأنّ علم الدّين لا يُوجد إلّا عندهم كما أنّ الإهتداء لا يَحصل إلّا بهم وهو أيضاً مُؤيّد بالنّقل كما لا يخفىٰ:

۱۰۷

▫ **قوله ﷺ: لا يُقِيمُ أمْرَ اللّٰهِ سُبْحانَهُ إلَّا مَنْ لا يُصَانِعُ ولا يُضَارِعُ ولايَتَّبِعُ المَطامِعَ...**

المراد بالأمر هنا الأمر التّشريعي اذ هو الّذي إقامته بيد النّاس وأمّا التّكويني منه فَمُختّصّ به تعالىٰ والأوامر التّشريعية مثل الأمر بالصّلٰوة والزّكٰوة والصّوم وغيرها وبالجملة جميع الأحكام الشّرعية المأمورة بها من قِبل الشّارع والمعنىٰ أنّ إقامة أمر اللّه أيّ أمرٍ كان ومِن أيّ مُكلّفٍ كان لا يُمكن إلّا بشروط ثلاثة أحدها عَدم المُصانعة فيه والمُصانعة المُداراة فَمَن أراد إقامة أمَره لا يُداري فيه، وثانيها عَدم المُضارعة وهي المُشابهة في عَمله بالمُبطلين، وثالثها عَدم المُتابعة للمَطامع والأميال النّفسانية فَمن تَجّنب عن هذه الأمُور أقام أمَره تعالىٰ.

والأوّل: أعني عَدم المُداراة في إقامة أمَر اللّه إشارة الىٰ كون المُكلّف قاطعاً جازماً غير خائف من لَوم اللائمين وبعبارةٍ أُخرىٰ لا يَخاف في اللّه لَومة لائم، **والثّاني:** إشارة الىٰ عَدم قَصد الرّياء من العَمَل بأن لا يشتبه عَمله بالمُبطلين، **والثّالث:** الىٰ عَدم مُتابعته للنّفس الأمّارة:

١٠٨

▫ قوله عليه السلام: وقدْ تُوُفِّيَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفِ الأَنْصَارِيّ بالْكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِه مَعهُ منْ صِفِّينَ وكانَ أحَبَّ النّاسِ إليْهِ:

لوْ أحَبَّني جَبَل لَتهافَتَ...

مَعْنىٰ ذٰلكَ أنَّ المِحْنَةَ تَغْلُظُ عليْهِ فَتُسْرِعُ المَصائِبُ إليْهِ ولا يَفْعَلُ ذٰلكَ إلّا بالأَتْقِياءِ الأَبْرَارِ والمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ وهذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عليه السلام:

مِنْ أحَبَّنا أهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدُّ لِلْفَقْرِ جِلْباباً...

وقَد يُؤَوَّلُ ذَلَكَ علىٰ مَعْنىٰ آخَرَ لَيْسَ هذَا مَوْضِعُ سِرِّهِ.

◁ الشّرح

سَهل بن حنيف الأنصاري كان من أعاظم أصحابه عليه السلام ورؤساء شيعته وهو أخو عثمان بن حُنيف الأنصاري الّذي كان والياً من قِبله علىٰ البَصرة حين هَجَم عليها أصحاب الجَمَل وقد مَرّ قصّته معهم عند قصّة الجَمَل وأمّا سَهل فهو الّذي كان والياً علىٰ المدينة بعد خُروجه عليه السلام منها الىٰ البَصرة والكُوفة وقد شَهد مَعه صفّين ومات بالكُوفة بعد الرّجوع منها وكان رحمه الله من أحَبّ النّاس اليه عليه السلام لزهده وعبادته وإتّصافه بالكَمالات المعنَوية فقال عليه السلام في حقّه لَو أحَبّني جَبَل لتَهافت وتَساقط عن مكانه بعد ما تَصّدع وفي هذا الكلام وجوه من الإحتمالات:

أحدها: ما ذُكر في المَتن تَفسيراً لكلامه والظّاهر أنّه من الرّضي رحمه الله وحاصله

أنّ البَلاء للولاء وحيث أنّ مُحبّ علّيٍ وشيعته من أولياء اللّه فلا جَرم تَسرع المصائب اليه حتّىٰ يذُوب ثُمّ يمُوت.

وثانيها: أنّ مُحبّ علّيٍ وشيعته يسعىٰ في أعماله وأفعاله رضىٰ اللّه ورضىٰ رسُوله ووصّيه وهذا صَعبٌ مُستَصعب مشّاق علىٰ فاعله وأنّما قلنا ذلك لأنّ حُبّه عليه السلام واقعاً يلزم منه ما ذكرناه:

وثالثها: أنّه كان مظلوماً وكذلك من أحَبّه في طول التّاريخ والمظّلومية تُوجب التّساقط في الدّنيا ألا ترىٰ أنّ مُحبّيه من زمان علّيٍ الىٰ زماننا هذا صاروا مَقهورين مَغلُوبين بل مقتُولين وأيّ تَهافتٍ أعَظَم منه، ورابعها أنّ حبّ علّيٍ يُوجب بُغض أعداءه ومُخالفيه وهو يُوجب الحِرمان عن كثير من مَواهب الدّنيا وهو أيضاً شاقّ، وخامسها، أنّ حُبّه عليه السلام يُوجب المَسير علىٰ طريقه من ترك اللّذات والمُشتهيات والجاه وأمثالها من الأُمور وهو أيضاً شاقّ والوجوه كثيرة وجامعها هو أنّ حُبّه هو الحقّ والحقّ مُرٌّ والصّبر عليه أَمَرّ:

﴿١٠٩﴾

□ قوله عليه السلام: لا مَالَ أعْوَدُ منَ الْعَقْلِ ولا وَحْدَةَ أوْحَشُ منَ لْعُجْبِ ولاَعَقْلَ كالتَّدْبيرِ. ولا كَرَمَ كالتَّقْوَىٰ .ولا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ ولا مِيرَاثَ كالأَدَبِ، ولا قائِدَ كالتَّوْفِيقَ.وَلا تِجَارَةَ كالعَمَلِ الصَّالحِ. ولا رِبْحَ كالثَّوَابِ .ولا وَرَعَ كالْوُقُوفِ .عِنْدَ الشُّبْهَةِ ولا زُهْدَ كالزُّهْدِ في الحَرَامِ، ولا عِلْمَ كالتَّفَكُّرِ.ولا عِبَادَةَ كأَدَاءِ الفَرَائِضِ.ولا إيمَانَ كالحَيَاءِ والصَّبْرِ .ولا حَسَبَ كالتَّوَاضُعِ .ولا شَرَفَ كالْعِلْمِ ولا مُظَاهَرَةٍ أوْثَقُ منَ المُشَاوَرَةِ.

قوله عليه السلام: لا مَالَ أعْوَدُ منَ العَقْلِ، أي لا مال أنفَع وأفيَد من العَقل:

العَقل يقال للقوّة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعِلم الّذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عقلّ وهو في الأصل الإمساك والإستمساك كعَقل البعير بالعقال وعَقل الدّواء البَطن وعقلت المرأة شعرها، وعَقَل لسانه كفّه ومنه قيل لِلحصن مَعقَل وعليه فَتسمية هذه القوّة في الإنسان بالعَقل لأنّ الإنسان يَعقل أي يُمسك نفسه الأمّارة به وكيف كان لا شك إنّ العقل في الإنسان من أحسَن النِعم الإلٰهية بعد نِعمة الوجود إذ به يمتاز الإنسان من أبناء جِنسه ونوعه ولذلك ترىٰ في كثير من الآيات قد ذمّ اللّه تعالىٰ مَن لا يعقل ومَدَح من يعقل فقال في مَدَح العاقل:﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١)

و : ﴿ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٢)

١ ـ العنكبوت ـ٣٥ ٢ـ الروم ـ٢٨

وقال تعالىٰ في ذمّ من لا يعقل: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ (١)

و: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (٢)

و: ﴿ وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ﴾ (٣) والآيات كثيرة.

وقال رسول اللّه ﷺ - لمّا خَلَق اللّه العقل إستنطقه ثمّ قال له إقبل فأقبل ثمّ قال له أدبِر فأدبَر ثمّ قال له وعزّتي وجَلالي ما خلقت خَلقاً هو أحبّ إلّي منك والا أجعَلك إلّا فيمن أُحبّ أمّا إنّي إيّاك آمر وإيّاك أنهىٰ وإيّاك أُعاقب وإيّاك أُثيب «ج ١ ص ٣٣»...

وروي بأسناده عن أبي عبد اللّه عن آبائه قال رسول اللّه ﷺ -إذا بلغكم عن رجلٍ حُسن حاله فأنظروا في حُسن عقله فإنّما يُجازىٰ بعقله «ص ٣٦»...

وبأسناده عن أبي جعفر ﷺ قال إنّما يلاق اللّه العباد في الحساب يوم القيٰمة علىٰ قدر ما أتاهم من العقول في الدّنيا) وبأسناده قال رسول اللّه ﷺ إنّا معاشر الأنبياء نكلّم النّاس علىٰ قدر عقولهم...

وفي حديث آخر إنّ اللّه تبارك وتعالىٰ يحاسب النّاس علىٰ قدر ما آتاهم من العقُول في الدّنيا «ص ٣٦»...

والأحاديث فى فضله كثيرة أنظر بحارالأنوار و غيرها من المفّصلات و لنعم ما قيل:

وما المَرَء إلّا الأصغران لسانُه	ومعقوله والجسم خلقٌ مصوّرٌ
فإن تَرَ منه ما يروق فربّما	أمّر مذاق العُود والعُود أَخضرُ

وقال بعض، العقل الإصابة بالظّن ومعرفة ما يكون بما قد كان، وقال الآخر العاقل يقي مالَه بِسلطانه ونفسه بماله ودينه بنفسه، وقال الآخر، أنا لِلعاقل المُدبر أرَجىٰ منّي لِلأحمق المُقبل وفي الحديث لّما أهبط اللّه عزّ وجلّ آدم الىٰ الأرض آتاه جبرئيل فقال له يا آدم إنّ اللّه عزّوجلّ قد حباك بثلاث خِصال لِتَختار منها واحدة وتتخلّىٰ عن اثنتين قال وما هُنّ، قال الحَياء، والدّين،

١- الفرقان ـ ٤٤ ٢- العنكبوت ـ ٦٣

٣- الحشر ـ ١٤

والعقل، قال آدم اللّهم إنّي إخترت العقل فقال جبرئيل لِلحياء والدّين إرتفعا قالا لن نرتفع قال جبرئيل أعَصيتما قالا لا ولكنّا أُمرنا أن لانفارق العقل حيث كان...

قال بعض الحُكماء، غريزة عقلٍ لا يضيع معها عَمَل والأخبار والكلمات فيه كثيرة ولأجل ذلك قال عليه السلام - لا مال أعوَد وأنفع من العقَل إذ به تحصل سعادة الدّارين وحلاوة النّشأتين ولِنعم ما قيل...

يُعدّ رفيع القوم من كان عاقلاً ... وإن لم يكن في قومه بِحَسيب
وإن حَلّ أرضاً عاش فيها بعقله ... وما عاقلٌ في بلدةٍ بِغريبِ

وقال الآخر:

وما بَقيت من اللّذات إلّا ... محادثة الرّجال ذوي العقول
وقد كانوا إذا ذكرُوا قليلاً ... فقد صاروا أقلّ من القليل

وقال الآخر في علامات العقل والعاقل:

يُعرف عقل المَرء في أربعٍ ... مَشيته أولّها والحَرَك
ودُور عَينيَه وألفاظه ... بعُد عليهنّ يدُور الفَلَك
وربّما أخلقن إلّا التّي ... آخرها منهنّ سمّين لك
هذي دليلات علىٰ عقله ... والعقل في أركانه كالمَلَك
إنّ صَحّ صَحَّ المرء من بعده ... ويهلك المَرء إذا ما هَلَك
فأنظر الىٰ مَخرَج تدبيره ... وعقله ليس الى ما مَلَك
فربّما خلّط أهل الحجىٰ ... وقد يكون التّرك في ذي النّسك
فإن إمام سَأل عن فاضلٍ ... فأدلُل علىٰ العاقل لا أمّ لك

□ **قوله عليه السلام: ولا وَحْدَةَ أَوْحَشُ منَ الْعُجْبِ...**

إنّ المُعجب بنفسه يصير مُنعزلاً عن الخَلق لا مُحالة وذلك لأنّه لا يرىٰ لغيره من النّاس قَدَرٌ ومَنزِلة ولذلك لا يُجالسهم ولا يُعاشِرهم والنّاس أيضاً يتنفّرون منه فيصير واحداً وهذه الوَحدة مَنشأها العُجب وتوضيحه إجمالاً هو إنّ العُجب عبارة عن إستعظام النّفس لأجل ما يرىٰ لها من صفة كمال سواء كانت

له تلك الصّفة في الواقع أم لا، وقيل في تعريفه هو إعظام النّعمة والرّكون اليها مع نسيان إضافتها الىٰ المُنعم وقيل إنّه لا يعتبر في مفهوم العُجب رؤية نفسه فوق الغير في هذا الكمال وهذه النّعمة وبذلك يمتاز عن الكِبر إذ الكِبر هو أن يرىٰ لِنفسه مزّية علىٰ غيره في صفة كمالٍ ولذلك قالوا العُجب لا يستدعي غير المُعجب بل لولم يخلق الإنسان إلّا وَحدة تصُور أن يكون مُعجباً ولا يتّصور أن يكون مُتكبّراً وكيف كان لا شّك إنّه من رذائل الأخلاق وذمائم الصّفات وقد ورد في ذمّه ما وَرَد: قال رسول اللّه ﷺ - ثلاث مُهلكات شُحٌّ مُطاع وهوىٰ مُتبّع، وإعجاب المَرء بنفسه...

وقال ﷺ - اذا رأيت شُحاً مُطاعاً وهَوىٰ متّبعاً وإعجاب كلّ ذي رأيٍ برأيه فَعَليك نَفسك...

وقال ﷺ - لَو لَم تَذنبُوا لَخَشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك، العُجب العُجب «جامع السّعادات ج ١ ص ٣٢٥»...

وقد مَرّ الكلام منّا في العَقل والعُجب فيما مَضىٰ:

□ قوله عليه السلام: **ولاَ عَقْلَ كالْتَّدْبيرِ .ولا كَرَمَ كالتَّقْوَى، ولا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ...**

أمّا أنّه لاَ عَقْلِ كالْتَّدْبيرِ فالمقصُود أنّه ليس العاقل من يَعقل أو يَدرك أو يَفهم بل العاقل الحقيقي مَن حَسُن تَدبيره في الأُمور حتّىٰ لا يقع في أمرٍ لا يُمكن له الخُروج منه وهذا العَقل لا يحصل إلّا بالسّمع والتّجربة ولذلك قيل عَقل الغَريزة مُسلّمٌ الىٰ عقل التّجربة وقال بعض، ليس العاقل الّذي اذا وَقع في الأمر إحتال له ولكنّ العاقل يحتال لِلأمر حتّىٰ لا يَقع فيه:

وأمّا أنّه لا كَرم كالتّقوىٰ، فالوَجه فيه واضح لأنّ التّقوىٰ رأس الفضائل وأمّ الحَسنات والخَيرات وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿**إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[1]، وقد تكّلمنا فيها غير مرّةٍ وذكرنا الآيات والأخبار فيها بما لا مَزيد عليه وقد ثَبت أنّه لا فَضيلة بعد المَعرفة أفضَل من التّقوىٰ:

وأمّا قوله عليه السلام: **ولا قَرين كحُسن الخُلق،** فهو أيضاً صحيحٌ اذ حُسن الخُلق

---
١ - مائده ٢٧

يُوجب جَذب النّاس ورغبتهم الىٰ المُتّصف به ألا ترىٰ قوله تعالىٰ مُخاطباً لرسُوله: ﴿لَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأنفَضُّوا مِنْ حَوْلِك﴾[1] ومَدحه أيّاه في قوله: ﴿أنّك لعَلىٰ خُلقٍ عظيمٍ﴾، وقد قال رسُول اللّه ﷺ ما يُوضع في ميزان إمرؤٍ يوم القيامة أفَضل من حُسن الخَلق:

وقال ﷺ يابني عبد المُطّلب أنّكم لن تَعُوا النّاس بأموالكم فألقُوهم بطلاقة الوجه وحُسن البشر:

وقال ﷺ حُسن الخُلق خلق اللّه الأعظم: وقال الباقر عليه السلام صنائع المعروف وحُسن البشر يكسبان المحبّة ويدخلان الجنّة « جامع السّعادات ج ١ ص ٣٠٩» وقد مَرّ الكلام فيها أيضاً.

▫ **قوله عليه السلام: ولا مِيرَاثَ كالأَّدَبِ، ولا قَائِدَ كالتُّوفِيقَ، ولا تَجَارَةُ كالعَمَلِ الصَّالِحِ...**

قال بعض الحُكماء الأدَب أكَرم الجواهر طبيعةً وأنفسها قيمةً يَرفع الأحساب الوَضيعة ويُفيد الرّغائب الجليلة وعِزٌّ بلا عَشيرة ويكثر الأنصار بغير رزّية فألبسُوه حُلّة وتزّينوه حلته، يؤنسكم في الوَحشة ويجمع لكم القلُوب المُختلفة، وقال شبيب بن شيبة إطلبُوا الأدَب فأنّه مادّة العَقل، ودليل علىٰ المرّوة، وصاحبٌ في الغُربة، ومُؤنِسٌ في الوَحشة، وحَليةٌ في المَجلس:

وقال عبد المَلك لبَنيه عليكم بطلب الأدَب فأنّكم أن إحتَجتم اليه كان لكم مالاً وأن إستَغنيتم عنه كان لكم جمالاً، وقال بعض الحُكماء إعلم أنّ جاهاً بالمال أنّما يَصحبك ما صَحبك المال وجاهاً بالأدَب غير زائلٍ عنك.

وقال بعض آخر رأس الأدَب المَنطق ولا خَير في قولٍ إلّا بفعلٍ ولا في مالٍ إلّا بجُودٍ ولا في صديقٍ إلّا بوفاءٍ ولا في فقهٍ إلّا بوَرَع ولا في صدقٍ إلّا بنّيةٍ:

وقال الفَضل بن عياض، رأس الأدَب مَعرفة الرّجل قَدره، وقيل لبعض الحُكماء أيّ شئٍ أعَون للعَقل بعد الطّبيعة المولودة قال أدَبٌ فَكتب ولنعم ما قيل فيه:

١-آل عمران - ١٥٩

ما وَهَب اللّه لإمرؤٍ هبةً أفضل من عقله ومن أدَبه
هما حياة الفتىٰ فأن فُقِدا فأنّ فقد الحَياة أحسن به

وقال الآخر:

رأيتُ صلاح المَرء يُصلح أهله
ويفسدهم ربّ الفساد اذا فَسد
يعظم في الدّنيا لفضل صلاحه
و يُحفظ بعد المَوت فى الأهل و الوَلد

ورُوي عن رسُول اللّه ﷺ أنّه قال **من لا أدَب له لا عَقل له**، وقالوا الأدَب يزيد العاقل فضلاً ونباهةً ويُفيده رقّةً وظَرفاً، وسُئل حكيمٌ أيّ الخصال أحمَد عاقبةً قال الإيمان باللّه وبّر الوالدين ومحبّة العُلماء، وقبُول الأدَب.

وأمّا قوله عليه السلام: **ولا قائد كالتّوفيق**، ففيه إشارة الىٰ أنّ التّوفيق يقود صاحبه الىٰ الخَيرات كما يقود الزّمام النّاقة الىٰ السّير والحَركة والتّوفيق من اللّه تعالىٰ هو توجيه الأسباب نحو المطلوب الخَير وقد وَرد في الحديث إذا أراد اللّه بعبدٍ خيراً هيّأ له أسبابه، ومن المعلوم أنّ الأسباب إذا هُيّئت وَوُجدت فهي تقود صاحبها الىٰ الخَيرات والكَمالات والتّوفيق يُطلب منه تعالىٰ لأنّ أزمّة الأُمور بيده فهو مسّبب الأسباب ولذلك وَرد في الدّعاء زادك اللّه تَوفيقاً:

وقوله عليه السلام: **ولا تجارة كاعَمَل الصّالح**، فهو أيضاً لا شّك فيه إذ أيّة تجارة أنفَع وأثمَر من الأعمال الصّالحة قال اللّه تعالىٰ في كتابه:

﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواهَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ, تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُم خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ, يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1] .

□ قوله عليه السلام: **ولا رِبْحَ كالثَّوَابِ ولا وَرَعَ كالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ ولا زُهْدَ كالزُّهْدِ في الحَرَامِ...**

١- الصّف ـ ١٠

أمّا أنّه لا ربح كالثّواب فلأنّه أي الثّواب يبقىٰ دائماً ومَع ذلك يُوجب الفلاح والسّعادة والخلود في الجنّة والبُعد عن العذاب وأيّ ربح من الأرباح يُقاس به فأنّ كلّ ربح من الأرباح كائناً ما كان لا بقاء له وما لا بقاءَ له لا يُعتني به وهذا بخلاف الثّواب من الله تعالىٰ فأنّه باق ببقاءه قال تعالىٰ: ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً﴾ (١)

و: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (٢)

و: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴾ (٣)

و: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ (٤)

□ **قوله ﷺ ولا وَرَعَ كالْوقُوفُ عِنْدَ الشُّبْهَةِ ولا زُهْدَ كالزُّهْدِ في الحَرَامِ...**

و: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (٥) والآيات في الباب كثيرة ومَعها لا نحتاج الىٰ ذكر الأخبار الواردة فيه:

قوله ﷺ: **ولا وَرَع كالوقوف عند الشُّبهة**، والمراد بالوقوف عندها عدم الدّخول فيها والمراد بالشُّبهة ما يشتبه عليك أمره سواء كانت في الآيات أو في الأحكام أو في الموضوعات الخارجية وبالجملة كلّ ما يُلتَبس أمرَه فهو من الشُّبهة فمن الشُّبهة في الآيات قوله تعالىٰ: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ (٦) نهىٰ الله تعالىٰ وذمّ مِن إتّباع المشتبهات من الآيات وليس هو إلّا الوقوف عند الشُّبهة:

وقد روي في البحار بأسناده عن الصّادق ﷺ **قال أورَع النّاس من وقف عند الشُّبهة « الخبر ج ١٥ جزء الثاني ص ٩٩»...**

وبأسناده عن رسُول الله ﷺ **قال أنّ لكلّ ملك حمي وأنّ حمي الله حلاله وحرامه والمشتبهات بين ذلك كما لو أنّ راعياً رعىٰ الىٰ الله جانب الحمي لم**

١- مريم-٧٦
٢- الكهف-٤٦
٣- آل عمران-١٩٥
٤- النساء-١٣٤
٥- آل عمران-١٩٥
٦- آل عمران-٧

تلبث غَنَمه أن تقع في وسطه فدعُوا المشتبهات انتهىٰ «ص ٩٩»...

وقوله ﷺ: ولا زُهد كالزُّهد في الحرام،والوجـه فـيه هـو أنّ تـرك الحـرام أصعَب وأشدّ علىٰ النّفس من فعل الواجب وذلك لأنّ الحرام كثيراً ما يكون مطابقاً لِلأميال والغرائز بخلاف الواجب ألا ترىٰ أنّ الزّنـا لا يـخالف النّـفس الأمارة بالسوّء بل يوافقها ويطابقها بخلاف الصّلوة والصّـوم وأمـثالهما فأنّ النّفس لا توافقهما أصلاً وقد ثبت أنّه كلّما كانت النّفس اليه أميَل وأشهَىٰ فتركه أصعَب وأشدّ ألا ترىٰ أنّ الجنّة حُفّت بالمكاره وأنّ النّار حُفّت بالشّهوات قال اللّه تعالىٰ تبارك وتعالىٰ:﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُـدْخِلْهُ نَـاراً خَٰلِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١)

وقال:﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ أُوْلَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ (٢) وقـال رسُول اللّه ﷺ أعبَد النّاس من أقامَ الفرائض وأشدّ النّاس إجتهاداً من ترك الذّنوب، وقال رسُول اللّه ﷺ قال حبيبي جبرائيل أنّ مَثَل هذا الدّين كـمَثل شجرة ثابتة الإيمان أصلها والصّلوة عـروقها والزّكـوة مـاؤها والصّـوم سعفها وحُسن الخلق ورقها والكفّ عن المحارم ثمرها فلا تكمل الشّجرة إلّا بالثّمر كذلك الإيمان لا يكمل إلّا بالكفّ عن المحارم انتهىٰ...

وعن أبي عبد اللّه ﷺ قال أورَع النّاس من وقف عند الشُّبهة وأعبَد النّاس من أقام الفرائض وأزهد النّاس من تَرك الحرام وأشدّ النّاس إجتهاداً من ترك الذّنوب، «الأحاديث مرّوية عن البحار ج ١٥ جزء الثاني ص ١٧١»...

□ قوله ﷺ: ولا عِلْمَ كالتَّفَكُّرِ ولا عِبَادَةَ كأَدَاءِ الفَرَائِضِ .ولا إِيمَانَ كالحَيَاءِ والصَّبرِ...

أمّا أنّه لا عِلْمَ كالتَّفكُّرِ، فلأنّ العلم عبارة عن كشف المجهول وهو لا يحصل إلّا بالتّفكر وأن شئت قلت العلم علمان علم درايةٍ وعلم روايةٍ كما مرّ البحث فيه .

والأوّل: أعني به علم الدّراية فهو لا يحصل إلّا بالتّفكر والتّعمق في الأمور.

١- النّساء ـ ١٤ ٢- النّساء ـ ٦٩

وأمّا الثّاني: فهو يحصل بحفظ المطالب وضبطها ولا كلام لنا فيه ولذلك ترىٰ الآيات حثّتنا علىٰ التّفكر والتّدبر قال اللّه تعالىٰ: **﴿كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم تَتَفَكَّرُونَ﴾**(1)

و : **﴿هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾**(2)

و : **﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**(3)

و : **﴿فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**(4) وغيرها من الآيات. روي في البحار بأسناده عن الصّادق ﷺ أنّه قال أفضل العبادة إدمان التّفكر في اللّه وفي قُدرته...

وعنه ﷺ قال أمير المؤمنين ﷺ التّفكر يدعو الىٰ البرّ والعَمَل به...

وعنه ﷺ قال كان أكثر عبادة أبي ذرّ التّفكر والإعتبار...

وقال رسُول اللّه ﷺ علىٰ العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يُناجي فيها ربّه وساعة يُحاسب فيها نفسه وساعة يتّفكر فيما صَنع اللّه اليه وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال: وقد مرّ الكلام فيه سابقاً« ج ١٥ الجزء الثّاني ص ١٩٣»...

وأمّا قوله ﷺ: **ولا عِبَادَةَ كأَدَاءِ الفَرَائِضِ**، فالوجه فيه أنّ العبادة لا تحصل إلّا به أوّلاً وبغيرها ثانياً وقد عَرفت الأخبار فيه آنفاً مُضافاً الىٰ ما نقلناه من الآيات والأخبار سابقاً غير مرّةٍ:

وأمّا قوله ﷺ: **وَلا إيمَانَ كالحَيَاءِ والصَّبرِ**، فالوَجه فيه ما مرّ أيضاً عند قوله فأنّ الصّبر من الايمان بمنزلة الرّأس مِن الجَسد فكما لا خير في جَسدٍ لا رأس مَعه لا خير في إيمانٍ لا صَبر مَعه، فكما أنّ الصّبر من الإيمان كذلك الحَياء منه والأخبار به مُتظافرة:

روي في مشكاة الأنوار عن الصّادق والباقر ﷺ قال الحَياء والإيمان مَقرونان في قَرنٍ فإذا ذَهب أحدهما يتبعه صاحبه...

١- البقرة-٢١٩
٢- الأنعام-٥٠
٣-آل عمران-١٩١
٤- الأعراف-١٧٦

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال الحَياء من الإيمان والإيمان في الجنّة والرّياء من الجَفاء والجَفاء من النّار...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الإيمان عريان ولباسه الحَياء وزينته الوَفاء ومُرؤته العَمل الصّالح وعماده الوَرَع ولكلّ شيٍ أساس وأساس الإسلام حُبّنا أهل البَيت...

وقال صلى الله عليه وآله الحَياء من الإيمان« ص ٢٣٣»...

قوله عليه السلام ولا حَسَبَ كالتَّوَاضُعِ، ولا شرَفَ كالْعِلْمِ .ولا مُظَاهَرةٍ أوْثَقُ منَ المُشَاورَةِ...

قد مَرّ الكلام منّا في التّواضع والعِلم وذكرنا الآياتوالأخبار فيهما وأمّا المَشاوِرة فالمقصُود بها المَشورة مَع أهل الفَضل والّدين المَوثُوق بهم فأنّ المُستشار مُؤتمن قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(١)

روي في البحار بأسناده قال أمير المؤمنين خاطر بنفسه من إستغنىٰ برأيه...

وعن الصّادق عليه السلام ليَطمعنّ القليل التّجربة المُعجب برأيه في رئاسةٍ...

وعن أبي جعفر عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام شاور في حديثك الّذين يخافُون اللّه وأحَبب الأخوان علىٰ قَدر التّقوىٰ وإتّقُوا شرار النّساء وكونوا عن خيارهنّ علىٰ حَذَر الخبر...

وبأسناده قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ياعلّي لا تُشاور جَباناً فأنّه يضيق عليك المَخرج ولا تُشاور البَخيل فأنّه يَقصر بك عن غايتك ولا تُشاور حَريصاً فأنّه يُزين لك شّرهما الخبر...

وبأسناده قال رسُول اللّه ما الحَزم قال مُشاورة ذوي الرّأي وإتّباعهم «بحار الأنوار ج ١٦ ص ١٤٤»...

---

١ - آل عمران ـ ١٥٩

١١٠

□ قوله عليه السلام: إذا اسْتَوْلىٰ الصَّلاَحُ علىٰ الزَّمانِ وأهْلِهِ ثُمَّ أساء رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خَزْيَةٌ فَقَد ظَلَمَ. وإِذا اسْتَوْلىٰ الزَّمَانُ علىٰ الزَّمانِ وأهْلِهِ فأحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقدْ غَرَّرَ...

◁ اللّغة

(الخَزْيَةُ) بفتح الخاء وسكون الزّاء البَلية تُصيب الإنسان فتُذله (غَرَّرَ) بفتح الغين والرّاء المُشدّدة أو قَع بنفسه في الغَرَر أي الخَطَر.

المقصُود من هذا الكلام هو أنّ سُوء الظَّن وحُسنه تابعان لِلزّمان فاذا إستَولىٰ علىٰ الزّمان وأهله الصّلاح والسّداد ثُمّ أساء رجل الظّن برجلٍ فهو ظَلم عليه ما لم تظهر منه خَزَيةٌ وبلّية وفي بعض النّسخ (حَوبة) مكان خَزّية، والحَوبة بفتح الحاء الإثم والذّنب وأن كان المستّولي علىٰ الزّمان وأهله هو الفَساد ثُمّ أحَسَن رجل الظّن برجلٍ فَظَنّ أنّه صالح فقد غَرّر أي أوقعه في الخَطَر وبعبارةٍ أُخرىٰ إذا غُلب الصّلاح علىٰ أهل الزّمان بأن كان أكثرهم صلحاء فسُوء الظّن من غير وقُوع بليّةٍ أو إثمٍ منه ظلمٌ عليه بل القاعدة تَقتضي حَمل فعله أو شخصه علىٰ الصّلاح.

وأمّا في صُورة العكس وهي غلبة الفَساد علىٰ أهل الزّمان فالقاعدة تَقتضي عكس الأُولىٰ.

﴿١١١﴾

□ **وقيل لهُ عليه السلام: كَيْفَ نَجِدُكَ يا أميرَ المؤمِنينَ؟ فقَالَ عليه السلام: كَيْفَ يَكُونُ مَنْ يَفْنَى بِبقَائِهِ وَيَسْقَمَ بِصِحَّتِهِ ويُؤتيَ مِنْ مِأمَنِهِ...**

أي كيف يكون حال مَنْ يَفْنىَ بِبقَائِهِ اذ كلّما طال عمره تقّدم الىٰ الفَناء وسقم بصحّته أي كلّما مدّت عليه الصّحة تَقرب من مَرض الهَرَم ويُؤتي من مأمنه أي يأتيه المَوت أو مَلك المَوت من مأمنه أي من الجهة التّي يأمن إتيانه منها أسبابه كامنة في نفس البَدن والحاصل كيف يكون من ليس بقائه وحياته ببقاءٍ واقعاً ولا صحّته بصحّةٍ حقّاً ولا أمان له من المَوت أينما كان.

١١٢

□ قوله ﷺ: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ومَغْرُورٍ بالسترِ عَلَيْهِ .ومَفْتُونٍ بِحُسْنِ القَوْلِ فِيهِ وما ابْتَلَىَ اللَّهُ أَحَداً بِمِثْلِ الإِمْلاَءِ لهُ...

الإستدراج تتابع النِّعم على المعاصي والمعنى أنّه كَم من مُتابَعٍ بالإحسان اليه من اللّه تعالى أو من الخَلق وهو يَعصيه وكم من مَغرُورٍ قد غَرَّه السُّتر عليه وكم من مَفتُونٍ مُبتلى بحُسن القول فيه، كلّ ذلك ينشأ من غَفلته وإلّا فالإنسان العاقل لا يعصي من أحَسن اليه بل يَشكره ويَحمَده ولا يصير من المَغرورين إذا سُتر عليه ذَنبه بل تداركه بالتّوبة الى اللّه ولا يُفتن بحسن القول فيه لعلمه بنفسه وأنّه لا يليق بالمَدح ولذلك قال ﷺ: **وما إبتلى اللّه أحَداً بمثل الإملاء والإمهال له.**

وذلك لأنّ العاصي الّذي تتابعت النّعم من اللّه تعالى عليه وهكذا المَغرور بستر عيُوبه من السّتار والمَفتُون الّذي يَمدحه النّاس لأجل الدّنيا لو عَلِم بحقيقة الحال وأنّ هذا إمهالٌ من اللّه تعالى عليه في مدّةٍ مُعيّنةٍ ثُمّ يُؤخذ بالنّواصي والأقدام أخذ عزيزٍ مُقتدرٍ بحيث لا يَقدر على الفَرار لا يكون كذلك والى الإملاء أشار اللّه تعالى بقوله حيث قال: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾**(١)

١- آل عمران -١٧٨

﴿١١٣﴾

□ قوله عليه السلام: **هَلَكَ فيَّ رَجُلاَنِ مُحِبٌّ غالٍ ومُبْغِضٌ قالٍ...**

أي هَلَك وشَقي فيَّ رجلان أحدهما من كان غالياً في حُبّه أيّاي مثل من قالٍ أو يقول بإلوهيّتي وربّوبيتي مَع أنّي مَخلوق مَصنُوع وثانيها من كان في بُغضه أيّاي شديداً مثل النّاصب والسّاب والوجه في هلاكه هو أنّ الإفراط في الحُبّ والبُغض مذمُوم كما في غيرهما وهذا أولىٰ لأنّه من الأُمور الإعتقاديّة الأُصوليّة، أن قلتُ مفهوم العبارة يشعر بأنّ المُحبّ إذا لم يكن غالٍ في حُبّه لا يُهلك وكذا المُبغض وهذا في المُحبّ صحيح وأمّا المُبغض فلا لأنّ بُغضه عليه السلام ولو كان قليلاً يُوجب الهَلاك كما وَردت به الرّوايات وعليه فحقّ العبارة أن يقال هَلَك فيَّ رجلان مُحبّ غالٍ ومُبغض، سواء كان المُبغض قالاً في بُغضه أم لا، قلتُ لعلّ المقصُود أنّ المُبغض إذا لم يكن قالاً في بُغضه فهو علىٰ سبيل النّجاة إذ يحتمل عوده عمّا كان عليه ويتوب الىٰ اللّه منه وهذا بخلاف القال أي شديد البُغض فأنّه لا يرجع عمّا هو عليه غالباً فهو هالك قَطعاً وقد وَردت الأخبار في حُبّه وبُغضه أكثر من أن تحصىٰ ولنَذكر شطراً منها تَيّمناً وتبرّكاً بها:

رُوي في البحار عن المناقب عن ابن عبّاس قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **والّذي بَعثني بالحقّ نبيّاً أنّ النّار لأشدّ غَضباً علىٰ مُبغضي علّيٍ منها علىٰ من زَعم أنّ لِللّه ولداً انتهىٰ...**

وبأسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال صلّيت مَع رسُول اللّه صلى الله عليه وآله قبل أن

يُصلّي مَعه أحَد من النّاس ثلاث سنين فكان ممّا عَـهد إلَّـي أن لا يـبغضني مؤمن ولا يُحبّني كافر أو مُنافق واللّه ما كذبت ولا كَذبت ولا ضَللت ولا ضُلّ بي ولا نسيت ممّا عَهد إلّي انتهىٰ...

وعن ابن عبّاس قال قال رسُول اللّه ﷺ حُبّ علّي بن أبـي طـالب يأكـل الذّنوب كما تأكل النّار الحَطَب انتهىٰ...

وعن جامع التّرمذي ومسند الموصلي وفضائل أحمد عن أُمّ مَسلمة قال النّبي لعلّيٍ لا يحبّك مُنافق ولا يُبغضك مؤمن انتهىٰ...

وعن ألّسن قال رسُول اللّه ﷺ لعلّي ياعلّي من أبغَضك أماته اللّه مـيتة جاهليّة وحاسَبه بما عَمَل يوم القيٰمة انتهىٰ...

وبأسناده عن سلمان الفارسي قال سمعتُ حبيبي رسُول اللّه يقول لعلّي يوماً يا أبا الحسن مَثَلك في أُمّتي مَثَل قُل هو اللّه أحَد فَمن قرأها مرّة فقد قرأ ثلث القرآن ومن قرأها مرّتين فقد قرأ ثُلثي القرآن ومن قرأها ثلاثاً فقد خَتم القرآن فَمن أحبّك بلسانه فقد كُمل له ثلث الإيمان ومن أحبّك بلسانه وقلبه فقد كَمُل له ثلثاً الإيمان ومن أحَبّك بلسانه وقلبه ونَصرك بيده فقد إستكمل الإيمان والّذي بَعثني بالحقّ ياعلّي لو أحبّك أهل الأرض كمحبّة أهل السّماء لك لَما عُذّب أحَد بالنّار الخبر...

أقول ما نقلناه عن البحار ج ١ ص ٤٠١ الىٰ ص ٤٠٧ ومن أراد الوقُوف علىٰ تفصيلها بالكتاب المذكور.

﴿١١٤﴾

▫ **قوله ﷺ: إِضَاعةُ الْفُرصَةِ غُصَّةٌ...**

أي تضييع الفُرصة والغفلة عنها يُوجب النّدامة والحَسرة والغُصّة ولأجل ذلك وَرد عن رسُول اللّه ﷺ أنّه قال إغتنموا الفُرَص فأنّها تمّر مَرّ السّحاب والفُرصة عبارة عن المُهلة ومن المعلوم أنّها لا تكون دائماً فَينبَغي للعاقل إغتنامها والإستفادة منها لِلدّنيا أو لِلآخرة أولهما.

﴿١١٥﴾

□ **قوله عليه السلام: مَثَلُ الدُّنْيا كَمَثَلِ الحَيَّةِ لَين مَسُّها والسُّمُّ الناقعُ في جَوْفِهَا .يَهْوِي إِلَيْها الْغِرُّ الْجَاهِلْ ويَحْذَرُها ذُو الُّلبُّ العَاقِلُ انتهى...**

قد مَرَ البحث في الدّنيا وحقيقتها وحُبّها وبُغضها وما يتّعلق بها غير مرّةٍ في هذا الكتاب وقد شبّهها عليه السلام في المقام بالحَيَة التّي لَيّنٌ مَسّها وظاهرها وشبّه مضّار الدّنيا بالسّم النّاقع المُهلك في جوف الحَيّة فكما أنْ مَن مَسّها غافلاً عن سَمّها يَقع في الخَطَر كذلك من أحَبّ الدّنيا وزخارفها غافلاً عن مضّارها يَقع في الخَطَر وهو ليس بعاقلٍ قطعاً ولذلك قال عليه السلام يهوى ويميل الى الدّنيا الجاهل المَغرور بالحَياة الفانية ويحذرها ذو اللّب العاقل واللُّب جوهر العاقل وأن شئت قلت العقل الصّافي عن شوائب الأوهام وأمّا العاقل العُرفي فلا يحّذرها وهذا هو السّر في تَعبيره عليه السلام بذي اللُّب:

١١٦

□ وسُئِلَ ﷺ: عنْ قُرَيْشٍ: أمَّا بَنُو مَخْزُوم فَرِيحانَةُ قُرَيْشٍ تُحِبَّ حَدِيثَ رِجالِهِمْ والنِّكاحَ في نِسَائِهِمْ وأمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ فأبْعَدَها رَأياً وأَمْنَعُها لِمَا ورَاءَ ظُهُورِها وأَمَّا نحْنُ فأبْذَلُ لِمَا في أيْدِينَا وأسْمَحُ عِنْدَ المَوْتِ بِنُفُوسِنا.وهُمْ أكْثَرُ وأمكَرُ وأنكَرُ.ونَحْنُ أفْصَحُ وأنْصَحُ وأصْبَحُ...

قرَيش، بضَم القاف وفتح الرّاء كرُجيَل، إسم قبيلةٍ من قبائل العَرب والنّسبة اليه قُرَشي وقُريشي وقد إختلفوا في سبب التّسمية فقيل هو من القَرش بمعنىٰ الجمع والكَسب وعليه فسميّت القبيلة به لإجتماعها بعد تفرّقها في البلاد، وقيل سبب ذلك أنّ النضّر بن كنانة وهو أبو القبيلة ورئيسهم قد ركب البحر الهند فقالوا قُرَيش كَسر مَركبنا فَرماها النضَر بالحراب فقتلها وجزّ رأسها وكان لها أذان كالشّراع تأكل ولا تؤكل تعلّوا ولا تُعلىٰ فقدّم به مكّة نَسبَه الىٰ أبي قُبيس فكان النّاس يتعجّبون من عظمه فيقولون قتل النضّر قُريشاً والقريش نوع من السّمك يُعرف بكلب البحر يقطع الحيوان في الماء بأسنانه كما يقطع السّيف ولذلك قالوا قتل النضّر قريشاً ولذلك سُميّت قبيلة النضّر بقبيلة قُريش وسُمّي النضّر بقريش لقتله أيّاها وكيف كان لا شّك في شرف القبيلة وأنّها تمتاز عن القبائل كلّها في الفضائل والكمالات النّفسانية وقد إتّفقوا علىٰ أنّ النضّر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مُعزّ وكلّ من كان من ولد النضّر فهو قُرشي فَهر بن مالك ومن لم يلده فليس بقُرشي وقيل غير ذلك:

ثمّ أنّهم كانوا قبائل متفرقة منهم قُصَي بن كلاب الّذي جمع القبائل من فهر وكان يُدعىٰ مُجمعاً، ومنهم هاشم الّذي قيل فيه عمره والّذي هشم الثّريد لقومه ومنهم شيبة الحمل المطعم طير السّماء الّذي كان في وجهه قمر يضيئ ليلة الظّلام الدّجي وينسب الىٰ قريش بحذف الياء فيقال قُرشي وتفصيل الكلام في قبائل العرب خارج عن موضوع الكتاب وقد فصّل البحث في هذا المقام الشّارح المعتزلي بما لا مزيد عليه كما هو دأبه في أمثال الموارد أن شئت الإطلاع علىٰ ما ذكره فإرجع الىٰ كتابه: قوله ﷺ: **أمّا بنو مَخزُوم فريحانة قُريش،** شَبَهّهم ﷺ بالرّيحانة الّتي أُعدّت للإستشمام لِلإشارة الىٰ أنّ بني مخزوم رجالهم ونسائهم يليقون للمعاشرة والمجالسة من حيث الآداب والكلام والمصاحبة ولذلك قال تحبّ حديث رجالهم والنّكاح في نسائهم:

وأمّا بنو عبد شمس ومنهم بنو أُميّة فأبعدها رَأياً أي آرائهم بعيدة عن الصّواب وأمنَعَها لما وراء ظهورها ولعلّه كناية عن حَميّتهم وَعَصبيّتهم الجاهليّة ويمكن أن يكون المراد بكونهم أبعد رأياً سياستهم وتدبيرهم في الأُمور يقال فلان بعيد الرأي إذا كان يرىٰ المصلَحة من بعيد:

قوله ﷺ: **وأَمَّا نحْنُ** والمراد بنو هاشم فأبذَل لما في أيدينا وهو كناية عن وُجودهم وسخائهم، وأسمَح عند الموت بنفوسنا وهو كناية عن شجاعتهم فأنّ السّماحة الجود والعَطاء، وهُم أي بنو عبد شمس، أكثر نفراً وأمكَر حيلةً، وأنكَر حقّاً ونحن أفصَح في الكلام وأنصَح لِلنّاس، وأقبَح في المنظَر والشّكل.

أقول ما ذكره ﷺ في أوصاف بني عبد شمس وبني هاشم حقٌّ تشهد به الآثار:

١١٧

□ قوله عليه السلام: شَتَّانَ ما بَيْنَ عَمَلَينِ عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وتَبْقَى تَبِعتُهُ وعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُنَتهُ ويَبْقَى أجْرُهُ...

(شتّان) بفتح الشّين إسم فعلٍ بمعنىٰ بَعُدَ والمعنىٰ أنّ هذين العَمَلين بعيد كل واحدٍ منهما عن الآخر أحدهما، العَمَل الّذي تذهب وتفنىٰ لذّته وتبقىٰ تَبعته أي وِزرَه وَوباله وهو السّيئ من الأعمال وثانيهما، العَمل الّذي ليس كذلك بل يبقىٰ أجره وهو الصّالح من الأعمال والحاصل أنّ العَمل لا يخلو حاله عن هذين الوجهين والعاقل لا يختار إلّا ما يبقىٰ أجره فأن الباقيات الصّالحات خير وأحسَن عَمَلاً من الفانيات الدّاثرات الّتي يحسبها الظّمآن ماءً وبينهما بونٌ بعيد:

﴿١١٨﴾

□ وتَبعَ جنازَةً فَسمِعَ رَجُلْ يَضحكُ فـقال : كأَنَّ المَوتُ فِيها عَلى غَيرِنا كُتِبَ. وكأَنَّ الحقَّ فِيها عَلىٰ غَيرِنا وَجَبَ .وَكأَنَّ الَّذِي نَرىٰ مِنَ الأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إلَيْنا رَاجِعُونَ نُبوِّؤُهُمْ أجْدَاثَهُمْ ونأكُل تُرَاثَهُمَّ ثمَّ قدْ نَسِينَا كلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ ورُمِينَا بكلِّ جَائِحَةٍ...

هذا الكلام صَدَر منه ﷺ للتّنبيه والتّذكير عند تشييع الجنائز وإنّ المُشّيع ينبغي أن يكون عند تشييعه متوجّهاً الىٰ نفسه مُعرِضاً عـن الدّنـيا مُـقبلاً الىٰ الآخرة بحيث كإنّه يرىٰ نفسه فـي السّـرير وذلك لأنّ حُكـم الأمـثال واحـد والمَوت قد كُتب علىٰ كلّ مخلوقٍ وإنّما قال ﷺ ما قال بعد ما سَـمَع رجُـلاً يضحك:

فقال ﷺ: كإنّ المَوت فيها) أي في الدّنيا علىٰ غيرنا كتب وكأنّ الحقّ فيها أي في الدّنيا علىٰ غيرنا وَجب والحال إنّ المَوت علينا كُتب والحقّ علينا وَجب وإذا كان كذلك فما بالنا نضحك عند مَوت أحَدٍ منّا والمفروض إنّا نلحق له به قطعاً كما قال اللّه تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١)

و: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (٢)

---

١ ـ الجُمعة ـ٨ ٢ـ الواقعة ـ ٦٠

و : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد﴾ (١)

و : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَة﴾ (٢)

▫ **ثمّ قال ﷺ: وَكَأَنَّ الَّذِي نَرىٰ مِنَ الأَمْوَاتِ سَفَرٌ عمَّا قَلِيْلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ،** أي كأنّ المَوت الّذي نراه في حقّ غيرنا سَفَر من أسفار الدّنيا عمّا قليل بعد شهرٍ أو شهرين أو أقّل أو أكثر إلينا راجِعُون والحال إنّ المَوت ليس كذلك لأنّه سَفَر الآخرة وهو ممّا لا يُرجىٰ الرّجوع منه:

وقوله ﷺ: **نُبَوِّؤُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ** إلَىٰ آخر الكلام معناه إنّا نُنزّل المَوتىٰ منازلهم أي نجعلهم في قبورهم ثمّ نأكل تُراثهم وميراثهم ثمّ قد نسينا بعد ذلك كلّ واعظٍ وواعظةٍ أي نغفل عمّا جرىٰ بهم من المَوت وتركهم الدّنيا وما فيها وإنّهم صاروا أسير جنادل وترابٍ وقد قال رسول اللّه ﷺ: **كفىٰ بالمَوت واعِظاً،** وقوله ﷺ: **ورُمِينا بِكلِّ جَائِحَةٍ،** الجائحة الآفة الّتي تَهلك الأصل والفرع والدّنيا وما فيها بأسرها جائحة وآفة لمن لا يعتبر بها أَليس المال والأولاد والمقام وغيرها من الآفات المُهلكة وقد مرّ الكلام وما يتبّعه مفّصلاً.

١- ق-١٩.

٢- النّساء-٧٨

﴿١١٩﴾

□ قوله عليه السلام: طُوبَى لِمنْ ذَلَّ نَفْسِه وطَابَ كَسْبُهُ وصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ وأنْفَقَ الفَضْلَ منْ مَالِهِ وأمْسَكَ الْفَضْلَ منْ لِسانِهِ وعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَوَسِعَتْهُ السنَّةُ ولمْ يُنْسَبْ إلَى الْبِدْعَةِ...

قال الرّضي ﵁ أقول ومن النّاس من ينسب هذا الكلام الى رسول الله ﷺ وكذلك الّذي قبله:

قد مَرّ الكلام في معنى كلمة (طُوبى) وأنّها تُستعمل للخَير وحاصل الكلام طُوبى لِمَن إتّصف في الدّنيا بهذه الأوصاف التّي هي أساس الخَيرات وأصل الحَسَنات ومَبدأ الكمالات وهي ثمانية:

الأولى قوله عليه السلام: **مَن ذَلَّ نفسه**، أي حَقّرها وضعّفها فأنّ النّفس الأمّارة بالسُّوء لو أُطلقت أهلَكَت صاحبها وتحقيرها يحصل بالرّياضة والمُداومة على الطّاعة والإجتناب عن المَعصية وبالجملة رَدّعها ومَنعها عن شهواتها وأميالها ويمكن أن يكون المراد بتذليل النّفس التّواضع والخضُوع والمآل واحد فقد قال رسُول اللّه ﷺ - **من مَقت نفسه دون مقت النّاس آمنه اللّه من فَزَع يوم القيامة «مشكاة الأنوار ص ٢٣٥»...**

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال لرجل - إنّك قد جُعلت طبيب على نفسك وبُيّن لك الدّاء وعرفتَ آية الصحّة ودُللّت على الدّواء فأنظر قيامك على نفسك انتهى « ص ٢٣٤»...

وعن أبي الحَسن الأوّل عليه السلام قال -إيّاك أن تتبّع النّفس هواها فإنّ في هَواها رداها وترك هَواها دوائها انتهىٰ« ص ٢٤٣»...

هذا بناءً علىٰ كون العِبارة بدون كلمة (في) وأمّا بناءً علىٰ إثباتها كما في أكثر النّسخ فالمعنىٰ في طُوبىٰ لِمَن ذَلّ في نفسه، طُوبىٰ لِلمُتواضعين فإنّ المُتَواضِع لا يعُد نفسه شيئاً فهو ذليلٌ عند نفسه عظيمٌ شريفٌ عند غيره.

الثّانية قوله عليه السلام: **وطاب كَسَبه**، لعَل المراد به مشروعيّة كَسَبه بأن يكسب في تحصيل رِزقه فيما أَمَره الشّارع به ويجتنب عمّا نهاه عنه فالكَسَب الطّيب مثل الزّراعة والصّناعة والتّجارة وأمثالها مُراعياً فيها وظائفه الشّرعية وغير الطّيب مثل الرّبا وغيره من المحّرمات فَمَن طاب كَسَبه طاب رزقه وبالعكس بالعكس.

الثّالثة قوله عليه السلام: **وصَلَحت سريرته**، أي باطنه وضَميره بأن كان مُتواضِعاً صادِقاً أَمِيناً لا خَبيثاً شرّيراً بَخيلاً مُتكّبراً والسّر فيه إنّ السّريرة إذا صَلحت وطابت صَلَحت الأعمال أيضاً فإنّ الأعضاء والجوارح تابعة لِلقلب فَمَن كان مُنّزه عن الأرجاس كان مُنّزه العَمَل عن السّيئات وقبائِح الأعمال.

الرّابعة قوله عليه السلام: **وحَسُنَتْ خَلِيْقَتُهُ**، بفتح الخاء الخُلُق والطّبيعة والمقصود أن يكون حَسَن الخُلَق فإنّ حُسْن الخُلُق من الصّفات الممدُوحة وقد مرّ الكلام فيه مُفَصلاً:

وخامسها قوله عليه السلام: **وأَنْفَقَ الفَضْلَ منْ مَالِهِ**، أي أَنْفَقَ الزّيادة عمّا يحتاج اليه من ماله في طريق الخَيرات مُضافاً الىٰ الواجبات وذلك لأنّ الدّنيا فانية والمَوت ممّا لابُد منه لكلّ أحَدٍ وبعد المَوت حِساب وكِتاب وجنّة ونار والعاقل الّذي يعلم ذلك ينفق زيادة ماله في سبيل اللّه ويأخذ أَجره في الآخرة وأمّا الجاهل فلا ينفق بل يموت ويبقىٰ ماله بعد مَوته لِوَرثته وهو يَرد علىٰ اللّه تعالىٰ بغير زادٍ.

السّادسة قوله عليه السلام: **وأَمْسَكَ الفَضْلَ منْ لِسانِهِ**، أي لا يتكّلم بما لا يحتاج اليه

فإنّ الكلام ليس كالمال الّذي ينبغي الإنفاق من زيادته بل ينبغي الإمساك فيه حتّىٰ الإمكان لإنّ المَرء عمّا قاله مسئول يوم القيمة وآفات اللّسان كثيرة وقد مرّ الكلام في اللّسان وآفاته أيضاً فقد قال رسول اللّه ﷺ - **أَمسك لِسانك فإنّها صَدَقة تتصّدق بها نفسك ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتّىٰ يخزن لِسانه، وعن أمير المؤمنين** ﷺ - **من حفظ لِسانه سَتَر اللّه عَورته، وقال** ﷺ - **إن كان في شئ شؤم ففي اللّسان، وقال** ﷺ - **السّكوت ذَهب والكلام فِضة،** وغيرها من الأخبار« مُشكاة الأنوار ص ١٧٥»...

السّابعة قوله ﷺ: **وعَزَل عن النّاس شرّه**، وهو كناية عن عدم الظّلم والإيذاء والسّب وغيرها ممّا يُعَد شرّاً فإنّ المؤمن ينفع النّاس ولا يضّر بهم فَمَن كان علىٰ غير هذا فَلَيس بِمؤمنٍ واقعاً قال الصّادق ﷺ **حُسن الخُلق وحُسن الجوار وكفّ الأذىٰ، وقلّة الصّحته يزيد في الرزّق انتهىٰ**« ص ١٤٩»...

وروي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال قال رسُول اللّه ﷺ **ألا أُنبئّكم بشّر النّاس قالوا بلىٰ يا رسُول اللّه قال من أبغض النّاس وأبغضه النّاس ثمّ قال ألا أُنبئّكم بشّر من هذا قالوا بلىٰ يا رسُول اللّه قال الّذي لا يقيل عثرة ولا يُقيل معذرة ولا يغفر ذنباً ثمّ ألا أنبئكم بشّر من هذا قالوا بلىٰ يا رسُول اللّه قال من لا يؤمن شّره ولا يُرجىٰ خيره انتهىٰ**« ج ١٦ ص ١٩٣»...

الثّامنة - قوله ﷺ: **وَوَسعته السُّنة ولم يُنب الىٰ البدعة**، أي كان عارفاً بها عاملاً بأحكامها فلا يدخل في السّنة ما ليس منها فأنّ السّنة وافية كافية ولا تحتاج الىٰ ضمّ شئ اليها وفي هذا الكلام إشارة الىٰ أنّ المؤمن تكفيه السُّنة وأمّا البِدعة فلَيسَت من شأنه لأنّها مذمومة وصاحبها في النّار وقد تكلّمنا في البدعة وتبعاتها في الدّنيا والآخرة ومَن أضلّ ممّن إتّبع هواه بغير هدىٰ من اللّه؛

١٢٠

□ قوله عليه السلام: **غَيرَةُ المَرْأَةِ كُفْرٌ، وغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ...**

وذلك لأنّ غيرة المرأة تحرم على الرّجل ما أحلّ اللّه له من زواجٍ مُتعدّدات ومن المعلوم أنّ تحريم ما أحلّه اللّه كفر باللّه وأمّا غيرة الرّجل فتحريم لما حَرّمَه اللّه وهو الزّنا فهي عين الإيمان ولعلّ المراد بالكُفر في قوله عليه السلام ليس الكُفر بسبب إنكار المكلّف حكماً ضرّورياً من الدّين كالصّلاة والصّوم والحج وأمثالها أو بإنكاره أُصول الدّين من التّوحيد والنّبوة والمعاد وأمّا تعدّد الزّوجات فليس من الأحكام الضّرورية فيما نعلم حتّىٰ يحكُم بكُفر منكره نعم لو ثبت كونه منها فالكُفر ثابت بإنكاره وعليه فتُقتل المرأة حين إنكارها كما هو ظاهر في المرتّد عن فطرةٍ وهو بعيد جدّاً وإذا كان كذلك فالمراد به هو كفر الجُحود فهو من قبيل قوله صلى الله عليه وآله **من تَرك الصّلاة عمداً فقد كفر**، لأنّ ترك الصّلاة غير إنكارها، وقوله تعالى: **﴿وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾**[١] أي من كفر بالنّعمة ولم يشكر عليها، فعلىٰ ما ذكرناه يصير معنىٰ العبارة غيرة المرأة في المقام كُفرٌ لنعمة الرّب أي إنكارها لها واللّه أعلم.

١- النّمل - ٤٠

١٢١

□ قوله ﷺ: لأَنْسُبَنَّ الإسْلاَمَ نِسْبةً لَمْ يَنْسُبْها أحَدٌ قَبْلي، الإسْلاَمُ هُوَ التَّسْليمُ، والتَّسْليمُ هُوَ الْيَقينُ والْيَقينُ هُوَ التَّصْدِيقُ .والتَّصْدِيقُ هُوَ الإِقْرَارُ .والإقْرَارُ هُوَ الأَدَاءُ والأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ...

◁ اللّغة

يقال نَسبتُ الرّجل كَنَصرتُ أي ذَكرتُ نَسبَه والمراد من نَسَب الإسلام هو بيانه والكَشف التّام عن معناه، والإسلام مصدر باب الأفعال من قولك أسْلَم إسلاماً والتّسليم بفتح التّاء مصدر باب التّفصيل من قولك سَلّم تَسليماً، واليَقين هو الإعتقاد الجازم الثابت، والتّصديق هو الإذعان للنّسبة في إصطلاح أهل المَنطق، والإقرار، مصدر من باب الأفعال يقال أَقَّر إقراراً.

◁ الشّرح

الظّاهر أنّ المراد بالإسْلاَم في كلامه ﷺ هو الإسْلاَم بالمعنى الأخصّ منه المُرادف للإيمان وذلك لأنّ كلمة الإسلام تطلق في الاصطلاح على معنيين **أحدهما:** الإقرار بالشّهادتين باللّفظ فقط وأن لم يعتقد بهما قلباً وعليه يُحمل قوله تعالى: **﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾**(١) نَفت الآية عنهم الإيمان وأثبتت لهم الإسلام وعلّله بأنّ

١- الحجرات ـ ١٤.

الإيمان لَم يَدخل في قلوبهم وهو دليل على عدم إعتقادهم بالشّهادتين قلباً فَظَهر أنّ الإسلام في هذه الآية أطلق على الشّهادتين باللّفظ فقط وهو المطلوب:

وثانيهما: الإقرار بالشّهادتين لفظاً والإعتقاد بهما قلباً والوفاء بهما فعلاً وعَملاً والإنقياد لِلّه في جميع ما قضى وقَدّر كما حكى اللّه تعالى عن إبراهيم الخَليل حيث قال: ﴿**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(١) وقوله تعالى:﴿**وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾(٢) والإسلام في هاتين الآيتين ونظائرهما هو الإيمان الكامل كما هو واضح إذا عرفت هذا، فقوله لأنسُبنّ الإسلام المراد به هو الإسلام بالمعنى الثّاني الّذي نُعبّر عنه بالإيمان أيضاً لا المعنى الأوّل الّذي هو مجّرد الشّهادتين إذ لا ربط له باليَقين والتّصديق وأمثال ذلك ثُمّ أنّ قوله ﷺ: **الإِسْلاَمُ هُوَ التَّسْلِيمُ** معناه أنّ الإسلام الواقعي هو الإنقياد إذ لو لَم يَكن مُنقاداً مُطيعاً خاضعاً في إسلامه فهو الإقرار فقط ومن المعلوم أنّ الإقرار اللّفظي غير التّسليم والإنقياد وحيث أنّه ﷺ قال الإِسْلاَمُ هُوَ التَّسْلِيمُ فَحَمل التّسليم على الإسلام بحَمل هو هو فكأنّه قال الإسلام تسليمٌ، يظهر منه أنّه ليس بصدد بيان الإسلام الظّاهري بل المُراد به ما يُرادف الإيمان فكأنّه قال الإيمان هو التّسليم والإنقياد وقد ظهر وجُهه:

وأمّا قوله ﷺ: **والتَّسْلِيمُ هُوَ الْيَقِينُ** فلأنّ الإنقياد التّام لا يحصل إلّا باليَقين وتوضيحه أنّ التّسليم هو الإنقياد والإنقياد على ضربين ناقص وتامّ فالنّاقص خارج عن مَورد البَحث إذ لا يطلق التّسليم عليه كاملاً وأمّا التّام فهو اليَقين، وقوله ﷺ: **واليَقين هو التّصديق** معناه أنّ اليَقين بالشّيْ يلزم التّصديق به أعني به الإذعان بوجود النّسبة فإذا أيقنتَ بطلوع الشّمس مثلاً معناه الإذعان والإعتقاد بوجود نسبته الطّلوع الى الشّمس فأن كنتَ شاكّاً في وجود النّسبة بين المَحكُوم والمَحكُوم عليه فلَستَ على يَقين بطلُوع الشّمس فتكون كاذباً

١- البقرة ـ ١٣١ ٢- غافر ـ ٦٦

في دعواك فَظَهر أنّ اليَقين هو التّصديق، وأمّا قوله والتّصديق هو الإقرار، فيمكن أن يكون المراد بالإقرار معناه اللّغوي وهو الإثبات يقال أقرّه في مكانه أثبَته، ويمكن أن يُراد به الإقرار اللّفظي الّذي هو كاشف عن الإقرار القلبي يقال أقرّ فلان بكذا، إذا قال له عليّ مِائة درهم مثلاً وهذا أيضاً يرجع الىٰ المعنىٰ الأوّل أعني الإثبات لأنّه بقوله هذا أثبت الدّرهم في ذمّته إلّا أنّه إثبات باللّفظ علىٰ ما في القَلب.

فعلىٰ الأوّل يكون المعنىٰ التّصديق هو الإثبات القلبي وعلىٰ الثّاني هو الإثبات اللّفظي الكاشف عن الإثبات الواقعي القلبي، وأمّا أنّ الإقرار هو الأداء أي أداء ما كُلِّف به فلأنّ الإقرار إذا كان بمعنىٰ الإثبات القلبي فلازمه الأداء ضرورة أنّ ما في القلب لا يظهر إلّا به وأمّا أنّ الأداء هو العَمَل فمعناه أنّ أداء التّكليف هو نفس العَمَل في الخارج ويمكن أن يكون المراد بالأداء التّصميم والعَزم الجازم المُقارن لِلعَمَل وبالعَمَل وجوده الخارجي ويتّفرع علىٰ ما ذَكره عليه السلام أنّ الإسلام هو العَمَل ولأجل ذلك إتّفقت الشّيعة علىٰ أنّ الإسلام الواقعي المُعبّر عنه بالإيمان أحياناً لا ينفك عن العَمَل هذا ما فهمناه من العبارة:

وعن الشّهيد الثّاني رحمه الله أنّه قال في رسالة حقائق الإيمان بعد إيراد هذا الكلام من أمير المؤمنين ما هذا لفظه:

البَحث عن هذا الكلام يتّعلق بأمرين، الأوّل ما المراد من هذه النّسبة، الثّاني ما المراد من هذا المنسُوب أمّا الأوّل فقد ذكر بعض الشّارحين أنّ هذه النّسبة بالتّعريف أشبه منها بالقياس فعَرّف الإسلام بأنّه التّسليم لِلّه والدّخول في إطاعته وهو تفسير لفظٍ بلفظٍ أعرف منه، والتّسليم بأنّه اليَقين وهو تعريف بلازمٍ مساوٍ إذ التّسليم الحقّ أنّما يكون ممّن يتّقن صدق من سلم له واستحقاقه التّسليم، واليَقين بأنّه التّصديق أي التّصديق الجازم المُطابق البرهاني فذَكر جنسه ونبّه بذلك علىٰ حدّه أو رَسمه والتّصديق بأنّه الإقرار باللّه ورسله وما جاء من البيّنات وهو تعريف لفظٍ بلفظٍ أعرف، والإقرار بأنّه الأداء أي أداء ما

أقرَّ به من الطّاعات وهو تعريف بخاصّةٍ له، والأداء بأنّه العَمَل وهو تَعريف له ببعض خواصّه انتهىٰ.

وعن الكَيذَري أنّه قال في شرحه لهذا الكلام، الإسلام هو التّسليم يعني الدّين هو الإنقياد للحقّ والإذعان له والتّسليم هو اليَقين أي صادر عنه ولازم له فكأنّه هو من فرط تعلّقه به، والتّصديق هو الإقرار أي إقرار الذّهن وحكُمه، والإقرار هو الأداء أي مستلزم لِلأداء وشديد النّسبة بالعلّة له لأنّ من يتّقن حقيقة الشّئ وأنّ مصالحه منوطة بفعله ومفاسده مُتَّرتبة علىٰ تركه كان ذلك مقوياً لداعيه علىٰ فعله غاية التّقوية يعني من حقّ المُسلم الكامل في إسلامه أن يجمع بين علم اليّقين والعَمل الخالص ليحطّ رَحلَه في المحلّ الأرفع ويجاور الرّفيق الأعلىٰ انتهىٰ.

وقال المُحقق البحراني في شرحه لهذا الكلام هذا قياس مفصول مركّب من قياسات طويت نتائجها وينتج القياس .

الأوّل: أنّ الإسلام هو اليّقين.

والثّاني: أنّه التّصديق.

والثّالث: أنّه الإقرار.

والرّابع: أنّه الأداء والخامس أنّه العَمَل.

أمّا المقّدمة الأُولىٰ: فلأنّ الإسلام هو الدّخول في الطّاعة ويلزم التّسليم لِللّه وعَدم النّزاع في ذلك وصدق اللاّزم علىٰ ملزومه ظاهر.

وأمّا الثّانية: فلأنّ التّسليم الحقّ أنّما يكون عن تيّقنٍ إستحقاق المُطاع للتّسليم له فكأنّ اليّقين بذلك من لوازم التّسليم لِللّه فَصَدق عليه صدق اللّازم علىٰ ملزومه.

الثّالثة: فلأنّ اليّقين بإستحقاقه للطّاعة والتّسليم مستلزم للتّصديق بما جاء به علىٰ لسان رسُول اللّه ﷺ من وجوب طاعته فَصَدق علىٰ اليّقين به أنّه تصديق له .

وأمّا الرّابعة: فلأنّ التّصديق لِلّه بوجوب طاعته إقرار بصدق اللّه.

وأمّا الخامسة: فلأنّ الإقرار والإعتراف بوجوب أمرٍ يستلزم أداء المُقرّ المُعترف لما أقّر به فكان إقراره أداءً لازماً.

وأمّا السّادسة: وهو أنّ الأداء هو العَمَل فلأنّ أداء ما إعتَرف به لِللّه من الطّاعة الواجبة لا يكون إلّا عَملاً ويؤول حاصل هذا التّرتيب الى نتاج أنّ الإسلام هو العَمَل لِللّه بمُقتضىٰ أوامره وهو تفسير بخاصّته من خواصّه كما سبق بيانه انتهىٰ.

وأمّا الشّارح المُعتزلي فلم يأت بشيءٍ في تفسير الكلام كما هو دأبه في تفسير المُشكلات نعم قال خلاصة هذا الفصل تقتضي صحّة مذهب أصحابنا المُعتزلة في أنّ الإسلام والإيمان عبارتان عن مُعبّر واحد وأنّ العَمَل داخل في مفهوم هذه اللّفظة، هذا ما تيسّر لنا في شرح كلامه عليه السلام ونقل الأقوال فيه وإنّما نقلنا الوجوه المذكورة في شرح العِبارة لتستخرج منها ماهو أليَق بشرح كلامه عليه السلام فأقض فيه ما أنت قاض:

﴿١٢٢﴾

▫ قوله عليه السلام: **عَجِبْتُ لِلْبَخِيلُ يَسْتعْجِلُ الفَقْرَ الّذِي مِنْهُ هَرَبَ ويفُوتُهُ الْغِنىَ الّذِي إيَّاهُ طَلَبَ. فَيَعيشُ في الدُّنْيا عَيْشَ الْفُقَرَاء.ويُحَاسبُ في الآخِرَةِ حِسَابَ الأَغْنِياءِ، وعَجِبْتُ لِلْمُتكَبِّرِ الذِي كانَ بالأَمْس نُطْفةً ويكُونُ غداً جِيفَةً.وعَجِبْتُ لِمنْ شَك في اللّهِوهُوَ يَرَى خَلْقَ اللّهِ وعَجِبْتُ لِمنْ نَسِيَ المَوْتَ وَهُوَ يَرىٰ المَوْتىٰ، وعَجِبْتُ لِمنْ أنْكَرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَى وهُوِ يَرىٰ النَّشْأةَ الأُوَلىٰ.وعَجِبْتُ لِعامِرٍ دَارَ الْفَناءِ وتَارِكِ دَارَ البَقاءِ...**

قد مرّ الكلام في البَخل والتّكبر بما لا مزيد عليه وقلنا إنّ البُخل هو الإمساك حيث ينبغي البذل كما إنّ الإسراف هو البَذَل حيث ينبغي الإمساك وكـلاهما مذمومان والمَحمود هو الوَسَط وهو الجُود والسّخاء وأمّا الكِبر فهو الرّكون الىٰ رؤية النّفس فوق الغير وبعبارةٍ أوضح هو عِزّةٌ وتعظيمٌ يوجب رؤية النّـفس فوق الغير وإعتقاد المزية والرّجحان عليه وهو أيضاً من أَخبث الصِفّات فقوله عليه السلام: **عَجِبْتُ لِلْبَخِيلُ يَسْتعْجِلُ الفَقْرَ** الخ معناه إنّ البَخيل في إمساكه وبُخله من الإنفاق يَهرب من الفَقر بِزعمه لأنّه يظّن إنّ الإنفاق يوجب الفَقر ولا يعلم إنّ الأمر ليس كذلك بل الإنفاق يوجب نمّو المال وكُثرته والبُخل يوجب الفَـقر الّذي هَرَب منه بِزَعمه ويساعده العَقل والنقّل.

أمّا العَقل: فلأنّ المال والثّروة من عَطاء اللّه تعالىٰ وهذا مِمّا لاشّك فيه فَمَن أنفَق منه في سبيله زاده اللّه تعالىٰ في حقّه ومَن بَخَل به قلّله وثانياً إنّ الإنفاق

يوجب دعاء النّاس في حقّ المُنفِق كما إنَّ البُخل دعاؤهم عليه والعَقل يحكم بالإزدياد في الأوّل وعَدَمه في الثّاني ومن النقّل ما رُوي إنّ ما من صباح إلّا وقد وكّل اللّه تعالىٰ مَلَكين يناديان اللّهم إجعل لكلّ مُمسكٍ تَلَفاً ولكلّ مُنفِقٍ خَلَفاً انتهىٰ «جامع السّعادات ج ٢ ص ١١١»...

وأمّا إنّه يعيش عَيش الفُقراء فلأنّه كما يَبخل في إنفاقه علىٰ الغير يَبخل في إنفاقه علىٰ نفسه وأهله وعياله لخوفه الفَقر علىٰ نفسه فلا مُحالة يعيش في االدّنيا مثل الفُقراء الّذين لا مال لهم ويمكن أن يكون المراد إنّه يرىٰ نفسه فَقيراً مادام حيّاً فلا فرق بينه وبين الفقير من هذه الجِهة والأظهر الأوّل ولأجل هذا وَرَد في ذمّه ما وَرَد من الآيات قال اللّه تعالىٰ: **﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾**(١)

و : **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**(٢)

و : **﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾**(٣) و غيرها من الآيات.

وأمّا أنّه يحاسب حساب الأغنياء فالوَجه فيه ظاهر لكونه من الأغنياء بحسب المال فلا محالة يحاسب بحسابهم غداً ولأجل هذه المفاسد المُترتبة علىٰ البُخل قال عليه السلام: **عَجبتُ للبَخيل** الخ ولنذكر لك شطراً من حالاتهم:

قيل بخلاء العَرب أربعة، الحَطيئة وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدّؤيلي، وخالد بن صفوان:

فأمّا الحَطيئة فَمُر به إنسان وهو علىٰ باب داره وبيده عصا فقال أنا ضيف

١- محمّد ـ ٣٨
٢- ال عمران ـ ١٨٠
٣- النساء ـ ٣٧

فأشار الىٰ العَصا وقال لكعاب الضّيفان أعَددتها، وأمّا حميد الأرقط فكان هَجّاء للضّيفان فَحّاشاً عليهم نَزَل به مرّةً أضياف فأطَعمهم تَمراً وهَجاهم وذكر أنّهم أكلوا بِنَواه، وأمّا أبو الأسود فتّصدق علىٰ سائلٍ بتَمرةٍ فقال له جَعَل اللّه نصيبك من الجنّة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا كنّا أسَوء حالاً منهم، وأمّا خالد بن صفوان فكان يقول للدّرهم إذا دخل عليه، يا عَيار كَم تعير وكم تطوف لأطّيلنّ حَبسك ثُمّ يطرحه في الصّندوق ويقفل عليه وقيل له لِمَ لا تنفق ومالك عريض فقال الدّرهم أعَرض منه فقال بعضهم:

وهَبني جمعت المال ثُمّ خَزنته ... وحانت وفاتي هل أُزاد به عُمراً

إذا خَزن المال البَخيل فأنّه ... سيُورثه غمّاً ويُعقبه وزراً

وإستأذن حنظلة علىٰ صديقٍ له بَخيل فقيل هو محمُوم فقال كُلوا بين يَديه حتّىٰ يَعرق:

وكان عمر بن يزيد الأسدي بَخيلاً جدّاً أصابه القُولنج في بطنه فَحقنه الطّبيب بدُهنٍ فإنحل ما في بطنه في الطّشت فقال لغلامه إجمع الدّهن الّذي نَزّل من الحقنة وأسَرِح به:

وكان المنصُور الّذي هو من الخُلفاء العباسيين شديد البُخل جدّاً مَرَّ به مَسلم الحادي في طريقه الىٰ الحجّ فحَدا له يوماً بقول الشّاعر:

أغَرَّ بين الحاجبين نُوره ... يزينه حياؤه وخيره

ومُسكه يشُوبه كافُوره ... إذا تَغذّىٰ رَفعت ستُوره

فَطَرب حتّىٰ ضرب برجله المَحمِل ثُمّ قال يا ربيع أعطه نصف درهم فقال مُسلم نصف درهم يا أمير المؤمنين واللّه لَقد حَدوتُ لهشام بن عَبد المَلك فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المُسلمين ثلاثين ألف درهم يا ربيع وكّل به من يستخلص منه هذا المال قال الرّبيع فما زلت أمشي بينهما وأُروضه حتّىٰ شَرَط مُسلم علىٰ نَفسه أن يَحدو له في ذهابه وإيابه بغير مؤنة:

نقلوا أنّ أعرابياً أكَلَ مَعَ أبي الأسود رُطباً فأكثر في أكْله ومَدّ أوب الأسود يَده الىٰ رطبةٍ ليأخذها فَسَبَقه الأعرابي اليها فَسَقطت منه في التّراب فأخذها أبو الأسود وقال لا أدَعها للشّيطان يأكلها فقال الأعرابي واللّه ولا لجبرئيل وميكائيل لو نَزَلا من السّماء ما تَركتها:

وقال أعرابي لنزيل نَزَل به نزلتَ بوادٍ غير ممطُورٍ ورجلٍ بك غير مَسرُورٍ فأقِم بعَدمٍ أو إرحل بنَدمٍ، والحكايات في أوصاف البُخلاء كثيرة وفيما ذكرناه عِبرة لأُولِي الألباب ولنعم ما قيل في الباب:

رأيتُ أبا زرارة قال يوماً ... لحاجبه وفي يَده الحسام
لأن وُضع الخَوان ولاحَ شخصُ ... لأختطفنّ رأسك والسّلام
فقال سوىٰ أبيك فذاك شيخٌ ... يَعيضُ لَيسَ يَردَعه الكلام
فقامَ وقال مَن حنقٍ اليه ... ببَيتٍ لَم يرد فيه القيام
أبي وإبنا أبي والكَلب عندي ... بمنزلةٍ إذا حَضَر الطّعام
وقال له أبن لي يا بنَ كَلبٍ ... علىٰ خُبزي أصادر أو أُصام
إذا حَضَر الطّعام فلا حقُوق ... عَلَيّ لوالدّي ولا ذمام
فما في الأرض أقبح من خوانٍ ... عليه الخُبز يَحضره الزّحام

▫ قوله ﷺ: **عَجِبْتُ لِلْمُتكَبِّرِ الّذِي كانَ بالأمْس نُطْفَةً يكُونُ وغداً جِيفَةً...**

فهو أيضاً في محلّه فأنّ التّكبر أيضاً مذمُوم عقلاً ونقلاً، أمّا العقل فلاتّفاق العُقلاء علىٰ ذمّه ومَدحه ولا أظنّ أحداً منهم حكم بحُسنه ومَدحه وهذا يكفي في إثبات قُبحه عَقلاً وأمّا النّقل فمن الآيات قوله تعالىٰ في كتابه: **﴿ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** (١)

و: **﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾** (٢)

و: **﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾** (٣)

١ - غافر ـ ٧٦
٢ - الزّمر ـ ٦٠
٣ - النّحل ـ ٢٣

و : ﴿إن في صُدُورِهِمْ إلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيه﴾ [1] ومن الأخبار:

قال رسُول اللّه ﷺ لا يَدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّةٍ من خردلٍ من كِبرٍ (من الكِبر)...

وقال ﷺ - مَن تعظّم في نفسه وإختال في مَشيته لقىٰ اللّه وهو عليه غضبان...

وقال ﷺ - قال اللّه تعالىٰ الكِبرياء ردائي والعَظمة أزاري فَمن نازعني في واحدٍ منهما ألقيتُه في جهنّم...

وقال ﷺ - أنّ في النّار قصراً يَجعل فيه المُتكبرون ويُطبق عليهم، وقال ﷺ لا يَدخل الجنّة جبّار ولا بخيل ولا سيئ المَلَكة...

وقال ﷺ - يُحشر المُتكبرون يوم القيامة في مثل صُور الذر تَطأهم النّاس ذرّاً في مثل صُور الرّجال يَعلُوهم كلّ شيءٍ من الصّغار ثُمّ يُساقُون الىٰ سجنٍ في جهنّم يُقال له لُويس تَعلُوهم نار شرانيار، يُسقون من طينة الخبال وعصارة أهل النّار« جامع السّعادات ج ١ ص ٣٤٩»...

▫ قوله ﷺ: وعَجِبْتُ لِمنْ شَكَ في اللّهِ وهُوَ يَرىٰ خَلْقَ اللّهِ...

وأمّا أنّه أي المُتكبّر كان بالأمس نُطفة فهو واضح لا خفاء فيه فأنّ كلّ إنسان كان كذلك وأمّا أنّه غدا جيفة فهو أيضاً واضح إذ كلّ إنسانٍ بعد مَوته في القَبر يَصير جَيفة وذكر هذين الوصفين للمُتكبّر ليس فيه خصُوصّية له لما ذكرناه من أنّ كلّ إنسانٍ كذلك بل المَقصُود أنّ الإنسان الّذي أوّله نُطفة وآخرة جيفة لا ينبغي له التّكبّر بل حقّه التّواضع والخضُوع وقد مَرّ الكلام في الكِبر مفصّلاً:

▫ قوله ﷺ: وعَجِبْتُ لِمنْ شَكَ في اللّهِ وهُوَ يَرىٰ خَلْقَ اللّهِ...

ففيه إرشاد الىٰ التّوحيد من طريق الأثار فأنّ الأثر يدّل علىٰ المُؤثر فَمن يرىٰ خَلق اللّه وهو كلّ ما سوىٰ اللّه كيف يَشُك في وجود الخالق وتَوضيحه إجمالاً هو أنّه لا شَك لأحدٍ في وجود المَوجودات في هذا العالم ومنها نفسه ثُمّ أنّ

---

١ - غافر - ٥٦.

المَوجودات لا يخلو حالها من أمرين، أحدهما أن يكون كلّ موجودٍ علّة لوجود نفسه وذاته، وثانيهما أن تكون المَوجودات كلّها مَخلوقة لغيرها، ولا ثالث في المقام للزومه أن لا يكون الموجود مَخلوقاً أصلاً وإذا كان كذلك فهو الواجب إذ لا نعني به إلّا غير المخلوق والواجب لا يجوز له العَدم ولا يسبقه العَدم ومن المعلوم أنّ الموجودات مسبوقة به وملحوقة به أيضاً فَثَبت أن الموجودات خارجة عن مقام الواجبية وكلّ ما ليس بواجبٍ أمّا ممتنع أو ممكن لا سبيل الى الأوّل إذ المفروض وجوده فلا محالة يكون ممكناً و المُمكنُ أمّا موجود بذاته أو بغيره لا سبيل الى الأوّل لخروج الممكن عن كونه ممكناً لما قد ثَبت أنّ الممكن نسبته الى الوجود والعَدم على السّواء فيحتاج في خروجه عن حدّ الإستواء الى علّةٍ خارجةٍ عن ذاته ومن المعلوم أنّ العلّة الخارجة عن حدود الإمكان ليست إلّا واجب الوجود لإنحصار الوجود فيهما وهو المطلوب فَظَهر أنّ الموجودات قد دَلت على وجود الخالق الواجب المنّزه عن شوائب الإمكان ولأجل هذا قال ﷺ: **وعَجِبْتُ لِمنْ شَكَ في اللّهِ** الى آخر الكلام ومع ذلك فهو إشارة الى قوله تعالى حيث قال: **﴿أفِي اللّهِ شَكٌ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**(١)

و: **﴿أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾**(٢)

و: **﴿وَفِي الأَرْضِ ءَايٰتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾**(٣) وقد مرّ الكلام في التّوحيد وأقسامه في المجّلد الأوّل وغيره من هذا الكتاب ولا سيّما عند شَرحنا للخطبة التوحيّدية، أوّل الدّين معرفته الخ.

□ **قوله ﷺ: وعَجِبْتُ لِمنْ نَسِيَ المَوْتَ وَهُوَ يَرىٰ المَوْتىٰ...**

فالغرض أنّ المَوت ممّا لا محيص عنه لكلّ أحدٍ وهو ثابت عقلاً ونقلاً بل وحِساً كما مرّ مراراً وعليه فكيف نسى المَوت وهو يرى الموتى وحكم الأمثال

١- إبراهيم ـ ١٠
٢- الأنعام ـ ١٤
٣- الذاريات ـ ٢١

واحدٍ وأنّما قال وهو يرى الموتىٰ لأنّه لو لم يرىٰ الموتىٰ يمكن له النسيّان وأمّا مَعها فلا ولذلك قال عجِبتُ:

▫ **قوله ﷺ: وعَجِبْتُ لِمنْ أنْكرَ النَّشْأَةَ الأُخْرَى وهُو يَرىٰ النَّشْأةَ الأُوَلىٰ...**

وذلك لأنّ النشأة الأوّلىٰ أعني بها الدّنيا مخلوقة مصنوعة لِللّه تعالىٰ كما مرّ آنِفاً وإذا كان الخالق قادراً علىٰ إيجاد هذه النشّأة فكيف لا يقدر علىٰ إيـجاد نشأةٍ أُخرىٰ تسمّىٰ بالآخرة وحكم الأمثال واحد وعموم القدرة ثابت والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في الكتاب بقوله تعالىٰ: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الأَخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾** (١)

و: **﴿وأنّه خَلق الزّوجين الذّكر والأُنثىٰ، من نطفةٍ إذا تُمنىٰ، وأنّ عـليه النشأة الأُخرىٰ﴾** (٢)

و: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾** (٣)

▫ **وقوله ﷺ: وعَجِبتُ لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء...**

المراد بدار الفناء الدّنيا وبدار البقاء الآخرة.قال اللّه تعالىٰ: **﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾** (٤) وقال تعالىٰ: **﴿يٰقَوْمِ إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الأَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾** (٥) وقد مرّ الكلام فيه أيضاً:

١- العنكبوت ـ ٢٠
٢- النّجم ـ ٤٥
٣- الأنعام ـ ١٤١
٤- النّحل ـ ٩٦
٥- غافر ـ ٣٩

١٢٣

□ قوله ﷺ: مَنْ قَصَّرَ فِي الْعَمَلِ إبْتُلِيَ بِالْهَمِّ ولا حَاجَةَ لِلّٰهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلّٰهِ فِي مَالِهِ ونَفْسِهِ نَصِيبٌ...

أي مَنْ قَصَّرَ في الْعَمَلِ سواء كان للدُّنيا أم لِلآخرة إبتلىٰ بـالهَمّ والحَسـرة وذلك لأنّ الفُرصة قد مَضَت ولا يمكن لِلإنسان الوصول اليها ثانياً لعدم إمكان عَود الزّمان الىٰ ما كان وأمّا ما يأتيه ثانياً في المستقبل فهو غير الأوّل وإذا كان كذلك فلا يبقىٰ له إلّا النّدامة وقوله ﷺ: **لا حاجةِ لِلّٰه** الىٰ آخر الكلام:

معناه لا حاجة لِلّٰه تعالىٰ فيمن قَصّر في أعماله البدَنية والمّالية وكنّي بعدم حاجته فيه عن إعراضه عنه وعدم النظَر اليه بعين الرّحمة لعدم إستعداده لذلك قاله المحقّق البحراني في شرحه.

وأمّا الشّارح المُعتزلي فحَمَل كلامه ﷺ علىٰ أنّ المؤمن يكون مُبتلىٰ في ماله ونفسه ونقل حديثاً مرفوعاً أنّ اللّه إذا أحبّ عبداً إبتلاه في ماله أو في نفسه ثمّ ذكر ما ذكر من الأحاديث في هذا الموضوع وتبعهما غيرهما فيه:

ولقائلٍ أن يقول لازم ما ذكروه هو أنّ لِلّٰه تعالىٰ حاجة إذا كان له في مال العبد ونفسه نصيب وأنّما قلنا ذلك بـمقتضىٰ المفهوم مـن اللّـفظ لأنّ أمير المؤمنين نفىٰ حاجته تعالىٰ فِيمَن ليس له تعالىٰ في ماله ونفسه نصيب ولازم ذلك ثُبوت الحاجة عند وجود النصيب فـي المـال والنّـفس وإلّا يـلزم عـدم حاجته سواء كان له نصيب في مال العبد ونفسه أم لا، مَعَ أنّ العبارة لا تدلّ عليه

والّذي يخطر بالبال في حلّ الإشكال هو أنّ أمير المؤمنين أراد بقوله هذا عدم حاجته تعالىٰ مطلقاً وأنّ ليس له تعالىٰ في مال العبد ونفسه نَصيب حتّىٰ يكون محتاجاً الىٰ ماله وعبادته بل النَّصيب والحَظّ في عبادته وإنفاقه يرجع اليه لا الىٰ اللّه تعالىٰ وبعبارةٍ أُخرىٰ لمّا قال عليه السلام ولا حاجةٍ لِللّه، كأنّه قيل له ولِمَ لا حاجة له فقال لأنّه لا نَصيب له تعالىٰ في عَمل العبد حتّىٰ يحتاج اليه وعليه فقوله عليه السلام إشارة الىٰ أنّ عَمَل العبد يرجع نفعه اليه لا الىٰ اللّه وهو صحيح مؤيّد بالعقل والنّقل فتبه:

﴿١٢٤﴾

□ **قوله ﷺ: تَوَقَّوا الْبَرْد في أوّلِهِ وتَلَقَّوْهُ في آخِرِهِ فإنَّهُ يَفْعَلُ في الأَبْدَانِ كفِعْلِهِفي الأشْجَارِ أَوّلهُ يُحْرِقُ وآخِرُهُ يُورِقُ.**

البَرد ضدّ الحّر وَتَوَقَّوا، فعل أمرٍ من التّوقي وتلّقوه أيضاً فعل أمرٍ من تَلَقّىٰ والمعنىٰ إحفِظُوا أنفسكم أي أبدانكم من أوّل البَرد واستقبلُوه في آخره فأنّه أي البَرد يفعَل في الأبدان كفعله في الأشجار حيث أنّ البَرد في أوّل الشّتاء يحرق الأشجار ويسقط أوراقها وفي آخر الشّتاء وهو أوّل الرّبيع يُورق الأشجار ومحصّل الكلام أنّ المواظبة علىٰ الإبدان في أوّل فصل الشّتاء أولَىٰ منها في آخره ولعلّ الوجه فيه أنّ البَرد في أوّله حدّةٌ وشدّة وأمّا في آخره وهو أوّل فصل الرّبيع فلا حِدّة ولا شدّة له بل تنقص شدّته آناً فآناً وهو أمر طبيّعي محسُوس لكلّ أحدٍ والدّليل عليه ما يَفعل البَرد بالأشجار في أوّله وآخره.

١٢٥

▫ قوله عليه السلام: **عِظَمُ الخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ المَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ.**

وهذا أمرٌ مسلّم معقول فأنّ من عِظَمُ الخَالِقِ عِنْده لا يعتني بالمخلوق أصلاً وبالعكس بالعكس وتوضيحه إجمالاً هو أنّ الواجب تعالىٰ علّة الكلّ ولا علّة له فوجوده أزليّ أبَدّيّ سَرمَدّيّ لم يسبقه العدم ولن يلحقه أبداً أحاط بكلّ شيءٍ وقادر علىٰ كلّ شيءٍ وعالم بكلّ شيءٍ وهكذا فهو تعالىٰ من حيث ذاته وصفاته غير مُتناهية والمخلوق كائناً من كانٍ متناه ذاتاً وصفةً بل لا وجود له في قبال وجوده ولا صفة في جنب صفاته وذلك لأنّ وجوده وصفاته من وجوده وصفاته فليس في الدّار غيره ديّار إذا عرفت هذا:

فإعلم أنّ المراد بعَظَم الخالق هو تنزيهه وتقديسه عمّا لا يليق بجنابه بأن لا يقاس وجوده بوجود غيره ولا قدرته وعلمه وحكمته وسائر صفاته بصفات غيره من المخلوق لأنّ الصفات في الواجب من ذاته وفي الممكن من علّتِهِ وهكذا منشأ الصّفات وهو الوجود فأينَ التّراب وربّ الأرباب فمن عَظَم الخالق عنده لا يرىٰ شيئاً غيره فضلاً عن عِظَمه كما أنّه من عَظُم المخلوق عنده صغّر الخالق لا محالة وهذا الّذي ذكره عليه السلام باب شريف في معرفة الخالق والرّكون اليه في جميع الشئون لأنّه إذا صغُر المخلوق في جنب الخالق علم أنّ العبد وما في يده كان لمولاه فلا يعتمد إلّا علىٰ خالقه ولا يسأل إلّا عنه .

١٢٦

□ وقدْ رَجَعَ منْ صِفِّينَ فأشرَفَ علىٰ القُبورِ بِظَاهِرِ الكُوفَة: ياأهْلَ الدِّيار المُوحِشَةِ والمَحَالِّ المُقْفِرَةِ والْقُبُورِ المُظْلِمَةِ يا أهْلَ التُّربَةِ ياأهْلَ الْغُرْبَةِ يا أهْلَ الوَحْشَةِ أنْتُمْ لَنا فَرَطٌ سابِقٌ ونَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لاحِقٌ أمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ وأمَّا الأَزْواجُ فَقَدْ نُكِحَتْ وأمَّا الأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ هَذَا خَبرُ ما عِنْدَنا فَما خَبَرُ ما عِنْدَكُمْ...

ثمّ التَفَتَ إلىٰ أصْحَابِهِ فَـقَالَ: أمَّا لوْ أُذِنَ لَهُمْ في الكَلامِ لاخَبَرُوكُمْ أنَّ خَيرَ الزَّادِ التقْوىٰ...

◁ اللّغة

(المُوحِشَةِ) بضّم الميم إسم فاعل من أوَحش إيحاشاً، الموجبة لِلوحشة ضدّ الأُنس (والمَحَالِّ) بفتح الميم جمع مَحَل (المُقْفِرةِ) بضّم الميم إسم فاعلٍ من أقفر أقفاراً يقال أقفر المكان إذا لم يكن به ساكن كما قيل:

وقــبر حــربٍ بِــمكانٍ قَـفرِ   وليس قُـرب قبر حربٍ قبر

وقيل مكان القَفر ما لا يكون فيه ساكِن من الإنس ولا نابتٌ من النّبات (المُظْلِمَةِ) أيضاً فاعل من أظلم وهي ضدّ المُضيئة (التُّرْبَة) بضّم التّاء إسم لِلتراب المَقبرة تُجمع علىٰ التُرب وتُربة الإنسان رَمَسه (الْغُرْبَة) بضّم الغين مَصدر قولك غَرَب غَربةً وغَرباً وغَرابةً نَزَح عن وطنه (فَرَطٌ) الفَرَط بالتّحريك المتقدم الىٰ الماء للواحد والجمع والكلام هنا علىٰ إطلاقه أي المتقدّمون (تَبعٌ)بالّتحريك التّابع (الدُّورُ) بضّم الدّال جمع دار والباقي واضح:

◁ الشّرح

لمّا رَجَع عليه السلام: **منْ صِفِّينَ فأشْرَفَ علىٰ الْقُبُورِ بِظَاهِرِ الكُوْفَة،** والإشراف الأنظار فقال مُخاطِباً لأهل القبُور يا أهل الدّيار المُوحِشة أي المُوجبة لِلوحشة وذلك لِكونهم ساكتين صامتين فيها والمحّال المُقفرة الّتي لا ساكن لها ولا نابت فيها والقبُور المُظلمة الّتي لا سراج فيها ولا ضياء لها يا أهل التّربة يا أهل الغُربة يا أهل الوَحشة والخَوف أنتم لنا فَرَطٌ سابق أي أنتم مُتقدمُون سابقُون لنا في سفر الآخرة ونحن لكم تَبَع لا حِق أي نحن مُتابِعوكم ولا حِقوكُم في هذا السّفر فإنّ المَوت كُتِب علينا كما كُتِب عليكم ولا مَحيص عنه لأحدٍ كما قال تعالىٰ: ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾ (١)

و: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ (٢)

ثمّ قال عليه السلام: **أمّا الدُّوْر فَسُكنت،** أي أمّا دُوركم فقد سَكَن فيها غيركم وأمّا الأزواج فقد نُكِحَت أي نَكَحها غيركُم وأمّا الأموال أي أموالكم فقد قُسِمت بين الوَرَثة هذا خبر ما عندنا لكم فما خَبر ما عندكم في القبور بيّنوه لنا ثمّ إلتَفَت عليه السلام الىٰ أصحابه فقال أما لَو أُذن لهم من عند ربّهم في الكلام مَعنا لقالوا لنا إنّ خير الزّاد التّقوىٰ وقد مرّ الكلام في الموت وإنّ خَير الزّاد له التّقوىٰ لقوله تعالىٰ: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ**﴾ (٣) وكلامه عليه السلام هذا إشارة الىٰ قوله تعالىٰ في حقّ أهل القبُور: ﴿ **كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَٰلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ**﴾ (٤)

١- النّساء ـ ٧٨   ٢- الجُمعة ـ ٨
٣- البقرة ـ ١٩٧   ٤- الدّخان ـ ٢٩-٢٥

١٢٧

□ قوله ﷺ: وقد سمعَ رَجلاً يذمُّ الدنيا: أيُّها الذَّامُّ لِلدُّنْيا المُغْتَرُّ بِغُرُورِها المَخْدُوعُ، بأباطِيلِها ثُمَّ تَذُمُّها. أَتغْتَرُّ بالدُّنْيا ثمَّ تَذُمُّها. أنْتَ المُتجرِّمُ عليها أمْ هِيَ المُتَجَرِّمةُ عَلَيْكَ مَتىٰ اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتىٰ غَرَّتْكَ أَبِمَصَارِعِ آبائِكَ منَ الْبِلَى أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهاتِكَ تَحْتَ الثَرىٰ. كَمْ عَلَّلْتَ بكَفَّيْكَ. وَكمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ. تَبْغِي لَهُمْ الشِّفاءِ وتَسْتَوصِفَ لهُمُ الأَطِبَّاءِ. لمْ يَنْفَعْ أحَدُهُمْ إشْفاقُك ولمْ تُسْعَفْ بطِلْبَتِكَ. ولَمْ تَدْفَعْ عَنْهُ بقُوَّتِكَ. قَدْ مَثَّلَتْ بِهِ الدُّنْيا نَفسَكَ وبمَصْرَعِهِ مَصْرَعَكَ. إنَّ الدُّنْيا دَارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَها ودَارَ عافِيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنها ودَارُ غِنىً لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْها ودَارُ مَوْعِظَةٍ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهَا. مَسْجِدُ أحِبَّاءِ اللّهِ ومُصَلّى مَلائِكَةِ اللّهِ ومَهْبَطَ وَحْيِ اللّهِ ومُتَجَرُ أوْلِيَاءِ اللّهِ اكْتَسَبُوا فِيها الرَّحْمَةَ وَرَبِحُوا فِيها الْجَنَّةَ. فَمَنْ ذا يَذُمُّها وقدْ آذَنَتْ بِبَيْنِها ونادَتْ بِفِراقِها ونَعتْ نَفْسَها وأهْلها فَمَثَّلَتْ لَهُمْ بِبلائِها البَلاءَ وَشَوَّقَتْهُمْ بِسرُورِها إلىٰ السُّرُورِ رَاحَتْ بِعافِيَةٍ وابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ تَرْغِيباً وتَرْهِيباً وتَخْوِيفاً وتَحْذِيراً فَذَمَّها رِجالٌ غَداةَ النَّدَامَةِ وحَمِدَها آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِ. ذَكَّرَتْهِمُ الدُّنْيا فَتَذَكَّرُوا وحَدَّثَتْهُمْ فَصَدَّقُوا وَوَعَظَتْهُمْ فاتَّعظُوا).

◁ اللغة

(المَخْدُوعُ) إسم مفعولٍ من خَدَع أي خُدِع به (المُتَجَرِّمُ) بضم الميم إسم فاعلٍ من تَجَّرم يقال تَجْرم عليه إدَّعىٰ عليه الجُرم (اسْتَهْوَتْكَ) الإستهواء ذهاب العَقل المُوجب للحَيرة (مَصَارِع) بفتح الميم جمع مَصْرع وهو المَدفَن (البِلىٰ)

بكسر الباء الفناء بالتّحلُل (**مَضَاجِعِ**) بفتح الميم جمع مَضجع وهو القبر (**الثَرىٰ**) التّراب والأرض (**عَلَّلْتَ**) يقال عال المَريض إذا خَدَمه في علّته (**مَرَّضْتَ**) أي خَدَمته في مَرضه (**إِشْفاقُك**) الإشفاق بكسر الألف مصدر قولك أشَفق إشفاقاً والإشفاق الخَوف (**بِطِلْبَتِكَ**) الطَّلَبة بكسر الطّاء المطلوب والإسعاف الإعطاء (**آذَنَتْ**) بمَدّ الهَمزة أي أعلَمت (**بِبَيْنِها**) البَين البُعد والزّوال (**رَاحَتْ**) يقال راح اليه وافاه وقت العَشي أي أنّها تمشي بعافيةٍ (**ابْتَكَرَتْ**) أي أصَبحت (**بِفَجِيعَةٍ**) الفَجيعة بفتح الفاء المُصيبة:

◁ الشَرح

إعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السلام يدّل علىٰ أنّ الدّنيا من حيث ذاتها وما هتها وبعبارةٍ أُخرىٰ من حيث هي هي لا ذمّ لها ولا مَدح فيها وأنّما القَدح والذّم يتّعلقان بها من حيث أنّها وسيلةٌ وسببٌ للإعراض عن الآخرة فَمَثل الدّنيا مَثل السّيف الّذي يُقتل به المُؤمن ظلماً وقد يُقتل بـه الكـافر الحَـرْبي حـقّاً فـفي الصُّورتين صار السّيف وسيلة وآلة للقَتل إلّا أنّه علىٰ الأوّل آلة لِلظُّلم والظّالم وعلىٰ الثّاني للعَدل والعادل فالسّيف بما هو هـو لا ذنب له وأنّـما الذّنب أو المَدح فيه بإعتبار صاحبه وأنّه كيف إستَعمله في الخَير أو في الشَّر فسيف علّي ابن أبي طالب مَمدُوح وسيف خالد بن الوليد مذمُوم وسـيف الحسـين عليه السلام مَمدُوح وسيف شمر مذمُوم وهكذا والسّيف في المَوردين واحد لا حُكم له في حدّ نفسه وأنّما تعلّق الذّم به بإعتبار صاحبه وكيفيّة إستعماله أيّاه وهكذا في جانب المَدح وهذا الّذي ذكرناه في السّيف يجري في جـميع المَـوجودات والنّعم الإلٰهية فكلّ شئ من الأشياء له جهة خَير وجهة شَرٍ إلّا أنّ الموجود أن كان من النّعم فالحُكم فيه متّعلق بصاحبه أو مَن إسـتَعمله لعَـدم الإرادة فـي المَوجود علىٰ الفَرض وأمّا في المَوجودات الّـتي لهـا إرادة وعَـقل فـالحُكم بإعتبار إرادته وإختياره.

وأمّا أصل الحُكم أعني كون المَوجود صالحاً للخير والشّر لا فرق فيه بين

المَوجودات وهذا هو السّر في قول الفلاسفة حيث ذهبُوا الىٰ أنّ المَوجود بما هو موجود خَير لا شّر فيه وأنّما الشّر عارض عليه بالإعتبار إذا عرفت هذا فنقول:

الدّنيا عبارة عن كلّ ما سوىٰ اللّه تعالىٰ من الملائكة والعقُول والنّفُوس والإنسان والحَيوان والنّبات والجَماد والكَواكب والأفلاك والأرض والسّماء وغيرها ممّا يُطلق عليه إسم المخلُوق فإذا قلنا أنّ الدّنيا مذمُومة إمّا أن نريد بها مَفهومها أي مَفهوم اللّفظ مع قَطع النّظر عن مصاديقه وإمّا أن نريد بها مصاديقها من المَوجودات بأنواعها وأقسامها.

أمّا الأوّل: فلا بحث لنا ولا لغيرنا فيه والآيات والأخبار الواردة في مقام ذمّها ليست بناظرة الىٰ مَفهومها وهو واضح:

وأمّا الثّاني: أعَني الدّنيا بإعتبار ما فيها من النِعم فهو مورد البحث ومتّعلق الحُكم مَدحاً وذمّاً وفي هذه الصّورة تنحل القَضية الىٰ قسمين:

أحَدهما: أن يكون مورد الحُكم من المَدح والذّم هو النّعمة والمَوجود أو النّعم والمَوجودات بما هي هي مع قَطع النّظر عن عَوارضها.

وثانيهما: أن يكون مَورد الحُكم المَوجود مَع عارضه وبإعتبار عارضه، لا سبيل الىٰ الأوّل لِما مَرّ من أنّ المَوجود أو النّعمة بما هو هو لا مَدح فيه ولا ذمّ له بل لا حكم له أصلاً نفياً وإثباتاً ومَدحاً وذَمّاً فأنّ الشّئ بما هو هو ليس إلّا هو فَيتّعين الثّاني وهو تعلّق الحُكم به بإعتبار متعّلقه وعليه فالإنسان العاقل المُختار هو الّذي يختار الدّنيا علىٰ الآخرة وبالعكس وهو الّذي يجعل الدّنيا سبباً ووسيلةً للوصول الىٰ الفَوز والسّعادة ويجعلها آلةً للوصُول الىٰ المُشتهيات والآمال ومقاصد الشّيطان فما ذنب الدّنيا وقد جُعلت تحت إختيار الإنسان ولا تمّرد لها ولا عصيان عن الطّاعة والإنقياد لصاحبها وأنّما الذّنب علىٰ أهلها ومَن سلّط عليها وإستَغرق في نِعمها إذا إستَعملها في غير مَوردها وعلىٰ هذا تحمل الأخبار والآيات الواردة في ذمّ الدّنيا وأنّ حُبّها رأس كلّ

خَطيئة فأنّ حبّ الدّنيا أن كان لنفس الدّنيا فهو رأس كلّ خطيئة وأن كان لأجل الوصول الىٰ مقامات الآخرة والفَوز بالسّعادة الأبدّية فهو رأس كلّ حَسَنة وبعد وقُوفك علىٰ المعيار الّذي ذكرناه وفصّلناه لك تقدر علىٰ فهم الأخبار والآيات الواردة في الباب وأنّ المراد بها ما هو وأنّ ما فَهِمه منها بعض من لا خُبرة له من أنّ الدّنيا بما هي هي مذمّومة مطرودة وحُبّها رأس كلّ خطيئة ناشٍ عن قلّة الفَهم بالحقائق إذا عرفت ما تلوناه عليك وأحطَت خُبراً بما فصّلناه وأوضحناه لك فلنرجع الىٰ شرح كلامه عليه السلام فنقول:

قوله عليه السلام: **أيُّها الذّامُّ للدُّنْيا إلىٰ قوله ثُمَّ تَذُمُّها**، إشارة الىٰ أنّ المغرور بها المَخدوع بأباطيلها لا ينبغي له ذمّ الدّنيا بل الحقّ أن يذّم نفسه لأنّ الذّام المغتّر بغرورها كان قادراً علىٰ عَدم الإغترار بها ومَعَ ذلك إغتّر بها فالذّنب عليه لا عليها لأنّ الإغترار أن كان حَسَناً فلِماذا يُذّم وأن كان قبيحاً فلماذا إتّصف به فالمغرور الذّام مَثَله مَثَل القاتل الّذي يذّم سيفه ويَقول لِمَ قُتِل المؤمن به ولأجل هذه الدّقيقة قال عليه السلام: **أنْتَ الْمُتجرِّمُ عَليها أمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمةُ عَلَيْكَ** أي أنت أيّها الذّام للدّنيا أجَرَمت علىٰ الدّنيا أم الدّنيا أجَرَمت عليك ومن المعلوم أنّ الإنسان هو المُجرم حيث إستَعَملها في غير مَوردها وإستَفاد منهما بخلاف ما ينبغي أن يستفاد بها وأمّا الدّنيا فلا قُدرة لها وأنّما هي تحت قُدرة الإنسان فكيف تكون مُتّجرمَة وإذا كان كذلك ففي المقام حقّ الدّنيا أن تذّم صاحبها لكونه متّجرماً عليها لا أنّه يذُمّها كما في مَورد البَحث وأمثاله ولذلك قال عليه السلام: **مَتىٰ اسْتَهْوَتْكَ أَمْ مَتىٰ غَرّتكَ** أي متىٰ ذَهَبت الدّنيا بعَقلك وصيرّتك حيراناً ثُمّ متىٰ غَرّتك لتَذّمها، أبمَصارع آبائك من البِلىٰ أم بمَضاجع أُمّهاتك تحت الثّرىٰ، والإستفهام في الجملتين لِلإنكار، أي إغتَرّرت بمَصارع آبائك من البِلىٰ والفَناء بالمَوت أم بمضاجع أمّهاتك تحت الثّرىٰ والتّراب، وبعبارةٍ أُخرىٰ أنتَ رأيتَ فناء آبائك وأُمّهاتك وسكونهم في القبُور تحت التّراب فهذا شأن الدّنيا وفعلها مع أهلها أبهذا صرتَ مغروراً مَع أنّه واعظ لك فأنّ ما يكون هذا شأنه يَنبغي أن

يُعتبر به ثُمّ قال ﷺ توضيحاً لما أفاد أوّلاً، كم علّلت بكَفيك وكَم مرّضت بيديك أي كم خدَمتَ المعلولين والمَرضىٰ ورأيت حالهم تبغي وتنتظر لهم الشّفاء من علّتهم ومَرضهم وتستوصف لهم الأطّباء، أي وكَم وصَفتَ للمَعلولين والمَرضىٰ الأطّباء فقلت فلان، مثلاً طبيبٌ حاذق، ولكن بعد المُراجعة الىٰ الأطّباء، لَم يَنفع أحَدهم إشفاقك وخَوفك عليهم أي علىٰ المَرضىٰ فماتوا ولم يَنفعهم الطّبيب ولا الدّواء، ولَم تُسعَف بطِلبتك أي لَم تُعط مطلوبك وهو بُرء المَريض مثلاً، ولَم تَدفَع المَرض عنه بقوّتك أو لَم تَدفَع المَوت عنه أي عن المَريض بقوّتك، قد مثُّلت لك به الدّنيا نفسك، أي بما ذكرناه ونظائره من أحوال الدّنيا وأفعالها بأهلها قد مَثّلت لك الدّنيا نفسك لتَعرفها ولا تغتّر بها، وبمَصرعه مَصرَعك، أي أنّ الدّنيا عرّفتك مَصرَعك بمَصرع غيرك أي أعلَمتك الدّنيا ما أنت صائر اليه وهو المَوت والمنزل في القَبر وأنتَ لا تعتبر به كما أنّها أعلَمت من كان قبلك ولم يعتبر فما ذنب الدّنيا ولم يقصر في وعظها لك ولا لغيرك ثُمّ ذكر ﷺ محاسن الدّنيا لِمن إعتبر بها فقال:

أنّ الدّنيا دار صدقٍ لِمن صَدَقها ودار عافيةٍ لمن فَهم عنها ودار غِنىً لمن تزّود منها، ذكر ﷺ من أوصاف الدّنيا أربعة:

أحَدها: أنّ الدّنيا دار صدقٍ لمن صَدَق بها أي أنّ الدّنيا دار صدقٍ للصّادقين ودار كذبٍ للكاذبين فهي مع أهل الآخرة صادقة ومَع أهل الدّنيا كاذبة خادعة ألا ترىٰ أنّ الدّنيا تخدع من ركن عليها وإعتَمَد بها واتّخذها معبُوداً مقصوداً بالأصالة ولا تخدع لمن ليس كذلك من الصّلحاء والأولياء والأتقياء ومعنىٰ كونها صادقة أنها تُظهر حقيقة حالها لأهلها ولا تُخفيها عنهم أصلاً وتقول بلسان حالها ياأهل الدّنيا إعلموا أنّكم تموتون فتزّودوا عنّي خير الزّاد وإنتفعوا بي أحسن الإنتفاع ولا تغتروا بظاهر حالي فانّي دائماً لا أكون علىٰ وتيرةٍ واحدة بل شأني التّغير والحُدوث والزّوال والدّثور فهذا مقال الدّنيا ولا شكّ أنّها

صادقة فيه وأمّا أهلها فمنهم من صدّقها وإحتَرَز عن خَطَراتها فَنَجا ومنهم من لم يُصدّقها وإغتَرَّ بظاهرها ولمن تسمع نصيحتها فَهَلك فالذّنب ثابتٍ لأهلها لا لها أتَرىٰ من لَعب بالحَيّة مع علمه بوجود السَم في جَوفها صادق في ذمّه أيّاها:

وثانيها: أنّها دار عافيةٍ لمن فهِم عنها، وفيه إشارة الىٰ أنّ الدّنيا كما أنّها صادقة في قولها بلسان حالها كذلك دار عافيةٍ للعاقل الخَبير فأنّ الكمالات والفَضائل النّفسانية والبلُوغ الىٰ أقصىٰ مَراتب الإنسانيّة تحصل للإنسان بها وفيها كيف وهي مَزرعة الآخرة فلا يصل أحد بما يصل اليه من الفَوز والسّعادة إلّا بسَبَبها والتّزود منها فهي في الحقيقة أشبه شئ بالسّوق المّملوء من الأمتعة، وأمّا أهل الدّنيا فَمَثَلهم مَثَل المُشتري ولا شّك أنّ إختيار المتاع للمُشتري لا للبائع فمن إشترىٰ شيئاً ردّيئاً لا فائدة فيه من السُّوق مع وجود الأمتعة النّفسية الجيّدة بسبب قلّة فهمه وسُوء إنتخابه لا يلومنّ إلّا نفسه وأمّا السُّوق فلا ذنب له وهو واضح:

وثالثها: أنّها دار غِنىٰ لِمن تَزَوَّدَ مِنْها، أي أنّ الدُّنْيا ليست دار فقرٍ وإستئصال بل هي دار غِنىٰ وإستغناء والمراد بالغِنىٰ الغِنىٰ المعنوي لا المادّي فمن أراد التّزود لِلآخرة والقُرب الىٰ المقامات المعنّوية وتحصيل الكمالات الإنسانية والإتيان بالأعمال الصّالحة وبالجُملة الإنسلاخ عن مَقام الحَيوانية والعروج الىٰ الإنسانية أيّ دارٍ ومكانٍ له غير الدّنيا ثُمّ أيّ غِنىٰ له أفَضل وأحَسن من هذا الغِنىٰ أليس سلمان وأبو ذرّ ومقداد، وأمثالهم من الصّلحاء في طول الزّمان صاروا أغنياء علماً وعَملاً بسبب الدّنيا وما فيها، وأمّا من لا يريد التَّزود منها فهو المُقّصر لا الدّنيا أتَرىٰ أنّ من ظَفَر بالكَنز ولم يتَّزود منها ورَجَع خائباً كان الكَنز مُذنباً مقّصراً أو مَن ظَفَر به ولم يتَّزود منه.

رابعها: ودار مَوعِظةٍ لِمن إتَّعَظ بها، وهو أيضاً ممّا لا ريب فيه فأنّ الدّنيا لا تبقىٰ بحالٍ أصلاً بل تتّغير وتتّقلب ألا ترىٰ أنّ الفقير فيها يصير غنّياً والغنّي فقيراً والعزيز ذليلاً والذّليل عزيزاً والصّحيح سقيماً والسّقيم صحيحاً وهكذا

في جميع شئونها وأطوارها بحيث لا ينبغي الإعتماد على شيً منها وأيّة موعظةٍ أحسَن من هذه الموعظة المعقولة بل المحسوسة الّتي لا يشُك فيه أحَد لو تدّبر وتأمل فيها ولذلك وَرَد أنّ من لم يتّعظ بها لا يتّعظ بغيرها أصلاً والسّر فيه أنّ المواعظ في العالم ولو من الأنبياء والأوصياء معقولة لا محسوسة وقد ثبت أنّ المحسوس أولىٰ بالقبول لعدم إمكان الخطأ فيه .

أرىٰ طالبالدّنيا وأن طال عمره ... ونال من الدّنيا سُروراً والنَعما
كـبانٍ بـنىٰ بنيانه فأتـمّه ... فلمّا إستوىٰ ما قد بناه تـهّدما

وقال الآخر :

هَب الدّنـيا تساق اليك عفواً ... أليسَ مـصير ذاك الىٰ إنـتقالِ
ومـا دُنـياك إلّا مِـثل فيءٍ ... أظـلك ثـمّ أذَن للـزّوالِ

ولآخر :

يـا خـاطبَ الدّنيا الىٰ نفسها ... تـنَحُ عـن خُطبتها تُسلَم
أنّ الّـتي تَـخطُب غـدّارةٌ ... قـريبة العرس مـن المأتـم

وحيث إنّا قد تكلّمنا في الدّنيا غير مرّةٍ في الأبحاث السالفة وبيّنا حقيقتها وما يتّعلق بها بما لا مزيد عليه صَرفنا الكلام بذكرها ثانياً أو ثالثاً فأنّ الأمر بحمد اللّه واضح لما كان له قلب:

وبعد ذكره ﷺ الأوصاف الأربعة للدّنيا شرع في بيان ما أفاده بأحسن بيان وأوضَح مقال:

□ **فقال ﷺ: مَسْجِدُ أَحِبّاءِ اللّهِ ومُصَلّى مَلاَئِكَةِ اللّهِ ومَهْبَطُ وحْيِ اللّهِ ومَتْجَرُ أوْلِيَاءِ اللّهِ إكْتَسَبُوا فِيها الرَّحْمَةَ وَرَبِحُوا فِيها الجَنَّةَ...**

أي كيف تكون الدّنيا مذمومة والحال أنّها مَسجد أحباء اللّه وذلك لأنّهم يسجدون لربّهم فيها، ومُصلّىٰ مَلاَئِكَةِ اللّهِ فانّهم يصلّون فيها، ومَهبَط وَحي اللّه فأنّ الوَحي كان فيها، ومَتجَر أولياء اللّه إذ لا مَتجر لهم غيرها، إكْتَسَبُوا هؤلاء فيها أي في الدّنيا رحمة اللّه وربحُوا في الدّنيا بتجارتهم فيها الجنّة وهذا الأمور

الّتي ذكرها ﷺ حقّ لا يحتاج الىٰ توضيح أكثر ممّا ذكره ﷺ فلو كانت الدّنيا بذاتها مذمومة لَما كانت لها هذه المحاسِن ولذلك قال ﷺ بعد هذا الكلام:

▫ **فَمَنْ ذا يَذُمُّها وقدْ اذَنَتْ بِبَنْيِها ونادَتْ بِفِرَاقِها ونَعَتْ نَفْسَها وأهْلَها إلىٰ قوله ﷺ السُّرُورِ...**

أي إذا كانت الدّنيا واجدة لهذه الأوصاف بذاتها مستعدة لِلإستفاضة منها فَمَن الّذي يذمّها، يقول أنها ردّيئة قبيحة والحال أنّها قد آذنت وأعَلَمت بَبنيها أي ببُعدها وزوالها عنهم ونادَت بأعلىٰ صوتها بفراقها، ونَعَت وأخبَرت بفَقد نفسها وفقد أهلَها وأنّها وأهلها فانية داثرة فمثّلت أي مَثّلَت الدّنيا لهم أي لإهل الدّنيا ببلائها البلاء وَشَوَّقَتْهُمْ بِسُرُورِها إلىٰ السُّرُور أي مثّلت الدّنيا لهم البليّات والمَسّرات وأعلمتهم بهذا التَمثّيل أن لا بقاء لبلائها ولا دوام لسُرورها ولنعم ما قيل:

وغــــاية هـــذي الدّار لذّة ســاعةٍ
ويــعقبّها الأحـــزان والهَـــم والنَّـدم
وهـــاتيك دار الأمـــن والعِـزّ والتُّـقىٰ
و رحــمة ربّ النّاس والجُود والكرم

وقال الآخر:

حَسّنت ظنّك بالأيام إذ كَسنت ... ولَم تَخف سُوء ما يأتي به القَدَر
وسالمتك اللّيالي فإغترَرتُ بـها ... وعند صَفو اللّيالي يحدث الكِدَر

قال الآخر:

من كان يعلم أنّ المَوت يُدركه ... والقَبر مسكنه والبَعث يُخرجـه
وأنّـه بـين جـنّاتٍ مُـزخـرفةٍ ... يـوم القيامة أو نـارٍ سَتَنضجه
فكلّ شيٍ سوىٰ التّقوىٰ بـه سَـمجٌ ... ومـن أقـام عـليه منه أسَـمَجه
ترىٰ الّذي إتّخذ الدّنيا له وَطـناً ... لَم يدر أنّ المنايا سوف تَزعجه

قوله ﷺ: رَاحَتْ بِعافِيَةٍ وابْتَكَرَتْ بِفَجِيعَةٍ تَرْغِيباً وتَخْوِيفاً وتَحْذِيراً...

هذا الكلام منه بيان لقوله ﷺ فَمَثلت لهم ببلائها وشوّقتهم بسرورها، وحاصله أنّ الدّنيا تمشي بعافيةٍ وقت العشي رتصبح بِفَجِيْعَةٍ ومُصيبة وقت الغداة، يقال راح اليه إذا وافاه وقت العشي، أي أنّها لا تبقى بحالٍ في اليوم واللّيلة فضلاً عن الشّهور والأعوام وهو مشعر بعَدم بقائها وفي قوله ﷺ: تَرْغِيباً وتَرْهِيباً الى آخر الكلام إشارة الى أنّ مقاصد الدّنيا في هذه التّغيرات تارةً للتّرغيب وأُخرى للتّرهيب وثالثة للتّخويف ورابعة للتّحذير والإنسان العاقل البَصير على بَصيرته في جميع الشّئون:

□ **قوله ﷺ: فَذَمَّها رِجالٌ غَدَاةَ النَّدَامَةِ وَحَمِدها آخَرُونَ يَوْمَ الْقِيامَةِإلى آخر الكلام...**

أي فَذَمّ الدّنيا رجال وهم أصبحوا نادمين على ما فرّطوا فيها، وحَمِدها أي الدّنيا رجال آخرون يوم القيامة لما رأوا أعمالهم في الدّنيا، وبعبارةٍ أُخرى النّاس في قضاوتهم لها بعد المَوت على صنفين، صنفٌ ندمُوا على ذمّهم أيّاها لِما رأوا أنّ التّقصير كان منهم لا منها، وصنفٌ حَمِدوها لأنّهم كانوا من المُعتبرين بها فعَملوا فيها للآخرة ووصَلوا الى ما وصّلوا من القُرب والفَوز، وذلك لأنّ الدّنيا ذكّر بهم فتذكّروا ونَصحتهم فإستَنصحُوا، وحدّثتهم الدّنيا بلسان حالها فصَدقوها، ووعَظتهم الدّنيا بحوادثها وأطوارها فإتّعظوا بها فهؤلاء إستَفادوا منها حقّ الإستفادة وإستعانوا بها للوصُول الى مقاصدهم فأعلمتهم بطُرق الخَير والسّعادة اللّهم إجعلنا من المُتّعظين بها آمين ربّ العالمين.

﴿١٢٨﴾

□ قوله ﷺ: أنَّ لِلّٰهِ مَلَكاً يُنادِي في كلِّ يَوْمٍ لِدُو لِلمَوْتِ وأجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ وأبنُوا لِلْخَرَابِ...

والمقصُود من هذا الكلام هو أنه كلّ مَولُودٍ في الدّنيا فهو يَمُوت لا مُحالة وكلّ ما جُمع فيها من الأموال فَهُو يُفنىٰ وكلّ ما بُني فيها فهو يخرب والدّليل علىٰ الكُلّ هو أنّ الدّنيا دار فناءٍ ودثُور ومن المعلوم أنّ الدّنيا عبارة عن جميع المَخلوقات كائناً ما كان ومنها الإنسان وأمواله وأبنيته فإذا كان مسير الإنسان فيها الىٰ المَوت فلا مُحالة يكون مسير الأموال الىٰ الفناء والأبنية الىٰ الخَراب فأنّ مَوت كلّ شيءٍ بَحَسبه وقد مَرّ الكلام في الباب غير مرّةٍ ولا سيّما في كلامه السّابق:

أن قلتَـ المَوت ثابت لكلّ مخلوق ومَوجود سواء كان مَولُوداً أم لا يكون، فأنّ الملائكة أيضاً يَمُوتون مَع أنّه لا ولادة لَهم وظاهر الكلام يُشعر بكون المَوت ثابتاً لِمَن وُلِد لا مُطلقاً:

قلتُ ـ إثبات الشّئ في مَوردٍ لا يَنفى ما عَداه ولا سيّما بعد وجُود الأدّلة العَقلية والنّقلية علىٰ إثبات المَوت ولزومه لكلّ مخلوقٍ وُلِدا أو لَم يُولَد بل وُجد بغير ولادةٍ هذا مُضافاً الىٰ أنّ الخطاب عامّ يشمل الكلّ ضرورة أنّ المَوت لا يختّص بالإنسان ولكنّه من حيث أنّه مكلّف بالتّكاليف العقلّية والشّرعية فالخطاب تعلّق به واقعاً وأن شئت قلت الولادة بمعنىٰ حصُول الشّئ عن شئ

آخر بسبب من الأسباب التّكوينية سواء كانت بطريق المعهُود المُتعارف بين النّاس أم بغيره ولأجل هذا قال الرّاغب في مُفرداته تـوّلد الشّـيْ مـن الشّـيْ حصُوله عنه بسببٍ من الأسباب وعليه فالولادة عبارةٌ أُخرىٰ عن الوجود بأيٍّ نحوٍ يُوجد في عالم الأسباب وكيف كان فما ذكره ﷺ لا شّك فيه واليه أُشير حيث قيل:

لِـه مَـلَكٌ يُـنادي كـلّ يـومٍ لِـدُو للـمَوت وأبـنُوا للخَراب

﴿١٢٩﴾

□ قوله ﷺ: الدُّنْيا دَارُ مَمَرٍّ إلىٰ دَارِ مَقَرٍّ فِيها رَجُلاَنِ رَجُلٌ باعَ فِيها نَفْسَهُ فأوبَقَها وَرَجُلٌ ابْتاعَ نَفْسَهُ فأعْتَقَها.

المَمّر بفتحتين وكذا المَقّر إسم مكانٍ من مَرَّ يَمرّ أي مكانِ المرُور والقَرار والمقصُود أنّ الدّنيا ليست بدارِ البقاء بل هي وُضِعت للعبُور منها الىٰ عالمٍ آخر وهو الآخرة ولذلك ترىٰ أهل المعرفة تارةً شبّهوا الدّنيا بالجسر الّذي وضع للعبُور وأُخرىٰ بالبيت الّذي له بابان بابٌ للدّخُول فيه وباب للخُروج منه وقد مَرّ الكلام في الدّنيا بما لا مَزيد عليه يكفي في إثبات المُدّعىٰ بعد الحِسّ والعَيان بالنّسبة الىٰ الدّنيا، الآيات الواردة فيهما:

مثل قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالأَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ إتَّقَىٰ﴾ (١)

و: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا مِنَ الأَخِرَةِ﴾ (٢)

و: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فِي الأَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ (٣)

و: ﴿والآخرة خيرٌ وأبقىٰ﴾ (٤)

و: ﴿وإِنَّ الدَّارَ الأَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٥)

و: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الأَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٦) والآيات

١- النّساء ـ ٧٧ | ٢- التّوبة ـ ٣٨
٣- الرّعد ـ ٢٦ | ٤- الأعلىٰ ـ ١٧
٥- العنكبوت ـ ٦٤ | ٦- الرّوم ـ ٧

كثيرة وقد فَرغنا عن البَحث في الدّنيا والآخرة غير مرّةٍ وأمّا قوله ﷺ: **والنّاس فيها رجلان** فالمَقصُود أنّ أهل الدّنيا صنفان، صنفٌ منهم تابَع هَواه فَباع نفسه لِهَواه وشَهواته فأوبَقها أيّ أهلَكها وذلك لأنّ النّفس إذا كانت تابعة لِلهَوىٰ والشّهَوة فلا خير فيها أصلاً وأنّما الخَير في مُخالفتها الأميال والشّهَوات كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَآثَرَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾** (١)

وقال:**﴿ومَن أضَل مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِّنَ اللّهِ﴾** (٢) وصنفٌ آخر إبتاع وإشترىٰ نفسه من الأميال والشّهَوات وخَلّصها من أيديها فأعتَقها بذلك عن قيد الرّقية والعبُوديّة للشّيطان واليه الإشارة بقوله تعالىٰ: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنْ الهَوَىٰ، فإنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾** (٣) وقد مرّ الكلام فيه أيضاً ثمّ قوله ﷺ: **أوبَقها وأعتَقها** إشارة الىٰ دقيقة لا بأس بالإشارة اليها وهي أنّه شبّه النّفس بالعَبد بالنّسبة الىٰ مولاه فكما أنّ العَبد اذا مَرّ من مَولاه جَعل نفسه في التّهلكَة في الدّنيا والآخرة كذلك النّفس إذا فَرّت من صاحبها بمعنىٰ أنّها صارت مُطلق العَنان تفعل ما تشاء فقد وقَعت في التّهلكَة والذّنب علىٰ صاحبها لأنّه أوبَقها، وهذا بخلاف ما إذا كان العَبد مُطيعاً لمولاه ثمّ إشتراه شخص آخر فأعتَقه فأنّه وإن صار حُرّاً به يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد إلّا أنّ الفرق واضح ومحصّل الكلام هو أنّ مثل النّفس مَثل العَبد في كونه تابعاً لِمَولاه إضطراراً وكُرهاً فَمن أراد إيصال النّفع اليه ينبغي أن يشتريه من مولاه فأعتَقه لا أن أوبَقه وأهلَكه بسبب الفَرار فأنّ هذا ليس بدواءٍ لهذا الدّاء وعليه فمن أراد إيصال النّفع الىٰ نفسه ينبغي أن إبتاعها من مولاها وهو الشّيطان والميل النّفساني أو ما شئت فسمّه ثمّ أعتَقها عن قيد العبُوديّة للأميال والأهوية وهذا ظاهر:

١- النّازعات ـ ٣٧/٣٨/٣٩
٢- القصص ـ ٥٠
٣- النّازعات ـ ٤٠

١٣٠

□ **قوله عليه السلام: لاَ يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حتّىٰ يَحْفَظَ أخاهُ في ثَلاَثٍ فِي نَكْبَتِه وغَيْبَتِه وَوَفاتِه.**

الصَّديق بفتح الصّاد وكسر الدّال الخِلّ الحَبيب، والنَّكبة بفتح النّون وسكون الكاف المرة من النَّكب المُصيبة تُجمع علىٰ النَّكبات أي المَصائب والمعنىٰ أنّ الصَّديق ليس كلّ من يدّعيه بل الصَّديق له علامات يُعرف بها وذكر عليه السلام منها ثلاثة:

إحديٰها: حفظه أيّاه في المَصائب الواردة عليه بأن يكون شريكاً له فيها مُعيناً ناصراً له:

وثانيتها: أن يحفظه في غيبته في ماله وعِرضه وأهله وعَشيرته هذا إذا كان المراد بها السَّفر وأن كان المراد مطلق الغَيبة فَحِفظه أيّاه فيها يحصل بعَدم القَدح والعيبة والإنتقاد فيه بل ومَنعه غيره أيضاً منها.

وثالثتها: أن يحفظه في وفاته بما ذكرناه فأنّ المَوت نوعٌ من الغَيبة ويزاد فيه علىٰ ما ذكرناه طَلَب الرّحمة والدّعاء له لِما وَرد أنّه إذكروا مَوتاكم بالخَير:

روي في البحار بأسناده عن الصّادق عليه السلام أنّه قال الصّداقة محدُودة ومن لَم تكُن فيه تلك الحدُود فلا تنسبه الىٰ كمال الصّداقة ومَن لَم يكن فيه شيءٌ من تلك الحدُود فلا تنسبه الىٰ شيءٍ من الصّداقة، أوّلها أن تكون سريرته وعلانيته واحدة، والثّانية أن يرىٰ زينك زَينه وشَينك شَينُه، الثّالثة لا يُغَيّره عنك مالٌ ولا ولاية، الرّابعة أن لا يمنعك شيئاً ممّا تَصل اليه مَقدرته،

الخامسة أن لا يسلمك عند النّكبات انتهىٰ...

وبأسناده عنه ﷺ قال إنّ الّذين تراهم لك أصدقاء إذا بَلَوتهم وجدتهم علىٰ طبقات شيٍّ فَمنهم كالأسد في عِظَم الأكل وشدّة الصّولة، ومنهم كالذّئب في المضّرة، ومنهم كالكلب في البصبصة ومنهم كالثّعلب في الرّوَغان والسّرقة صُوُرهم مختلفة والحِرفة واحدة ما تصنع غداً إذا تركت فرداً واحداً لا أهل لك ولا وَلَد إلّا اللّه ربّ العالمين انتهىٰ...

وبأسناده عنه ﷺ – قال لا تُسّم لِرجلٍ صديقاً سِمَةٌ معرُوفة حتّىٰ تختبره بِثلاث، تغضبه فتنتظر غضَبه يخرجه من الحقّ الىٰ الباطل وعند الدّينار والدّرهم، وحتّىٰ تُساقر مَعَه انتهىٰ« ج ١٦ ص ٤٨ الىٰ ص ٥٠» وقال شبيب بن شيبة، إخوان الصّفا خير مكاسب الدّنيا هُم زينةٌ في الرّخاء، وعُدّةٌ في البَلاء، ومَعُونةٌ علىٰ الأعداء كما قيل:

لعَمرك ما مال الفتىٰ بذخيرةٍ ولكنّ أخوان الصَّفا الذّخائر

وقال بعض الحُكماء صديق الرّجل مرآته تُريه حَسناته وسيّئاته، وقالُوا الصَّديق من صَدَقك وُدّه وبَذَل لك رِفده، وقالوا أربعة لا تُعرف إلّا عند أربعة، لا يُعرف الشّجاع إلّا عند الحَرب، ولا يُعرف الحكيم إلّا عند الغَضب، ولا يُعرف الأمين إلّا عند الأخذ والعطاء، ولا يُعرف الأخوان الأصدقاء إلّا عند النّوائب وخير الأخوان من أقبل عليك إذا أدبَر الزّمان عنك كما قيل:

فأنّ أوَلىٰ المَوالي أن تواليه عندالسّرورلِمن واساكفي الحَزَن
أنّ الكرام إذا ما أُسهلُوا ذكروا مَن كان يألفهم في المَنزلالخَشِن

وقال الآخر:

كَم من أخٍ لك لَم يَلده أبُوكا وأخ أبُوه أبُوك قد يَجفُوكا
صافِ الرام إذا أردتَ أخاءَهم وأعلم بأنّ أخا الحفاظ أخُوكا
والنّاسماإستَغنينتَ كُنتَأخاهم وإذا إفتَقَرتَ اليهُم رَفضُوكا

والأخبار والآثار والأشعار في فضل الصّديق كثيرة جداً إلّا أنّ الصّديق الحقيقي لا يُوجد إلّا قليلاً ولا سيّما في زماننا هذا بحيث ينبغي تشبيه وجوده بوجود العَنقاء:

131

□ قوله عليه السلام: مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً مَنْ أُعْطِيَ الدُّعاءِ لمْ يُحْرَمِ الإجَابَة، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لمْ يُحْرَمِ القَبُولُ، وَمَنْ أُعْطِيَ الإِسْتِغْفارَ لمْ يُحْرَمِ المَغْفِرَةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيادَةَ...

وَتَصْدَيقُ ذلكَ كِتَابُ اللهِ قَالَ اللهُ تعالىٰ في الدُّعاءِ:(أُدْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ وَقالَ فِي الإِسْتِغْفارِ.وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً أوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحيماً) وقال في الشُّكْرِ:(لأنْ شَكَرْتُمْ لأزيدَنَّكُمْ) وقالَ في التَّوْبَةِ:(إنَّما التَّوْبَةُ علىٰ اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ من قَرِيبٍ فأُولَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وكانَ اللّهُ عَليماً حَكيماً.

أقول لا يحتاج ما ذَكَره عليه السلام الىٰ شرح أزَيد وذلك لأنّه أفاد وأجاد وبَيَّن وأوضح كلامه بالآيات البّينات ونحن نذكر لك ما يُناسب المقام تيّمناً وتبرّكاً به فنقول رُوي نظير هذا الكلام عن بعض المَعصُومين أيضاً فقد رَوىٰ المَجلسي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال من أُعطي ثلاثة لم يُحرم ثلاثة، من أُعطي الدّعاء أُعطي الإجابة، ومن أُعطي الشّكر أُعطي الزّيادة ومن أُعطي التّوكل أُعطي الكفاية فأنّ اللّه تعالىٰ يقول في كتابه: (ومن يتوكّل علىٰ اللّه فهو حَسبُه)، ويقول:(لأن شَكرتُم لأزيدنكم) ويقول:(أُدعُوني أستَجب لكم) انتهىٰ« ج ١٩ الجزء الثّاني ص ٥٤»...

وبأسناده عن أبي الصّباح عنه عليه السلام قال من أُعْطِيَ أَرْبَعاً لمْ يُحْرَمْ أَرْبعاً مَنْ

أُعْطِيَ الدُّعاءَلمْ يُحْرَمِ الإجابَة، وَمَنْ أُعْطِيَ الإسْتِغْفارَ لمْ يُحْرَمِ التَّوْبةَ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لمْ يُحْرَمِ الزِّيادَةِ، ومَنْ أُعْطِيَ التّصبر لم يُحرم الأَجر انتهىٰ « ص ۵۴»...

ثُمّ أنّ كلام أمير المؤمنين في المقام يدّل بل يَصّرح بأنّ العَبد ينبغي له الدُّعاء والتّوبة والإستغفار والشّكر فهذه الأُمور الأربعة في الحقيقة بمنزلة السّلاح للعَبد في حَربه مع الشّيطان والنّفس الأمّارة وذلك لأنّ العَبد في عبُودّيته وسلُوكه الىٰ مقام القُرب لا يمكن له الإستغفار بها وتَوضيحه بحَسب الإجمال هو أنّ الإنسان فقير في ذاته محتاج الىٰ خالقه بل هو نفس الفقر والإحتياج لقوله تعالىٰ: **﴿يَا اَيُّـهَا النَّـاسُ اَنْـتُمُ الْـفُقَرَاءُ إِلَـى اللهِ وَاللهُ هُـوَ الْـغَنيُّ الْحَمِيدُ﴾**(١) وإذا كان كذلك فَيَفتح له باب الدُّعاء ثُمّ أنّه بمُقتضىٰ جبِلّته وطبيعته وأنّه بشر يُصيب ويُخطئ قد يَعصي ربّه ومن المعلوم أنّ عصيان الرّب لا يغفره إلّا هُو وبذلك يفتح له باب التّوبة والرّجوع الىٰ اللّه هذا إذا كان الذّنب ثقيلاً عظيماً وأمّا أن كان خفيفاً وكان نادماً عليه فلا يغفره إلّا اللّه فلابدّ له من الإستغفار، ومن حيث أنّه من العُقلاء وشكر المُنعم واجب عقلاً واللّه تعالىٰ مُنعمٌ عليه يجب عليه الشّكر فالعَبد الحقيقي هو الّذي كان داعياً تائباً مُستَغفراً شاكراً وهو المطلوب ولا شّك أنّ هذه الأوصاف الأربعة التّي أشار ﷺ بها في المقام قد وَرد في الشّريعة المُقدّسة الحثّ عليها وحيث أنّا قد تكّلمنا في هذه الأوصاف غير مرّةٍ في تضاعيف الكتاب فلا نُطول الكلام بذكر الآيات والأخبار ثانياً مُضافاً الىٰ أنّها من الواضحات:

١- الفاطر ـ ١٥

١٣٢

□ قوله عليه السلام: **الصَّلاَةُ قُرْبَانُ كلِّ تَقِيٍّ . والحَجُّ جِهَادُ كلِّ ضَعِيفٍ وكِلِّ شَيْءٍ زَكْوةٌ وزَكْوةُ الْبَدَنِ الصِّيامُ. وجِهادُ المَرْأةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ.**

قد مرّ منا البحث في الصّلوة وماهيّتها وآثارها بما لا مزيد عليه وقد بيّنّا هناك أسرارها المودّعة فيها تفصيلاً وذكرنا الآيات والأخبار الواردة فيها وكفىٰ في شأنها إنّها إن قُبِلت قبل ما سواها وأن رُدّت ردّ ما سواها وعليه فلا نحتاج الىٰ تفصيل الكلام فيها ثانياً بل ثالثاً ورابعاً والقُربان بضّم القاف علىٰ وزن فُعلان إسم لِما يتّقرب به الىٰ اللّه تعالىٰ من ذبيحةٍ وصلوة وصَوم وغيرها من الخَيرات والمعنىٰ إنّ الصّلوة سببٌ ووسيلة لما يتّقرب به الىٰ اللّه كلّ من من إتّـصف بالتّقوىٰ وبعبارةٍ أُخرىٰ إنّها من أَحَسن الوسائل والأسباب لِلمُتقّين في تقّربهم الىٰ اللّه تعالىٰ والتّخصيص بالمتّقين لِلدلالة علىٰ إنّ من لَم يتّصف بالتّقوىٰ لا تنفعها الصّلوة حقّ الإنتفاع ولا يتّقرب بها الىٰ اللّه أصلاً ألا ترىٰ إنّ أصحاب النّهروان أعني بهم الخَوارج كانوا من المَصّلين بل من المُتّهجدين العابدين إلّا إنّهم لكونهم غير مُتصّفين بالتّقوىٰ لم تنفعهم الصّلوة ولا غيرها من العبادات فَوَقعوا في الخُسران والعِقاب:

وأمّا الحَج فقد مرّ الكلام فيه أيضاً في المجّلد الأوّل من هذا الكتاب مفّصلاً وذكرنا هناك ما لَم تجده في غير الكتاب من الأخبار والأسرار المودّعة فيه وأمّا إنّه جهاد وكلّ ضعيف فلعّله إشارة الىٰ ضُعف الجّسم والبَدَن أمـثال الشّـيخ

والشّيخة والنّساء وبالجملة كلّ من وُضع عنه الجهاد بالسّيف والسّنان معَ أعداء اللّه وعليه فمراده بالجهاد في المقام معناه الشّامل لِجهاد الأكبر والأصغر وأمّا الزّكوة والصّوم فقد مرّ الكلام فيهما أيضاً بما لا مزيد عليه عند قوله ﷺ:

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الإِيْمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهادُ فِي سَبِيلِهِ الى قوله وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ البيت الخ خطبته ١١٠.

وأمّا إنّ جهاد المَرأة حُسن التَبّعُل فالوجه فيه واضح لِمَن تَدّبر في وظائف المَرأة وذلك لإنّ الجِهاد الأصغر أعني الجِهاد بالسّيف فهو موضوع عنها وأمّا الجِهاد الأكبر أعني به الجِهاد مع النّفس الأمّارة بالسّوء فَمِصداقه الكامل التّام هو حُسن التَبّعُل إذ فيه خير الدّنيا والآخرة وبه يحصل الرّضا لِللّه ولَرسوله وبدونه لا تقبل عنها عباداتها وخَيراتها ومحّصل الكلام هو إنّ ثـمرة الجـهاد التّقرّب الىٰ اللّه تعالىٰ وهو لا يحصل إلّا مع الإطاعة مُخلِصاً ففي الحقيقة ليس في المقام إلّا الإخلاص في الطّاعة والتّسليم في الإنقياد وأمّا السّيف والسّنان أو مُطلق الأعمال والأفعال في الجهاد الأكبر والأصغر فلا دَخَل لهـا فـي أصـل القّضية وإنّما هي أسباب وآلات لِلوُصول الىٰ المَقصد وهو رضىٰ الرّب وقد جَعَل اللّه تعالىٰ حُسْن التَبّعل لِلمَرأة وسيلة اليه وهو المطلوب.

ثمّ لا يذهب عليك إنّ حُسْن التَبّعُل مطلقاً جهاد لِلمَرأة بل المراد منه ما إذا كان في طريق الشّرع وذلك لإنّ حُسْن التَبّعُل مـعناه إطـاعة الزّوجـة لِـلزّوج وإنقيادها له فيما هو مُرتبطٌ بأمور الزّوجية فلو كانت الإطاعة في طريق الّشرع أو العقل المُؤّيد بالّشرع فهذا هو حُسْن التَبّعُل الّذي أُمِرّت به وأمّا إذا كان في طريق الشّيطان فلا فلو أَمَر الزّوج بشيْ من المحّرمات لا تجب عليها الإطاعة بل تحرم وليس لها أن تطيعه فيه علىٰ ملاك حُسْن التَبّعُل كما إذا أَمَرها بالزّنا والكِذب والخِيانة أو تَرك الصّلوة والصّوم والحّج وغيرها والسّر فـيه هـو إنّ إطاعة الزّوجة لِلزّوج أو الأولاد للأبوين في طول إطاعة اللّـه لا فـي عَـرَضها

بمعنىٰ إنّها تَنشأ من إطاعة اللّه فمَع قَطع النّظر عنها لا إطاعة لها أصلاً إذا الأصل هو عَدم إطاعةً إنسانٍ من إنسانٍ آخر إلّا ما خرج منه بالدّليل وهو أَمَر الشّارع وما نحن فيه من هذا القبيل فكلّ من خَرج عن قانون الشّريعة لا أمَر له ولا تَجب علىٰ أحدٍ إطاعته كائناً من كان وذلك لإنّا قد أثبتنا في أبحاثنا إنّه لا أمَر إلّا لِللّه ولا تجب علىٰ أحدٍ طاعة إلّا طاعته فإنّ الأمر بالأصالة له تعالىٰ لا لِغيره وإنّما يتحقّق الأمر لِغيره حتّىٰ من الأنبياء والأوصياء فضلاً عن الزّوج والأبوين وأمثالهم بسبب أمره تعالىٰ لا بالأصالة وهذا الّذي ذكرناه من الأصول المُعتمدة عندنا ومحصّله إنّ الأمر والإطاعة أوّلاً وبالذّات له تعالىٰ وثانياً وبالعَرَض لغيره وعليه فوجوب الإطاعة بالنّسبة الىٰ آخر غير أوامره تعالىٰ مُتّبعي فمن كان أمره علىٰ خلاف أمره تعالىٰ لا إطاعة له بل تَحرُم الإطاعة لكونها من مَصاديق الإعانة علىٰ الإثم وهو ظاهر.

﴿١٣٣﴾

□ قوله عليه السلام: إستَنزِلُوا الرِّزْقَ بالصَّدَقَةِ.

إستَنزلوا أمرٌ من الإستنزال والتّاء فيه للطّلب كما هو القاعدة في باب الإستفعال والمعنىٰ إطلبُوا نـزُول الرّزق بسبب الصَدقة أي أي أنَّ الصّدقة تُوجب نزول البَركات من اللّه تعالىٰ الىٰ العَبد وهذا الكلام قد أخَذَه عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله:

روي في البحار بأسناده عن الرّضا عليه السلام عن آبائه قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله إسْتَنزِلُوا الرِّزْقَ بالصَّدَقَةِ انتهىٰ« ج ٢٠ ص ٣٢»...

وكيف كان ففيه حثٌّ علىٰ التّصدق وأنّه يُوجب نزول الرّزق وكثرته ودفع البلاء عن صاحبه وتأليف قلوب النّاس وغيرها من الأثار المُترّتبة علىٰ الصّدقة ولِنُشر الىٰ شطرٍ ممّا وَرد فيها...

روي في البحار بأسناده عن الرّضا عن آبائه قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله خير مال المَرء وذخائره الصَّدقة انتهىٰ...

وبأسناده عن الصّادق عليه السلام قال قال النّبي أنّ الصَّدقة تزيد صاحبها فَتَّصدقوا يَرحمكم اللّه وأنّ التّواضع يزيد صاحبه رفعة فَتّواضعُوا يرفعكم اللّه وأنّ العفو يزيد صاحبه عِزّاً فأعفُوا يُعزّكم اللّه انتهىٰ...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من أعطىٰ درهماً في سبيل اللّه كَتب اللّه له سبع مِائة حَسَنة: (قوله عليه السلام من أيقَن بالخَلَف جواد بالعَطيّة)...

وبأسناده عن النّبي ﷺ قال كُلّ مَعروُفٍ صَدَقة الىٰ غنّي أو فقير فتّصدقُوا وَلَو بشّق تَمرة وإتقوا النّار ولَو بشّق التّمر فأنّ اللّه عزّ وجلّ يُربّيها لصاحبها كما يُربّي أحدكم فلوه أو فصيله حتّىٰ يوفيه أيّاها يوم القيامة حتّىٰ يكون أعظم من الجَبل العظيم انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ؈ قال قال رسُول اللّه أنّه ليس شيئ إلّا وقد وُكلّ به ملَك غير الصّدقة فأنّ اللّه يأخذه بيده ويُربّيه كما يُربّي أحدكم ولده حتّىٰ يلقاه يوم القيامة وهي مثل أُحُد انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي جعفر ؈ قال قال أمير المؤمنين تصّدقتُ يوماً بدينارٍ فقال لي رسُول اللّه ﷺ أمَا عَلِمتَ أنّ صَدَقة المؤمن لا تخرج من يده حتّىٰ يفّك عن لحي سبعين شيطاناً وما يقع في يد السّائل حتّىٰ يقع في يد الربّ تبارك وتعالىٰ ألَم يَقُل هذه الآية:﴿**ألَم يعلَموا أنّ اللّه هو يقبل التّوبة عن عباده ويأخذ الصّدقات**﴾ انتهىٰ...

والأحاديث مرّوية عن البحار ج ٢٠ باب الصّدقات ص ٣٤ وهي كثيرة جداً:

١٣٤

□ مَن أيْقَنَ بالْخَلَفِ جادَ بالْعَطِيَّةِ.

أقول معناه قد ظهر ممّا ذكرناه في الصّدقة وذلك لأنّ الإنسان إذا أيقَنَ بالْخَلَفِ أي أيْقَنَ بأنّ ما يعطيه في طريق المعروف يبقىٰ له في الحقيقة ولا يصير هَباءً فلا محالة جاد بالعطيّة أي يجُود بالعطايا ولا يَبخَل وهذا بخلاف من لا يقين له أو أيقَن بخلافه فأنّه لا يجود بها قطعاً هذا إذا أردنا من العطيّة في كلامه عليه‌السلام الصّدقة وأمّا إذا أردنا منها مطلق العَطاء والجُود المعبّر عنه بالسّخاوة فالأمر أيضاً واضح ومحصّل الكلام هو أنّ العَطيّة والبَذل في سبيل اللّه لها خَلَف صالح في الدّنيا والآخرة سواء كانت بعنوان الصّدَقة أم كانت بغيره في طريق الحقّ وقد عرفت من الأحاديث المنقولة ما يدّل عليه مضافاً الىٰ ما ذكرناه سابقاً غير مرّةٍ:

﴿١٣٥﴾

▫ تَنزِلُ المَعُونَةُ عَلىٰ قَدْرِ المَؤُنَةِ...

المَعُونَةُ، بفتح الميم وضمّ العَين مفعَلَة من العَون وبعضهم يـجعل المـيم أصليّة مأخوذة من الماعُون ويقول هي فَعُولة، والمَؤنة الثّـانية بـالهَمزة بَـدل العَين وقد لا تُهمز مَفعَلة من الأيِن وهو التّعَب والشدّة والمعنىٰ أنّ نزول الإعانة من اللّه تعالىٰ للعبد علىٰ قَدر الشّدة والثّقل بالعيال وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّ الشـدّة والثّقل بالعَيال ونحوهم مُعِدّ لإستنزال مَعُونة اللّه يـرزقه وقـوته عـلىٰ القـيام بأحوالهم ودَفع المؤنة من جهتهم هذا أن كان المراد بالمعُونة النّازلة من اللّه الرزّق، وأمّا أن كان المراد بها مطلق الإعانة منه تعالىٰ سواء كانت من حـيث الرّزق أم من حيث القدرة علىٰ إدارة العيال كما هو الأقوىٰ في النظّر فالمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ يُعين العَبد في رزقه وقُدرته وجميع شئونه علىٰ قدر إحتياجه في إدارة عائلته وهو أيضاً لا خفاء فيه إذ لولا ذلك يلزم الظّلم علىٰ العبد وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ خَلَقه وأيّاهم فَلَو لَم يُعنه علىٰ إدارة أُمور من هو تحت تكلفّه كيف يقدر العبد إدارتهم وتَربيتهم وهذا مُسَلم وحيث أنّه قد ثبت عَدله فهو يقتضي ما ذكرهُ وبعبارةٍ أُخرىٰ كما أنّ التكلّيف بحسب عالم التّشريع لا يكون إلّا بقدر طاقة العَبد كما قال تعالىٰ: ﴿لايُكَلِّفُ اللّهَ نَفْساً إلاّ وُسْعَهَا﴾ [1] كذلك بحسب عالم

١- البقرهـ ٢٨٦

التكوين لا يكون إلّا بقدر طاقته ولا فرق بين التشّريع والتّكوين من هذه الجهة أعني مراعاة العدالة في حقّ العَبد وعليه فلو كانت المَعُونة أعني بها الإمداد منه تعالىٰ أقلّ من قدر المؤنة أي الّتي يحتاج اليها العَبد في تعيّشه وإدامة حياته يكون من الظّلم القبيح في حقّه تعالىٰ وهو واضح فالرِّزق ينزِل علىٰ قدر الإحتياج وكذا غيره من الإعانات:

١٣٦

▫ **قوله ﷺ: ما أعالَ مَنِ اقْتَصَدَ.**

قالوا في تفسير الكلام أي لا يفتقِر من راعىٰ في تعيّشه الإقتصاد أي الإنفاق بقَدر الحاجة المُتعارفة مُجتنباً فيه حَذي الإفراط والتّفريط وقال الشّيخ عبدُه في شرحه المختصر ما أعالَ من اقْتَصَد بثبوت الألف وعليه فهو من باب الأفعال ثمّ قال في معنىٰ الكلام أي لا يفتقر قال وفي نسخة، عال بلا همزة ومعناه ما جاز عن الحقّ من أخَذَ بالإقتصاد انتهىٰ.

أقول: قوله وفي نسخةٍ، اعال، كلام بلا محصّل فأنّ النّسخ الموجودة عندنا من القديم والحديث كلّها علىٰ خلاف قوله والمَطبُوط فيها (عال) بدون الألف وما رأينا في نسخةٍ غير نسخته (أَعال) بالهَمزة وعليه فالصّحيح ما ذَهب اليه الأكثر وهو، عال، لا أعال، وأن كان المآل واحداً: قال الشّاعر:

وما يدري الفقير متىٰ غناه   وما يدري الغنّي متىٰ يَعيلُ

ثمّ أنّ الإقتصاد المُشار اليه في المتن مَمدُوحٌ في جميع الأُمور مُرغّب فيه في كلّ الشّئون حتّىٰ في العبادات فأنّ الإفراط والتّفريط مذمومان مطلقاً والىٰ هذا المعنىٰ أُشير في الكتاب بقوله تعالىٰ: **﴿وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾**[١] فأنّ المراد بالأُمّة المُسلمون وبالوَسَط إجتنابهم عن الإفراط والتّفريط وهذا الحكم لا يختّص بموردٍ أو موارد خاصّة بل يعمّ الجميع وقد مرّ الكلام فيه مفّصلاً:

١- البقرة - ١٤٣

١٣٧

□ **قوله ﷺ: قِلَّةُ الْعِيالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ.**

(العَيالِ) بفتح العين وقيل بالكسر عائِلة الرّجل مِمّن هو تحت كفالته واليَسارين تثنية اليَسَار وهو بفتح الياء الغِنىٰ وقد يطلق علىٰ خلاف اليمين أيضاً فيقال يَمينه ويَساره، وإطلاق اليَسار علىٰ قلّة العَيال مجاز من قبيل إطلاق المسَبب علىٰ السَبَب وذلك لأنّ قلّة العَيال سَبَب وعلّة لليَسار وهو الغِنىٰ والسّهولة في أمر المعاش وأنّما قال ﷺ أحَد اليَسارين ولم يقل قلّة العَيال هي اليَسار مثلاً لِلإشعار بأنّ الإنسان قد يكون له مال وثروة كثيرة بحيث يكفي عائلته وأن كثُرَت وقد لا يكون وبعبارةٍ أُخرىٰ لِلإنسان يساران يسارٌ بسبب المال والثّروة ويسار بسَبب قلّة العَيال:

أمّا الأوّل: فلا كلام فيه إذ لا تأثير لكثرة العيال فضلاً عن قلّته في حقّ صاحب الثّروة.

وأمّا الثّاني: أعني من لا مال له أو كان ولكن لا يكفي بمؤنته فقلّة العَيال له أحَد اليَسارَيْنِ أي أحَد الغنايئن المتّصورين في حقّه أحدهما حقيقي والآخر مجازي أو كلاهما علىٰ سبيل الحقيقة بناءً علىٰ أنّ الغنىٰ لا يختّص بالغنىٰ في المال:

﴿١٣٨﴾

□ قوله عليه السلام: **التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ...**

(التّوّدُد) مصدر من باب التّفعل والفعل منه تَوَدّد مثل تَصرّف يقال تَودّده، إذا طلب مَودّته وإجتَلَب ودّه، تَودّد اليه تَحَبّب وهو مأخوذ من الوُدّ وهو الحُبّ:

والمعنىٰ أنّ من تَودّد النّاس وطلب مَحبّتهم ومَودّتهم فَعَمله هذه في الحقيقة نصف العَقل هكذا قالوا في شرح الكلام ولم يذكروا الدّليل عليه ولا بيّنوه حقّ التّبيين بل أهملوا الكلام وقَنعُوا بشرح لفظه ألَيسَ لقائلٍ أن يقول ما المراد بالعقل الّذي عُدّ التّودد نصفه ولِمَ يُعدّه تمامه ثمّ أنّه أيّ شيءٍ أراد عليه السلام بالتّودد، هل أراد مطلق التّودد أم لا ولأجل ذلك لابدّ لنا من توضيح كلامه فنقول العقل بَحسَب الإصطلاح الصّناعي علىٰ قسمين نظّري، وعَملي والمراد بالأوّل ما يحتاج الىٰ النّظر والإستدلال وبالثّاني إعماله وإجراءه علىٰ نحو الأحسن ولعلّ وجه التّقسيم في العقِل اليهما هو أنه ربّما يكون الإنسان عالماً عاقلاً من حيث الإدارك والإحاطة بالإصطلاحات والبراهين والجَدل والخطابة وغيرهما ومَع ذلك يكون جاهلاً في كيّفية الإستفادة منه وإجراءه في مقام العَمَل كما هو شأنه ولعلّه الىٰ هذا ينظر قول من قال أنّ العلم غير العقل فأراد بالعلم العقل النظّري وبالعقل العقل العَمَلي وقال هو غير هذا وتفصيل الكلام فيه موكول الىٰ محّلٍ آخر والّذي نقول في المقام هو أنّ العَقل النظّري يُغاير

العقل العَمَلي في الإصطلاح بعد إشتراكهما في مفهوم العقل لُغةً هذا في العَقل:

وأمّا التَّوَدُد، أعني به طلب المودّة والمحبّة فهو أيضاً يتصور على نوعين:

أحدهما: التَّودد في طريق الشّرع بمعنى أنّه كان طالباً لمودّة أهل الإيمان والفضيلة لِلإستفادة من علومهم والإستضاءة بأنوارهم المعنّوية لقوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ وأن شئت قلت التَّودد في كسب الآخرة بواسطة أهلها في الدّنيا:

وثانيهما: التَّودد في كسب الدّنيا لأجل الوصول الىٰ زخارفها ونِعمها الفانية وهذا أيضاً لا يمكن إلّا بواسطة أهل الدّنيا والتّوسل بهم فيها وهو أيضاً واضح إذا عرفت هذا فنقول:

لعلّ المراد بالعَقل في كلامه عليه السلام هو العَقل العَمَلي والنظّري معاً وبالتَّودد طَلَبُ المَوّدة من أهل الآخرة لا أهل الدّنيا وعليه فالمعنىٰ طلب المَوّدة من أهل الإيمان نصف العقل المُنقسِم الىٰ النظّري والعَمَلي أي هو العقل العَمَلي بعينه والتّعبير بالنّصف لكون العَمَلي نصف العقل ونصفه الآخر العقل النظّري ويمكن أن يكون المراد بالعقل في كلامه العقل العَمَلي فقط وكون التَّودد نصفه من حيث التّجربة الحاصلة لِلمُتَّودِد كما يقال لا أدري نصف العلم مثلاً:

﴿١٣٩﴾

□ قوله ﷺ: **أَلْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ.**

معناه أنّ الحُزن والغمّ لِلإنسان بمنزلة الآفة الّتي إذا وَصَلت اليه يَعجَزَه ويكسله وذلك لأنّ الإنسان المَهمُوم كأنّه لا إرادة له ولا قصد ولذلك ورد في الدّعاء أعُوذ بك من الهَمّ والحُزن والعَجز والكَسَل، قيل هذا الدّعاء من جوامع الكلم لِما قالوا أنواع الرّذائل ثلاثة، نفسانية وبدنية وخارجية فالهَمّ والحُزن يتّعلق بالعقلية، والجُبن بالغَضّبية والبُخل بالشّهوية والعجز والكسل بالبدنية والضّلع والغلبة بالخارجية وفي دعاءٍ آخر أعوذ بك من الهمّ والغمّ والحُزن قيل في الفرق بينهما أنّ الهَمّ قبل نزول الأمر ويطّرد النّوم والغمّ بعد نزول الأمر ويجلب النّوم والحُزن الأسف علىٰ ما فات وخُشونة في النّفس لما يحصل منها من الغمّ وكيف كان فالهَمّ هو الهِرَم الّذي يرد علىٰ الإنسان من خارج البَدن وقد يعبّر عنه بالهِرَم الغير الطّبيعي لكونه مستلزماً له فهو إذاً قسمٌ من أسباب الهِرَم كالنّصف له فإستعار ﷺ له لفظ النّصف بَحسب التّقريب والتّقدير في العبارة الْهَمُّ كالنِصف من الْهَرَم لا أنّه نصفه واقعاً وذلك ترىٰ الإنسان الشّاب قد تتّرتب عليه آثار الهِرَم من العجز والكسل والضّعف وأمثالها لما وَرَدت عليه الهُمُوم وبالعكس بالعكس:

١٤٠

□ قوله ﷺ: **يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلىٰ قَدْرِ المُصِيبَةِ. ومَنْ ضَرَبَ يَدَهُ علىٰ فَخِذِهِ عِنْدَ مُصيبَةٍ حَبِطَ عَمَلُهُ.**

وقد مرّ الكلام في الصّبر وبيان ماهيّته ومَدحه وأقسامه غير مرّة ولا سيّما عند قوله ﷺ فأنّ الصّبر من الإيمان بمنزلة الرّأس من الجَسَد (كلام ٧٩) وفي قوله ﷺ: (**يَنْزِلُ**) إشارة الىٰ أنّ الصّبر من المواهب الإلٰهيّة الّتي تنزل عن مقام ربّوبيّته علىٰ عباده علىٰ حَسَب إستعداد العبد علىٰ قدر المُصيبة الواردة عليه والسّر فيه هو أنّ المُصيبة من عنده تعالىٰ فيلزم أن يكون الصّبر عليها أيضاً من عنده فلو لم ينزل الصّبر علىٰ قدر المُصيبة يلزم التّكليف بما لا يطاق وهو ظلمٌ لقوله تعالىٰ: ﴿**لايُكَلِّفُ اللّهَ نَفْساً إلاّ وُسْعَهَا**﴾[1] ألا ترىٰ أنّ المصائب الواردة علىٰ الأنبياء والأوصياء ثمّ الأولياء أشدّ وأعظَم منها علىٰ غيرهم وهكذا الصّبر فيهم أقوىٰ منه في غيرهم فَمن يقدر علىٰ تحمّل المصائب الواردة علىٰ الحُسين بن علّي ﷺ من غير المعصومين ثمّ من يقدَر علىٰ الصّبر عليها وهكذا وأمّا قوله ﷺ **ومَنْ ضَرَبَ يَدَهُ علىٰ فَخِذِهِ**الىٰ آخر الكلام ففيه إشارة الىٰ أنّ المؤمن ينبغي أن يكون صابراً عند البلاء وما ذكره ﷺ: **ومَنْ ضَرَبَ يَدَهُ علىٰ فَخِذِهِ**، أدنىٰ ما ينافي الصبّر فهو من قبيل قوله تعالىٰ: ﴿**ولا تقل لهما أفٍّ**﴾، أي إذا

١- البقره - ٢٨٦

كان ضرب اليَد على الفخذ يُنافي الصّبر فما ظّنك بالأقوال والأعمال الشّنيعة الّتي قد تتّفق بالنسّبة الىٰ بعض الجُهّال وحيث إنّا قد تكلّمنا فيه غير مرّةٍ فلا نعيد الكلام فيه في المقام حذراً من الإطناب وكيف لا يصبر الإنسان وهـو لا يقدر علىٰ ردّقضاء اللّه تعالىٰ ولذلك قال المعصُوم عليه السلام **إصبر تُؤجر فإنّك أن لم تصبر لَم تؤجر ولَم تَرّد قضاءاللّه عزّوجلّ** ولذلك يقال إنّ العَقل السّليم يحكم بلزوم الصّبر...

١٤١

□ **قوله ﷺ: كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيامِه إلَّا الظَّمأُ. وَكَمْ مِنْ قائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيامِه إلَّا السَّهَرُ والعَناءُ. حَبَّذَا نَوْمَ الأَكْياسِ وإفْطَارُهُمْ...**

وذلك مثل صوم أكثر الصّائمين والقائمين باللّيل من المُسلمين مِمّن لا يوجد في صومهم ولا في صلوتهم ما قرّره الشّرع فإنّ الصّائم إذا لم يُراع في صَومه ولا في صلوته الشّرائط المُقرّرة في الشّريعة المُطّهرة لا جرم ليس لِصَومه إلّا الظّمأ والعَطَش ولا من قيامه باللّيل إلّا السّهر وهو النّوم المُعّبر عنه باليَقظَة ونحن قد تكلّمنا في الصّوم والصّلوة وبيّنا أقسام الصّوم مفّصلاً وهكذا في الصّلوة والآثار المُترتّبة عليها في المُجّلد الأوّل «خطبة ١١٠» وأمّا قوله ﷺ **حَبَّذَا نَوْمَ الأَكْياسِ وإفْطَارُهُمْ** فالمراد بهذا الكلام إنّه إذا دار الأمر بين الصّوم الّذي لا يترّتب عليه إلّا الظّمأ والصّلوة الّتي لا يترّتب عليها إلّا السّهر فالإفطار مكان الصّوم والنّوم مكان الصّلوة في اللّيل أوّلىٰ ففي هذا الكلام أفاد ﷺ أمَرين:

أحدهما: إنّ المراد بالصّوم والصّلوة في كلامه ﷺ ليس الواجب منهما بل المراد الصّوم والصّلوة علىٰ وجه النّدب والإستحباب والدّليل علىٰ ما ذكرناه أمران:

الأوّل إنّ الصّوم والصّلوة إذا كانا واجبين لابدّ لِلمُكّلف من الإتيان بهما علىٰ أيّ نحوٍ كانا وبعبارةٍ أُخرىٰ كانت الشّرائط المُقّررة في الشّريعة فيهما موجودة

لِيَتَّرتب عليهما الأثر المطلوب أولا فعلىٰ الأوّل ينتفع المُكَلّف بهما ويَتَّقرب الىٰ اللّه فيكونَ الصّوم له جُنّة من النّار، والصّلٰوة ناهية عن الفَحشاء والمُنكر، ووسيلة للتَّقرب الىٰ اللّه تعالىٰ وغيرهما من الآثار، وعلىٰ الثّاني يسقط التّكليف بهما ولا غير وكيف كان لا يجوز له تركهما بأن يفطر بَدَل الصّوم وينام بَدَل الصّلٰوة وهذا مِمّا لاشّك فيه سِواء كان المُكلّف فَطِناً كَيّساً أم لا يكون كذلك:

الثّاني إنّ قوله ﷺ **لَيْسَ لَهُ منْ قِيامِه إلّا السّهر**، قرينة علىٰ إرادة الصّلٰوة المَندوبة أعنىٰ بها الصّلٰوة في اللّيل الّتي لا شَك في إستحبابها وذلك لإنّه لا صلٰوة لنا في اللّيل تنافي النّوم وأمّا صلوة المغرب والعِشاء فَليست كذلك لإنّها قبل النّوم وإذا أُريد بالصّلٰوة ما ذكرناه فالصّوم أيضاً مثلها في الحُكم لا معنىٰ لإرادة الوجوب من الصّوم وإرادة النّدب من الصّلٰوة في كلام واحدٍ مُضافاً الىٰ ما ذكرناه في الوجه الأوّل من إنّه لا مَحيص لِلمُكلّف من الإتيان بهما في فرض الوُجوب فثبت وتحقّق إنّ ما ذكره ﷺ إنّما هو في المَندوب منهما ومن غيرهما من الحَج والجِهاد.

وثانيهما: إنّ قوله ﷺ **حبّذا نوم الأكياس** الىٰ آخر الكلام فهو صحيح في صُورة الدَّوران لا مُطلقاً وذلك لإنّه لا معنىٰ عقلاً وشرعاً لِقولنا إنّ الإفطار خير من الصّوم والنّوم خير من القيام باللّيل كما هو ظاهر العِبارة في باديء النّظر وهو ظاهر بل الصّحيح هو أن يقال إنّه اذا دار الأمر بين الصّوم والصّلٰوة الفاسدين الباطلين اللّذين لا يترتّب علىٰ وجودهما الأثر الشّرعي والعقلي، وتركهما فَالتَرك أَولىٰ من الفِعل عقلاً علىٰ هذا الفَرض إذ في فِعلهما مشّقة ليست في تركهما والمَفروض إنّه لا أَثَر لهما وإنّما خصّ ﷺ هذا أي تَرك الصّوم والصّلٰوة كذلك، بالأكياس وقال ﷺ: **حَبّذَا نَوْمَ الأَكْياسَ وإفْطَارُهُمْ** ولم يقُل حبّذا نوم النّاس مثلاً لِنُكتةٍ خَفّية وهي إنّ غير الأكياس من النّاس لا يتّوجه الىٰ هذا بل يظّن إنّ الصّوم والصّلٰوة علىٰ كلّ حالٍ أولىٰ من تركهما وهكذا في الحجّ

والجَهاد والمَندوبين فإنّ الجاهِل كثيراً ما يكون كذلك وهذا بِخَلاف الأكياس أعني بهم المؤمنين العارفين اللّذين نَومهم أفضل من عبادة الجاهل والىٰ هذا المعنىٰ يُشير ما وَرَد في بعض الأخبار فإنّ المَلاك كلّ المَلاك في مقام العَبودية هو المَعرفة بالأحكام ومحصّل الكلام إنّ إفطار المؤمن الكّيس أفَضل من صَوم الجاهِل الّذي لا يترتّب علىٰ صَومه إلّا الظّمأ كما إنّ نَومه أَفَضل من قِيامه باللّيل لأجل الصّلٰوة الّتي لا يترتّب عليها إلّا السّهر لا إنّ نوم المؤمن الكّيس أَفضل من القِيام باللّيل والإفطار أَفَضل من الصّوم علىٰ وجه الإطلاق فإنّ ضرورة المَذهب والعَقل علىٰ خِلافه:

١٤٢

□ قوله عليه السلام: سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بالصَّدَقَةِ وحَصِّنُوا أمْوَالَكُمْ بالزَّكوةِ وإدْفَعُوا أمْوَاجَ البَلاَءِ بالدُّعاءِ...

قوله عليه السلام: سُوسُو بضم السّين أمرٌ من ساسَ يسُوس مثل قال يقول والمفرد منه (سُسُ) علىٰ وزن (قُل) وهو مأخوذ من السّياسة وهـي حِـفظ الشّـئ بـما يحوطه من غيره وعليه فالمعنىٰ إحفِظوا إيمانكم بالصّدقة الخ وقد مرّ الكلام فيه وفي أخَويه ومع ذلك نُشير الىٰ بعض ما ورد فيها أمّا الصَّدقة، فقد روي في البِحار بأسناده عن علّيٍ عليه السلام قال قال - رسول اللّـه صلى الله عليه وآله قـراءة القُـرآن فـي الصّلوة أفضَل من قراءة القُرآن في غـير الصّـلوة وذكـر اللّـه أَفـضل مـن الصّدقة والصّدقة أفضَل من الصّوم والصّوم جُنّة انتهىٰ...

وبأسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال - إنّ العَبد إذا مات قالت الملائكة ما قدّم وقال النّاس ما أخّر فقدّموا فَضلاً يكُن لكم ولا تؤخّروا كلاّ يكُن عليكم فإنّ المَحروم من حَرَم خير ماله والمغبُوط من ثقل بـالصّدقات والخَـيرات موازينه وأَحسن في الجنّة بها مهاده وطيّب علىٰ الصّراط بها مَسلكه انتهىٰ...

وفي الخَبر المناهي قال النّبي صلى الله عليه وآله ألا ومن تصّدق بِصَدقةٍ فلَه بوزن كلّ دِرهم مثل جبل أُحد من نَعيم الجنّة انتهىٰ...

وبأسناده عن إسماعيل بن يسار قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول -أيّاكم والكَسَل إنّ ربّكم رحيم يشكر القليل إنّ الرّجل لِيصلّي الرّكعتين تطّوعاً يريد

بهما وجه اللّه عزّ وجلّ فَيَدخله اللّه به الجنّة وإنّه لِيتصّدق بالدّرهم تطوّعاً يريد به وجه اللّه فيدخله اللّه به الجنّة وإنّه لِيصوم اليوم تطوّعاً يريد به وجه اللّه فَيدخله اللّه به الجنّة انتهىٰ...

وبأسناده قال رسُول اللّه ﷺ داوُوا مَرضاكُم بالصّدقة والأخبار كثيرة «ج ٢٠ ص ٣٠»...

وأمّا قوله ﷺ أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكٰوةِ فالتّحصين التّطهير والمراد بالزّكٰوة القدر المُخرج من المال بطريق الشّرع ومن المعلوم إنّ الزّكٰوة تحصّن المال وتطّهرها عن الأوساخ:

روي في الوسائل بأسناده عن أبي الحَسن موسىٰ بن جعفر ﷺ قال - حَصِنّوا أموالكم بالزّكٰوة انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي جعفر قال ﷺ - لا يَسأل اللّه عَبداً عن صلٰوة بعد الفَريضة ولا عن صَدَقةٍ بعد الزّكٰوة...

وبأسناده قال رسول اللّه ﷺ - الزّكٰوة نَسَخت كلّ صَدَقة وغُسل الجّنابة نَسَخ كلّ غُسلٍ انتهىٰ...

وبأسناده قال رسُول اللّه ﷺ - داوُوا مَرضاكُم بالصّدقة وحَصِنّوا أموالكُم بالزّكٰوة انتهىٰ....

وبأسناده قال رسول اللّه ﷺ سُوسُوا إيمانكم بالصّدقة وحَصِنّوا أموالكُم بالزّكٰوة وأدفعُوا أمواج البلاء بالدُّعاء انتهىٰ« ج ۶ ص ۶»...

وأمّا قوله ﷺ: وإدْفَعُوا أَمْوَاجَ البَلاَءِ بالدُّعاءِ.قال اللّه تعالىٰ:﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (١)

و: ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢)

و: ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادىٰ مِنْ قَبْلُ فَأسْتَجَبْنَا لَه فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَه مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٣)

---

١ - البقرة -١٨۶

٢- الأعراف -۵۶

٣- الأنبياء -٧۶

و : ﴿وَاَيُّوبَ اِذْ نادىٰ رَبَّهُ اَنّى مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَاَنْتَ اَرْحَمُ الرّاحِمينَ فَاسْتَجَبْنا لَه فَكَشَفْنا ما بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ (١)

روي في البحار بأسناده عن الرّضا عليه السلام عن آبائه قال رسول الله صلى الله عليه وآله - الدُّعاء سلاح المؤمن وعماد الدّين ونور السّموات والأرض انتهىٰ...

وبأسناده عن الصّادق عليه السلام عن أبيه قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله داوُوا مَرضاكُم بالصّدقة وأدفِعُوا أبواب البَلاء بالدُّعاء وحَصّنُوا أموالكُم بالزّكوٰة فإنّه ما يُصاد ما تصيد من الطّير إلّا تضييعهم التّبيح انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال - الدُّعاء يرّد القضاء بعد ما أبْرم إبراماً فأكثر من الدُّعاء فإنّه مفتاح كلّ رحمةٍ ونجاح كلّ حاجةٍ ولا ينال ما عند اللّه إلّا بالدُّعاء وليس باب يكثر قرعه إلّا يوشك أن يُفتَح لِصاحبه انتهىٰ...

وعنه عليه السلام إنّ الدُّعاء كهف الإجابة كما إنّ السّحاب كهف المَطر، وعن أبي الحَسن موسىٰ عليه السلام قال - عليكم بالدُّعاء فإنّ الدُّعاء والطّلبة الىٰ اللّه عزّ وجلّ يرّد البلاء وقد قدّر وقضىٰ فلم يبق إلّا إمضائه فإذا دُعي اللّه وسُئِل صرف البلاء صرفاً انتهىٰ...

وقال الصّادق عليه السلام - عليك بالدُّعاء فإنّ فيه شفاء من كلّ داءٍ« بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٥ الىٰ ص ٣٧»...

ومن أراد الإطّلاع علىٰ أكثر ممّا ذكرناه فَعليه بالبحار: ولنعم ما قيل:

يا مَن يَرىٰ ما في الضّمير ويَسمعُ ... أنتَ المُعدّ لكلّ ما يتوقّع
يا مَن يُرجّىٰ لِلشّدائد كلّها ... يا مَن اليه المُشتكىٰ والمَفزع
يا مَن خَزائن رِزقه في قول كُن ... أُمنُن فإنّ الخَير عندك أُجَمع
مالي سوىٰ فقري اليك وسيلةٌ ... والإفتِقار اليك فَقري أَدَفع
مالي سوىٰ قَرعي لِبابك حيلةٌ ... فَلأن رُدِدتَ فأيُّ بابٍ أَقَرع
ومَن الّذي أَدعُوا وأَهتفُ بإسمه ... إن كان فَضلك عن فقيرك يمنع

١- الأنبياء-٨٣

حاشا لِجُودك أن تَقْنِط عاصِياً ... الفَضل أَجَزل والمواهب أَوَسع
ثـمّ الصّـلوة عـلىٰ النّـبي وآله ... خَير الأنام ومن ومن به يتشّفعُ

وقال الآخر:

يـا خـالق الخَـلق يـا ربّ العِـباد ومَـن
قـد قـال فـي مـحكم التّـنزيل أدعُـوني
إنّـي دَعَـوتك مُـضطراً فَـخُذ بِـيَدي
يـا جـاعِل الأمـر بـين الكـاف والنّـون
نَـجّيتَ أيّـوبَ مـن بَـلواه حـين دَعـا
بـصبر أيّـوب يـا ذا اللّـطف نَـجّيني
وأطـلق صـراحـي وأُمنُن بـالخلاص كـما
نـجّيتَ مـن ظُـلمات البَـحر ذا النُّـون

وقال الآخر:

يـا ربّ مـا زال لطـفٌ مـنك يشـملني
وقـد تـجّدد بـي مـا أنـت تَـعلمه
فأصـرفه عـنّي كـما عـودّتني كَـرَماً
فَـمَن سِـواك لِـهذا العَـبد يـرحـمه

ومن كلامه عليه السلام (١٤٣)

لكُمَيْل بن زياد النّخعي

قال كُمَيْلُ بنُ زِياد ، أَخَذَ بِيَدِي أميرَ الْمُؤمنينَ عليَّ بنُ أبي طالِبِ عليه السلام فأخْرَجَني إلىٰ الجَبّانِ فلمّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعَداءَ ثُمَّ قالَ:

□ يا كُمَيْلُ إنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُها أوْعاهَ. فإحْفَظْ عَنِّي ما أقُولُ لَكَ.النَّاسُ ثَلاثَةٌ.فَعالِمٌ رَبَّانِيٌّ، ومُتعَلِّمٌ علىٰ سَبِيلِ النّجاة (نَجَاةٍ) .وَهَمَجٌ رَعَاع أتْباعُ كلِّ ناعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كلِّ رِيحٍ .لمْ يَسْتضيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ولمْ يَلْجأُوا إلىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ.

يا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ منَ الْمَالِ. الْعِلْم يَحْرُسُكَ وأنْتَ تَحْرُسُ المَالَ، المَالُ تَنْقُصُهُ النَّفقَةُ والْعِلْمُ يَزْكُوا عَلىٰ الإنْفاقِ وصَنِيعُ المَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ، يا كُمَيْلُ الْعِلْمُ دِينٌ يُدَانُ بهِ، بهِ يكْسِبُ الإنسَانَ الطَّاعةَ في حَياتِهِ وَجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفاتِهِ .والْعِلْمُ حاكِمٌ والمَالُ مَحكُومٌ عَليهَ، يا كُمَيْل هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وهُمْ أحْياءُ والْعُلمَاءُ باقُونَ ما بَقِي الدَّهْرَ أعْيانُهُمْ مَفْقُودةٌ .وَأمْثَالُهمْ في الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ.ها إنّ ههنا لِعَلْماً جَماً (وأشَارَ إلىٰ صدره) لوْ أَصَبْتُ لهُ حَمْلةً، بَلىٰ أصَبْتُ لِقَناً غَيرَ مَأمُونٍ عليهِ مُسْتَعْمِلاً آلةَ الدِّين لِلدُّنيا ومُسْتَظْهِراً بِنعمِ اللّهِ علىٰ عِبَادِهِ وبِحُجَجِهِ علىٰ أَوْلِيَائِهِ أوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الحَقِّ لا بصيرَةَ لَهُ في أحْنائِهِ يَنْقَدِحُ الشَّكَ في قَلْبِهِ لأَوّلِ عَارِضٍ منْ شُبهَةٍ .أَلا لا ذَا ولا ذَاكَ أَوْ مَنْهُوماً باللَّذَّةِ سلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ أوْ مُغْرَماً بالجَمْعِ والادِّخارِ لَيْسا منْ رُعاةِ الدِّينِ في شَيْ

.أقْرَبُ شَيْ شَبَهاً بِهِمَا. الأَنْعامُ السَّائِمَةُ كَذَلِكَ يمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حامِلِيهِاللَّهُمَّ بَلىٰ لا تَخْلُوالأَرْضُ منْ قائِمٍ لِلّٰهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً أَوْ خائِفاً مَغْمُوراً.لِئَلاَّ تَبْطُلَ حجَج اللّهِ وبَيناتُهُ وَكَمْ ذَا وأيْنَ أُولَئِكَ.أُولَئِكَ واللّٰهِ الأَقَلُّونط عَدَداً والأَعْظَمُونَ قَدْراً. يَحْفَظُ اللّٰهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّناتِهِ حتّىٰ يُودِعُوها نُظَرَائَهُمْ وَيَزْرَعُوها في قُلُوبِ أَشْباهِهِمْ .هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ علىٰ حَقِيقَةِالبَصِيرَةِ وباشَرُوا رُوحَ اليَقِينِ واسْتَلاَنُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مَنْهُ الْجَاهِلُونَ وَصحِبُوا الدُّنْيا بأَبْدَانٍ أَرْواحُها مُعَلَّقَةٌ بالمَحَلِّ الأَعْلىٰ .أُولَئِكَ خُلفاءُ اللّٰهِ في أَرْضِهِ والدُّعاةُ إِلىٰ دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إِلىٰ رُؤْيَتِهِمْ. إنْصَرِفْ إذا شِئتَ...

◁ اللّغة

(**الجَبَّانِ**) كالجَبّانة بفتح الجيم والباء المشدّدة المقبَرَة (**أَصْحَرَ**) صار في الصّحراء (**تَنَفَّسَ الصُّعَداءَ**) بضمّ الصّاد وفتح العين أي تنّفس تنّفساً ممدوداً طويلاً (**أَوْعِيَةٌ**) بفتح الألف وسكون الواو وكسر العين جمع وِعاء وهو الإناء وما أشبهه (**أَوْعاهَا**) أي أشدّها حِفظاً (**هَمَجٌ**) محرّكة الحُمقىٰ من النّاس (**رَعَاعٍ**) بفتح الرّاء الأحداث الطّغام الّذين لا منزلة لهم في النّاس (**ناعِقٍ**) بكسر العين مجازٌ عن الدّاعي الىٰ باطلٍ أو حقّ، (**وَثِيقٍ**) بفتح الواو المُحكم (**يَزْكُوا**) أي يَنمُوا (**خُزَّانُ**) بضمّ الخاء وتشديد الزّاء جَمع خازِن مثل حُرّاس جمع حارس (**حَمْلَةً**) بالتّحريك جمع حامِل مثل قَتَلة جمع قاتِل (**لَقِناً**) اللّقِن بفتح اللّام وكسر القاف من يفهم بسُرعةٍ (**مُنْقَاداً**) المُنقاد بضمّ الميم المُطيع المُقلَّد الّذي لا بصيرة له (**أَحْنائِهِ**) بفتح الألف جوانبه ومفردها حِنو (**مَنْهُوماً**) المَنهُوم المُفرط في شهوة الطّعام (**سِلسَ الْقِيَادِ**) سَهلةَ (**مُغْرَماً**) بضمّ الميم بمعنىٰ المُولِع (**إدِّخارِ**) بكسر الألف والدّال المشّددة يقال إدّخر المال إذا إكتنَزَه الإدّخار الإكتناز (**رُعاةِ**) بضمّ الرّاء جمع راعي كالهُداة جمع هادي (**السَّائِمَةُ**)الّتي ترسل لتَرعىٰ من غير أن تعلف (**مَغْمُوراً**)أي مستُوراً (**اسْتَلاَنُوا**) أي عَدّوا الشّيْ ليّناً

(اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ) يقال إستَعوَرَه أي عدّه خشناً وَعَراً والمُترفُونَ أهْل التّرف والنّعم والباقي واضح:

◁ الشّرح

قالَ كُمَيْلُ بْنُ زِياد وهو منَ أعاظِم أصحاب علّي عليه السلام ومقامه عنده عظيم ومنزلته رفيعة وبالجملة هو أشهر من أن يُوصَف وقد قيل أنّه كانَ من أصحاب سِّره وكيف كان هو الّذي روىٰ الدّعاء المشهور بدعاء كُميل عن علّيٍ عليه السلام وقد وفّقنا اللّه تعالىٰ لشرحه بالفارسية علىٰ سبيل الإيجاز، قتله الحجّاج بن يوسف الثّقفي علىٰ التّشيع كغيره من الشّيعة وقد مضىٰ منَ سِنّه تسعون سنة وقيل أكثر أو أقلّ ولا يهمّنا البحث فيه وقد قالوا أنّه أدرك النّبي صلى الله عليه وآله وكان من أصحابه وعليه فكان عُمره أكثر من تسعين حين شهادته وذلك لأنّه إستشّهد سنة (٨٢) هجري علىٰ المشهُور فلو كان عمره حين وفاة الرّسُول صلى الله عليه وآله ثمانية عشر سنة كما قالوا فلا مُحالة يزيد عُمره علىٰ التسّعين واللّه أعلم بحقائق الأمور ثمّ أنّه قال أخذَ بيدي أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني الىٰ الجبّان أي المَقبَرة أو الصّحراء علىٰ إختلاف فيه فلمّا أصحَرَ أي صار في الصّحراء تنفّس الصُّعداء أي تنّفس تنفّساً ممدوداً طويلاً ثمّ قال يا كُميل أنْ هذه القلوب أوعِية الىٰ آخر الكلام:

▫ **قوله عليه السلام: يا كُمَيْلُ إنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرَها أَوْعاهَا. فاحْفَظْ عَنّي ما أَقُولُ لَكَ...**

القلوب جمع قَلب وهو بفتح القاف مَصدر قولك قَلب قَلباً وقَلب الشّئ تصريفه وصرفه عن وجهٍ الىٰ وجهٍ كقلب الثّوب والإنقلاب الإنصراف وقَلبٌ الإنسان قيل سُمّي به لكثرة تقلّبه فأنّه ينقلب دائماً من وجهٍ الىٰ وجهٍ ولا يثبت بحالٍ وهو يطلق في الإنسان علىٰ معنيين:

أحدهما: اللّحم الصّنو بري المتّشكل المودّع في الجانب الأيسر من الصَّدر

وهو لحمٌ مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التّجويف دَمٌ أسوَد وهو مَنبَع الرّوح ومعدنه وهذا المعنىٰ من القلب موجود للبهائم أيضاً بل للميّت:

وثانيهما: أنّه لطيفةٌ ربّانية روحانيّة لها بهذا القلب العنصري تعلّقٌ وتلك اللّطيفة هي المعبّر عنها بالقلب تارةً وبالنّفس أُخرىٰ وبالرّوح أُخرىٰ وبالإنسان أيضاً وهو المُدرك العالم العارف وهو المخاطب والمطالَب والمُعاقَب وله علاقة مع القلب الجَسَّدي وقد تحيّر أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته وأنّ تعلّقه به هل يُضاهي تعلّق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالمَوصوفات أو تعلّق المُستعمل لِلآلة بالآلة، أو تعلّق المتّمكن بالمكان وشبه ذلك وهذا المعنىٰ أعني الثّاني من المَعنيين هو المراد منه في الآيات والأخبار بل وجميع موارد التّخاطب والإستعمالات فأنّ اللّحم الصّنوبري لا يليق بالخطاب أصلاً وهذا أعني اللّطيفة الرّبانية هي المراد في كلامه ﷺ: **إنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ أوْعِيَةٌ** وذلك لأنّ الأوعية جمع الوعاء وهو الإناء ومن المعلوم أنّ اللّحم الصّنوبري لا يكون وعاءً لشيٍ من المعقولات والمَسمُوعات:

ثُمّ أنّ قوله ﷺ: **إنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ أوْعِيَةٌ**، يمكن حمله علىٰ التّشبيه ويمكن حَمله علىٰ الحقيقة، فعلىٰ الأوّل معنىٰ العبارة أنّ هذه القلُوب كالأوعية فحَذف كاف التّشبيه وحُمل المشبّه به علىٰ المُشبّه فقيل أنّه هو مبالغة في الإدّعاء نحو زيدٌ أسدٌ وزيد عَدلٌ، حيث أنّ التّقدير في الأوّل زيد كالأسد إلّا أنّه لكثرة شجاعته كأنّه صار نفس الأسد فقيل هو هو، وفي الثّاني حُمل الوَصف عليه وذلك لأنّه من كثرة عدالته صار نفس العَدل فقيل هو هو نفسه إدّعاءً فتارةً يحمل المشبه به علىٰ المُشبّه بعد حذف أداة التّشبيه وأُخرىٰ يُحمل علىٰ المَوصوف وهو من مُحسّنات علم البلاغة كما قرّر في محلّه هذا بناءً علىٰ الإستعارة والمَجاز:

ويمكن حَمل الكلام علىٰ الحقيقة وذلك لأنّ الأناء أي الظّرف لا إختصاص له بالظّرف المُصطلح عند العُرف بل له معنىٰ وسيع يشمل المحسوس

والمعقول وعليه فظرف كلّ شئ بحسبه فأن كان المظروف من المعنّويات المعقّولات فظرفه كذلك وإن كان من المادّيات نظير الماء والغذاء وأمثالهما فَظَرفه أيضاً منها فقوله ﷺ: **إنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ أوْعِيَةٌ**، معناه أنّها ظروفٌ وأناءٌ للمعقُولات حقيقةٌ فعلىٰ هذا لا مجاز في الكلام أصلاً هذا:

وكيف كان أفاد ﷺ: **إنَّ هذِهِ الْقُلُوبَ** أعني بها اللّطائف الرّبانية ومنابع إدراكات الحقائق المعنّوية أوعية وظروف لها فَخيرها أي خير القلُوب أوَعاها أي أوَسَعها أو أحَفظها فأنّ الأوعىٰ أفعل التّفضيل من الوعاء ومن المعلوم أنّ شأن الظّرف حفظ المظروف وإلّا فالظّرف ليس بظَرفٍ واقعاً والقلب هكذا فكلّ قلب كان أوَسَع لضبط الحقائق والمُدرَكات وأحفَظها عن النّسيان والفرار فهو أولىٰ وأَصلَح وأنَفع ولذلك قال ﷺ: **فاْحْفَظْ عَنّي مَا أقُولُ لَكَ** أي إذا كان خير القلُوب أوعاها وأحَفَظها فأحفظ عنّي ما أقول لك ليكون قلبك خير القلُوب:

▫ **قوله ﷺ: النَّاسُ ثلاثَةٌ، فَعالِمٌ رَبَّانِيّ، ومُتعَلَّمٌ علىٰ سَبيلِ نَجَاةٍ، وهَمَجٌ رَعَاء أتْباعُ كلّ ناعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كلِّ رِيحٍ .لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلمِ ولمْ يَلْجأُوا إلىٰ رُكنٍ وَثِيقٍ...**

قَسّم ﷺ النَّاسَ علىٰ ثلاثَةُ أقسام ولا رابع لها وذلك لأنّ الحصر يرجع الىٰ الحصر العقلي الدّائر بين النّفس والإثبات ففي الحقيقة قسّم النّاس علىٰ قسمين عقلّيين فكأنّه قال النّاس علىٰ قسمين، عالم ربّاني وغير عالم كذلك، وهذا حصرٌ عقلي لأنّ الإنسان أمّا عالم أو ليس بعالم ولا ثالث في البَيِّن إذ لا واسطة بين النّفي والإثبات واقعاً وذلك لأنّ العلم وعَدَم العلم مُتناقضان فأنّ نَقيض كلّ شئٍ رفعه فنقيض العالم عَدم العالم ولا يمكن جمعها ولا رفعهما لإستحالة إجتماع النّقيضين وإرتفاعهما ومن المعلوم أنّ وجود الثّالث أعني مَن لا يتّصف بالعلم ولا بعَدمه يُوجب إرتفاع النّقيضين وهو محال إذا عرفت هذا فنقول:

صورة القّضية في الأصل هكذا أثنان عالم وغير عالم ثُمّ أنّ غير العالم أيضاً علىٰ قسمين مُتعلمٌ وهَمَجٌ أمّا الحصر الأوّل فَمعلوم إذ الإنسان لا يخلو من العلم وعَدمه وأمّا الثّاني فلأنّ الإنسان إذا لم يكن عالماً فهو أمّا بصدد التّعلم أو لا فأن كان فهو المتّعلم وإلّا فهو هَمَجٌ إذ لا نعني بالهَمَج إلّا من كان غير عالم أو متّعلمٌ ثُمّ أنّ العالم والمتّعلم ممدوحان في العقل والشّرع وأمّا الثّالث فمذمُومٌ فقوله ﷺ: **عالم رَبَّانِيٌ** إشارة الىٰ أنّ العالم المُطلَق لَيس بمَمدُوح بل المَمدُوح هو العالم الرّباني أعني به المُتّألِه العارف باللّه الزّاهد في الدّنيا والرّاغب الىٰ الآخرة فأنّ العلم إذا لم يكن سبباً ووسيلة للوصول الىٰ الخَيرات والفَوز الىٰ الدّرجات والتّقرُب الىٰ اللّه تعالىٰ فلا خَير فيه أصلاً والحقّ أنّ عَدمه أوَلىٰ من وجوده وقد مَرّ الكلام فيه مُفصّلاً غير مرّةٍ.

وقوله ﷺ: **ومُتَعَلِّمٌ علىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ**.الظّاهر أنّ قوله علىٰ سبيل نجاةٍ قيدٌ وَوَصفٌ للمتّعلم كما أنّ الرّباني وصفٌ وقيدٌ لِلعالم فالمعنىٰ أنّ المُتّعلم علىٰ إطلاقه ليس بمَمدُوح بل المَمدُوح منه هو الّذي كان تَعلّمه في طريق النّجاة اذ لولا كذلك لكان حقّ العبارة أن يقال عالِمٌ ومتّعلمٌ وحيث لم يقل هذا فالمقصُود ما ذكرناه والسّر فيه هو أنّ الهَمَج داخلٍ في العالم والمُتّعلم المُطلَقين خارج عن المُقيّدين وهو يظهر بالتّأمل:

ثُمّ أنّه بيّن موارد القَدح في القسم الثّالث وذكر منها أربعة، أحدها أنّهم أتباع كلّ ناعقٍ أي أنّهم يتّبعُون كلّ داعٍ الىٰ حقٍّ أو باطلٍ لعَدم تَميزهم الحقّ عن الباطل ضرورة أنّ تَشخيص الدّاعي اليهما فرعٌ علىٰ تشخيص أصلهما فمن لم يعرفهما كيف يقدر علىٰ معرفة الدّاعي اليهما:

وثانيها: قوله ﷺ **يَمِيلُونَ مَعَ كلِّ رِيحٍ** وهو كناية عن عَدم قوامهم بأنفسهم وإعتمادهم علىٰ أرائهم وعقائدهم وأنّما مثَلُهم مثل النّباتات والأشجار في ميلها ومُتابعتها للرّياح العاصفة ففي الكلام تَشبيه وإستعارة:

وثالثها: عَدم إستضائتهم بنور العلم والمعرفة وبقائهم علىٰ جهلهم

وغوايتهم وضلالتهم الىٰ آخر حَياتهم:

ورابعها: عَدم إلجائهم وإعتمادهم في دينهم ودنياهم الىٰ رُكنٍ وَثيقٍ فهذه الصّفات الأربعة المذمُومة التّي هي أساس الشّقاوة والخَباثة والإنحراف عن طريق الحقّ صيّرتهم هَمَج رَعاء وجَعَلتهم من الحُمقاء والسّفهاء الّذين لا يعلمون الحُر من البَرّ وهذا الصّنف من أشباه النّاس في الحقيقة من الأحداث والبّليات الإجتّماعية كيف لا ومَرَض الجَهل والحَماقة لا دواء له وقد فَرَّ منهم الأنبياء والأوصياء والعُلماء في كلّ عهدٍ وزمانٍ فرار الذّئب من السّبع أُولئك كالأنعام بل هُم أضَلّ سبيلاً نعوذ بالله من شرورهم ونحن قد تكلّمنا في أوصاف الثّلاثة فيَ تضاعيف الكتاب ولا نحتاج الىٰ التّكرار.

□ **قوله ﷺ: يا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ منَ الْمَالِ الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وأنْتَ تَحْرُسُ المَالَ.المَالَ تَنْقُصُهُ النَّفقَةُ والْعِلْمُ يَزْكُو علىٰ الإنْفاقِ وصَنِيعُ المَالِ يَزُولُ بِزَوالِهِ...**

إستَدل ﷺ علىٰ كون العلم خيراً من المال بأُمورٍ ثلاثة كلّها من البّديهيات فضلاً عن المَعقُولات:

أحدها: أنّ العلم يحرس صاحبه عن الخَطرات والآفات في الدّنيا والآخرة وأمّا المال فأنت تَحرسه من الآفة والتّلف وهو ظاهر.

وثانيها: أنّ المال ينقص بالإنفاق والعلم يزكُوا ويَنمُوا به وهو أيضاً ظاهر.

وثالثها: أنّ صنيع المال أي مَصنُوعه يزول بزواله وأمّا صنيع العلم فيبقىٰ ما بقي العلم ألا ترىٰ أنّ من كان صَنيعاً لك مُتَحَبباً اليك لِمالِك زال ما تراه منه بزوال مالِك وهكذا بل نقول أنّ جميع الأبنية والعمارات حالها كذلك وأمّا الكُتب العلّمية فهي باقية دائماً ومُلّخصه أنّ الباقي بالعلم يبقىٰ والباقي بالمال يفنىٰ كما ستَعرف الحال فيه:

□ **قوله ﷺ: يا كُمَيْلُ الْعِلْمُ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يكْسِبُ الإنسَانُ الطَّاعةَ في حَياتِهِ وجَمِيلَ الأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفاتِه...**

قالوا في معنىٰ العبارة أنّ العلم أشبه شيءٍ بالدّين يُوجب علىٰ المُتّدينين طاعة صاحبه في حياته والثّناء عليه بعد مَوته وقال الشّارح المُعتزلي ما لفظه تَقديره معرفة فضل العلم أو شَرف العلم أو وجوب العِلْمُ دِينٌ يُدَانُ بـهِ أي المعرفة بذلك من أمر الدِّين أي ركنٌ من أركان الدّين واجبٌ مفروضٌ انتهىٰ.

وأمّا الشّارح البحراني فقال أي كون معرفة العلم وتَحصيله دِيناً يُدان به وقد علمت كونه الأصل في الدّين انتهىٰ.

وأنا أقول الدِّين بكسر الدّال يُطلق علىٰ معانٍ:

أحدها: الطّاعة ومنه قوله تعالىٰ: **﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾**[(١)] و قوله:**﴿وَلاَ يَدِينُونَ دِينِ الْحَقِّ﴾**[(٢)] أي لا يُطيعونه طاعة الحقّ.

وثانيها: الجزاء ومنه قوله تعالىٰ: **﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**[(٣)]

وثالثها: التّوحيد أي معرفة اللّه ومنه قوله تعالىٰ: **﴿ألا لِلّه الدّين الخالص﴾** أي توحيده.

وَرابعَها: الحساب المُستقيم ومنه قوله تعالىٰ: **﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾**[(٤)]

وخامسها: الحُكم، ومنه قوله تعالىٰ: **﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾**[(٥)] أي في حُكمه الّذي حَكم به علىٰ الزّاني.

وسادسها: السّياسة ومنها قوله تعالىٰ: **﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾**[(٦)] أي غير مملوكين من دانَ السّلطان الرّعية إذا ساسَهم إذا عرفت هذا فنقول:

يمكن حَمل الدّين في كلامه ﷺ علىٰ المعنىٰ الأوّل وهو الطّاعة وعليه فالمعنىٰ أنّ العلم طاعة يُطاع به ضرورة أنّ الطّاعة الحقيقية لا يحصل إلّا به إطلاقاً لإسم المُسّبب علىٰ السّبب فأنّ العلم سبب لها لا نفسها ويمكن حَمل الكلام علىٰ المعنىٰ الثّاني أي أنّ العلم جزاء يُجزىٰ به أي أنّه سبب ووسيلة للجزاء يوم القيامة فهو أيضاً من إطلاق المُسّبب علىٰ السّبب، ويمكن حَمله

١- النحل ـ ٥٢
٢- التوبه ـ ٢٩
٣- الفاتحه - ٤
٤- التّوبه ـ ٢٦
٥- النّور ـ ٢
٦-الواقعه ـ ٨٦

على المعنى الثّالث وهو التّوحيد والمعرفة من حيث أنّه سبب ووسيلة له لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[1] وهو أيضاً من إطلاق المُسَبب على السَّبب، وهكذا البواقي بالتّقريب الّذي ذكرناه وعليه فالكلام خَرج مَخرج الإستعارة وأمّا قوله ﷺ به يكسب الإنسان الطّاعة في حياته فهو واضح لا خفاء فيه بل لا يمكن كسب الطّاعة الحقّيقيته إلّا به كما أنّه لا يمكن كسبُ جَميل الأُحدوثة بعد الوفاة إلّا به أيضاً والأمر الأوّل يحصل بسبب المَعرفة وهي لا تَحصل إلّا بالعلم ومن المعلوم أنّ الطّاعة متفرعة عليها ينتج أنّ الطّاعة لا تحصل إلّا به وهو المطلوب وأمّا الأمر الثّاني أعني به جميل الأُحدوثة بعد الوَفاة فلأنّ الجَميل من الذّكر بعد المَوت لا يكون إلّا بسبب الأعمال الصّالحة الّتي أتى بها في حياته من الكُتب المُؤلّفة والأبنية المُفيدة كالمَسجد والقَنطرة والمُستشفى وغيرها من الخَيرات ولا شَك في أنّ هذه الأعمال تَوَقف على المَعرفة وهي على العلم فَينتج أنّ جميل الأُحدوثة بعد الوَفاة يتوقف على العلم وهو المطلوب:

□ **قوله ﷺ: والْعِلْمُ حاكِمٌ والمَالُ مَحكُومٌ عليه...**

قالوا في شرح العبارة أنّ المقصُود من هذا الكلام هو أنّه بالعلم يحكُم على المال في كيفية إنفاقه وذلك لِعلمك بأنّ المصلحة في إنفاق هذا المال مثلاً أو لا فالعِلم بالمَصلحة داعٍ وبالمضرة صارفٌ، قاله الشّارح المُعتزلي أقول ما ذكره لا بأس به ولكن في المقام إحتمال آخر في شرح الكلام هو أولى وأحسن ممّا ذَكره وحاصله أن يكون المراد بكون العِلم حاكماً بقائه ودوامه وبكون المال محكُوماً عليه زواله وفنائه وعليه فالمعنى أنّ العلم حاكم بأنّ المال يُفنى ويَزول وهو نفسه لا يَفنى ولا يَزول بمَوت صاحبه فهو أي العلم صار حاكماً والمال صار محكُوماً عليه بالفَناء وهذا الحُكم ببركة العِلم وعليه فَمن إتّصف بالعلم يبقى ببقائه كما أنّ المتّصف بالمال والثّروة يفنى بفنائة وزواله:

١-الفاطر-٢٨.

ويمكن أن يكون المراد بكونه حاكماً أنّ العُلماء حُكّام علىٰ النّاس والأغنياء محكُوم عليهم وذلك لأنّه لا شَرف ولا فَضيلة أحَسن من شرف العلم فمن إتّصف به فهو أيضاً أشَرف النّاس وأفضَلهم وهذا ممّا لا كلام فيه ومن المعلوم أنّ كون العالم حاكماً أنّما هو ببَركة علمه فالعِلم في الحقيقة هو الحاكم لا زيد وعمرو مثلاً وأمّا المال وصاحبه فَدائماً يكون في النّاس مَحكُوماً عليه إذ لا يكون صاحب المال في العقل حاكماً آمراً علىٰ العالم بل العالم يكون حاكماً عليه وهو أيضاً لا خفاء فيه:

▫ **قوله ﷺ: ياكُمَيْل هَلَكَ خُزّانُ الأَمْوَالِ وهُمْ أحَياءُ والْعُلَماءُ باقُونَ مَا بَقيَ الدَّهْرُ أعْيانُهُمْ مَفْقُودَةٌ .وأمْثالُهُمْ في الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ...**

أقول هذا الكلام منه ﷺ يفسّر كلام سابقه فكأنّه قيل له ﷺ وكيف يكون العلم حاكماً والمال محكُوماً عليه فقال لأنّ خُزّان الأموال قد هَلَكوا وهُم أحياءٌ في الدّنيا وأمّا العُلماء فأنهم باقُون ما بقي الدَّهْرُ أعْيانُهُمْ أي أعيان العُلماء وذواتهم مَفقُودة في الدّنيا لأنّهم قد ماتوا وأمثالهم في القلُوب أي في قلُوب النّاس موجودة فكأنّهم لَم يَمُوتوا وفي المقام أشار ﷺ الىٰ أصلين:

أحدهما: أنّ خُزّان الأموال قد هَلَكُوا وهُم أحياء.

وثانيهما: أنّ العُلماء باقُون ما بقي الدّهر الىٰ آخر الكلام أمّا الأصل الأوّل فالمراد بالهَلاك هو الهَلاك في الآخرة أو الهَلاك فيها وفي الدّنيا مَعاً وأنّما قال ﷺ: **هَلَك خُزّان الأموال** ولَم يَقل هَلَك أرباب الأموال مثلاً لأنّ المذمُوم في العقل والشّرع هو كنز المال وعدم إنفاقه في سبيل اللّه ومن كان كذلك فهو قد هَلَك وأمّا صاحب المال اذا لَم يَكن كذلك بأن يكون مُراعياً العَقل والشّرع فيه فهُو لا يَهلك والدّليل علىٰ ما ذَكره ﷺ من العَقل والنّقل أمّا العقل فلأنّه بحكم بقبح إدّخار المال وإكتنازه والمفروض أنّه يَمُوت ويبقىٰ المال في الدّنيا وللدّنيا وذلك لأنّ الإنسان لا يخلو حاله من وجهين، أمّا أنّه من أهل الدّنيا ولا يقول بالآخرة أصلاً، وأمّا أنّه يقول بالآخرة ويعتقدها ففي الصُّورة الأُولىٰ ينبغي له

صرف المال في الدّنيا والتّعيش به فيها وكَسب الشّهرة بإنفاقه وبالجُملة الإلتذاذ بماله حتّى الإمكان إذ لا فائدة في جمعه وكنزه مع علم الإنسان بمَوته لا مُحالة وحاصله أنّ العَقل يَحكم بقُبح هذا العَمَل وهو واضح جدّاً:

وأمّا إذا كان من أهل الآخرة فالأمر فيه أوضَح وحُكم العَقل بقُبحه أشنَع فهو في كلا الحالين محكُوم عَقلاً هالِكٌ قَطعاً، وأمّا النّقل فلقوله تعالىٰ: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** (١) فقد ثَبت عَقلاً وشَرعاً أنّ خُزّان الأموال قد هَلَكوا في الدّارين إذ لا نعني بالهَلاك إلّا الوِزر والوِبال والخُسران وهو كذلك:

وأمّا قوله عليه السلام: **وهُم أحياء**، الواو للحال أي والحال أنّهم أحياءٌ بحَسب الظّاهر فأنّ الحَياة الدّنيا بظاهرها لا تُنافي الهَلاك واقعاً وذلك لأنّ الهَلاك أن أردنا به الخسران والوِبال كما مَرَّ فيمكن أن يكون الإنسان حيّاً في الدّنيا وهو في الخسران والضّرر وأن أردنا به المَوت كما هو المُتّعارف عند العامّة يقال هَلَك الرّجل إذا مات، قال اللّه تعالىٰ: **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاّ وَجْهَهُ﴾** (٢) فَعَليه نقول المَوت علىٰ قسمين، أحدهما المَوت الحقّيقي العُرْفي وهو يتحقق بفراق الرّوح عن الجَسد، وثانيهما المَوت بمعنىٰ عَدم ترّتب الأثار علىٰ وجوده لأنّ الموجود إذا لم يتّرتب علىٰ وجوده أثر فكأنّه مَيّتٌ بين الأحياء وأن لم يُفارق روحه جَسده ولأجل ذلك يقال العُلماء أحياء والجهّال أموات، وعليه فالمعنىٰ أنّ خُزّان الأموال وأن كانوا بظاهرهم من الأحياء حيث يأكلون ويَشربُون ويتّمتعُون فيها إلّا أنّهم في الواقع من الأموات حيث أنّهم لا أثر لهم من آثار الحياة ولا تنافي حياتهم الظّاهرية موتَهم الواقّعية فهُم في حياتهم من الأموات ومحصّل الكلام هو أنّ الأموات تطلق علىٰ الأحياء الّذين هم كالأنعام فقوله عليه السلام هَلَك، بمعنىٰ ماتَ، لا إشكال فيه وقد أطلق النّظامي الأموات علىٰ الأحياء

١ - التّوبة ـ ٣٤ و ٣٥
٢ - القصص ـ ٨٨

وبالعكس حيث قال بالفارسية:

زنده دِلی در صف افسرده گان | رفت بــــهمسايگی مُـــردگان
حرف فنا خواند زهر لَوح خاك | رُوح بقا جُست زهر رُوح پاك
كـار شـناسی پـی تـفتيش حـال | كرد از او بر سـر راهـی سؤال
كاين همة از زنده رَميدن چرا | رخت سُوی مُرده كشـيدن چـرا
گــفت پـليدان بـمغاك انـدرند | زنده دِلان درتـه خـاك انـدرّند
هــمدمی زنــده دهــد زنـدگی | صحبت بـا مُـرده دِل افسـردگی
زير گِل آنان كه بتَن خـفتهانـد | گر چه به تن مُرده بدل زندهاند

وأمّا قوله ﷺ: **والعلماء باقون ما بقي الدّهر**، فالمراد بالبقاء بقاء آثارهم الباقية بعد موتهم وأمّا قوله ما بقي الدّهر، فالسّر فيه هو أنّ علّة بقائهم هي عـلمهم والعلم لا يموت أصلاً ما بقي الدّهر وذلك لأنّ أبناء الزّمان في كلّ عصر الىٰ آخر الدّنيا يحتاجون الىٰ العلم إذ بدون العلم لا يمكن لهم إدامة الحياة.

وإذا كان العلم باقياً فالعلماء باقون لأنّ العلم بقاءه ببقاء حامله وأمّا مع قطع النّظر عن حامله المتّصف به فلا وجود له في الخارج إذ هو من الأعراض وقد ثبت أنّ وجود العرض في الخارج وجوده لموضوعه كـما أنّ العَـرض مـثل البياض وجوده خارجاً وجود معروضه بحسب المصداق وأن لم يكن هو هو بحسب المفهوم والواقع، فَلو لَم يكن في الخـارج جسـم مـوجود لم يكـن للبياض في الخارج وجود والعلم من الأعراض سـواء قـلنا بأنّـه مـن مـقولة الإضافة أم لا فأنّ الإضافة أيضاً من العَرض فقوله ﷺ: **ما بقي الدّهر** قد ظهر وجهه وبما ذكرناه أيضاً ظهر لك وجه التّعبير بقوله ﷺ: **العُلماء باقُون** حيث لم يقل العلُوم باقية ما بقي الدّهر، للزومه وجود العَرض بدون وجود مَوضوعه وهو محالٌ فإفهم:

وحيث أنّ لقائل أن يقول كيف يكون ذلك وقد نرىٰ مَوت العُلماء كغيرهم، فقال ﷺ: **أعيانهم مفقُودة** أي أنّ المقصُود ببقائهم ما بـقي الدّهـر ليس بـقاء

أعيانهم وأبدانهم فأنّها كغيرها من الأجساد في العالم في جريان المَوت عليها بل المقصُود من البقاء في حقّهم بقاء أرواحهم وأمثالهم في قلُوب النّاس وقد ثَبت أنْ شيْئية الشّئ بصُورته لا بمادته فالجَسَد العُنصري لا دَخل له في الإنسانية وحقيقتها وأنّما هو مركبٌ للإنسان وحقيقة الإنسان هي نفسه النّاطقة التّي هي كالصُّورة للبَدن المادّي فقوله ﷺ: **أمثالهم** إمّا المراد بها صُورهم المثّالية وإمّا المراد بها صُورهم الذّهنية المتّصورة لِمن رأهم في الدّنيا:

العِلم أنفَس شئٍ أنت داخرُه
مَن يدرس العلم لم تَدرس مفاخرُه
أقَبل علىٰ العِلم وإستَقبل مقاصده
فأوّل العلم إقبالٌ وآخره

▫ **قوله ﷺ: إنّ هٰهُنا لَعِلْماً جَمّاً (وأشَارَ إلىٰ صَدره) لوْ أصَبْتُ لهُ حَمْلةً...**

قوله ﷺ: (**جَمّاً**) بفتح الجيم وتشديد الميم أي كثيراً قال اللّه تعالىٰ: ﴿**وتحبّون المال حُبّاً جَمّاً**﴾ أي كثيراً وهو مأخوذ من جمّة الماء أي مُعظمه ومجتمعه الّذي جَمّ فيه الماء عن السَّيلان، والحَمْلةُ، بالتّحريك جمع حامل، والمعنىٰ أنّه ﷺ أشَارَ إلىٰ صَدره الشّريف وقال أنّ هٰيهنا أي في صدري لَعِلماً جَمّاً أي كثيراً ثُمّ قلا لوْ أصَبْتُ لهُ حَمْلةً، كلمة (لوْ) للشّرط وجوابها محذوف أي لأظهرته والإصابة الوِجدان أي لو وجدت لعلمي هذا من حَمْلة لأظهرته له أوَلهُم فأنّ العالم إذا وجد من يستّحقه وجَب عَليه تعليمه.

▫ **قوله ﷺ: بَلىٰ أصَبْتُ لِقناً غَيرَ مأمُونٍ عليهِ مُستَعْمِلاً آلةَ الدِّينِ لِلدّنْيا، ومُسْتَظهِراً بِنَعمِ اللّٰهِ علىٰ عِبَادِهِ وبِحُجَجِهِ علىٰ أوْلِيَائِهِ. أوْ مُنْقَاداً لِحَمَلَةِ الحقِّ لا بَصيرَةَ لهُ في أحْنائِهِ إلىٰ قوله بمَوت حامليه...**

أي بلىٰ أصَبْتُ من حَمَلة العِلم أربعة أقسام من أصناف النّاس:

الأوّل: أهلُ الرّياء والسُّمعة الّذين يظهرون الدّين والعلم ومقصُودهم الدّنيا فَجَعلُوا العلم والدّين آلتين لصَيد الدّنيا فأنّ اللّقِن بفتح اللاّم وكسر القاف هو

سريع الفهم إلّا أنّ العِلم لا يطبع أخلاقه على الفضائل فهو يستعمل وسائل الدّين لجلب الدّنيا ويستَعين بِنَعم اللّه على إيذاء عباده ولذلك وَصَف اللّقِن بكونه غير مأمونٍ عليه لأنّه خائن بعلمه مستعملٌ أيّاه للوصُول الى مقاصده الدّنيوية والى هذا القسم أشار بقوله بلى أصَبتُ لَقِناً الى قوله على أوليائه:

الثّاني: قومٌ من أهل الحقّ والخَير في ظاهر أحوالهم إلّا أنّهم ليسوا بذوي بَصيرة في الأُمور لكونهم مقّلدين في القول والعَمل فيُخاف من إفشاء السّر اليهم دخول الشّك في قلوبهم لاقلّ شُبهةٍ حَصَلت لهم والى هذا القسم أشار بقوله أو مُنقاداً لحَمَلة الحقّ الى قوله من شُبهةٍ إلّا لا ذا ولا ذاك:

الثّالث: صاحب اللّذات مُشتَهراً بقضاء الشّهَوة مُنهمكاً في بحار المَعصية واليه أشار بقوله **أوْ مَنْهُوماً باللَّذَّةِ سلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةَ** فهو أيضاً لا يَصلح:

الرّابع: المُغرم المُولع بجمع الأموال وإكتنازها لا يُنفقها في شَهواته ولا في غيرها بل هو حريص على الجَمع فقط ومن المعلوم أنّ هذين القسمين أعني بهما المنهُوم باللّذة والمُغرم بكسب المال ليسا من رعاة الدّين في شئٍ بل أقَرب شئٍ شَبَهاً بهما أي بالقَسمين الأنعام السّائمة، شبّه عليه السلام الأنعام بهما لا هما بالأنعام مشّعراً بأنّهما أحطّ درجةً وأسَقَطُ منزلةً عند العَقل من البهائم وذلك لأنّ البهائم لم تسقط عن منزلتها التّي أُعدّت لها وأمّا هُما فقد سَقطا وإختارا الأدنى على الأعلى ثُمّ قال عليه السلام كذلك يَمُوت العلم بمَوت حامليه أي أنّ العالم إذا لَم يَجد حَمَلةً لِعلمَه ثُمّ مات فمات العلم قطعاً بمَوت صاحبه لما قلنا أنّ العلم من حيث أنّه من الأعراض القائمة بالغير لا وجود لها إستقلالاً وحيث أنّه ذكر عليه السلام في المقام أنّ في صدره لَعِلماً جَمّاً أردنا أن نذكر بعض ما وَرد في علمه عليه السلام ثُمّ نشرح بقّية الخُطبة فنقول:

روي في البحار بأسناده عن ابن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام **قال أيّها النّاس أنّ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أسَّر الَيّ ألف حديث في كلّ حديثٍ ألف باب لكلّ بابٍ ألف مفتاح الخَبر...**

وبأسناده عن بعض أصحابه عليه السلام أنّه قال سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول أنّ في صدري هذا العِلما جَمّاً علمّمنيه رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ولو أَجدُله حَفَظة يرعُونه حقّ رعايته ويَروُونه عنّي كما يسمعُونه منّي إذاً لأودعتهم بعضه فعلم به كثيراً من العلم أنّ العلم مفتاح كلّ باب وكلّ بابٍ يفتح ألف باب انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أوصىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم الىٰ عليّ بألف باب كلّ باب يفتح ألف باب انتهىٰ...

وبأسناده عن عباية بن ربعي قال كان أمير المؤمنين كثيراً ما يقول سلوني قبل أن تَفقدوني فواللّه ما من أرضٍ مُخصبة ولا مُجدبة ولا فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلّا وأنا أعلم قائدها وسائقها وناعقها الىٰ يوم القيامة انتهىٰ...

وبأسناده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أقضىٰ أُمّتي وأعلم أُمّتي بعدي عليّ انتهىٰ...

وبأسناده عن زرارة قال كنتُ عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل الكوفة سَله عن قول أمير المؤمنين عليه السلام سَلُوني عمّا شئتم ولا تسألوني عن شئٍ إلّا أنبأتكم به. فقال أنّه ليسَ أحَد عنده علم إلّا خرج من عند أمير المؤمنين فَليَذهب النّاس حيث شاءوا فَواللّه ليأتيهم الأمر من هيٰهنا وأشار بيده الىٰ المدينة انتهىٰ...

وبأسناده عن عمرو بن أبي المقدام يرفعه الىٰ أمير المؤمنين قال لو ثنيّت لي وسادة لَحَكمتُ بين أهل القرآن بالقرآن حتّىٰ يزهر الىٰ اللّه ولَحكمتُ بين أهل التّوراة بالتّوراة حتّىٰ يَزهَر الىٰ اللّه ولحكمتُ بين أهل الإنجيل بالإنجيل حتّىٰ يزهر الىٰ اللّه ولحكمتُ بين أهل الزّبور بالزّبور حتّىٰ يزهر الىٰ اللّه ولولا آية في كتاب اللّه لأنبأتكم بما يكون حتّىٰ تقوم السّاعة انتهىٰ...

أقول الآية المُشار اليها قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَه أُمُّ

الْكِتابِ﴾[1] كما وَرد في روايةٍ أُخرىٰ وحيث أنّا قد تكلّمنا في عِلمِه عند قوله سلوني قبل أن تفقدوني وفي شرح الخُطبة الشّقشقية عند بحثنا في علم الإمام وغيرهما من المواضع فلنقتصر علىٰ ما رويناه في المقام فأنّ المدّعىٰ ثابتٌ عند المخالف فضلاً عن الموافق والأحاديث المرّوية رويناها عن البحار البحار ج ٩ ص ٤٥٦ ط كمپانى.

▫ **قوله ﷺ: اللّٰهُمَّ بَلىٰ لا تَخْلُو الأَرْضُ منْ قائِمٍ لِلّٰهِ بحُجَّةٍ .إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً أَوْ خائِفاً مَغْمُوراً لِئَلاَ تَبْطُلَ حُجَجِ اللّٰهِ وَبَيناتُهُ...**

الحُجَّة بضمّ الحاء وفتح الجيم المشدّدة في الأصل الدّلالة المُبيّنة لِلمَحُجَّة، أي المقصد المُستقيم والّذي يقتضي صِحَة أحد النّقيضين كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبالِغَةُ﴾**[2]

و: **﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّٰهِ حُجَّة﴾**[3]

و: **﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَٰهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾**[4] والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ بحكمته البالغَة جَعَل في الأرض حُجَّة أي دلالة مُبيّنة علىٰ المقصَد المستقيم لعباده إلّا أنّ الحُجَّة تارةً تكون مَعَ النّاس في الظّاهر وأُخرىٰ مَعهم في الباطن وذلك لئَلا تبطل حُجَج اللّه وبيّناته ففي هذا الكلام إشارة الىٰ أُمور ثلاثة:

الأوّل، أنّ الأرض لا تخلو منها أبداً، **والثانى،** كونها في الظّاهر أو في الخفاء، **والثّالث،** عدم تعطيل حُجَج اللّه وبيّناته:

أمّا الأمر الأوّل: أعني أنّ الأرض لا تخلو من الحُجَّة أبداً فهو مؤيد بالعقل والنّقل:

أمّا العقل: فحاصله أنّ اللّه تعالىٰ خَلق الخَلق غنيّاً عن طاعتهم آمناً من معصيتهم لأنّه لا تنفعه طاعة مَن أطاعه كما لا تضّره مَعصية من عصاه ولكنّه تعالىٰ رؤوف بعباده عالمٌ بمصالحهم خبيرٌ حكيمٌ بجميع ما يحتاج اليه العبد

١-الرعد- ٣٩
٢- الأنعام-١٤٩
٣- النّساء-١٦٥
٤- الأنعام-٨٣

في أمر دنياه وآخرته وحيث أنّ العبد عاجزٌ عن درك مصالحه ومفاسده غير قادرٍ على جلب منافعه الدّنيوية والأُخرَوية فإقتضت حكمته بمقتضى عَدله أن يتّم نِعَمه على عباده تجعل لهم في كلّ عَصرٍ وزمانٍ حُجّةً بالغةً كاملةً وأمَر العباد بإتّباع الحجّة ونهاهم عن المخالفة ليكون له تعالى على النّاس حُجّة كما قال تعالى: ﴿**قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾ ولا يكون لِلنّاس عليه حُجّة كما قال: ﴿**لئلا يكون لِلنّاس عليكم حجّة**﴾ وذلك لأنّه تعالى لو لم يفعل ذلك لكان ظالماً على عباده وأيّ ظلم أشنَع وأقبَح من خلق المخلوق لأجل الوصول الى الكمالات وتركهم وإهمالهم على ما كانوا عليه من الغي والضّلالة وعدم إرشادهم الى ما هو بصلاحهم في الدّنيا والآخرة ولأجل هذا ذهب المتكلّمون الى أنّ وجود الحُجّة لطفٌ من اللّه على عباده فأوجبُوها من باب قاعدة اللُّطف ومَعَ ذلك لم يُجبر عباده على إطاعة الحُجّة بل جَعلهم مُختارين في الطّاعة والعصيان لئلا تبطل به قاعدة الإختيار التّي عليها بُني أساس الشّرائع في التّكاليف فقال: ﴿**إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إمَّا شَاكِراً وإمَّا كَفُوراً**﴾(١) وقال:﴿**وَمَن شَكر فأنّما يَشكر لنفسه ومَن كَفر فأنّ ربّي غنّيٌ كريم**﴾(٢)

وأمّا النّقل فمُضافاً الى الآيات الدّالة على لزوم الحجّة المُشار الى بعضها في صدر المَبحث الأخبار:

منها ـ ما رواه في الكافي (باب أنّ الأرض لا تخلو من حُجّة) بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال ما زالت الأرض إلّا ولِلّه فيها الحُجّة يعرّف الحلال والحرام ويدعو النّاس الى سبيل اللّه انتهى...

ومنها ما رواه بأسناده عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه قال اللّهم أنّك لا تخلو أرضك من حُجّةٍ لك على خَلقك انتهى...

إذا عَرفت معنى الحُجّة ولزُومها عَقلاً ونَقلاً فإعلم أنّ المراد بها في لسان الآيات والأخبار هو الإنسان الكامل الصّالح لِلإرشاد المُؤيّد من عند اللّه

١- الإنسان-٣ ٢- النّمل-٤٠

المَعصُوم من الذّنب والعصيان والإنحراف المُعبّر عنه تارةً بالرّسُول وأُخرىٰ بالإمام فالرّسُول حُجّة في حياته علىٰ الكُلّ والإمام حُجّة علىٰ الخَلق بَعده وذلك لأنّ الحُجّة لا تقوم لِللّه علىٰ خَلقه بعد الرّسُول إلّا بالإمام المَوصُوف بصّفات الرّسُول عند الرّسالة ويدّل عليه ما رواه في الكافي عَن العَبد الصّالح عليه السلام قال أنّ الحُجّة لا تقوم لِللّه علىٰ خَلقه إلّا بإمامٍ حَيٍّ يعرف انتهىٰ...

وعن الرّضا عليه السلام قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام أنّ الحُجّة لا تقوم لِللّه عزّ وجلّ علىٰ خلقه إلّا بإمامٍ حيٍّ يعرف انتهىٰ...

قال المجلسي رحمه الله في مرآة العقُول عند شرحه لهذه الأحاديث ما هذا لفظه...

الحُجّة، البّرهان، والمراد بها هنا الإمام عليه السلام اذ به تقوم حُجّة اللّه علىٰ الخَلق انتهىٰ:

فقد روي في الكافي بأسناده عن الحُسين بن أبي العلاء عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قلت له تبقىٰ الأرض بغير إمامٍ قال عليه السلام وبأسناده عن أبي بصير عن أحدهما قال أنّ اللّه عزّ وجلّ لَم يَدَع الأرض بغير إمامٍ ولولا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل انتهىٰ وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أنّ اللّه أجلّ وأعَظم من أن يترك الأرض بغير إمامٍ عادلٍ انتهىٰ والأحاديث كثيرة، أُصول الكافي باب الحُجّة...

أقول يظهر من كلامه عليه السلام في المقام حيث قال اللّهم بلىٰ لا تَخلو الأرض الخ، أنّ وجود الحُجّة في الأرض ممّا لا مَحيص عنه تَشريعاً وتَكويناً وبعبارةٍ أُخرىٰ الحُجّة لازمة واجبة علىٰ كلّ حال سواءٌ إستضاء النّاس بنُورها في أُمور دِينه أم لا فلو فَرضنا ترك النّاس بأجمعهم الرّسُول أو الإمام مثلاً لا يلزم منه عَدم خَلقه وذلك لأنّ نفع الحُجّة لا يختّص بالتّشريع فقط بل هي نافعة لِلتّكوين أيضاً والىٰ هذه الدّقيقة أشار عليه السلام بقوله لا تخلو الأرض حيث لم يَقل لا تخلو النّاس وذلك لأنّ وجود الحُجّة نافعٌ لِلأرض ومَن عليها علىٰ كلّ حالٍ بحيث لو لم تكن الحُجّة فيها لا بَقاء للمَوجودات عليها والىٰ هذا المعنىٰ يُشير

ما ورد في الأخبار من أنّه لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها:

روي في الكافي بأسناده عن أبي حمزة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام تبقىٰ الأرض بغير إمامٍ قال عليه السلام لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت انتهىٰ...

وبأسناده عنه عليه السلام قال لو أنّ الإمام رُفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله انتهىٰ...

وبأسناده عن ابن الفضل عن الرّضا عليه السلام قال قلت له تبقىٰ الأرض بغير إمامٍ قال عليه السلام لا قلت فأنّا يروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّها لا تبقىٰ بغير إمامٍ إلّا أن يسخط الله علىٰ أهل الأرض أو علىٰ العباد فقال عليه السلام لا لا تبقىٰ الأرض إذاً لساخت انتهىٰ، أُصول الكافي باب أنّ الأرض لا تخلو من حُجّة...

وأنت ترىٰ أنّ هذه الأحاديث تُنادي بأنّ قوام أهل الأرض عليها بوجود الحُجّة الإلٰهية وهذا هو الّذي نعبّر عنه بضرورة التّكوين كما نُعبّر عن قوام دينهم بالحُجَج بضرورة التّشريع وهذا معنىٰ قولنا أنّه ضروري الوجود تكويناً وتشريعاً وأمّا شرائط الحُجّة وأوصافها فقد مرّ الكلام فيها عند بحثنا في الرّسالة والإمامة فقد ذكرنا هناك ما يُشبعك ويُغنيك عن غير هذا الكتاب.

الأمر الثّاني: في شرح قوله عليه السلام: **إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً أَوْ خَائِفاً مَغْمُوراً** أي أنّ الحُجّة ثابتة من الله تعالىٰ منذ خَلق الله الأرض الىٰ يوم القيامة إلّا أنّ الحُجّة وهو الإمام بعد الرّسول إمّا ظاهرٌ مَشهور بين النّاس كَعلّي عليه السلام والحَسن والحُسين وعلّي بن الحُسين ومُحمّد بن علّي وجعفر بن مُحمّد ومُوسىٰ بن جعفر وعلّي بن مُوسىٰ ومُحمّد بن علّي وعلّي بن مُحمّد النّقي وحَسن بن علّي العَسكري فهؤلاء كانوا مَشهُورين ظاهرين في النّاس وهو واضح وأمّا قوله عليه السلام: أو **خائِفاً مَغمُوراً** فهو إشارة الىٰ الإمام الثّاني عَشر حُجّة بن الحَسن العَسكري عليه السلام فأنّه يكون مَغمُوراً عن أعين النّاس الىٰ يوم ظهُوره الّذي لا يَعلَمه إلّا الله تعالىٰ وقد أشار عليه السلام في كلامه هذا الىٰ أنّ الأصل في الحُجّة هو وجُوده وأمّا ظهُوره وخفائه فهو أمرٌ آخر لا ربط له بأصل الوجُود وأنّما هو

مربوط بصّلاحية الإجتماع وعَدمها وحيث أنّ البحث من أهمّ المباحث الإعتقادية فلابدّ لنا من التّكلم فيه إجمالاً فأنّ خفاء الحُجّة ممّا لا تقبله عقُول أكثر النّاس من أهل الظّواهر فنقول:

قد عرفت ممّا ذَكرناه في الأمر الأوّل أنّ وجُود الحُجّة لطفٌ من اللّه تعالىٰ علىٰ خَلقه وأنّ المراد بها هو الرّسُول في حياته والإمام بعده ولا بحث لنا فعلاً في الرّسُول والنّبي وأنّما البَحث في الحُجّة بعد الرّسُول وقد عرفت من الأحاديث المرّوية عن أهل البَيت أنّ الأرض لا تخلو من الحُجّة فلو قلنا بإختصاص الحُجّة بالرّسُول والنّبي يلزم خلّو الأرض منها بعد مَوت الرّسُول وحيث أنّ هذا القول يُنافي العَقل والنّقل فلا مُحالة نقول بوجود الحُجّة بعد الرّسُول الىٰ زماننا هذا ومن زماننا الىٰ آخر الزّمان وهذا ممّا لا شّك فيه لمن آمن باللّه وبرسُوله وأنّما الخلاف في مصداق الحُجّة بعده فنحنُ نقول الحُجّة بعد الرّسُول من عَرّفه الرّسول لِلأُمّة بأمرٍ من اللّه تعالىٰ لا من عَيّنه النّاس من قبل انفسهم فأنّ تعيين الحُجّة بيَد اللّه تعالىٰ لا بيَد غيره وذلك لأنّه لَو صحّ للنّاس كائناً من كان تعيين الحُجّة لكان تعيين الرّسُول أيضاً لهم جائز إذ لا فرق بين الرّسُول والإمام في أصل الحُجّية فلو جاز للنّاس نصبها في موردٍ لجاز أيضاً مورد آخر لوجود الملاك وحكم الأمثال واحد وإذ ليس فَلَيس.

وأمّا الخَصم فيقول بعدم لزوم التّعريف من الرّسول بل يجوز للخَلق تعيينه بعده فعلىٰ قولنا يجب النّص وعلىٰ قول الخَصم لا يجب وهذا هو الّذي صار منشأً لِلإختلاف بين الأُمّة بعد الرّسُول لا أصل وجود الإمام بعده إذ لا شّك لأحدٍ فيه أي في لزوم الإمام بعد الرّسول وحيث أنّا قد تكّلمنا في الإمامة مفصّلاً عند شرحنا للخطبة الشّقشقية فلا نعيد الكلام بذكرها ثانياً خوفاً من الإطالة وحَذَراً من المَلالة ثُمّ أنّ الإمام بعد الرّسول له جَنبتان، جَنبَة التّشريع وجَنبَة التّكوين وأن شئت قلت للإمام فائدتان، فائدة بحسب الشّرع وفائدة بحسب الكَون والوجود.

أمّا الفائدة الوجودّية فهي التّي أشرنا اليها في الأمر الأوّل وقلنا أنّ وجـود الحُجّة لطفٌ من اللّه تعالىٰ وأنّه لولاها لساخَت الأرض بأهلها.

وأمّا الفائدة بحسب الشّرع المترّتبة علىٰ وجوده فهي عبارة عن كونه مَرجعاً لِلنّاس في الأحكام الشّرعية والأخلاقية وبالجُملة في كلّ ما يتّرتب عليه كمال الإنسان في الدّنيا والآخرة وهذا الأثر أنّما يتّرتب علىٰ وجوده فـيما إذا كـان النّاس مراجعين الىٰ الإمام في أمر دينهم أو دنياهم وأمّا إذا لم يرجعُوا اليه فلا يحصل لهم هذا الأثر وهو معلوم بالضّرورة فمثل الإمام في النّاس مثل الشّمس في رابعة النّهار من حيث عموم النّفع وأمّا الخفافيش فالذّنب يرجع اليها لا الىٰ الشّمس في عدم إستضاءتها بنورها وهكذا بالنّسبة الىٰ الإنسان في جنب الإمام إذا أَحطَتَ خُبراً بما تلوناه عليك فأعلم أنّ ظهور الإمام وخفاءه يرتبط بصلاح الجامعة وعدمه فلو كان الإجتماع مستعدّين لقبول فيوضاته وبركاته المعنّوية فهو فيهم ظاهر مشهور وإلّا فلا بل يكون منزّوياً في بيته مُتلذّذاً بمناجات ربّه هذا إذا كان النّاس مُعرضين عن الإمام في دركهم الفيوضات منه وأمّا إذا كان النّاس مضافاً الىٰ ذلك مُعرضين مُعاندين له بأن لا يكون الإمام مأموناً عـلىٰ نفسه منهم فهو يغيب عنهم ويخفىٰ عن أعَينهم بحيث هو يراهم وهُم لا يَرونه وبذلك يُحقَن دَمه وعِرضه عن شرار النّاس ولأجـل ذلك قـال عليه السلام: **أوْ خائِفاً مَغْمُوراً**، أي خائِفاً علىٰ نفسه مَغمُوراً في ظلمة الغيبة والإستتار.

أن قلت، أن كان المراد بقوله عليه السلام: **إمّا ظاهِراً مَشهُوراً** هو الأئمّة الىٰ المَهدي المَوعُود وبقوله أو خائِفاً مَغمُوراً هو الإمام الثّاني عَشَر كما هو ظاهر العـبارة حيث أنّ الأئمّة غيره عليه السلام كانوا مشهورين ظاهرين في النّاس بخلافه فأنّه يكون مَغمُوراً مَستُوراً عن عيُون النّاس فَلِم خُصّ الحكُم به عليه السلام مَع أنّ الملاك كـان موجوداً في الكلّ اذ لا يمكن أن يقال أنّ أعداءه أكثر أو أشدّ مُعانداً له من أعداء أباءه المَعصُومين فكما أنّهم لم يكونوا مَغمُورين بل كانوا ظاهرين مَشهُورين في النّاس ينبغي أن يكون الإمام الثّاني عَشر أيضاً كذلك وأن كانت الوظيفة له

ﷺ كذلك دونهم فالوجه فيها غير واضح وبعبارةٍ أُخرىٰ إذا ثَبت كونهم حُجج اللّه تعالىٰ فما الدّليل علىٰ ظهورهم وخفاءه:

قلتُ، السّر فيه هو أنّ اللّه تعالىٰ قد جَعَل أمَر إصلاح النّاس وإجراء العَدل الكامل بيَده ﷺ وأمّا غيره من الأئمّة فلم يكونوا كذلك أي لم يكونوا بمأمورين لإجراء القسط والعَدل بالسّيف بل كانوا مأمورين بظواهر الشّريعة والمُماشاة مع النّاس حتّىٰ الرّسول ﷺ أيضاً كان كذلك وَلأجل ذلك ترىٰ رسُول اللّه والأئمّة بعده كانوا يحكمون بظواهر الشّرع ويتعاملون مع النّاس مُعاملة الإسلام إذا قالوا بالشّهادتين بألسنتهم وأن كانوا مُخالفين بقلُوبهم كما ترىٰ أصحاب رسُول اللّه أكثرهم كانوا من المُنافقين وهو ﷺ كان عالماً بنفاقهم ومع ذلك كان مأموراً من قِبل اللّه بالمُداراة مَعهم وهكذا الأئمّة بعده ﷺ وأمّا الإمام الثّاني عشر فهو مأمور بالواقع ومَعَه السّيف الّذي يقتل به جميع المُخالفين المُعاندين والمُنافقين واذا كان الأمر علّي هذا المنوال فالمَصلَحة تَقتضي أن يكون مستُوراً الىٰ يوم ظهُوره إذ لو كان ظاهراً قُتِل قَطعاً ومع قتله من يَملأ الأرض قسطاً وعَدلاً بعد ما مُلئت ظلماً وجَوراً والمفروض أنّه قَد جَرت سنّة اللّه به ولن تجد لسنّته تَبديلاً ومحصّل الكلام أنّ الأئمّة قبله ﷺ كلّ واحدٍ منهم قُتل خلف آخر مَكانه فالحُجّة كانت موجودة وأمّا المهدي الموعُود فلا حُجّة بعده تقوم مقامه فَبِمَوته تنقطع الحُجّة أوّلاً ولا تجري العدالة الوّاقعية التّي قضىٰ اللّه بها ثانياً ولهاتين الجهتين صار ﷺ مَغمُوراً مَستُوراً الىٰ يَوم ظهُوره:

أن قلت، فما معنىٰ قول أمير المؤمنين ﷺ: **أو خائِفاً**، فأن كان الملاك في غيبته وخفاءه هو الخوف فهو مُضافاً الىٰ أنّه ليس من شأنه ﷺ كان موجوداً في باقي الأئمّة أيضاً فَلِمَ لم يستتروا عن النّاس بالغَيبة، قلتُ ليس المراد بالخَوف الخَوف المُصطلح أي الخَوف من النّاس أو القتل بما هو هو بل المراد به الخَوف عن إنقطاع الحُجّة بقتله أو عَدَم إجراء القسط والعَدل وهذا هو الخَوف

لم يكن في غيره من الأئمّة ألا ترىٰ أنّ الحُسين عليه السلام مَع علمه بأنّه يُقتل أقْدَم علىٰ ما أقْدَم ثُمّ قُتل فلو كان الخَوف من القَتل بما هو هو موجب للمَغمُوريّة والإستتار لوجب أن يكون الحُسين عليه السلام أيضاً من المَغمُورين وهكذا أمير المُؤمنين بل جميع الأئمّة لأنّهم إمّا قُتلوا بالسّيف أو بالسّم كما قال عليه السلام **ما منّا إلّا مَسمُوم أو مقتُول**، ونحن نعتقد أنّهم كانوا عالمين بقَتلهم إلّا أنّهم عليهم السّلام لمّا رأوا حياة الدّين وبقاء الإسلام في شهادتهم إستَقبلُوا عنها فأنّ الدّين أعلىٰ وأشَرف وأفضَل من الإمام إذ الإمام مأمور بحفظه لا أنّه مأمور بحفظ الإمام، وهذا بخلاف الشّهادة في الإمام الثّاني عشر قبل غَيبته لأنّ شهادته عليه السلام كانت مضّرة بالدّين لا نافعه له اذ بها كان إنقطاع الحُجّة من سطح الأرض ولازم ذلك مَوت الأرض وأهلها كما قال الصّادق عليه السلام **لولا الحُجّة لساخَت الأرض بأهلها**، مضافاً الىٰ عدم إجراء العَدالة والقسط والجامع أنّ شهادته كانت نافية لِلغَرض الأصلي من إيجاد الخَلق وبعث الأنبياء وجَعل الشّرائع فقد ظهر لك أنّ المراد بالخَوف هو ما ذكرناه أعني الخَوف من نقض الغَرض المتّرتب علىٰ المَوت فإفهم وإغتنم به فأنّك لا تجده هذا في غير هذا الكتاب ومَع ذلك لا أقول أنّ هذا الّذي حقّقناه في معنىٰ الخَوف كان مراده عليه السلام علىٰ سبيل القَطع بل أقول هذا ما فهمته فأن كان حقّاً فله الشّكر علىٰ ما أنَعمني به وأن كان باطلاً فهو من زلأتي وخطيئاتي وأستغفر اللّه منه نعم الخَوف بمعنىٰ المُصطلح أي الخَوف من التّهلكة فهو يجري في حقّ الأئمّة كغيرهم في غير مورد الدّين لقوله تعالىٰ: ﴿ **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾ (١) والخطاب عامّ يشمل الجميع ولأجل هذا وجَبَت التَّقية، هكذا قالوا، والحقّ عندي أنّ هذا الخَوف أعني الخَوف علىٰ النّفس من الهَلَكة في حقّهم أيضاً يرجع الىٰ الخَوف علىٰ الدّين فأنّ الإمام يجب عليه حفظ نفسه حتّىٰ الإمكان من حيث أن حفظ الدّين مَنُوط بحفظ نفسه لا أنّه يحفظ نفسه لِلأكل والشّرب كما أنّ حفظ النّفس فينا كذلك

(١) البقره/ ١٩٥

وللبَحث فيه مقام آخر وحيث إنجّر البَحث الىٰ هذا المقام أحبّ أن أذكر لك بعض ما وَرَد عن المَعصُومين في علّة غَيبته عليه السلام وهي أُمور:

منها، الإمتحان والإختبار في الأُمّة كما قال تعالىٰ: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾**(١)

وقد ثَبت أنّ الإمتحان بغَيبة المَهدي عليه السلام من أشَدّ الإمتحانات كما وَرَدت الأخبار به:

ومنهاـ أنّ الإيمان بوجوده وغَيبته هو الإيمان بالغَيب الّذي وصَف اللّه المؤمن به في قوله: **﴿ذالِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلْمُتَّقينَ الَّذينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾**(٢) ولا شّك أنّ الإيمان بوجوده وغَيبته هو من مصاديق الإيمان بالغَيب فَمن لا يؤمن به لا إيمان له أصلاً:

ومنهاـ إنتظار كمال إستعداد النّاس لظهُوره فأنّ ظهُوره ليس كظهُوره غيره من الحُجج الإلٰهية ولَيس مبّنياً علىٰ الأسباب الظّاهرية والعادية وسيرته عليه السلام أيضاً غير سيرتهم حيث أنّها فيه عليه السلام مَبنّيةٌ علىٰ الوّاقعيات ورفض التّقية وعدم التّسامح في الأُمور الدّينية فهو عليه السلام شديدٌ علىٰ العُمّال شديدٌ علىٰ أهل المعاصي وحصُول هذه الأُمور في الإجتماع محتاج الىٰ حصُول إستعدادٍ خاصّ لأهل العالم حتّىٰ يستّعدوا لقبُول تعليماته العالية ولعلّه الىٰ هذا المعنىٰ يُشير ما وَرد عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه قال أفَضل أعمال أُمّتي إنتظار الفَرج، أي أفَضل أعمال أُمّتي إستعدادها وتَهيّؤها لظهُور الفَرَج لا ما يَفهمه العُرف العَوام من حمل الإنتظار علىٰ المعنىٰ اللّغوي:

ومنها ـ الخَوف عن القَتل وهذا هو الّذي أشار عليه السلام اليه بقوله أو **خائفاً مَغمُوراً** فأنّ الأخبار الواردة في الباب تَشهَد به ولنُشر الىٰ شطرٍ منها:

روي الشّيخ ١ في غَيبته بأسناده عن زرارة قال عليه السلام **أنّ للقائم غَيبة قبل ظهُوره قلتُ لِمَ قال عليه السلام يخاف القَتل انتهىٰ« منتخب الأثر ص ٢٦٩»**...

١- العنكبوت ـ٢

٢-البقره ـ ٢/٣

وفي غَيبة النّعماني بأسناده عن زَرارة قال سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول أنّ للقائم غَيبة ويَجحده أهله قلتُ ولِمَ ذلك قال عليه السلام يخاف وأوماً بيَده الىٰ بطنه انتهىٰ...

وبأسناده عن عبد الملك بن أعين قال سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول أنّ للقائم عليه السلام غَيبة قبل أن يقوم قلتُ لِمَ قال عليه السلام يخاف وأوماً الىٰ بطنه، يعني القَتل.

وبأسناده عن زرارة قال - سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إنّ لِلقائم غيبة قبل أن يقوم قلتُ ولِمَ ذلك قال إنّه يخاف وأومَأ بيده الىٰ بَطنه، يعني القتل والأحاديث بهذه المَضامين كثيرة «ص ١٧٧»...

فقد ظهر لك إنّ قول أمير المؤمنين عليه السلام في المقام أو خائِفاً مَغموراً) أصلٌ يُعتمد عليه في باب الغَيبة إلّا أنّ المراد من الخَوف ما ذكرناه أو غيره والله العالم...

الأمر الثّالث: في شرح قوله عليه السلام: لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجِ اللَّهِ وَبيناتُهُ:

والمقصود والله العالم بِحَقائق الأمور، هو إنّه لو كان المَهدي عليه السلام ظاهِراً مشهوراً كَغَيره من الأئمّة لَكان مَقتولاً لا مَحالة بيد الأعداء كما قُتل من كان قبله من الأئمّة ولو كان الأمر كذلك لَبَطلت حُجج اللّه وبيّناته بقتله لإنّه خاتم الأوصياء ولا وصّي بعده لِينتَقل الأمر اليه بعد قَتله وهو موجب لِنقض الغَرض وهَدم المَقصد من بعث الرّسُل وإنزال الكُتب وهذا الّذي ذكره عليه السلام في المقام يُؤيد ما إحتملناه في معنىٰ الخَوف في الأمر الثّاني بل هو هو بَعينه من حيث المعنىٰ وذلك لإنّه لمّا قال عليه السلام: **أَوْ خائِفاً مَغْمُوراً**، فكأنّه قيل له لِمَ كان خَوفه عليه السلام من القَتل موجِباً لَغَيبته وقد كان هذا المَلاك أعني الخَوف من القَتل مَوجوداً ثابتاً في حقّ غيره من الأئمّة أيضاً فقال عليه السلام في الجواب ما حاصله إنّ الخَوف فيه عليه السلام صار مُوجباً لِلغَيبة لئلا تَبطُل حُجج اللّه وبيّناته بقتله وأمّا غيره من الأئمّة المعصُومين فلا إذ قَتلهم عليهم السّلام لم يكن مُوجباً لابطال حُجج اللّه وبيّناته لِوجود الحجّة بعد كلّ واحدٍ منهم هذا ما فهمناه من العِبارة.

▫ **قوله ﷺ: وكَمْ ذَا وأَيْنَ أُولَئِكَ. أُولَئِكَ واللّهِ الأَقلُّونَ عَدَداً والأَعْظَمُونَ قَدْراً...**

أي وكَمَ ذا الخَوف المُوجب لِلإستتار من حيث المُدّة فهو إستبطاءٌ منه ﷺ لِمُدّة غَيبة صاحب الأمر وتَبَرّؤٌ من إمتداد دَولة أعداءه، وأمّا قوله وَأين أُولئك أي أين أُولئك الحُجج ولعلّه أراد بهم الأئمّة بعده وهم عَشرة أو هُم والإمام المُنتظر فيكون عددهم أَحَد عَشر ثمّ قال ﷺ: **أُولَئِكَ واللّهِ الأَقلُّونَ عَدَداً**، أي إنّهم أقلّون بالنّسبة الىٰ غَيرهم من أفراد النّاس لإنّ عددهم لا يتجاوز إثني عَشَر أو أَحَد عَشر بعده ﷺ وفي قوله **والأعظمون قَدراً** إشارة الىٰ علّو مقامهم ورِفعة شأنهم عند اللّه تعالىٰ فهُم الأقلّون من حيث العَدد والأعظمون من حيث القَدر والمَنزلة:

▫ **قوله ﷺ: يَحْفَظُ اللّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبيِّناتِهِ حتّىٰ يُودِعُوها نُظَرَائهُمْ ويَزْرَعُوها في قُلُوبِ أشْباهِهِمْ...**

بيّن ﷺ أوصاف الحُجج الإلٰهية فقال يحفظ اللّه بهم أي بوجودهم حُجَجَهُ وبيناتَهُ التشّريعية من الكتاب والسُنّة وقوله ﷺ: **حتّىٰ يُودِعُوها نُظَرائهُمْ** أي يُودِعُوا الأسرار الإلٰهّية أمثالهم وأشباههم من الأئمّة فإنّ كلّ إمامٍ كان يودع الأسرار الىٰ الإمام بعده ويزرعها في قلبه.

▫ **قوله ﷺ: هَجَمَ بِهِمْ الْعِلْمُ علىٰ حَقِيقَةِ البَصِيرَةِ وباشَرُوا رُوحَ اليَقِينِ وإسْتَلاَنُوا ما إسْتَوْعَرَهُ المُتْرَفُونَ...**

وصَفَهم ثانياً بكونهم علىٰ حَقِيْقَةِ البَصِيرَةِ في علومهم وفيه إشارة الىٰ صفاءِ علُومهم وجَلاء بَصيرتهم وإنّ علومهم لا تقبل الشّك والتّرديد لإنّهم أخذوها من عين صافية وهي عِلم اللّه تعالىٰ وقوله وباشَرُوا رُوحَ اليَقِينِ بِمَنزلة التّفسير أو التّوضيح للجُملة الأُولىٰ وذلك لإنّ من كان علىٰ حَقِيْقَةِ البَصِيرَةِ في ذنبه فهو علىٰ يَقين فيه لا مَحالة، وفي قوله ﷺ: **هَجَم بهم العلم**، إشارة الىٰ إنّ علومهم لَدّينية لا كسّبية فإنّ الهُجوم هو الدّخول دفعةً والمعنىٰ دَخَل علىٰ نفوسهم

العِلم دَفعةً لا تَدريجياً، وقوله ﷺ: **وإستلانوا ما إستوعَره المُترفون،** معناه ما إستنكره المُترَفون المُتنَعمون لِنفوسهم من الأمور الشّاقة كَجُشوبة المطعم وخشُونة المَضجع والمَلبس ومُصابرة الصّيام والسّهر وأمثال ذلك فهُم عليهم السّلام إستلانوها أي جَعَلوها لَيناً لِنفوسهم وفيه إشارة الىٰ مقام الزّهد الثّابت في حقّهم:

□ **قوله ﷺ: وأَنِسُوا بِمَا أَسْتَوحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وصَحِبُوا الدُّنْيا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُها مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلىٰ...**

قال المُحقّق البحراني في شرح قوله ﷺ: **وأَنِسُوا بِمَا إِسْتَوحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ،** وهو الأقوال الّتي أَلِفوها ممّا ذكرناه فإنّ الجاهل لِجَهله بِثَمرتها يِنفر منها ويستوحش من أهلها انتهىٰ.

وأنا أقول ما ذكره ﷺ لا بأس به وعليه فيلزم أن يكون قوله ﷺ: **وأَنِسُوا** الخ تَفسيراً وتَوضيحاً لِكلامه السّابق وهو قوله وإسْتَلانوا ما إستَوعَره المُترفون فتقدير الكلام إنّ ما إستَوعره المُترفون وإستوحش منه الجاهِلون إستَلانُوه وأَنِسُوا به ولا بأس به والحقّ إنّ الكلام ناظراً الىٰ حقيقة أُخرىٰ فإنّ المُترفين غير الجاهلين إذ ربّما يكون الشَّخص جاهِلاً ولا يكون مُترِفاً وبالعكس بالعكس فإنّ المُترف هو المُتنّعم المُسرف عالِماً كان أو جاهِلاً والجاهل أيضاً قد يكون مُترِفاً وقد لا يكون فقوله ﷺ: **وأَنِسُوا بما إستَوحَش فيه الجاهِلون،** معناه إنّ أولياء اللّه يأنِسُون في الدّنيا بما لا يأنس به الجاهل غالباً، كالأُنس باللّه، والأُنس بالعلم والكتاب والفُقراء وأمثال ذلك كما أنّ الجاهل يأنس بالدّرهم والأولاد والمقام والعَشيرة وأمثالها من الأُمور الدّنيوية:

وأمّا قوله ﷺ: **وصَحِبُوا الدُّنْيا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُها مُعَلَّقَةٌ بِالمَحَلِّ الأَعْلىٰ،** فحاصله أنّ أولياء اللّه أبدانهم في الدّنيا وأرواحهم في عالم المَلكُوت فهُم مُصاحبون لأهل الدّنيا من حيث البَدن العُنصري وأمّا من حيث الرّوح فلا وذلك لعَدم وجود السّنخية بين الأرواح ووجودها في الأبدان ولعلّه الىٰ هذه

الدّقيقة أشار أمير المؤمنين عليه السلام في بعض كلماته حيث قال كُن في النّاس ولا تَكُن مَعَهم أي كُن فيهم جسماً ولا تكُن مَعهم رُوحاً وقد مَرّ الكلام في هذه الأُمور مفصّلاً:

□ **قوله عليه السلام: أُولَئِكَ خُلفاءُ اللّهِ في أرْضِهِ والدُّعاةُ إلىٰ دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إلىٰ رُؤيَتِهِمْ إنْصَرِفْ إذا شِئْتَ...**

أي أُولئك المَوصُوفون بالأوصاف المذكورة خلفاء اللّه في أرضه والدّعاة الهداة الىٰ دِينه ثُمّ قال عليه السلام: **آهِ آهِ شَوْقاً إلىٰ رُؤيَتِهِمْ** وذلك لوجود السّنخية بينه وبينهم وعدمها بينه وبين أبناء زمانه هذا ملّخص ما أردنا إيراده في المقام مَع مُراعاة الإختصار وقد تحصّل لنا من كلامه عليه السلام في أوصاف الأولياء والحُجَج أنّ الحُجّة على الخَلق أعني بها الإمام بعد النّبي له أوصاف أحدها قلّة العَدَد، **وثانيها** عِظَم القَدر والمَنزلة عند اللّه وثالثها أنّه حافظ لِلدّين بقُدرة اللّه، ورابعها أنّه علىٰ بَصيرةٍ في دينه ويَقينٍ في إعتقاده، وخامسها تنزّهه من الإتراف والإسراف والقناعة بأقلّ ما يمكن التّعيش به، وسادسها، أُنسه بالحقائق والمعارف الحقّة، وسابعها، المُصاحبة مع أهل الدّنيا جسماً لا رُوحاً فهذه الأوصاف السّبعة إذا وُجدت في إنسانٍ فهو الخَليفة لِللّه ولرسُوله حقّاً، وأمّا الشّارح المُعتزلي فقد فَسّر كلامه بغير ما فَسّرناه به وقال أنّه عليه السلام أراد بهم الأقطاب والأوتاد في كلّ عصرٍ وزمانٍ وأنت تعلم أنّ الأوصاف المذكورة لا تكاد تُوجد إلّا في الإمام المَعصُوم وذلك لأنّا لم نجد ولَم نَسمع من أحَدٍ أنّ إنساناً غير المَعصُومين كان مُتّصفاً بأحَد هذه الأوصاف فضلاً عن كُلّها:

وعليه فأن كان مراد المُعتزلي بالأوتاد والأقطاب من كان أو يكون متّصفاً بها فهو صَحيحٌ اذ لا بَحث لنا في الألفاظ وأن كان مراده كلّ من يَصدق عليه اللّفظ عُرفاً فلا بَحث لنا مَعه فأنّهم يعدّون المُتَصوفة بالأقطاب والأوتاد ونحن لا نقول به بل نقول أكثرهم لولا كلّهم من المُنحرفين عن الدّين ونحن أعرَف بهم من الشّارح المُعتزلي الّذي لَم يَعرف مُصطلحاتهم فضلاً عن تحقيقاتهم وآرائهم.

۱۴۴

□ قوله عليه السلام: **المَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِه...**

المَخْبُوءُ بفتح الميم وسكون الخاء وضمّ الباء علىٰ وزن (مَدْعُو) إسم مفعُول من خَبَأ يَخبأ بمعنىٰ السّتر أي أنّ المَرء مستُورٌ أو مَخفيٌ تحت لسانه فإذا تَحرّك اللّسان إنكشف والىٰ هذا المعنىٰ أشار الشّاعر بالفارسية حيث قال:

تـــــامرد ســــخن نگــفته بـــاشد
عَـــيب و هـــنرش نـــهفته بـــاشد
هــر پــيشه گمان مَبركـه خالى است
شـــايدكـــه پـــلنگ خـــفته بـاشد

وقد مَرّ الكلام منّا في آفات اللّسان وشرُوره غير مرّةٍ في تضاعيف الكتاب ولا سيّما عند قوله عليه السلام اللّسان سَبُعٌ أن خُلّي عنه عَقر كلمة (٥٨) وأمّا في المقام فنقول مضافاً عليه:

إعلم أنّ اللّسان في الإنسان آلةٌ ووسيلة لاظهاره ما في قلبه بحيث لولاه لما كان قادراً علىٰ إبراز ما في الضّمير وإعلام ما في القلب ولذلك يقال أنّ البيان أفضل النّعم بعد الوجود ويُؤيّده قوله تعالىٰ: ﴿**خَلَقَ الْإِنْسَانَ ،عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾(١) ذَكَر نعمة البيان بعد نعمة الإيجاد وهو دليل علىٰ كون البيان أفضل النّعم بعد الوجود وهو المطلوب:

١ – الرحمن ـ ٣/۴

ثمّ أنّه لا شكّ في أنّ القلب والضّمير أو ما شئت فَسَمِّه تارةً يكون متّصفاً بالأوصاف الحَميدة والمَلَكات الفاضلة وأُخرىٰ بالعكس ولا يعلم ما فيه إلّا اللّه تعالىٰ وصاحب القَلب واللّه تعالىٰ ستّار العيُوب فهو لا يُفشي معايب العَبد ومَفاسده ولَم يَطّلع أحَداً علىٰ ما في قلبه فَينتج أنّ الإنسان هو الّذي يظهر ما فيه لا غيره وهذا معنىٰ قوله عليه السلام: **المَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِه**، وليس التّكلم إلّا الإظهار بما في القَلب بسبب اللّسان ومن المَعلوم أنّ الإنسان ما لم يتكّلم بكلامٍ لا يُعلم حاله من الصّدق والكذب والعلم والجهل وأمثالها ولنعم ما قيل:

إحفظ لسانك لا تقول فتَبتلي

أنّ البَلاء مُوكّلٌ بالمَنطِق

﴿١٤٥﴾

□ قوله عليه السلام: هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ...

وذلك لأنّه اذا لَم يَعْرِفْ قَدرَهُ فقد أوقَع نفسه في المهالك من حيث لا يعلم وموارده كثيرة ألا ترىٰ أنّ أكثر النّاس في جميع الطّبقات والأصناف قد هَلَكُوا بهذا المَرض ولا سيّما في زماننا هذا فقد نرىٰ من يُفتي في الأحكام الشّرعية ويدّعي الإجتهاد لنفسه مَع أنّه ليس كذلك وقد نرىٰ كثيراً من الوّعاظ يصعدون المنابر مَع عَدم أهلّيتهم له وقِس عليهما باقي الطّبقات من الرّؤساء والتّجار وسائر الأصناف فإذا كان من يدّعي العلم بل الإجتهاد هكذا فما ظنّك بالعوام كالأنعام ألَيس في هذا الزّمان يذوب قلب المؤمن كما يذوب الحديد في النّار أو المِلح في الماء ثُمّ ليس في هذا هَلاكنا في الدّنيا ولاآخرة ونحن غافلون عنه:

﴿١٤٦﴾

□ قوله ﷺ: لِرَجُلٍ سَألهُ أنْ يَعِظَهُ) لا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيرِ الْعَمَلِ ويُرَجِّي التَّوبَةَ .بِطُولِ الأَمَلِ. يَقُولُ في الدُّنْيا بِقَوْلِ الزَّاهِدينَ ويَعْمَلُ فِيها بِعَمَلِ الرَّاغِبينَ.إنْ أُعْطِيَ مِنْها لمْ يَشْبَعْ، وإنْ مُنِعَ مِنْها لَمْ يَقْنَعْ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ ما أُوتِيَ وَيَبْتَغِي الزِيادَةِ فِيما بَقِيَ يَنْهىٰ ولاَ يَنْتَهِي ويَأمُرُ بِما لا يَأتِي يُحِبُّ الصَّالِحينَ ولا يَعْمَلُ عَمَلهُمْ ويَبْغِضُ المُذْنِبينَ وَهُوَ أحَدَهُمْ يكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ ويقيمُ علىٰ ما يكْرَهُ المَوْتَ لهُ إنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً. وإنْ صَحَّ أمِنَ لاَهياً، يُعْجِبُ بِنَفْسِه إذا عُوفِيَ وَيَقنَطُ إذا أُبتُلِي إنْ أصَابَهُ بَلاَءُ دَعا مُضطَرّاً وإنْ نالَهُ رَخاء أعْرَضَ مُغتَرّاً. تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ علىٰ ماتَظُنُّ ولا يَغْلِبُها علىٰ ما يَسْتَيْقِن .يَخَافُ عَلىٰ غَيْرِهِ بأَدْنىٰ مِنْ ذَنْبِهِ وَيَرْجُو لنَفْسِه بأكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ إنْ اسْتَغْنىٰ بَطِرَ وفُتِنَ وإنْ افْتَقَر قَنَطَ وَوَهنَ .يُقصِّرُ إذا عَمِلَ وَيُبالِغُ إذا سَألَ. إنْ عَرَضتْ لهُ شَهْوَةٌ أسْلَفَ المَعْصِيَةَ وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ وإنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ المِلةِ يَصِفُ الْعِبْرَةَ ولا يَعْتَبِرُ ويُبالِغُ في المَوْعِظَةِ ولا يَتَّعِظُ .فَهُوَ بالقَوْلِ مُدِلٌّ ومنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ، يُنافِسُ فِيما يَفْنَي، ويُسامِحُ فِيما يَبْقَى، يَرىٰ الْغُنْمَ مَغْرَماً والْغُرْمَ مَغْنَماً ،يَخْشَى المَوْتَ ولا يُبادِرُ الفَوْتَ يَسْتَعْظِمُ منْ مَعْصِيَةِ غيرِهِ ما يَسْتَقِلُّ أكْثَرَمِنْهُ منْ نَفْسِه ويَسْتكْثِرُ منْ طاعَتِهِ مَا يَحْقِرُ منْ طَاعَةِ غيرِهِ .فَهُوَ عَلىٰ النَّاسِ طَاعِنٌ ولِنَفسِه مُداهِنٌ اللَّهْوُ مَعَ الأَغْنِياءِ أحَبُّ إِلَيْهِ منَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَراءِ .يَحكُمُ علىٰ غيرِهِ لِنَفْسِهِ ولا يَحْكُمُ عَلَيها لِغَيرِهِ يُرْشِدُ غَيرَهُ ويُغْوِي نَفْسَهُ .فَهُوَ يُطاعُ

ويَعْصِي ويَسْتَوْفي ولا يُوفي ويَخْشَى الْخَلْقَ في غيرِ رَبِّهِ ولا يَخشىٰ رَبَّهُ في خَلْقِهِ...

قال الرّضي ﷺ ولوْ لمْ يَكُنْ في هَذَا الكِتابِ إلّا هذَا الكَلَامُ لكفىٰ به مَوعِظَةً فاجِعَةً وحِكْمَةً بالِغَةً وَبصِيرةً لِمُبْصِرِ وعِبْرَةً لِنَاظِرٍ مُفكرٍ.

◁ اللّغة

(**لَمْ يَشْبَعْ**)الشّبع ضدّ الجوع (**لا يَنْتَهِي**) أي لايقبل النّهي لِنفسه (**لاهِياً**)بكسر الهاء إسم الفاعل من لَهىٰ يَلهُو واللّهو العَبَث (**عُوفِيَ**) بضمّ العين مجهول عافىٰ (**رَخاء**)بفتح الرّاء ضدّ البلاء وهو الفُسحة من الأمر (**بَطِرَ**)كفَرح أي إغترّ بالنّعمة (**قَنَطَ**) أي يَئِس (**أسْلَفَ**) أي قَدّم (**سَوَّفَ**) بفتح السّين وفتح الواو المشدّدة أي أخّر (**عَرَتْهُ**) أي عَرَضَت له (**انْفَرَجَ**) إنخَلَع (**الْعِبْرَةَ**) بكسر العين تنَبّه النّفس لما يصيب غيرها (**مُدِلٌّ**) بضمّ الميم وكسر الدّال المشدّدة المُستَعلِي يقال أدَلّ علىٰ أقرانه إستعلىٰ عليهم (**الْغُنْمَ**) بضمّ الغين وسكون النّون الغنيمة (**الْمَغْرَمَ**) بفتح الميم وسكون الغين وفتح الرّاء الغرامة (**الغُرم**) بضمّ الغَين وسكون الرّاء الغرامة (**يغوي**) أي يضّل:

◁ الشّرح

هذا الكلام أنّما صَدَر منه ﷺ بعد أن سَأله رجل أن يَعِظه، فَوَعظَه ﷺ بأحسَن المواعِظ وأرشدَه الىٰ طريق الحقّ بما لا مزيد عليه والإنصاف أنّ هذا الكلام في باب المواعِظ ممّا لم يسبقه اليه أحَد بعد رسُول اللّه ولذلك قال الرّضي ﷺ بعد نقله لهذا الكلام ما قال وستعرفه:

□ قوله ﷺ: **لا تكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغْيرِ الْعَمَلِ ويُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ .يَقُولُ في الدُّنْيا بِقَوْلِ الزّاهِدينَ ويَعْمَلُ فِيها بِعَمَلِ الرّاغِبِينَ.**

وذلك لأنّ الدّنيا دار عَمَلٍ والآخرة دار جزاءٍ وحساب فَمَن أراد النّيل الىٰ مقامات الآخرة فلا محيص له عن العَمَل في الدّنيا الّتي هي مزرعة الآخرة وأمّا

من أراد الآخرة بغير عملٍ في الدّنيا فهو مثل من يرجو العلم بدون التّحصيل والدّليل علىٰ ما ذكره عليه السلام في المقام هو قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ (١)

و : ﴿قُلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنعاً﴾ (٢)

و : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الأَخِرِ﴾ (٣)

و : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمٰنُ وُدّاً﴾ (٤)

و : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوُا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَّ لُؤْلُؤاً وَّ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٥) والآيات كثيرة.

وقال النّبي صلى الله عليه وآله الكيّس من دان نفسه وعمِل لِما بعد المَوت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنّىٰ علىٰ اللّه الجنّة انتهىٰ...

وعن علّي بن محمّد قال قُلتُ له عليه السلام أنّ قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجُوا فقال عليه السلام كذبُوا ليسُوا لنا بموالٍ أُولئك قومٌ ترجّحت بهم الأماني ومن رجا شيئاً عمل له ومن خاف شيئاً هرب منه...

وعنه عليه السلام قال لا يكون المؤمن مؤمناً حتّىٰ يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتّىٰ يكون عاملاً لما يخاف ويرجو انتهىٰ« جامع السّعادات ج ١ ص ٢٥٢ » وقد تكلّمنا في الخوف والرّجاء مفصّلاً.

وأمّا قوله عليه السلام: **وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ**، فمعناه أنّ من يرجي التّوبة لا يكون ذو أمَلٍ طويل وذلك لوجود المنافاة بينهما فأنّ طول الأمل ينافي التّوبة ولا يمكن الجمع بينهما فمن كان كذلك فهو أحمقٌ سَفيهٌ أو غافلٌ عن حقيقة الأمر والسِّر فيه هو أنّ التّوبة عبارة عن ترك المعاصي في الحال والعزم علىٰ

١ - الكهف ـ ١١٠
٢- الكهف ـ ١٠٢
٣- الأحزاب ـ ٢١
٤- مريم ـ ٩٦
٥- الحج ـ ٢٣

تركها في الإستقبال وتدارك ما سَبَق من التّقصير فَمن كان طويل الأمل كيف يعزم على ترك المعاصي في الإستقبال والمفروض أنّ آماله بعيدة وبعبارةٍ أخرىٰ لا يكفي في التّوبة عن الذّنوب مجرّد تركها في المستقبل بل لابدّ من محو آثارها الّتي إنطبعت في جوهر النّفس بنُور الطّاعات وهذا المعنىٰ لا يتّحقّق لِمن كانَ مُتّصِفاً بطُول الأمل.

ويحتمل أن يكون مراده عليه السلام أنّ من كان مُتّصفاً بطول الأمل يُسوّف في التّوبة ويؤخرّها فيقول مثلاً أتوب في المستقبل وهكذا يقول ويؤخرّها عن وقتها الىٰ أن يدرك الأجل ويموت ومن المعلوم أنّ منشأ تأخير التّوبة هو طول أَمَله وظنّ بقاءه وغفلته عن الموت فَمن يقول سأتوب بعد عام مثلاً أو بعد رجوعي من السّفر يظنّ بقائه الىٰ الوقت المعلوم ثمّ بعد دخول الوقت يقول هكذا الىٰ آخر عُمره فكيف يصير مُوّفقاً لها مع طول أَمَله فَمن يرّجىٰ التّوبة ينبغي له أوّلاً التّهيؤ لِلموت وهو واضح وحيث إنّا قد تكلّمنا في التّوبة أيضاً وبيّنا شرائطها وأقسامها وذكرنا الآيات والأخبار فيها غير مرّةٍ فلا نطول الكلام بذكرها ثانياً وأنّما نكتفي في المقام بما لا ينبغي تركه وهو أنّ التّوبة ينبغي أن تكون عن قُرب عَهدٍ بالخَطيئة بأن يندم عليها ويمحو آثارها قبل أن يتراكم الرّين علىٰ القلب فلا يقبل المَحو وهذا المعنىٰ لا يناسب التّسويف فيها قال اللّه تعالىٰ في كتابه الكريم: **﴿إنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾**(1)

و: **﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ حَتّىٰ إذا حَضَرَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ إنّي تُبْتُ الآنَ﴾**(2)

□ قوله عليه السلام: **يَقُولُ في الدُّنْيا بِقَوْلِ الزّاهِدينَ ويَعْمَلُ فِيها بِعَمَلِ الرّاغِبينَ...**

فهو أيضاً واضح فأنّ الملاك كلّ الملاك هو العَمَل وأمّا القول إذا كان خالياًعنه فلا أثر له من حيث الأجر وعليه فمن يقول في الدّنيا بقول الزّاهدين

1- النّساء-21 2- النساء- 18

التّاركين لها ويعمل فيها بعَمل الرّاغبين اليها فهو كاذبٌ في قوله وهذه الأُمور الثلاثة تحكي عن أحوالنا في الدّنيا نعوذ باللّه منها.

□ **قوله عليه السلام: إنْ أُعْطِيَ مِنْها لَمْ يَشْبَعْ وإنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ...**

أي إنْ أُعْطِيَ من الدّنيا من نِعمِها لم يَشْبَعْ وهو كناية عن عدم إكتفائه به فيقول هل من مَزيد وإن مُنِع منها بعض النِّعم لم يَقنع بما أُعطي منها ومحصّل الكلام هو أنّ الغنّي لا يستغني والفقير لا يَقنَع بما في يَده وأظنّ أنّ هذا الكلام منه عليه السلام في الحقيقة تفسير وتوضيح لقوله قبله، يقول فيها بقول الزّاهدين الخ فكأنّه قيل له عليه السلام وكيف يقول فيها بقول الزّاهدين ويَعمل بَعمل الرّاغبين فقال عليه السلام لأنّه أن أُعْطِيَ لم يَشْبَعْ الخ وذلك لأنّه لو كان صادقاً في إدّعاده الزّهد في الدّنيا فكيف لا يَقنَع بما رَزَقه اللّه تعالىٰ ويستدعي الزّيادة وهذا العَمَل عَمَل الرّاغبين اليها:

□ **قوله عليه السلام: يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ وَيَبْتَغِي الزيادَةَ فِيما بَقِيَ...**

شُكر المُنعِم واجب عقلاً وشَرعاً فَمن عجز عنْ شُكْرِ ما أُوتِيَ من النِّعم كيف يبتغي ويستدعي الزّيادة علىٰ ما أُوتي به وقد مرّ البحث في الشُّكر أيضاً غير مرّةٍ فلا نحتاج الىٰ الإعادة:

□ **قوله عليه السلام: يَنْهىَ ولاَ يَنْتَهِي ويَأْمُرُ بِمَا لا يَأْتِي...**

أي ينهىٰ النّاس عن المعاصي مثلاً وهو يفعلها ويأمرهم بما لا يفعله، وأن شئت قلت ينهي النّاس عن فعل المُنكَر ولا ينهي نفسه عنه فيقول لغيره لا تكذب ولا تَغتَب ولا تظلم وهكذا وهو يكذِب ويغتَب ويظلم وقد غَفَل عن حقيقةٍ في المقام وهي كما أنّ الكِذب مثلاً منّهي عنه لغيرك شرعاً ولذلك نَهيته عنه كذلك هو منّهي عنه لك أيضاً فَلِمَ لا تنتَهي عنه وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿مَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾**(١)

و : **﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا**

١ - الحشر ـ ٧

﴿لاتَفْعَلُونَ﴾ (١)

وأمّا قوله عليه السلام: **ويأمر بما لا يأتي** فهو في جانب الأمر كما أنّ الأوّل في جانب النّهي فكما أنّ النّهي عن المنكر بدون الإنتهاء عنه لا يليق بالمُسلم كذلك الأمر بالمَعرُوف مع عَدم الإتيان به وهو إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال: **﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾** (٢) وحاصل الكلام هو أنّ الأمر بالمعرُوف والنّهي عن المنكر من الواجبات الشّرعية وهذا ممّا لا كلام فيه إلّا أنّ الآمر به والنّاهي عنه ينبغي له أن لا ينسىٰ نفسه وإلّا لا يؤثر في حقّ غيره وقد مرّ الكلام في الباب أيضاً بما لا مزيد عليه.

▫ قوله عليه السلام: **يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ ويُبْغِضُ المُذْنِبِينَ وهُوَ أحَدَهَمْ...**

أي أنّه يُحِبُّ الصَّالحِينَ من عباده لفظاً وقولاً لا عَمَلاً ويُبْغِضُ المُذنِبينَ أيضاً باللّفظ دون العَمَل بل هو أحدَهم في أعماله وأقواله ووجه القُبح هو أنّه كاذبٌ في قوله والكِذب قبيح أمّا أنّه كاذب فيه فلكون عَمَله مخالفاً لقوله وأمّا أنّه قبيح فلِحُكم العقل والشّرع به:

١- الصّف ـ٣-٢

٢- البقرة ـ٤٤

١٤٧

□ قوله ﷺ: يكْرَهُ المَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ ويُقيمُ علىٰ مَا يكْرَهُ المَوْتَ لَهُ.

أي أنّه يكْرَهُ المَوْتَ ويخاف لكثرة ذنوبه ومعاصيه مَعَ أنّه يُقيمُ علىٰ المعاصي ويُديم عليها وهو عجيب فأنّ العاقل إذا كره المَوت لأجل المعاصي ينبغي أن يتركها لا أنّه يُقيم عليها وذلك لأنّ المَعصية لا تخلو حالها إمّا أن تضر فيما بعد المَوت أو لا، فعلىٰ الأوّل كيف يُقيم عليها العاقل مع علمه بقُبحها وضررها وعلىٰ الثّاني أي عَدم الضّرر فَلِمَ يكْرَهُ المَوْتَ لأجلها ومن كان كذلك فهو في الظّاهر قد جَمَع بين المُتناقضين وحيث أنّه محال فنحكم بكونه كاذباً في كراهته المَوت لأجلها.

□ قوله ﷺ: إنْ سَقِمَ ظَلَّ نادِماً وإنْ صَحَّ آمِنَ لاَهِياً...

أي أنّه في حال سُقمه ومَرضه من النّادمين علىٰ ما فَعَله سابقاً وأمّا بعد بُرءه وصحّته يَلهُو ويَعبث ويشتغل بالدّنيا وزخارفها كما كان قبل مرضه وهو أيضاً من العجائب قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَٰنَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١)

و: ﴿وَ إِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ

١- يونس ـ ١٢.

مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(١)

و: **﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾**(٢) وغيرها من الآيات:

▫ **قوله ﷺ: يُعْجِبُ بِنَفْسِه إذا عُوفِيَ ويَقْنَطُ إذاابْتُلِيَ. إنْ أَصَابَهُ بَلاَءٌ دَعامُضْطَرّاً وإنْ نالَهُ رَخاءٌ أَعْرَضَ مُغتَرّاً...**

أي إذا عُوفي عن المَرض بسبب إنابته ودعائه يَعرض عليه العُجب بنفسه وماله وعِلمه وينسىٰ الله بالمَرة وإمّا إذا إبتلىٰ بشيءٍ يَعرض عليه اليّأس ويقول أنا لا أَبرء من هذا المَرض مثلاً وإن أصابه في الدُّنيا بلاء من الفَقر والحَبس والضّيق في مَعاشه دَعا الله مُضطراً أي يَدعُوه علىٰ حالة الإضطرار ويقول**﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ﴾**(٣) وإن ناله رَخاء بخَلاصه عن البلاء أَعرَض عن الله ونَسيه مُغتراً أي مَغرُوراً بماله وجاهه وصحّته بحيث كأنّه لم يكن مُضطراً أصلاً وهو أيضاً عَجيب والىٰ هذا المعنىٰ أشار اللّه في كتابه حيث قال:**﴿وَلَئِن أَذَقْنَا الإِنْسَنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ﴾**(٤) **وقال:﴿ لا يَسْئَمُ الإِنسَنَ مِن دُعَآءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسٌ قَنُوطٌ﴾**(٥)

و: **﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ الإِنسَنِ أَعْرَضَ وَنَاءَ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُساً﴾**(٦) وأمثالها من الآيات والمقصود هو إنّ الإنسان إذا لم يكن كاملاً في إيمانه فهذا حاله فلا تراه راضياً شاكِراً أصلاً:

▫ **قوله ﷺ: تَغْلِبُهُ نَفْسَهُ علىٰ مَا تَظُنُّ ولا يَغْلِبُها علىٰ مَا يَسْتَيْقِنُ...**

وهو أيضاً دليل علىٰ ضعف إيمانه فإنّ المؤمن الحَقيقي تغلب نَفْسَهُ عليه في اليقيّنات القَطعيات فيتبع قطعه وحَزمه وأمّا من كان ضَعيفاً في إيمانه فَتَغلب نَفسه عليه في المظنونات المُشتَبهات فيتّبع ظنّه وينتج إنّه يَعمل بمَظنونه ولا يَعمل بمَقطُوعه ومن المعلوم إنّ مُتابعة الظّن قبيحة قال اللّه

١- الرّوم ـ٣٣/٣٤ ٢- الزّمر ـ٨
٣- النّمل ـ٦٢ ٤- هُود ـ٩
٥- فُصّلت ـ٤٩ ٦- الإسراء ـ٨٣

تعالىٰ: ﴿إن يَتَّبِعُونَ إلَّا الظَّنَّ وَإنْ هُمْ إلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١)

و : ﴿إن تتبِعُون إلّا الظّن وإن أنتم إلّا تَخرصُون﴾ (٢)

و : ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إلَّا ظَنّاً إنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً﴾ (٣) والآيات كثيرة والمقصود إنّ هذا الإنسان مع إنّه علىٰ يقين من ربّه ونبّيه وآخرته، وثوابه وعذابه لا يتّبع هذا اليقين في العَمَل به وذلك لِعَدم غلبة نفسه عليه في موارد اليَقين بل صارت نفسه مقهُورة مغلُوبة لِشهواته وأمياله فَيترك العَمَل به وأمّا في موارد الظّن والوَهَم فيتّبعها لِغَلبة نفسه عليه فيها ألا ترىٰ إنّه يتبّع الدّنيا وزخارفها بظّن بقائها ودَوامها ويترك الآخرة مع القطع ببقائها ودوامها وليس هذا إلّا لغلبة الظّن في الأوّل وعَدَمها في الثّاني وفي هذا الكلام إشارة الىٰ إنّ المَلاك في العَمَل هو غَلَبة النّفس علىٰ المظنون والمقطوع لا مُجّرد الظّن أو القَطَع فإنّ الظّن الغالِب يتبّع والقَطَع المغلُوب يُترَك فأفهم:

□ قوله ﷺ: يَخافُ علىٰ غيرِهِ بأدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ .ويَرْجُو لِنَفْسِه بأكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ...

أي لو أتىٰ غيره بِذَنبٍ أَحَقر وأَصَغَر من ذَنبه يَخاف عليه من عَذاب اللّه وأمّا بالنّسبة الىٰ نفسه فَيَرجو من اللّه تعالىٰ أكثَر من عَمَله فهو مُعجبٌ بعَمَله حيث يرىٰ عَمَله أكثر ممّا يكون هذا إذا كان الضّمير في قوله (من عَمَلِهِ) راجِعاً الىٰ عَمَل نَفسه وأمّا إن كان راجِعاً الىٰ الغَير فالمعنىٰ إنّه يرجُو لِنَفسه من عَمَله أكثر ممّا يرجُوه لِغَيره فيه مع إنّ العَمَل واحد وعليه فَمحصّل المعنىٰ إنّه يكثر ذنب الغَير بالنّسبة الىٰ ذَنْبه ويحقّر عَمَله بالنّسبة الىٰ عَمَله فَلَو أَذَنب غيره بِذَنبٍ أصغَر من ذَنبه كما إذا فَرَضنا إنّه كَذَب في قوله وهو قَتَل نَفساً بغير حقٍّ فلا شَك إنّ الكَذب أدنىٰ وأَصغر من قَتَل المؤمن ظُلماً وهذا القاتِل يَخاف علىٰ غَيره من عذاب اللّه لِكذبه ولا يَخاف منه علىٰ نفسه لِقَتله المؤمن هذا في جانب المَعَصية وأمّا في جانب الطّاعة فَيَرىٰ صلوته وصَومه وهكذا باقي الأعمال أكثر

١ - الأنعام ـ ١١٦
٢- الأنعام ـ ١٤٨
٣- يُونس ـ ٣٦

نَفعاً وأجزَل ثَواباً من صَلوته وصَومه وليس هذا إلّا العُجب والحُمق.

□ **قوله ﷺ: إنْ إسْتَغْنىَ بَطِرَ وفُتِنَ وإنِ افْتَقَر قَنَطَ وَوَهَنَ...**

أي إن اسْتَغْنىٰ بماله عن غَيره بَطِرَ وفُتِنَ أي إغْتَر بالنّعمة والغَرور فِتنة، وإن افتَقَر بأن صار فَقيراً مُحتاجاً الىٰ غَيره قَنَطَ وَوَهَنَ أي يَئَس وضَعُفَ، قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿ **كَلاَّ إنَّ الإنْسانَ لَيطْغىٰ، اَنْ رَّاهُ اسْتَغْنىٰ** ﴾ (١)

والطّغيان ليس إلّا الإغترار بالنّعمة وقال تعالىٰ: ﴿ **رَبِّ إنّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير** ﴾ (٢)

و: ﴿ **فَأَمَّا الإنْسانُ اِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّه فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَه فَيَقُولُ رَبّي أَكْرَمَنِ، وَاَمَّا اِذامَاابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبّي اَهانَنِ** ﴾ (٣)

□ **قوله ﷺ: يُقصِّرُ إذا عَمِلَ.وَيُبالِغُ إذا سَأَلَ...**

◁ **المعنىٰ**

إنّه يُقصِّرُ في مقام العُبُودية فلا يَعمل بما هو وظيفته من قبل الشّارع، وأمّا في مقام الطّلب والسّؤال من اللّه تعالىٰ لا يقّصر بل يُبالغ في سؤاله ويحتمل أن يراد من كلامه ﷺ ما هو أعمّ منه بأن يُقال يقّصر في عَمَله سواء كان لِلخالِق أم لِلخَلق ويُبالِغ في سُؤاله كذلك وعليه فالمقصود إنّ العَقل يحكُم بِقُبح هذه الرّوية فإنّ السّؤال من أيّ شخصٍ كان ينبغي أن يكون مُطابِقاً لِعَمَله وإلّا يدخل في باب الطّمَع ألا ترىٰ إنّا نقول لِمَ لا يَقضي اللّه حَوائِجنا ولا نقول لِمَ لا نَعبده ولا نَعمل له فَنَحنُ مقصّرون في العَمَل مُبالِغُون في السّؤال:

□ **قوله ﷺ: إنْ عَرَضَتْ لهُ شَهْوَةٌ أسْلَفَ المَعْصِيةَ وسَوَّفَ التَّوْبَةَ .وإنْ عَرَتْهُ مِحْنةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ المِلة...**

أي إنّه لا يقدر علىٰ كفّ نفسه عن إرتكاب المَعْصِيةَ لكونه مُطيعاً لِهَواه وأمياله النّفسانية فإذا عَرَضَتْ لهُ شَهْوَةٌ أسْلَفَ وقدّم المَعْصِيةَ بمتابعته للشّهوة

١- العَلَق ـ٧
٢- القَصص ـ٢٤
٣- الفَجر ـ١٥

وسَوّف أي أخّر التّوبة لِكَونه مُسامِحاً في الأمور الدّينية فيقول مثلاً أعصي ثمّ أتوب والإشكال إنّه لا يعلم إنّ في تأخير التّوبة آفات وإن عَرّته مِحْنةٌ إنْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ المِلةِ قيل المراد بها الثّبات والصّبر وإستعانة اللّه عن الخَلاص عند عَرو المِحَن وطرّوق البلايا والمراد بالإنفِراج الإنخلاع والمعنىٰ إنّه إنخَلَع وبَعُدَ عنها:

□ **قوله ﷺ: يَصِفُ الْعِبْرَةَ ولا يَعْتِبرُ ويُبالِغُ في المَوْعِظَةِ ولا يَتَّعِظُ فهُوَ بالقَوْلِ مُدِلٌّ ومنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ...**

أي يصف العِبرة وموارد الإعتبار لِلنّاس وهو نفسه لا يَعتبر بما وَصَفه لِغيره ويُبالغ في مَوعظة النّاس بسبب الآيات والأخبار وغيرها ولا يتّعظ بها فهو بالقَوْل مُدِلٌّ ومُكثر أو إنّه بالقول يتفوق علىٰ غيره من الوّعاظ وأمّا من حيث العَمَل مُقّلٍ أي إنّ عَمَله قليل بالنّسبة الىٰ قوله

□ **قوله ﷺ: يُنافِسُ فِيما يفْنَي ويُسامِحُ فِيما يَبْقَى يَرَىٰ الْغُنْمَ مَغْرَماً والْغُرْمَ مَغْنَماً...**

المُنافسة مُجاهدة النّفس والمعنىٰ إنّه يجاهد بنفسه حقّ المُجاهدة فيما يفنىٰ ولا يبقىٰ وهو الدّنيا وما فِيها ويُسامِحُ فِيما يَبْقىٰ ممّا هو مربوط بآخرته فهو مُجاهد لِلوصول الىٰ الدّنيا الفانية ومُسامح في النّيل الىٰ الدّرجات العالية في الآخرة ولا شّك إنّ ترجيح الفاني بعيد من العقل كيف وهو يرىٰ الغُنم أي الغَنيمة وهي الآخرة الباقية، مَغرماً وغرامة ويرىٰ الغُرم وهو الدّنيا وما فيها مَغنماً أي غنيمةً وعطيّةً وذلك مثل الإنفاق في سبيل اللّه فأنّه في الحقيقة من أحَسن الغَنائم في نظر المؤمن ولكنّه من الغُرم والغرّر في نظر غيره، ومثل المال والثّروة في الدّنيا حيث أنّه من الغُرم في نظر أهل الحقّ وخصوصاً إذا حَصل للإنسان من طريق الحرام ولكنّه يُعدّ من الغُنم عند أهل الدّنيا:

□ **قوله ﷺ: يَخْشَىٰ المَوْتَ وَلا يُبادِرُ الفَوْتَ يَسْتَعْظِمُ منْ مَعْصِيَةِ غيرِهِ ما يَسْتَقِلُّ أكْثَر مِنْهُ منْ نَفْسِهِ...**

أي أنَه يَخْشىَ ويخاف المَوْتَ ولا يُبادِرُ الفَوْتَ أي فَوت الوَقت أو فوت العَمَل الصّالح مع أنّ القاعدة العقلّية تـقتضي التّهيوء والإستعداد بـالأعمال الحَسَنة للخائف من المَوت لقوله تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ﴾ و: ﴿وَ سارِعُوا اِلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (١) وليس هذا إلّا لأجل الغَفلة العارضة علىٰ الإنسان وهي منشأ الآفات.

وأمّا قوله عليه السلام يستَعظم من معصية غيره الىٰ آخر الكلام فحاصل معناه أنّه يرىٰ معصية غيره من أفراد الإنسان كثيرة عظيمة ولا يرىٰ مـعاصية إلّا قـليلاً حَقيراً مَع أنّها في حقّه أكثر منها في حقّ غيره.

▫ **قوله عليه السلام: ويَسْتَكْثِرُ منْ طاعَتِهِ مَا يَحْقِرُ منْ طَاعَةِ غَيرِهِ .فَهُوَ علىٰ النَّاسِ طَاعِنٌ ولِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ...**

أي وأنّه يعدّ طاعاته كثيرة مَع أنّها حَقيرة قليلة بالنّسبة الىٰ طاعات غيره فهو علىٰ النّاس طاعن قادح ولِنَفْسهِ مُدَاهِنٌ مُدافع والحاصل أنّه لا يرىٰ إلّا نفسه ولا يعتني إلّا بطاعاته كما هو شأن المُعجب في جميع شئونه أعاذنا اللّه منه:

▫ **قوله عليه السلام: اللَّهْوُ مَعَ الأَغْنِياءِ أَحَبُّ إِليْهِ منَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ...**

وهو دليل علىٰ تكبره حيث أنّه يُجالس الغنّي ولو كانت المُجالسة لأجل اللَّهْوَ ويُباعد الْفقيرَ ولو كانت المُجالسة مَعه مُوجبة للتّقرب الىٰ اللّه:

▫ **قوله عليه السلام: يَحْكُمُ علىٰ غيرِهِ لِنَفْسهِ ولا يَحكُمُ عَليهَا لِغَيرِهِ ويُرْشِدُ غيرَهُ ويُغْوِي نَفْسَهُ...**

أي أنّه في مقام القضاء يقضي ويَحكُمُ علىٰ ضرر نَفْسَهُ لنَفع غيره فهو حاكم دائماً وغيره محكُوم ويرشد ويهديِ غيره الىٰ طريق الحقّ ويـغوي ويـضّل نفسه:

▫ **قوله عليه السلام: فَهْوَ يُطاعُ ويَعْصِي وَيَسْتَوْفي ولا يُوفي وَيَخْشَى الْخَلقَ في غير رَبِّهِ ولا يَخشَى رَبَّهُ في خَلْقِهِ...**

١-آل عمران-١٣٣

أي فَهْوَ يُطاعُ في النّاس ويعصي اللّٰه وَيَسْتَوفي أي يأخذ حقّه من النّاس ولا يوفي أيّ لا يُؤدّي حقّ اللّه تعالىٰ اليه وفي بعض النّسخ (يوفّىٰ) بتشديد الفاء ويحتمل أن يكون المراد أنّه لا يوفي بما عهد اليه من النّاس والجامع أنّه لا يفي بعَهده ويطلب من غيره الوفاء به، وأمّا أنّه يخشىٰ الخَلق في غير ربّه معناه أنّه يخشىٰ الخَلق فَيعمل لغير اللّه خَوفاً منه ولكنّه لا يخاف اللّه فلا محالة يضّر عباده ولا ينفع خَلقه وأمّا قوله ولا يخشىٰ ربّه في خلقه، فالمراد أنّه لا يخشىٰ ربّه في معاملته مع خلقه فيظلم علىٰ الخَلق ويغفل عن كون الرّب لبالمرصاد، هذا خلاصة الكلام في شرح كلامه عليه السلام في المقام وحيث أنّا قد تكلّمنا في جميع هذه الأُمور فيما مضىٰ مفصّلاً إكتفينا في المقام بذكر هذا القَدر من الشّرح حَذَراً من الإطناب واللّه المُوفّق والمُعين:

١٤٨

□ قوله ﷺ: لِكُلِّ إمْرِئٍ عاقِبَةٌ حُلوَةٌ أوْ مُرَّةٌ...

الحلو كناية عن السّعادة والمرّ عن الشّقاوة والمعنىٰ أنّ كلّ إنسان لا تخلو عاقبته من هذين الأمرين أمّا أنّه يموت علىٰ طريق الخير وأمّا أنّه يَمُوت علىٰ طريق الشّر وعلمه عند اللّه ولذلك ورد في الدّعاء اللّهم إجعل عواقب أُمورنا خَيراً والمقصود من ذكر هذا الكلام هو أنّ الإنسان لا ينبغي أن يغتّر بعَمَله وذلك لأنّه ربّما يكون الإنسان علىٰ طريق الخَير وتُختم عاقبة أمره بالشّر وبالعكس ألا ترىٰ أنّ الزّبير خُتم أمره بالشُّر وأنّ حرّ بن يزيد الرّياحي خُتم أمره بالحُلو في يوم عاشوراء وصار من الشّهداء الصّلحاء وهو ظاهر ونظائرها كثيرة:

﴾١٤٩﴿

□ قوله عليه السلام: **ولِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدبارٌ وما أَدْبَرَ كأَنْ لمْ يكُنْ...**

والمقصُود من هذا الكلام أنّ الدّنيا وما فيها من مالها ومقامها وصحّتها وسُقمها وفقرها وغِناها وغيرها من نِعَمها لا يُعتمد عليها فأنّها إقبال وإدبارٌ في نفسها كما قال الشّاعر:

وأنّما هي إقبالٌ وإدبارُ

فالعاقل لا يكون مغترّاً بها

إذا أُقبَلت ولا يتأسف عليها إذا أَدبَرت لأنها ليست إلّا هي ثُمّ أفاد عليه السلام أنّ ما أدبَر منها كأَنْ لمْ يكُنْ، أي كأنّه لَم يُقبل وكيف لا يكون الأمر علىٰ هذا المنوال وقد ثَبت أنّ الدّنيا بنفسها حادثة متّغيرة لا بقاء لها أصلاً وما كان في ذاته كذلك يكون إقباله عين إدباره وإدباره عين إقباله وقد مَرّ الكلام في الدّنيا أيضاً غير مرّةٍ في تضاعيف الكتاب وبيّنا ماهيّتها وحدُوثها بقَدر الإستطاعة وما ذكره عليه السلام في المقام إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾**(١) وقد جمع الخَير كلّه في العَمل بهذه الآية الدّالة علىٰ عدم الإعتماد علىٰ الدّنيا علىٰ كلّ حالٍ:

١ - الحديد ـ ٢٣

١٥٠

▫ **قوله عليه السلام: لا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وإنْ طالَ بِهِ الزَّمانُ...**

غَرضه عليه السلام منه أنّ الصّبر يعقبه الظَّفَرَ والفتح أعني به الوصول الىٰ المَقصد عاقبة الأمر وهو كذلك وقد دَلَّ عليه الحِسّ والتّجربة قبل الشّرع ولذلك قيل الصّبر مفتاح الفَرَج وفيه قال الشّاعر:

إصبر علىٰ مضض الأدلاج فى السّحر وفى الرّواح الىٰ الطّاعات فىالبكر
إنّي رأيتُ وفي الأيّام تجربة لِلصّبر عاقبة محمُودة الأَثَر
وقلّ من جَدَّ في أمرٍ يُؤمّله وإستَصحب الصّبر إلّا فاز بالظّفر

وقال الصّادق عليه السلام -إصبروا تظفروا وواظبوا علىٰ الصّبر تُؤجروا قال الشّاعر:

وإذا مسّك الزّمان بُضّرٍ عُظمت دونه الخطُوب وجَلَّت
وأتت بعده نوائب أُخرىٰ سَئِمت نفسك الحياة ومَلّت
فأصطبر وإنتظر بلُوغ الأماني فالرّزايا إذا توالت تَولّت
وإذا أوَهَنت قواك وجلّت كشُفت عنك جملةً وتَخلّت

وقال الآخر:

أمَا والّذي لا يعلم الغَيب غَيره ومن ليس في كلّ الأمور له كُفوُ
لان كان بَدء الصّبر مُرّاً مذاقه لقد يجتني من بعده الثّمر الحُلو

١٥١

□ قوله عليه السلام: **الرَّاضي بِفِعْلِ قَوْمٍ كالدَّاخِلِ فيهِ مَعَهُمْ وعلىٰ كلِّ دَاخِلٍ في باطِلٍ إثمَانِ إثمُ العَمَل وإثمُ الرِّضَى بِهِ...**

وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله -من رضىٰ بِفَعل قوم فهو منهُم) والسّر فيه هو إنّ الأعمال بالنّيات إن خَيراً فَخَيراً وإن شرّاً فشّراً وذلك لإن من نوي الخَير أراد فِعله إذا قَدَر عليه فكإنّه قد فَعَله:

وهكذا في جانب الشّر وإذا كان كذلك فالرّاضي بِفعل قومٍ خيراً كان أو شّراً فهو كالدّاخِل فيه معهم لِما ذكرناه وإنّه يُعين القَوم علىٰ فِعله برضاه فإن كان فعل القوم خيراً فهو مُعين لهم علىٰ البّر والتّقوىٰ وإن كان شّراً فهو مُعين لهم علىٰ الإثم والعُدوان وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾** (١) فينتج إنّ الرّاضي بالظّلم ظالم والرّاضي بالعَدِل عادِل، ومن أحبّ حَجَراً حَشّره اللّه مَعَه إلّا إنّ الرّاضي بالباطل له إثمٌ واحد والدّاخل فيه له إثمان، أحدهما إثم العَمَل به وثانيهما إثم الرّضىٰ به ومن المعلوم إنّ المراد بالدّاخل في الباطل هو الدّاخل الرّاضي وإلّا فَمُجّرد الدّخول فيه لَيس كذلك إذ يمكن أن يدخل فيه غير راضٍ به كالمَجبُور والجاهل الّذي لا يعلم البطلان إذا كان مُقصّراً في جهله لا قاصِراً فإنّه لا شئ عليه:

١-المائده ـ ٢

﴿١٥٢﴾

▫ قوله عليه السلام: إعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ في أوْتادِها...

الذِّمم بكسر الذّال جمع ذِمة وهي العَهَد والأوْتاد جمع وَتَد وهي كناية عن الرّجال الّذين يوفُون بالعُهُود ولا ينقضُونها فهُم من هذه الجهة كالأوتاد الّتي لها ثبات وقرار في مكانها والمعنىٰ إعتَصِمُوا أي تَمسّكُوا بالعُهُود والمَواثيق وأعقدوها في أوتادها أي في الرّجال الّذين يوفون بها وأيّاكم والرّكون لَعهد من لا عَهد له وملخصّ الكلام، أعقدوا العُقود في محالّها لا في غيرها وفيه إشارة الىٰ أنّ العَهد والميثاق واجب المُراعاة عقلاً وشرعاً فأنّ من لا عَهد له لا دين له قال اللّه تعالىٰ: ﴿أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ (١)

و: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٢)

و: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ (٣) والآيات كثيرة والأخبار مُتواترة وقد مضىٰ البحث في العَهد ورعايته وأنّها من شِيَم الرّجال ولنعم ما قيل:

إذا قلتَ في شيءٍ نعم فأتِمه فأنّ نِعم دينٌ علىٰ الحُرّ واجبُ
وإلّا فقُل لا تسترح وتَرح بها لئلاّ يقول النّاس أنّك كاذبُ

وقال الآخر:

لاكلّف اللّه نفساً فوق طاقتها ولا تجود يَدُ إلّا بما تَجد
فلا تعد عدة إلّا وفيتَ بها إحذَر خلاف مقالٍ للّذي تَعِد

١- الإسراء ـ ٣٤
٢- المائدة ـ ١
٣- البقرة ـ ١٧٧

١٥٣

□ **قوله ﷺ: عَليكُمْ بِطَاعةِ مَنْ لا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ...**

أي ألزموا طاعة من لا يُقبل منكم عُذر في جهالته أي تجب عليكم معرفته فأنّ ما لا عُذر لأحدٍ فيّ جهالته لا يكون إلّا ومعرفته واجبة وهذا لا يكون إلّا لِللّه تعالىٰ ورسُوله والإمام بعده والدّليل عليه قوله تعالىٰ: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾**(١) تقرير الإستدلال بها هو أنّ اللّه تعالىٰ أوجب علىٰ العباد طاعته وطاعة رسُوله وطاعة أُولي الأمر بَعده بإذنٍ من اللّه ورسُوله.

وهو لا يكون إلّا الإمام المَعصُوم المنصُوص بولايته ووجُوب طاعته ومن المعلوم أنّ النّاس لو كانوا معذورين في معرفتهم وعدمها لما كانت إطاعتهم واجبة فأنّ معنىٰ الوجُوب هو عَدم التّرخيص في التّرك ولا نعني بوجوب المعرفة إلّا هذا وأمّا طاعة غيرهم كائناً من كان فالنّاس فيها معذُرون بل في أكثر الموارد تكون طاعة غيرهم محرّمة وعليه فالنّاس بعد الرّسُول كانوا مَعذُورين بجهالتهم للخُلفاء وطاعتهم وأمّا بالنّسبة الىٰ أمير المؤمنين فلم يكونوا بمعذورين بل كانت طاعته عليهم واجبة لعدم مَعذورّيتهم في عَدم مَعرفتهم أيّاه فلا يَبعد القول بأنّه ﷺ قد عَني نفسه فكأنّه قال لهم أنتم أطعتم من كان من الخُلفاء قبلي ولا تطيعُوني مَع أنّكم معذورين بجهالتهم ولستُم بمعذورين بجهالتي بل تجب عليكم معرفتي ثُمّ طاعتي:

١- النّساء ـ٥٩.

﴿١٥٤﴾

□ قوله عليه السلام: قدْ بُصِّرْتُمْ إنْ أبْصَرْتُمْ وقدْ هُدِيتُمْ إنْ اهْتَدَيْتُمْ وأُسْمِعْتُمْ إنْ إسْتَمَعْتُمْ...

أي قد بيّن لكم ما يبّصركم في دينكم أن كنتم أهلاً له وبُيّن لكم أيضاً طُرق الهداية أن كنتم من المُهتدين ووَرد في الكتاب ولاسُنّة ما قَرع سَمعكم أن كنتم مُستَمعين له فقوله عليه السلام: **بُصّرتم وهُديتم وأُسمَعتُم** بصيغة المَجهول وأمّا سائر الأفعال بصيغة المعلوم وهذا الكلام مُلتقطٌ من خطبةٍ قد مَرّ شرحها والمعنىٰ واضح لا خفاء فيه فأنّ الحُجّة قد تمّت ولنعم ما قيل بالفارسية:

چندين چراغ دارد وبيراه ميرود
بگذار تا بيفتد وبيند سزاى خويش

وقال اللّه تعالىٰ: **﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَ لَهُمْ اَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَ لَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها اُولئِكَ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ اُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾**(١)

١- الأعراف ـ١٧٩.

﴿١٥٥﴾

□ **قوله ﷺ: عاتِبْ أخاكَ بالإِحْسَانِ إلَيْهِ وأرْدُدْ شَرَّهُ بالإِنْعامِ عَلَيْهِ...**

قيل في معناه أي إجعل مكان عِتاب أخيك بالقول والفعل الإحسان اليه والإنعامِ في حقّه فأنّهما أنفَع في عطف جانبه اليك ودَفع شرّه عنك والعِتاب مُستعار لِلإحسان لإستلزامهما رجوع المُعاتب.

أقول: يمكن أن يكون قوله ﷺ عاتِبْ أخاكَ، من قولهم إستَعتبتُه فأعَتَبني أي إستَرضيته فأرضاني وعليه فالمعنىٰ أرض أخاك بالإحْسَانِ إلَيْهِ قَولاً وفعلاً وأردُد شّره بالإنعام والإعطاء اليه ويمكن أن يكون من المُعاتبة وهي المؤاخذة علىٰ سخطٍ وعليه فالمعنىٰ إجعل عقُوبتك ومؤاخذتك أخاك الإحسان اليه فكأنّه قيل ولا تؤاخذه بمثل ما فَعَل بك فأن شَتمك فلا تَشتمه بل أحسِن اليه.

فأنّ الإحسان من أحَسَن العقُوبات لمن كان له عقل وفهم وأمّا قوله وأردُد شَرَّهُ اليه بالإِنْعَامِ عَلَيْهِ فالوَجه فيهأن أحَسن الأموال وأفَضلها ما وَقِي به عِرضه ولذلك يقال إقطَع لسانه أي إنعم عليه فأنّ الإنعام والإعطاء الىٰ الشّاتم سكُوته وهو قَطع اللّسان عن الكلام والأصل في هذا الحكم هو قوله تعالىٰ حيث قال: **﴿إدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾** (١)

و: **﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** (٢) ولنعم ما قيل فيه:

وإذا بــغىٰ بــاغٍ عــليك بـجَهله ... فــإقتُله بـالمَعروف لا بـالمُنكر

١- المؤمنون ـ٩٦

٢- فصّلت ـ٣٤

١٥٦

▫ قوله عليه السلام: مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلاَ يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ...

والأصل فيه قول رسول الله صلى الله عليه وآله **إتَّقُوا مواضع التُّهَم**، والمراد بها كلّ موضع كان الدّخول فيه مُوجباً لِلإتّهام مثل أن يدخل الإنسان مراكز الفَحشاء والمُنكرات لا لإتيان القبائح بل لأجل شيئٍ آخر فاذا رأىٰ شخص آخر دخُوله فيها يتّهمه بها لا محالة ثُمّ يقول فلان كذا وكذا مَع أنّه ليس الأمر كذلك ففي أمثال المورد يكون اللّوم علىٰ الدّاخل فيها فلا يلُومنّ إلّا نفسه ونحن إذا فَتَشّنا وحَقَّقنا الإتّهامات الواردة على الأشخاص في الإجتماع نجد أكثرها من هذا القبيل وأن منشأها عَدم مُبالات المُتّهم بما هو وظيفته عقلاً وشَرعاً:

۱۵۷

□ **قوله ﷺ: منْ مَلَكَ إسْتَأثَرَ...**

الإستئثار الإستبداد والتَّفرّد بالرّأي والمعنىٰ أنّ مَن مَلك أمر الرّعية فقد إسْتأثَرَ وإسْتَّبد برأيه ومن المعلوم أنّ هذا الحكم كغيره من الأحكام الإجتّماعية الأخلاقّية ناظر الىٰ الأعمّ الأغلب وأن شئت قلت الحُكم كلّي عامّ بالنّسبة الىٰ غير المَعصّوم وإلّا فَعليّ ﷺ القائل لهذا الكلام كان حاكماً مالكاً علىٰ النّاس ولم يكن كذلك ولعلّه لهذا ولغيره من الوجُوه العقلّية جَعَل اللّه تعالىٰ أمر الحكُومة في الإسلام بيَده ولم يَجعل لِلنّاس ولا لآرائهم فيها نصيباً وأمّا قوله تعالىٰ: **﴿وأمرهم شُورىٰ بينهم﴾** فالمراد بالأمر في الآية غير أمر الحكُومة وقد مَرّ الكلام في أمر الشّورىٰ مفصّلاً والحاصل أنّ الإستبداد من لوازم الحُكّام والأُمراء ولم نجد مَن كان بخلاف هذه القاعدة ولم نسمع في التّاريخ أيضاً سوىٰ الأنبياء والأوصياء والسّر فيه هو أنّ شَهوة الرّئاسة في غير المعصُوم غالبة علىٰ العقل فهو يحكم في النّاس بمُقتضىٰ شهوتّه لا بمُقتضىٰ عقله ولا تكليفه والشَّهَوة في الإنسان من أقوىٰ منافذ الشّيطان وحيث أنّ الحاكم المُطيع للشَّهوة والنّفس الأمّارة يرىٰ النّاس مُطيعين له قهراً فلا يرىٰ لرأيِ غيره قيمة ولا سيّما إذا كان رأي الغير مُخالفاً لرأيه مُنافياً لمَقصَده فيَمنع غيره كائناً من كان من إظهار الرّأي ولا نعني بالإستبداد إلّا هذا.

﴿ ١٥٨ ﴾

▫ **قوله عليه السلام: من إسْتَبَدَّ بِرَأيِهِ هَلَكَ ومَنْ شاوَرَ الرِّجالَ شارَكَهما في عُقُولِها...**

بَيَّن عليه السلام حكم الإستبداد بالرّأي وحكم المَشورة، أمّا الأوّل أعني الإستبداد فقد حَكم بهَلاكه والمراد بالهَلاك هَلاك الدّنيا والآخرة فأنّ المُستَبد بالرّأي يظلم النّاس لا محالة لأنّه ليس بمعصُومٍ علىٰ الفَرض وغير المعصُوم يخطئ فلا يخلو عن الظّلم والإنحراف والظّلم يُوجب طغيان النّاس عليه وأحياناً قتله كما وقع لعثمان هذا إذا كان المُستبِّد حاكماً والياً علىٰ النّاس وأمّا إذا لم يكن من الحُكّام وكان متّصفاً به فهو أيضاً كذلك ولا أقلّ من إعراض النّاس عنه ومن كان كذلك فهو هالك في الدّنيا وهو معلوم وهالك في الآخرة لأجل ظُلمه وإنحرافه وأمّا قوله عليه السلام: **ومَنْ شاوَرَ الرِّجالَ شارَكَهما في عُقُولِها** فالوجه فيه واضح لأنّ المَشوَرة مع أهلها تُوجب الإستفادة من عقل المُستشار والإستضاءة بنُور فَهمه ودَركه وحيث أنّ العقُول في النّاس مُتفاوتة والإدراكات مُختلفة لا يمكن الإطّلاع عليها إلّا بالمَشورة والمُصاحبة مع النّاس فهي تُوجب الشّركة في عقُول النّاس وهو المطلوب ثُمّ أنّ الأصل في الحكم قوله تعالىٰ مُخاطباً لنبيّه: **﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ﴾** فإذا كان النّبي صلى الله عليه وآله مأموراً بالمَشوَرة مَع أصحابه فما ظنّك بغيره وقد رُوي عنه صلى الله عليه وآله **أنّه قال ما خابَ من إستَخار ولا نَدم من إستشار، ولا إفتَقر من إقتَصد، وقال صلى الله عليه وآله من أعجَب برأيه ضلّ ومن إستغنىٰ بعقله زَلَّ...**

وقال ﷺ ما إستُبسط الصّواب بمثل المشاورة – وقال حكيمٌ المَشورة موكّلٌ بها التّوفيق لصواب الرّأي...

وقال الحَسن البصري النّاس ثلاثة فرجلٌ رجلٌ ورجل نصف رجل ورجل لا رجل، فأمّا الرّجل الرّجل فذو الرّأي والمَشورة وأمّا الرّجل الّذي هو نصف رجل فالّذي له رأيٌ ولا يُشاور وأمّا الرّجل الّذي ليس برجل فالّذي ليس له رأيٌ ولا يُشاور، وقال المنصُور لولده خُذ عنّي أثنتين لا تقُل في غير تفكيرٍ ولا تَعمل بغير تَدبيرٍ، وقال الفضل المَشورة فيها بَرَكة وأنّي لأستشير حتّىٰ هذه الحَبَشية الأعجمية...

وقال أعرابي، لا مال أوفَر من العَقل، ولا فَقر أعَظم من الجهل ولا ظَهر أقوىٰ من المَشورة، وقيل من بَدَأ بالإستخارة وثنّي بالإستشارة فحقيقٌ أن لا يخيب رأيه:

أنّ اللّبيب إذا تَفرّق أمَره
فَتَق الأُمور مُناظِراً ومُشاوِراً
وأخُو الجهالة يستَبد برأيه
فتراه يَعتسف الأُمور مخاطراً

وقال الآخر:

يامن علىٰ الجُود صاغ اللّه راحته
فَلَيس يُحسن غير البَذل والجُود
عَمَّت عطاياك أهل الأرض قاطبةً
فأنتَ والجُود مَنحُوتان من عودٍ
مَن إستَشار فباب النّجح مُنفَتحٌ
لَديه فيما إبتغاه غير مردُودٍ

والمُستشار ينبغي أن يكون من أهل الدّين والشّرف والعَقل وغيرها من الأوصاف:

روي في البحار عن أبي جعفر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام شاور في حديثك الّذين يخافون اللّه الحديث...

وبأسناده عن الصّادق عليه السلام قال وشاور في أمرك الّذين يخشون اللّه عزّ وجلّ انتهىٰ« ج ١۶ ص ١۴٣»...

وبأسناده عن عمّار الساباطي قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام يا عمّار أن كنت تحبّ أن تستتبدلك النّعمة وتكمل لك المرؤة وتصلح لك المعيشة فلا تستشر العبد، والسّفلة في أمرك فأنّك إن إئتمنتَهم خانوك وإن حَدّثُوك كَذّبُوك وأن وعَدُوك مَوعداً لم يُصّدِقوك انتهىٰ« ص ١۴۴»...

وبأسناده قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يا علّي لا تشاور جباناً فأنّه يضيق عليك المخرج ولا تشاور البخيل فأنّه يقصر بك عن غايتك ولا تشاور حريصاً فأنّه يزّين لك شرها« الحديث ص ١۴۵»...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله إسترشدوا العاقل ولا تعصوه فتندمُوا، وقال صلى الله عليه وآله في جواب سؤال من قال ما الحَزم، مشاورة ذَوي الرأي وأتباعهم، وعن الصّادق عليه السلام قال لن يهلك إمرؤٌ عن مشورةٍ« ج ١۶ ص ١۴۵»...

١٥٩

□ قوله عليه السلام: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كانَتِ الخَيَرَةُ بِيَدِهِ...

أي من أخفىٰ سِرَّهُ ولم يفشه للّناس كانَتِ الخَيَرَةُ أي الإختيار بيده وذلك لأنّه لو أفشاه فقد خرج عن إختياره مثلاً لو أراد أن يفعل شيئاً وكَتَمه عن غيره فله الخيار في إنفاذه وعدمه وأمّا لو أفشاه فربما ألزمَته البواعث علىٰ فعله أو أجبَرَته العوائق علىٰ تركه.

روي في البحار بأسناده عن الرّضا قال لا يكون المؤمن مؤمناً حتّىٰ يكون فيه ثلاث خِصال، سُنَّة من ربّه وسُنَّة من نبيّه وسُنّة من وليّه، فالسُنَّة من ربّه كتمان سّره قال اللّه عزّ وجلّ:﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يَظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ اَحَداً اِلاّ مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ (١) وأمّا السُنّة من نبيّه فمُداراة النّاس فأنّ اللّه جلّ وعزّ أمَرَ نبيّه بمداراة النّاس قال:﴿خُذِ الْعَفْوَ وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢) وأمّا السُنّة من وليّه فالصّبر علىٰ البأساء والضّراء فأنّ اللّه عزّ وجلّ يقول:﴿وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَاْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَاْسِ﴾ (٣) انتهىٰ...

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال جُمع خير الدّنيا والآخرة في كتمان السّر ومصادقة الأخيار وجُمع الشّر في الإذاعة وموافاة الأشرار...

وقال الصّادق عليه السلام سِّرك من دَمِك فلا يجرين من غير أوداجك انتهىٰ...

١ ـ الجّن ـ ٢٦
٢ ـ الاعراف ـ ١٩٩
٣ ـ البقرة ـ ١٧٧

والأحاديث رويناها عن البحار« ج ١٦ ص ١٣٥ الىٰ ص ١٣٩»...

وقد مضىٰ شطراً منها في شرح قوله عليه السلام صدر العاقل صندوق سرّه، كلام (٥) وقد نُسِبَ الىٰ الرّضا عليه السلام أنّه قال في جواب المأمون حيث سأله عن كتمان السّر:

وأنّي لا أنسىٰ السّر كيلا أذيعُه
فيا من رأىٰ سِراً يُصانُ بأن ينسىٰ
مخافة أن يجري ببالي ذكره
فَينبُذه قَلبي الىٰ ما سِوىٰ الحشا
فَيُوشك من لَم يفش سِراً وجال في
خواطره أن لا يطيق له حَبساً

١٦٠

□ قوله عليه السلام: الفَقْرُ المَوْتُ الأَكْبَرُ...

الفَقر ضدّ الغِنىٰ والمَوت ضدّ الحياة قالوا في شرح الكلام إستعار لَفظَ المَوت بَوصف الأكبر، أمّا كون الفقر مَوتاً فلأنقطاع الفقر عن مشتهياته ومطلوباته الّتي هي مادّة الحياة وتألمه لفقدها، وأمّا أنّه أكبر فلتعاقب آلامِه علىٰ الفقير مدّة حياته وأمّا ألَم المَوت ففي وقت واحد وهو مبالغة في شدّته انتهىٰ ما ذكره البحراني رحمه الله ملخّصاً وأنا أقول ما ذكره رحمه الله لا بأس به إلّا أنّه لا يكفي في المقام فنقول لا شّك أنّ المَوت يقابل الحياة فكما أنّ الحياة في كلّ موجودٍ بَحسبَه كذلك المَوت في كلّ موجودٍ بَحسبَه فالموت في الإنسان هو ذهاب رُوحه أي مفارقة الرّوح عن الجَسَد ونُعبّر عنه بمَوت البَدن، وفي الرّيح مثلاً سكونها يقال ماتَت الرّيح، وفي النّار بَرَد رَمادها، وفي البَرد زوال بُرودتها يقال ماتَت النّار أي زالت حرارتها، مات البَرد أي زال بَردها، مات الثَّوب إذا بلَىٰ وهكذا فقد ظهر لك أنّ أنواع الموت بحسَب أنواع الحياة لأنّه لا وجود له بل هو مرٌ عدمي نُعبّر عنه بعدم الحياة فهو من حيث هو مع قطع النّظر عن الحياة لا حكم له بل لا تحقّق له فتارةً يقال الموت بإزاء القوّة النّامية الموجودة في الإنسان والحيوان والنّبات كما قال تعالىٰ: ﴿يُحْيِى الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾(١) و قال: ﴿وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾(٢) وقد يراد به زوال القوّة الحاسّة كما قال تعالىٰ: ﴿يا ليتني مُتُّ قبل هذا﴾ وقد يُراد به زوال القوّة العاقلة وهي الجهالة كما

١-الرّوم-٥٠ ٢-ق-١١

قال تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[1] و قال: ﴿إِنَّكَ لَاتُسْمِعُ المَوتَىٰ﴾[2] وقد يُراد به الحُزن المكدِّر للحياة كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَأْتِيهِ المَوتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَاهُوَ بِمَيِّتٍ﴾[3] وقد يُراد به المنام ولذلك يقال النّوم موتٌ خفيف والموت نومٌ ثقيل كما قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾[4] وقد يُراد به زوال القوّة الحيّوانية وإبانة الرّوح من الجَسَد وهو المشهور عرفاً كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[5] قاله الرّاغب في المفردات إذا عرفت هذا فلنرجع الىٰ شرح كلامه عليه السلام والبحث في مقامين:

أحدهما: أنّ الفقر المَوت، وثانيهما أنه المَوْتُ الأَكْبَرُ، أمّا المقام الأوّل أعني به أنّ الفقر هو المَوت فلا خفاء فيه بعد الإطّلاع علىٰ ما ذكرناه من أنّ المَوت يقابل الحياة وهو في كلّ شيءٍ بَحسبَه فقوله عليه السلام: **الفَقْرُ المَوْتُ** معناه عدم وجود المال والثّروة كما أنّ الغِنىٰ وجود المال لمن إتّصف به وقد قلنا أنّ فقد الحياة في كلّ شيءٍ هو مَوته:

وأمّا المقام الثاني: وهو توصيفه عليه السلام المَوْتُ بالأكبر فهو يليق بالتّأمّل والتّعمّق ولكن الشّراح لم يتّوجهوا الىٰ هذه الدّقيقة ولم يُبيّنوا المراد إلّا ما ذكره المحقّق البحراني رحمه الله وقد عَرفته من كلامه المنقول آنِفاً وما ذكره رحمه الله وأن كان صحيحاً في الجملة ولكنّه لم يحسم مادّة الإشكال ولَم يوضح الكلام كما هو حقّه والّذي حَصَل لي في المقام هو أنّ المراد بالمَوت الأكبر فَقد جميع الأوصاف الموجودة في الإنسان ويقابله المَوت الأصغر الّذي هو عبارة عن فَقد بعض الأوصاف الموجودة فيه، والفَقر هو الأوّل، وتوضيحه بحسب الإجمال هو إن المَوت كما عرفت ليس إلّا الفَقد وعَدَم الحّياة في كلّ شيءٍ فهو من الكلّمات المُنطبقة علىٰ أفراده بحسب المفهوم والمُصداق فذهاب البَصر وذهاب السّمع مَوت السّمع وذهاب العَقل موت العقل وذهاب العلم مَوت العِلم وذهاب العدالة مَوت العَدل وذهاب الصّداقة موت الصّدق وهكذا باقي

١- الانعام - ١٢٢
٢- النمل - ١٠
٣- ابراهيم - ١٧
٤- الانعام - ٦٠
٥- الزمر - ٣٠

الصّفات فَمن فَقَد جميع هذه الصّفات فهو مُتّصف بالمَوْتُ الأَكْبَرُ ومن فَقَد بعضها فهو مُتّصف بالمَوت الأصغر والفقر في الحقيقة حاوٍ لجميع هذه العيُوب ظاهراً وأن لم يكن كذلك واقعاً وذلك لأنّ الفقير المتّصف بهذه الكمالات يُعدّ في العُرف العوام فاقداً لها ألا ترىٰ أنّ الفقير لا يُعتنىٰ في الإجتماع بعلمه وعقله وزهده وصدقه وعَدله وهكذا لِفقره وإحتياجه وأمّا الغنّي فليس كذلك ومُحصّل الكلام هو أنّ أكثر النّاس يُعاملون مع الفقير معاملة مَن فَقَد جميع كمالاته ومَعَ الغنّي معاملة من حَصَل له جميع الكمالات فالفقير يُكذّب في قوله وأن كان صادقاً واقعاً والغنّي يُصدّق وأن كان كاذباً والفقير يحكم بجهله وأن كان عالماً والغنّي يحكّم بعلمه وعقله وأن كان جاهلاً وهكذا في سائر الصّفات وليس هذا إلّا من جهة أنّ الفقر جَعل الصّفات في صاحبه كالعَدم والغنّي جَعلها فيه كالموجود ولذلك قيل أنّ الفقر داءٌ لا دواء له، والفقر كاد أن يكون كُفراً فقوله ﷺ: **الفَقْرُ المَوْتُ الأَكْبَرُ** لعلّ المراد منه أنّ الفقير كأنّه فاقدٌ لجميع آثار الحَياة وعادمٌ لجميع الكمالات وهذا هو المَوت الأَكْبَرُ أي هو أكبَر من كلّ موتٍ في موردٍ واحدٍ أو أكثر فأنّ الفقير وأن كان جامعاً للصّفات واجداً لِلكمالات فاعلاً للخَيرات مُعرضاً عن القَبائح والسّيئات يكون في النّاس وحيداً غَريباً لا يَعتنُون به ولا يُراعُون حقّه فهو كمن لا وجود له أصلاً ولا مَوت أكبَر من فَقَد أصل الوجُود وبحكم المُقابلة نقول الغنّي هو الوجود الأكبَر هذا كلّه إذا أردنا من الفقر الفقر المُصطلح وهو عَدم الغنّي من حيث المال وأمّا أن حَمَلنا الفقير علىٰ الفقر الذّاتي الّذي هو لا ينفك عن الممكن كائناً من كان كما قال رسُول اللّه ﷺ الفقر فخري، وقال اللّه تعالىٰ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾**[1] فلابدّ لنا من حَمل المَوت أيضاً علىٰ ما يُقابله وعليه فالمعنىٰ أنّ الفقر الذّاتي أي ما لا وجود له واقعاً فهو المَوت الأكبر وبعبارةٍ أُخرىٰ الفقر بهذا المعنىٰ هو نفس المَوت والعَدَم إذ وجوده وجميع صفاته من غيره:

١- الفاطر - ١٥

١٦١

▫ قوله ﷺ: مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ...

لكلّ إنسانٍ على إنسانٍ آخر حقُوق ينبغي رعايتها وقضاءها وهي بين المسلمين ولا سيّما المؤمنين أكّدَ وأهَمّ وقد بَيّنها الشّارع بأنواعها وأقسامها وكفاك في ذلك رسالة الحقُوق المَنسُوبة الىٰ زين العابدين ﷺ المَذكُورة في البحار وتحف العقُول وسائر الكُتب ولسنا فعلاً بصَدد البحث فيها والّذي نقول في المقام توضيحاً لشرح الكلام هو أنّ الحقّ الثّابت شَرعاً وعَقلاً علىٰ النّاس لا يختّص بشخصٍ دون شخصٍ بل يَعمّ الجَميع نعم الحقُوق مُتفاوتة مُتغايرة بحسب المَراتب وأمّا أنّ الحقّ كما يجب علىٰ زيد مثلاً مُراعاته بالنّسبة الىٰ عمرو فكذلك يجب علىٰ عمرو بالنّسبة الىٰ زيد فهو من الطّرفين لازم المُراعاة فإذا فَرضنا لزوم العيادة لزيد في مَرضه بالنّسبة الىٰ عمروٍ فكذلك عكسه وهذا ممّا لا كلام فيه ولا مَزيّة لأحدٍ علىٰ غيره في رعاية حقّه إذا كان الغير أيضاً مُراعياً له وأنّما الكلام فيما إذا كانت الرّعاية من جانبٍ واحدٍ وهذا هو الّذي أشار ﷺ به في المقام فقال من قضىٰ حقّ من لا يقضي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ أي فقد جَعَله عَبَداً لنفسه وذلك لأنّ من قَضيت حقّه وأحَسَنتَ اليه مثلاً يعلم أنّه لم يقض حقّك وسامح في أداءه فاذا رأىٰ منك خلاف إنتظاره يصير خاضعاً ذليلاً بالنّسبة اليك وهو معنىٰ كونه عبداً لك:

١٦٢

□ قوله عليه السلام: لا طَاعةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ....

أي إذا كانت طَاعةَالمخلُوق سبباً وعلّةً لمعصية الخَالِقِ فلا طَاعَةَ له كائناً من كان والسّر فيه هو أنّ الطّاعة علىٰ نوعين، ذاتّية، تَبْعية وأن شئت قلت أصلّية وفرّعية:

أمّا الأصّلية فهي الطّاعة التّي وجبت بالأصالة من غير واسطةٍ بين المُطيع والمُطاع وهي مُنحصرة بطاعة اللّه تعالىٰ تعالىٰ فأنّ طاعة المَخلُوق لخالقه والمَعلُول لعلّته أصلّية ذاتّية لا واسطة فيها وأمّا الفرّعية منها فهي التّي في طول طاعة اللّه وبعبارةٍ أُخرىٰ هي التّي أوجب اللّه تعالىٰ علىٰ عباده بحيث لو لم يُوجبها لما كانت واجبة لارمة وذلك كطاعة المخلُوق أيّ مخلوقٍ كان حتّىٰ النّبي والوّصي فأنّ طاعة النّبي والوّصي واجبة بطاعة اللّه لا بذاتها مع قطع النّظر عن اللّه تعالىٰ وأمَره بها ولذلك نقول الطّاعة في الأصل واحدة وهي طاعة الخالق وأمّا غيرها من الطّاعات مثل طاعة النّبي والوّصي والمعلّم والأبوين وأمثالها فهي في الحقيقة نشأت من طاعة اللّه تعالىٰ لا أنّها طاعة برأسها فلا تجب الطّاعة بل لا تجوز إلّا بإذن اللّه تعالىٰ وهذا أصل نعتمد عليه في جميع الموارد وعليه فاذا كانت طاعة المَخلُوق علّة مُوجبة لمعصية اللّه كيف يمكن القول بجوازه فَضلاً عن وجوبه كما اذا أمَر المخلُوق بالقتل والهَتك والهَدم وأمثالها بلا مجّوز شرّعي له فلا يصّح الإطاعة بل تحرم ولا يُفيد القول بأنّ المأمور معذور:

﴿١٦٣﴾

□ **قوله ﷺ: لا يُعابُ المَرْءِ بِتأخيرِ حَقِّهِ إنّما يُعابُ مَنْ أَخَذَ ما لَيْسَ لَهُ...**

أي مسامحة المَرء وإهماله في أخَذ حقّه لا عيب فيه وأنّما العَيب في أخذه حقّاً لَيس له وفي هذا الكلام إشارة الىٰ أصلين:

أحدهما: أنّ الحقّ ينبغي لصاحبه أن يُطالبه ويأخذ به.

وثانيها: أنّ ما ليس له لا ينبغي أن يُؤخذ فأشار ﷺ:

الىٰ الأوّل بقوله ﷺ: **لا يُعاب المَرء بِتأخِيرِ حَقِّهِ...**

والىٰ الثّاني بقوله ﷺ: **إنَّما يُعابُ مَنْ أَخَذَ ما لَيْسَ لَهُ...**

والوجه في الحكمين واضح فأنّ التّأخير في أخَذ الحقّ لا يُوجب تضييع حقّ من غيره ولا من نفسه وأمّا أخذه ما ليس له فهو حرامٌ مُحرَمٌ ولا يبعد أن يكون المراد بأخذه ما ليس له أخذه ما ليس من حقّه مكان حقّه وهو أيضاً ممّا لا ينبغي عقلاً وشرعاً:

﴿١٦٤﴾

▫ قوله ﷺ: الإِعْجَابُ يَمْنَعُ منَ الإزْدِيادِ...

وذلك لأنّ المُعجب بنفسه وَثِقَ بكمالها وأنّه حَصَل لها الكمال كلّه فلا يطلب الزّيادة في الكمال فلا يزيد الكمال في نفسه بل ينقص وهذا بخلاف غير المُعجب بنفسه فأنّه يراها ناقصة محتاجة الىٰ الإزدياد والكمال مادام عُمره فيزيد الكمال فيها آناً فآناً وهذا الكلام يدَل علىٰ قُبح العُجب وأنّه من المُهلكات لِلنّفس في الدّنيا والآخرة وقد مَرّ الكلام في حقيقة العُجب وما وَرد في ذمّه.

١٦٥

□ قوله عليه السلام: الأَمْرُ قَرِيبٌ والاصْطِحَابُ قَلِيلٌ...

المراد بالأمر المَوت والمعنىٰ أنّ المَوت الّذي هو عبارة عن فراق الأحبّة قَريبٌ من الإنسان والإصطحاب أي مُصاحبة الدّنيا وأهلها قليل مُدّته والعاقل لا يغفل عن القريب بمُصاحبة القليل:

والدّليل علىٰ الأوّل:

قوله تعالىٰ:﴿**وَمَا أَمرُ السَّاعَةِ إلّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**﴾(١)

و: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً**﴾(٢)

وعلىٰ الثّاني:

قوله تعالىٰ: ﴿**قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالأَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتَّقَىٰ**﴾(٣)

و: ﴿**فَمَا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِي الأَخِرَةِ إلَّا قَلِيل**﴾(٤)

١- النّحل ـ ٧٧
٢- الأحزاب ـ ٦٣
٣- النّساء ـ ٧٧
٤- التّوبة ـ ٣٨

﴿١٦٦﴾

□ قوله ﷺ: قَدْ أضاء الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ...

إستعار ﷺ لفظ الصُّبْحُ لطريق الحقّ ووصَفه بالضّياء لوضـوحه وظـهُوره بحَسَب الشّرع وقوله لِذِي عَيْنَيْنِ أي لمن له عينان عين في الظّاهر ليَعتبر بها وعين في الباطن ليُدرك بها فأنّ عين البَصيرة غير عين الحاسّة ويمكن أن يراد بهما عين يرىٰ بها الدّنيا وعين يرىٰ بها الآخرة كما قال رسُول اللّه ﷺ أنا ذو العَينَين والمآل واحدٍ وكيف كان فالمَقصُود أنّ العاقل البَصير يرىٰ بعين بَصيرته الّتي نشأت عن عين حاسّته أنّ ظلمة الحياة الدّنيا قد إنقَضَت وضياء صبح الآخرة قد قَرُبَت وكما أنّ ضياء الصّبح عقيب ظلمة اللّيل كذلك صبح الآخرة عقيب ظلمة الدّنيا وعالم الإمكان بشراشره ظُلمة لكونه مشوبٌ بالمّاهيات والموّاد مضافاً الىٰ الهُموم والحوادث وأمّا عالم الآخرة فهو بشراشره نورٌ لتنزّهه عنها.

﴿١٦٧﴾

▫ **قوله عليه السلام: تَرْكُ الذَّنْبِ أهْوَنُ منْ طَلَبِ المَعُونَةِ...**

وفي بعض النُسَخ التّوبة مكان المَعُونَةِ والمآل فيهما واحد فأنّ المراد بالمعُونة ما يستعان به لتدارك الذّنب وهو التّوبة لا غيرها فأنّ دواء الذّنب التّوبة وكيف كان فالمعنىٰ واضح فأنّ تَرْكُ الذَّنْبِ أهْوَنُ وأسهَل من طلب التّوبة والسِّر فيه هو أنّ ترك الذّنب بيد المُذنب وتحت إختياره وأمّا قبول التّوبة وغفران الذّنب فهو خارج عن إختياره فيمكن أن لا يكون مُوفَقاً بها أصلاً وعلىٰ فرض التّوفيق يمكن أن يكون الذّنب ممّا لا يقبل التّوبة كالشّرك باللّه أو يَقبل لكن قبولها مشروط كما إذا كان الذّنب من قبيل حقّ النّاس وأمثال ذلك من العَويصات والعاقل لا يفعل شيئاً له تبعات كثيرة ألا ترىٰ أنّ ترك سَب المُسلم وإيذائه في الدّنيا أسهَل من إسترضاءه وإستحلاله:

﴿١٦٨﴾

□ قوله عليه السلام: كَمْ منْ أكْلَةٍ مَنَعَتْ أكَلاَتِ...

الأكلة المرّة من الأكَل فأنّ التّاء تفيد الوَحدة والأكَلات جَمعها وهو من الأمثال السّائرة وقيل أوّل من قال ذلك عامر بن الظّراب العدواني وقيل غير ذلك وكيف كان معناه واضح ومصاديقه كثيرة والمقصود أنّ القائل ينبغي له أن ينظر الىٰ طعامه كمّاً وكيّفاً وحكماً قال اللّه تعالىٰ: ﴿**فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ**﴾ (١)

١- البقرة ـ ٢٥٩.

١٦٩

□ قوله ﷺ: **أَلنَّاسُ أَعْدَاءُ ما جَهِلُوا...**

وهو يدّل علىٰ شرف العلم وفضيلته إذ لو لم يكن العلم شريفاً مطلوباً لكلّ أحدٍ لما كان النَّاسُ أعْدَاءً لضدّه وهو الجهل ألا ترىٰ أنه لا يرضىٰ أحد بأن يقال له أنتَ جاهلٌ مع أنّه جاهل واقعاً ويرضىٰ أن يُقال له أنتَ عالم مع أنّه ليس به وقد مرّ الكلام في العلم والجهل غير مرّةٍ.

١٧٠

□ **قوله ﷺ: من إسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاء عَرَفَ مَوَاقِعَ الخَطَاءِ...**

أي من طلب آراء النّاس في مسئلةٍ أو مسائل من وجوهها الصّحيحة إنكشف له موارد الخطأ فإحترَس منها بخلاف من لم يطلبها وإعتمد على رأيه فأنّه لا يعرف وجوه الخَطَاءِ أصلاً ففي هذا الكلام حثٌّ على الإعتناء بآراء العقلاء في أمر الدّين والدّنيا وقدحٌ على التّفرد بالرّأي وعدم الإعتناء بآراء غيره فهو كقوله ﷺ **من إستبدّ برأيه هَلَكَ:**

١٧١

□ قوله ﷺ: مَنْ أحَدَّ سِنَانَ الغَضَبِ لِلّٰهِ قَوِيَ علىٰ قَتْلِ أشَدَّاء البَاطِلِ...

أحَدَّ بتشديد الدّال أفعَل التفضيل من الحِدّة والسّنان بكسر السّين نصل الرّمح أثبَت ﷺ للغَضَب سناناً وجَعَل لِلسّنان حِدّة تخييلاً فالإستعارة تخيّلية من قبيل أنياب أغوال، وقد مرّ الكلام في الغَضَب سابقاً وقلنا أنّه عبارة عن كيْفية نفسّانية موجبة لِحركة الرّوح من الدّاخل الىٰ الخارج للغَلبة ومَبدأه شهوة الإنتقام وهو من جانب الإفراط والنّاس في هذه القوّة علىٰ إفراطٍ وتفريطٍ وإعتدالٍ، فالإفراط أن تغلب هذه الصّفة حتّىٰ تخرج صاحبها عن طاعة العقل والشّرع ولا تبقىٰ له فكر وبصيرة، والتّفريط أن تفقد هذه القوّة أو تضعف بحيث لا يغضب الإنسان عمّا ينبغي الغَضَب عليه شرعاً وعقلاً، والإعتدال أن يصدر غَضبه فيما ينبغي ولا يصدر فيما لا ينبغي بحيث لا يخرج عن سياسة الشّرع والعقل بل يكون تابعاً لهما في الغَضب وعَدمه فيكون غضبه وإنتقامه بأمرهما ولا ريب أنّ الإعتدال فيه ليس مذموماً ولا معدوداً من الغَضَب بل هو من الشّجاعة، وأمّا التّفريط فهو مذموم معدود من الجُبن والمهانة وربما كان أخبَث من الغَضَب إذ الفاقد لهذه القوّة لا حميّة له وهو ناقص جدّاً ومن آثاره عدم الغَيرة علىٰ الحَرَم وصغر النّفس والجَور وتحملّ الذُّل والمداهنة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر وغير ذلك من المفاسد المترتبة عليه، وأمّا الإفراط فيه فهو معلوم لا يحتاج الىٰ توضيح في ذمّه كيف وهو يخرج الإنسان عن حريم الإنسانية ويدخله في زمرة البهائم فهذه هي أقسام الغَضب

وأحكامها إذا عرفت هذا فنقول:

الغَضَب إذا كان في طَرَف الإفراط فهو للشّيطان وفي طرف التّفريط فهو جُبنٌ مذمُوم مخالف للغيرة والحَميّة وفي حَدّ الإعتدال يكون لِلّه تعالىٰ وهذا المعنىٰ هو المراد بقوله ﷺ من أحَدّ سنان الغَضَب لِلّه وقد يطلق على الغَضَب بهذا المعنىٰ الشّجاعة الّتي هي مَمدُوحة ولذلك قال ﷺ قَوِي علىٰ قَتل أشدّاء الباطل كما قال اللّه تعالىٰ في كتابه:﴿أَشَدّاء عَلىَ الْكُفّار﴾ (١) وقال تعالىٰ مخاطباً لنبيّه:﴿وأغلِظ عليهم﴾ (٢)

١ - الفتح ـ٩ـ
٢- التوبة ـ٣ـ

١٧٢

□ **قوله ﷺ: إذا هِبْتَ أمْراً فَقَعْ فِيْهِ فأنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أعْظَمُ مِمّا تَخَافُ مِنْهُ...**

أي إذا تَخوّفتَ من أمرٍ فأدخُل فيه فأنّ ألَم الخوف منه أشدّ من مُصيبة الوقُوع فيه أشار ﷺ بهذا الكلام الىٰ أنّ الإنسان لا ينبغي له الخوف إلّا من ذَنبه كما قال في بعض كلماته ولا يخافنّ إلّا ذنبه، وأمّا غير الذّنب من أُمور الدّنيا فلا خوف فيه فأنّ اللّه تعالىٰ جَعَل الدّنيا وما فيها مقهورة مغلوبة لِلإنسان قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجرِي فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾** (١) وغيرهما من الآيات فلو كان الإنسان مضطرباً خائفاً مُتزلزلاً عند دخوله في أمرٍ من الأُمور لا يصل الىٰ كماله المطلُوب ألبَتّة وقد ثبت أنّ الخوف من غير اللّه ينشأ من ضعف الإيمان فأنّ المؤمن لا يكون جباناً.

١- الحج - ٦٥

١٧٣

□ قوله ﷺ: آلةُ الرِّياسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِ...

سَعَةُ الصَّدْرِ كناية عن الجُود والعطاء والبَذل والمعنىٰ أنّ آلةُ الرِّياسَةِ وَسَبَبَها هي الجُود فأنّ البَخيل لا يصل اليها لبُخله وأن كانت شرائط الرّياسَةِ فيه موجودة وهذا ممّا لا شّك فيه لأنّ التّجربة قد دلّت عليه وأمّا سّره العقّلي فهو أنّ النّاس عبيد الدّنيا ولا إلتفات لهم بغير الدّنيا وزخارفها فَمن كان أقدَر علىٰ تأمين دنياهم فهو أولىٰ بالرّئاسة عليهم سواء كانت الرّئاسة بحقٍّ أم لا فأنّ الملاك ما ذكره ﷺ وذكرناه والىٰ هذا المعنىٰ أشار الشّاعر بقوله:

عـلّيٌ وعـبد اللّـه بـينهما أبٌ ... وشتّان ما بين الطّبائع والفِعل
أَلَم تر عبد الله يلحي علىٰ النّدىٰ ... علّياً ويلحاه علّيٌ علىٰ البُخل

وقال الآخر:

يـقول أنـا الكـبير فـعظّموني ... ألا ثكـلَتك أُمّك مَـن كـبيرُ
إذا كـان الصّـغير أعـمّ نـفعاً ... وأجـلَد عـند نـائبة الأُمـور
ولَـم يأت الكـبير بـيومٍ خيراً ... فما فضل الكبير علىٰ الصّغير

﴿١٧٤﴾

▫ **قوله عليه السلام: إزْجُر المُسِيَّ بِثَوابِ المُحْسِنِ...**

أي أن أردتَ زَجر المُسيِ وإيذائه في إساءته فأحسِن الىٰ المُحْسِنِ في إحسانِه بإعطاءه جزيل الثّواب فأنّه زجرٌ لِلمُسيِ وذلك لأنّ المُسيِ إذا رأىٰ إحسان المُحسِن وعدم الإحسان في حقّه يعلم أنّ منع الإحسان عنه لأجل إساءته فَيرجع عنها وأمّا إذا لم تعط المُحسِن ثواب إحسانه فلا زجر للمُسيِ لأنّه يرىٰ أن الإساءة والإحسان علىٰ السّواء فيدُوم علىٰ إساءته ومحصّل الكلام أن إعطاءك المُحسِن حقّ إحسانه يُوجب رجوع المُسيِ عمّا كان من الإساءة وهو يكفيه في زجره كما قال الشّاعر:

إذا جازيتَ بالإحسان قوماً ⁂ زَجَرتَ المذنبين عن الذّنوب

فما لَكَ والتّناول من بعيدٍ ⁂ ويمكنك التّناول من قريبٍ

١٧٥

□ **قوله ﷺ: أُحْصِدُ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غيرِكَ بِقَلْعِهِ منْ صَدْرِكَ...**

أُحصُد بضمّ الهَمزة والصّاد مثل أنصُر من حَصَد حصاداً والحصاد بالفتح والكسر قطع الزّرع قال اللّه تعالى:﴿فمَا حَصَدْتُم فَذَرُوه في سُنْبُلَه﴾ (١) ومعنى الكلام إقطع الشَّر من البُخل والحَسَد والعِناد وأمثالها من الشّرور من صَدر غيرك بسبب قلعه وقطعه من صَدرك فإذا شئت قطع العداوة عن صَدْرِ غيرِكَ بأن لا يعاديك فأقطعها عن صدرك وهكذا فإنّ القلب يَهدي الى القلب:

١- يوسف ـ ٤٧

﴿١٧٦﴾

□ **قوله ﷺ: اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأيَ...**

اللَّجَاجَةُ بفتح اللاّم مصدر قولك لَجَّ لَجاجاً ولَجاجةً وهي شدّة الخُصُومة تَعَصّباً لا يَلَحق، وتَسُل بفتح التّاء وضّم السّين فعل المضارع من سَلّ إذا ذَهَب والمعنىٰ إنّ اللّجاجة تَذهَب الرّأي السّديد وذلك لإنّ اللّجُوج لا يـقدر عـلىٰ التّفكر الصّحيح لإنّ عقله يصير تابِعاً لِعِناده وخصُومته وقد ثـبت إنّ التـعّقل الصّحيح يحتاج الىٰ الإعتدال في القُوىٰ وهو واضح:

١٧٧

□ قوله ﷺ: **أَلطَمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ...**

وذلك لأنّ الطّامع لطمعه يصير رقّاً لغيره أبداً والوجه فيه واضح لأنّ الإنسان اذا رأىٰ نفسه مُحتاجة الىٰ غيره فلا محالة يخضع ويخشع وله ليَصل الىٰ مَقصده ولا نعني بالرَّق إلّا هذا وقد مَرّ الكلام في ذمّ الطمَعْ بما لا مزيد عليه وأنّه يُوجب كون الطّامع ذليلاً لغيره كما قيل:

إذا طاوعت حرصك كنتَ عَبداً ... لكلّ دَنيئةً تدعىٰ اليها

وقال الآخر:

تعالىٰ اللّه يا سَلم بن عَمرو ... أذَلّ الحِرص أعناق الرّجال

هَب الدّنيا تفاد اليك عِطراً ... أَلَيس مَصيرُ ذلِك لِلزّوال

وقال الآخر:

لا تغضِبَنَّ علىٰ إمرؤٍ ... لك مانعُ فيما يَدَيه

وإغضَب علىٰ الطّمع الّذي ... إستَدعاك تطلب ما لَديه

۱۷۸

□ قوله عليه السلام: ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامةُ وثَمَرةُ الحُكْمِ السَّلاَمةُ...

التَّفْرِيطِ إضاعة الحَزم في الأُمور وحيث أنّ الحَزم عبارة عن تَقديم العَمَل للحوادث المُمكنة المستقبلة بما هو أقرب لِلسّلامة وأبعَد من الغرور لا جَرم كان ذلك مَظَنة السَّلاَمةُ والتَّفْرِيطِ في العَمل لما يستقبل من الحَوادث مَظّنة الوقُوع فيها وعَدم السّلامة من بلائها وهو مستلزم لِلنّدامة وما ذكره عليه السلام حقّ يجب مراعاتها في جميع الشّئون فأنّ التّفريط مذموم في جميع الأُمور والإفراط أيضاً كذلك وأمّا الحَزم والتّدبير يُوجب سلامة الدّين والدُّنيا:

﴿١٧٩﴾

□ **قوله ﷺ: لا خيرَ في الصَّمْتِ عَن الْحُكْمِ كما أنَّهُ لا خيرَ فِي القَوْلِ عن الجَهْلِ...**

الصّمت السّكوت والمعنىٰ أنّ السّكوت عن بيان الحكم مذموم لا خير فيه وكلّ ما لا خير فيه فهو شّر وكذلك القول النّاشئ عن الجَهْلِ والسّر في عَدم الخَير فيهما هو أنّهما من الظّلم لأنّ الظّلم عبارة عن وضع الشّئ في غير محلّه كما أنّ العَدل وضعه في محلّه ومن المعلوم أنّ الحكم يجب بيانه فَوضع الصّمت مكان النّطق وضع الشّئ في غير محلّه وهكذا في القول عن الجَهل اذ وظيفة الجاهل السّكوت عمّا لا يعلم فَوَضع القول مكانه وضع الشّئ في غير محلّه وهو ظلم والظّلم قبيح وفي هذا الكلام إرشاد الىٰ أنّ الصّمت مطلقاً غير ممدوح كما أنّ النّطق كذلك غير مَمدُوح بل لابدّ للمتكلّم والصّامت من تشخيص مَورديهما وقد مَرّ الكلام غير مرّةٍ.

١٨٠

▫ **قوله ﷺ: ما اخْتَلَفتْ دَعْوَتانِ إِلّا كانَتْ إحْدَاهُما ضَلاَلَةَ...**

وذلك لأنّ الدّعوة من أيّ داع كان لا تَخلو حالها عن أمرين، حقّ وباطل، ولا ثالث في البين لأنّ ما ليس حقّاً فهو باطل وما ليس بباطلٍ فهو حقّ لكلّ أمرٍ من الأُمور لا يخلو منهما فإذا فَرضنا دَعَوتين من شخصين فالشّقوق المُحتملة هنا ثلاثةٍ، أحدها أن يكونا في دَعَوتهما متّفقين بأن كان ما يدعو اليه زيد مثلاً يدعو اليه عمرو أيضاً، وكان المدّعو به حقّاً كما إذا قال **أحدهما** لا تكذب والآخر أيضاً قال لا تكذب فهما متّفقان في الدّعوة وهي أيضاً حقّ:

وثانيهما أن يكون كذلك وكان المدّعو به باطلاً مثل أمرهما بالكذب حقّاً وهو باطلٌ.

وثالثها أن يكونا مُختلفين في دعوتهما كان يقول أحدهما لا تشرب الخَمر مثلاً قال الآخر أشربه ففي المفروض لا محالة أحَد القولين كذب وصاحبه في ضلالة إذ الحكم بصحّة القولين يلزم منه إجتماع النّقيضين والحكم بكذبهما يلزم منه إرتفاعهما فلا محالة نحكم بصّحة قول أحَدهما وكذب الآخر فما هو محكوم بالصّحة هادٍ، وما هو محكوم بعَدمها ضالٌّ، فالحكم عقلّي دائر بين النّفس والإثبات:

١٨١

□ قوله عليه السلام: ما شَكَكْتُ في الحَقِّ مُذْ أُرِيْتُهُ...

أشار عليه السلام بهذا الكلام الىٰ مقام يقينه وأنّه لم يعرض عليه شَك أصلاً في الحقّ وفي قوله مُذ أُرِيته،بضّم الهمزة بصيغة المَجهول إشارة الىٰ أنّه أخَذ يقينه فيه من اللّه ورسُوله والمعنىٰ أنّي ما شَككْتُ في الحقّ مُذ أُريته بواسطة رسُوله وهو صدقٌ فأنّ من كان إستعداده وقابلّيته لدرك الحقائق في أعلىٰ المَراتب بعد رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وإستاذه أشَرف الخلائق بإذن اللّه تعالىٰ ومُصاحبته في طول حياته صلى الله عليه وآله له في حدّ النّجوىٰ وتفهيم الأسرار المخصُوصة به فحقٌّ له أن يقول بمثل هذه المقالة التّي لم يقلها إلّا هو وأولاده المعصُومون:

١٨٢

□ **قوله عليه السلام: ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ ولا ضَلَلْتُ ولا ضُلَّ بي...**

ما كَذَبتُ بفتح الكاف والذّال وكلمة ما، للنّفي وقوله لا كَذِّبتُ، بضّم الكاف وكسر الذّال المُشددة مجهول الماضي باب التّفعيل وهكذا الكلام في قوله ضَللتُ وضُلَّ بي فالأوّل بفتح الضّاد والثّاني بضّم الضّاد معلوم الماضي ومَجهوله والمعنىٰ أنّي ما كَذبتُ قطّ وذلك لأنّه عليه السلام كان مَعصُوماً والكذب من الذّنوب والمَعصُوم لا يذنب وإلّا لا يكون مَعصُوماً، وقوله عليه السلام: **ولا كُذِّبتُ**، أي لم يقل أحَد بأنّي كاذبٌ في قولي هذا اذا كان قوله عليه السلام: **ولا كُذِّبتُ** بتشديد الذّال من باب التّفعيل كما ضَبطّوه كذلك ويحتمل التّخفيف في اللّفظ وعليه فالمعنىٰ أنّ الرّسُول صلى الله عليه وآله لم يقل ما قال لي كذِباً وأظنّ أنّ هذا المعنىٰ أوفَق بسياق العبارة وأنَسَب لِلواقع.

أمّا الأوّل: أعني سياق العبارة فأنّ الفعلين علىٰ هذا من باب واحدٍ وعلىٰ قولهم فلا.

وأمّا الثّاني: أعني الواقع، فلأنّ المُخالفين له عليه السلام أمثل معاوية وعمرو بن العاص وغيرهما كذّبوه فكيف يصّح القول بأنّي لا كُذِّبتُ وأمّا علىٰ ما قلناه فلا إشكال فيه لأنّ الرّسُول صلى الله عليه وآله لم يكذب له أصلاً اللّهم إلّا أن يقال أنّ قوله ولا كُذِّبت بتشديد الذّال معناه لا كُذّبتُ من جانب الرّسُول صلى الله عليه وآله وهو كما ترىٰ لا دليل عليه من اللّفظ: وأمّا قوله عليه السلام: **ولا ضَلَلْتُ ولا ضُلَّ بي** معناه أنّي ما ضَللتُ في ديني ولا أضللتُ أحَداً في دينه وهو كذلك فأنّه عليه السلام كان هادياً مهْدياً:

□ قوله عليه السلام: لِلظَّالِمِ البَادِي غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ...

المراد بالغَد هو يوم القيامة وفيما ذكره إشارة الىٰ قوله تعالىٰ حيث قال:﴿يَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾(١) يقال عَضّه عضّاً إذا أمَسَكه بأسنانه ويقال أيضاً عضّ به الزّمان، إشتّد عليه، عضّ الشّئ نومه وإستمسك به، وذلك عبارة عن النّدم لما جرىٰ به عادة النّاس أن يفعلوه كما قال تعالىٰ: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمْ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾(٢) ومعنىٰ العبارة أنّ الظّالم يعضّ علىٰ يَده غداً يوم القيامة نادماً علىٰ ما فَعَل في الدّنيا من الظّلم وقد مَرّ الكلام فيه:

١- الفرقان-٢٧

٢- آل عمران-١١٩

﴿١٨٤﴾

▫ **قوله ﷺ: الرَّحِيلُ وَشِيكٌ...**

أي أنّ الرَّحِيلَ من الدّنيا الىٰ الآخرة قَريبٌ وفيه إشارة الىٰ قُرب المَوت وغَفلة النّاس عنه وإعتمادهم علىٰ الدّنيا التّي لا بقاء لها وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً غير مرّةٍ.

١٨٥

□ قوله عليه السلام: مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ...

الإبداء الإظهار والصَّفَحة كناية عن الوَجه والمعنىٰ من ظَهَر بمقاومة الحَقّ هَلَك في الدّنيا والآخرة ويمكن أن يكون المعنىٰ من أعَرَض عن الحقّ هَلَك وذلك لأنّ الصّفحة تظهر عند الإعراض بالجانب وعلىٰ كلا التّقديرين فالكلام خَرج مَخرج الإستعارة ولا يحتاج الىٰ توضيحٍ أكثر ممّا ذكرناه.

﴿١٨٦﴾

□ **قوله ﷺ: مَنْ لَمْ يُنَجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ...**

وذلك لأنّ الإنسان إذا لم يصبر على المُصيبة فلا محالة يجزع عليها إذ لا يخلو الحال منهما وقد ثبت أنّ الصَّبْرُ أَنَفَع وأَصَلَح له عقلاً وشرعاً فإذا لم يُنجه الصّبر أهَلَكه الجَزَع ولا نَفع له فيه وقد مَرّ البَحث في الصَّبْرَ.

١٨٧

▫ قوله عليه السلام: وَاعَجَباهُ! أَتكُونُ الخِلاَفَةُ بالصّحَابَةِ والقَرابَةِ؟ ورُوِيَ لهُ شِعْرٌفي هذَاالمَعْنَى...

أكثر النُّسخ واعجباه أتكُون الخلافة بالصّحابة ولا تكُون بالصّحابة والقرابة.

الهمزة في قوله عليه السلام: **أتَكُون** لِلإستفهام الإنكاري أي لا تكون الخلافة كذلك والمعنىٰ أتكُون الخلافة بسبب الصّحابة أي بمُصاحبة النّبي وقَرابته أي ليس الأمر كذلك.

وعلىٰ الثّاني: أتكُون الخلافة بسبب الصَحابة ولا يكون بها وبالقرابة مَعاً، فهو عجيبٌ، أقول علىٰ مَسلَك الحقّ لا فرق بين الجُملتين في إفادتهما التّعجب لأنّ الخلافة بالنّص وليست بالقرابة ولا بالصّحابة مَعاً ومُنفرداً فعلىٰ التّقديرين يكون التّعجب في محلّه وحاصل الكلام:

أمّا علىٰ الأوّل: فقد مَرّ بيانه.

وأمّا علىٰ الثّاني: فهو إشارة الىٰ أن أبا بكر إستّدل يوم السّقيفة بكونه صاحباً لرسُول اللّه والدّليل عليه هو قول عُمر له حيث قال عُمر أُمدد يَدك أنت صاحب رسُول اللّه صلى الله عليه وآله وقيل أنّ أبا بكر لمّا قال لعُمر أُمدد يَدك قال له عُمر أنت صاحب رسُول اللّه في المَواطن كلّها وكيف كان لا شّك في إستدلالهم في الخلافة بكونهم من أصحابه فقال عليه السلام واعجباه أتكُون الخِلاَفَةُ بها وَلا تَكُونُ بها وبالقرابة مَعاً وكلاهما ثابتان في حقّي وقد مَرّ الكلام في السّقيفة عند شرحنا للخُطبة الشّقشقية مفصّلاً فلا نعيد الكلام بذكرها ثانياً ثُمّ قال الرّضي رحمه الله وقد رُوي له عليه السلام شعر:

فـإنْ كُـنْتَ بـالشُّورَىٰ مَـلكْتَ أُمـورَهُمْ
فكَـيْفَ بِـهذَا والمُشـيرُونَ غُـيَّبُ
وإن كُـنْتَ بـالقُرْبَى حَـجَجْتَ خَـصِيمَهُمْ
فَـغيْرُكَ أوْلىٰ بـالنبيِّ أقْـرَبُ.

أي أن كان الملاك في صحّة خلافته الشّورىٰ فهو باطل لغيبة المُسلمين عنها وأن كان الملاك القرابة لرسُول اللّه فغير أبي بكر وأراد به نفسه الشّريفة أولىٰ بها منه ينتج أنّ خلافتهم كانت باطلة لعَدم خلّوها عن الأمرين الباطلين فبأيّ دليلٍ أخَذوها:

▫ قوله ﷺ: إنّما المَرْءِ في الدُّنْيا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فيهِ المَنَايا ونَهْبٌ تُبادِرُهُ المصائبُ وَمَعَ كلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ وفِي كلِّ أَكَلَةٍ غَصَصٌ. ولا ينالُ الْعَبْدِ نِعْمةٍ إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى ولا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرهُ إِلَّا بِفَراقِ آخَرَ منْ أجَلِه فنَحْنُ أَعْوَانُ المَنُونِ وأنْفُسُنا نُصْبُ الحُتُوفِ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو البَقَاءَ وهذَا اللَّيْلُ وَالنَّهارُ لمْ يَرْفَعا منْ شَيْءٍ شَرَفاً إِلَّا أَسْرَعاً الْكَرَّةَ في هَدْمِ ما بَنَيَا وتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا).

◁ اللّغة

(غَرَضٌ) الغَرَض بالتّحريك ما يُنصَب ليُرمىٰ اليه (تَنْتَضِلُ) أي تصيب وتُثبت (المَنَايا) بفتح الميم جمع منيّة وهي المَوت (نَهْبٌ) النُّهب بفتح النّون وسكون الهاء ما يُنتهَب، الفارة، (شَرَقٌ) بالتّحريك وقوف الماء في الحَلق (غَصَصٌ) جمع غُصّة (المَنُونِ) بفتح الميم وضمّ النّون المَوت (نُصْبُ الحتُوفِ) النُّصب بضّم النّون وقيل بفتحها والحُتُوف بضّم الحاء والتّاء جمع حَتف وهو الهَلاك أي تجاه الهَلاك (شَرَفاً) الشَّرَف بالتّحريك المكان العال:

◁ الشّرح

▫ قوله ﷺ: إنّما المَرْءِ في الدُّنْيا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ المَنايا ونَهْبٌ تُبادِرُه المَصائِبُ...

كلمة (إنّما) تفيد الحصر والمعنىٰ أنّ المَرْءِ في الدُّنْيا صار هَدَفاً لنبال المَوت

ونَهبٌ تبادره المصائب أي أنّ المصائب والبلّيات تنتَهَبُه وتأخذه فكأنّه قال يُنتَهب وقد مرّ نظير هذا الكلام منه عليه السلام في مطاوي (طيّات) الكتاب غير مرّةٍ بعبارات مختلفة عباراتنا شتّىٰ وحُسنك واحدُ:

▫ **قوله عليه السلام: ومَعَ كلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ وفِي كلِّ أكلَةٍ غَصَصٌ...**

أي ومَعَ كلِّ جَرْعَةٍ يتّجرعها من الماء شَرَقٌ أي كدورةٍ وألَم وفي كلّ أكلَةٍ ولقمةٍ غَصَص وهو أيضاً صحيح فأنّ الدّنيا ونِعمها لا حلاوة فيها أصلاً ولذلك قال عليه السلام:

▫ **قوله عليه السلام: ولا ينالُ الْعَبْدُ نِعْمةً إلّا بِفَراقِ أُخرَى ولا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إلّا بِفِرَاقِ آخَرَ منْ أَجَلِهِ...**

أي حصول كلّ نعمةٍ من نِعم الدّنيا يستلزم ذهاب نعمةٍ أُخرىٰ وإستقبال كلّ يوم من العُمر مستلزم بفراق يوم آخر من أجَلَه وذلك لأنّ مجيئ كلّ يوم بعد إنقضاء يوم:

▫ **قوله عليه السلام: فنَحْنُ أعْوَانُ المَنُونِ وأنْفُسنا نَصْبُ الحُتُوف الىٰ آخر الكلام...**

الفاء للتّفريع أي إذا كانت الدّنيا علىٰ منوال ما ذكرناه فنَحْنُ أعْوَانُ المَهالك وأنصارها ولا نتَوجه اليه فَمِن أيْنَ نَرْجُو البَقاءَ في الدّنيا (وهذَا اللَّيْل والنَّهارُ لمْ يَرْفَعا (منْ شَيْ شَرَفاً) أي مكاناً عالياً إلّا أَسَر الكَرّةَ والهَجَمة في هَدم ما بَنَينا في الدّنيا وتَفْرِيقِ مَا جَمعَا، أي أنّ شغل اللّيل والنّهار هَدَم أبنيتهما وتفريق مُجتمعهما.

١٨٩

▫ **قوله عليه السلام: يا ابْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فأنْتَ فِيهِ خازِنَ لِغيرِكَ...**

أي ما كَسَبْتَ في الدُّنْيا من الأموال فَوْقَ ما تحتاج اليه فقد جمعته لغيرك وذلك لأنّ المال يبقىٰ بعد الموت لِلوارِث فالمورّث خازن والوارث مُستفيد.

١٩٠

□ قوله ﷺ: **إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وإِقْبالاً وإِدْبَاراً فأْتُوهَا منْ قِبَلِ شَهْوَتِها وإِقْبالِها فإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ...**

الشّهوة المَيل فإذا حصلت للقلب حَصَل الإقْبال له نحو المطلوب وإذا لم تحصل حَصَل الإدبار والإعراض عنه وإذا كان كذلك فأتوها أي فأتُوا القُلوب من قِبل شَهوتها وإقبالها لا من قِبل إكراهها فأنّ القلب إذا أُكرِه على شيءٍ عَمِي أي مَلَّ وسَأَم فلا بَصيرة له:

١٩١

□ **قوله عليه السلام: مَتىٰ أَشْفِي غَيْظِي إذا غَضِبْتُ .أَحِينَ أَعْجِزَ عَنِ الإِنْتِقامِ فَيُقالَ لِي لوْصَبَرْتَ أمْ حِينَ أَقْدِرُ عليهِ فَيُقالَ لِي لوْ عَفَوْتَ...**

حاصله أنّ شفاء الغيظ النّاشئ من الغَضَب لا يحصل للمؤمن لأنّ الغاضب له حالتان، حالة قبل الإِنْتِقامِ وحالة بعد القُدرة عليه وبعبارةٍ أُخرىٰ حالة العَجز عن الإنتقام وحالة القُدرة عليه ففي الحالة الأُولىٰ وظيفته الصّبر إذ المفروض عَدم قُدرته وفي الحالة الثّانية أي بعد القُدرة عليه وظيفته العَفو فأنّ العفو مع القُدرة من أحسن الصّفات ولأجل هذا قال عليه السلام متىٰ أشفي غيظي أي أيِّ زمانٍ أشفي غَيظي وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً.

١٩٢

□ قوله عليه السلام: وقدْ مَرَّ بِقَذَرٍ علىٰ مَزبَلةٍ: هَذا ما بَخِلَ بِهِ الْباخِلُونَ .

ورُويَ في خبرٍ آخرانه قالَ : هذَا ما كُنتمْ تَتَنافَسُونَ فِيهِ بالأَمْسِ!

أي تلك الأقذار هي لذائذ الأطعمة التّي كان يبخل ببَذلَها البُخلاء وهي ما كان النّاس يتنافسُون فيه كلّ يطلب لنفسه فإعتبروا يا أُولي الأبصار وقد مَرّ الكلام في الدّنيا وأحوالها غير مرّةٍ:

تَـمتّع أنّـما الدّنـيا مـتاعٌ ... وأنّ دوامـها لا يُسـتَطاع

وقَـدّم مـا مَلكت وأنت حَيٌّ ... أمـيرٌ فـيه مُـتّبعٌ مُـطاع

ولا يَـغرُرك مـن تـوصي اليـه ... فـقصر وصّـية المَـرء الضّياع

ومـا لي لم أمّـلك غـيري ... وأُوصـيه بـه لولا الخـداع

١٩٣

□ قوله ﷺ: لمْ يَذْهَبْ منْ مالِكَ ما وَعَظَكَ...

قال المَحقّق البحراني ﷺ في معناه أي أنّ القَدر الّذي يَذْهَبْ منْ مالِكَ على طريق إمتحان اللّه وإبتلاءه لك بأمر يذهبه فيحصل لك بذهابه موعظة لا يُعدّ مالاً ذاهباً بل كأنّه باق لبقاء منفعته وشرف ثمرته وهي المَوعظة انتهى.

وقال بعض آخر من شرّاح المصّريين أي إذا حَدث فيك ضياع المال بَصيرة وحَذَراً فما إكتَسَبت خير ممّا ضاع انتهى.

أقول ما ذَكره البحراني ﷺ حقّ وذلك لأنّ المال الّذي يذهب على قسمين، قسمٌ منه يذهب في اللّهو واللّعب والإسراف وأمثالها ممّا لا مَوعظة فيه بل هو غفلةٌ محض، وقسمٌ يذهب في طريق الإختبار والإمتحان والحقّ أنّ هذا المال لم يَذهب والّذي ذَهَب هو القسم الأوّل وفيه إشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾(١)

١ - النّحل ـ٩٦.

﴿ ١٩٤ ﴾

□ قوله عليه السلام: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ الأَبْدَانُ فابْتَغُوا لها طَرَائِفَ الحِكْمَةِ...

أقول :قد مَرّ هذا الكلام فيما مضىٰ بعينه في كلام (٨٨) وقد شرحناه فهو مكّرر:

١٩٥

□ **قوله ﷺ: لمّا سَمِعَ قول الخَوارج: «لا حكم إلّا اللّه» كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بهَا باطِلٌ...**

قد مَرّت قصّة الخَوارج وقولهم لا حكم إلّا اللّه، وأمّا أنّها كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بهَا الباطِلُ فمعناه أن هذا الكلام لا شّك في صحّته بظاهره إذ الحكم مختّص به ولا حكم لغيره في دينه إلّا أنّهم لم يريدوا من هذه الكلمة معناه الصّحيح بل أرادوا منها أن لا إمرَة في الإسلام مَع أنّه لابدّ لِلنّاس من أميرٍ برٍّ أو فاجرٍ كما مَرَّ بيانه وهو باطل وسّره أنّ الكلام من المتكّلم يكشف عمّا في ضّميره فأن أراد به معناه الواقعي الّذي وضّع اللّفظ له فهو حقّ يُراد به الحقّ وأن أراد به غيره فهو باطل من حيث المراد صحيح من حيث اللّفظ فأنّ اللّفظ في المقامين واحد وأنّما الإختلاف في المراد:

١٩٦

□ قوله عليه السلام: في صفةِ الغوغاءِ: هُمُ الّذينَ إذا إجْتَمَعُوا غَلَبُوا وإذا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا. وقيلَ بلْ ما قال عليه السلام: هُمُ الّذِينَ إذا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا وإذا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، فَقِيلَ: قَدْعَرَفْنا مَضَرَّةَ اجتماعِهِمْ فما مَنفَعَةُ إفتراقِهِمْ، فقالَ: عليه السلام يَرْجِعُ أصْحَابُ المَهِنِ إلىٰ مِهْنَتِهِمْ فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوْعِ البَنَّاءِ إلىٰ بِنَائِهِ والنَّسَّاجِ إلىٰ مَنْسِجِهِ والخَبَّازِ إلىٰ مَخبزِهِ .وَأتىٰ بجَانٍ ومَعَهُ غَوْغاء فَقالَ: لا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لا تُرَى إلَّا عِنْدَ كلِّ سَوْأَةٍ...

(الغَوْغاء)بفتح الغين وسكون الواو والمدّ في آخره في الأصل الجراد حين يُخفف للطّيران أو بعد مال ينبت جناحه، ثُمّ إستُعير للكثير المُختلط من النّاس من السّفلة والمُتسرعين الىٰ الشّر ولذلك وَصَفه بقوله (إذااجْتَمَعُواغَلَبُوا وإذا تَفَرَّقُوالمْ يُعرفُوا) أمّا أنّهم إذا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا فلكثرتهم وإجتماعهمْ علىٰ باطلهم وأمّا أنّهم إذا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا، فلِدنائتهم وخِستّهم وأنّهم كالأنعام واقعاً فليس لهم شَرَف ولا منزلة عند العُقلاء من النّاس ليُعرفُوا به وقيل بل قال عليه السلام في تعريفهم (هُمُ الّذِينَ إذا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا وإذا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا) أمّا الأوّل فقد مَرّ بيانه فأنّ إجتماع العوام لا يخلوا من الإضرار، وأمّا الثّاني أي قوله عليه السلام: إذا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا، ففيه وجوه:

أحَدها: أن يكون المراد به أنّهم إذا تَفَرَّقُوا عنْ اجتماعهمْ يمكن إرشاد كلّ منهم الىٰ ما هو خيرٌ له فيصير بذلك إنساناً مُستقيماً نافعاً بحاله وبحال أبناء

زمانه:

وثانيها: أن يكون المراد أنّهم إذا تفرّقوا لم يقدروا على شيءٍ من الضّرر وعَدم الضّر نفع:

وثالثها: أنّهم في صُورة الإجتماع لا يَدرُون ما يقولون ولا يعتنُون بأفعالهم القَبيحة الصّادرة منهم كما هو شأن العوامّ إذا اجْتَمَعُوا بخلاف صُورة التّفرق إذ الإنسان إذا كان وَحدة يتّفكر في قوله وفعله ولو كان من العوامّ فلا يضّر كما يضّر في صُورة الإجتماع:

ورابعها: أنّه في صُورة التّفرد لا معين له على الظّلم والشّرارة بخلافه إذا إجتَمَع مَع غيره وأحسَن الوجوه منها هو الوجه الثّالث وهو الّذي يستفاد من كلامه ﷺ حيث قيل له عَرفنا مضّرة إجتماعهم فما منفعة إفتراقهم فقال ﷺ: (**يَرْجعُ أصْحَابُ المَهنِ إلىٰ مِهْنَتِهمْ فَيْنْتَفِعُ النَّاسُ بِهمْ كَرُجُوْعِ البَنَّاءِ إلىٰ بِنَائِهِ والنَّسَّاجِ إلىٰ مَنْسِجِهِ والخَبّازِ إلىٰ مَخبزِهِ**) أي أنّهم إذا رَجعوا عمّا كانوا عليه من الشّرارة يتّفكرون في ما فعلوا من القبائح كما يرجع **البنّاء الىٰ بنائه** الّذي بناه **والنَّسَّاجِ إلىٰ مَنْسِجِهِ** الّذي نَسَجه **والخَبَّازِ إلىٰ مَخبزِهِ** فيعلم أنّ ما بناه أو نَسَجه أو خبزَه ما هُو ويمكن أن يُراد بهذا الكلام معنىٰ آخر وهو أنّ أهل الغوغاء عادةً من صنف البنّاء والنَّسّاج والخَبّازِ والصّباغ وهكذا لا من العُلماء والأُدباء والزُّهاد مثلاً ففي صورة الإفتراق يرجع كلّ صنفٍ منهم الىٰ شُغله فالبَنّاء يرجع الىٰ بنائه والنّساج الىٰ مَنسَجه وهكذا وفيه أي في هذا الرَجوع نَفعٌ عظيم لِلإجتماع وأتىٰ بجان ومَعَه غوغاء فقال ﷺ (**لا مَرحَباً بِوُجُوهٍ لا تُرَىٰ إلّا عِنْدَ كلِّ سَوْأَةٍ**) وفي بعض النَسخ (**أُوتي**) مكان (**أُتىٰ**) فقال لا مَرحباً بوجوهٍ لا تُرىٰ إلّا عند كلّ سَوء فأنّ السَّوءة فَعلة من السُّوء وأنّما قال ﷺ لهم ذلك لأنّ العَوام لا تراهُم مُجتمعين إلّا في السَّوءة والشّر:

أقول: ما ذكره ﷺ في صفة الغوغاء حقٌّ وصِدق وذلك لأنّ هذا الصّنف من النّاس شر النّاس مع أنّهم أكثر النّاس وأنّما قلنا شرّهم لأنّ التّجربة قد أثبتت في

طول التّاريخ أن جميع المعايب والمظالم الإجتّماعية والحكومات الفاسدة والبَدع المُحدثة وغيرها من الإنحرافات من ثمرات وجود هذه الطّائفة القَذِرة الخَبيثة وذلك لعدم علمهم بمصالحهم وخيرهم وشَرهم فضلاً عن مصالح الإجتماع وأنّما مَثَلهم مَثَل السّيل النّاشئ عن المطر الشّديد في تخريب الأبنية وقلع الأشجار وقتل النّفوس وغيرها أو مثل الزّلزلة الّتي تحدث وتخرب وتقتل كلّ ما وَقَع في متنَها، والعوام كذلك أُنظر الىٰ ما فعلوه بعد النّبي ﷺ بأهل البيت والأصحاب والمؤمنين فأنّ الخلفاء والحّكام أنّما فعلوا ما فعلوا بمعاونتهم ونصرتهم لهم ففي الحقيقة أهل الغوغاء غَصبُوا الخلافة وضربُوا فاطمة وقتلوها وسَمّوا الحَسَن وقتلوا الحُسين وهكذا الىٰ زمانا هذا فإنّا مُبتلُون بهم أشدّ الإبتلاء ولا مَفَّر لنا عنهم إلّا المَوت فأنّهم قد أماتُوا المعروف وأحيَوا المنكر وداء الجهل لا دواء له فَمَثَلهم مَثَل الحِمار الّذي خُلِقَ لأن يكون مركُوباً لغيره أعاذَنا اللّه من شّرهم.

□ قوله عليه السلام: إنَّ مَعَ كلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَينِ يَحْفظَانِهِ فإذا جاءَ القَدَرُ خَلَّيا بَيْنَهُ وبَيْنَهُ وإنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ...

أمّا أنّ المَلَكَين يحفظانه فلقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾ (١)

و: ﴿هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ (٢)

وأمّا إذا جاء القَدَر خلّيا بينه وبينَه فلقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (٣)

و: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلاً﴾ (٤)

و: ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٥)

والسِّر فيه هو أنّ المَلَكين يحفظان الإنسان عن الآفات والحوادث الكونية وأمّا المَوت فلابدّ لنا منه لكلّ مخلوق وليس من الآفات المُستندة الىٰ عالم الكون والفساد بل هو مكنُون في ذات المُمكن فهو خارج عن وظيفتهما مضافاً الىٰ أنّهما أيضاً داخلان تحت القاعدة كغيرهما وأمّا قوله عليه السلام: وإنَّ الأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ فالمراد به أنّه حافظ لِلإنسان من عروض الموت قبل حلوله وقد مرّ الكلام فيه.

١- الانفطار ـ ١١/١٠
٢- الأنعام ـ ٦١
٣- المنافقون ـ ١١
٤- الأنعام ـ ٢
٥- الأعراف ـ ٣٤

١٩٨

▫ قوله عليه السلام: وقدْ قَالَ لَهُ طلْحَةُ والزُّبيْرُ: نُبايِعْكَ علىٰ أنّا شُرَكاؤُكَ في هَذا الأَمْرِ) لا ولكِنَّكُما شَرِيكانِ في الْقُوَّةِ والاسْتِعَانَةِ وعَوْنانِ عَلىٰ العَجْزِ والأَوْدِ...

(الأَوْدِ)بفتح الألف وسكون الواو بلوغ الأمر من الإنسان مجهوده لشدّته وصعوبة أعماله لمّا قال له عليه السلام (طَلْحَةُ والزُّبيْرُ نُبايِعْكَ عَلىٰ أنّا شُرَكاؤُكَ في هذَا الأَمْرِ)أي في أمر الخلافة قال عليه السلام لا أي لا تبايعاني عليه ولكنّكما شريكان في القوّة والإستعانة فأتَّقوىٰ وأ ستعين بكما في مورده وعونان لي علىٰ العَجْزِ وَالأَوْدِ أي أن عجزتُ عن أمرٍ أو صَعُبَ علّيَ فأنتما عونان لي علىٰ حلّ المُشكل وأنّما قال عليه السلام لهما ذلك لأنّ الخلافة لا تقبل الشّريك في أصلها نعم في إجراء الأحكام قد يحتاج الخليفة الىٰ الأعوان والأنصار والوجه فيه هو أنّ الخليفة في حكم المُستخلف عنه في جميع الشّئون وأمّا في المقام إلّا الواجبيّة ولوازمها وحيث أنّ المستخلف عنه وهو اللّه تعالىٰ لا شّريك له في مُلكه فكذلك خليفته ألا ترىٰ أنّه تعالىٰ لم يجعل في زمانٍ من الأزمنة خليفتين في الأرض وليس هذا إلّا من أجل أنّ الخلافة لا تقبل الشِّركة ولذلك لمّا سُئِل الصّادق عليه السلام عن إمامين في زمانٍ واحدٍ قال لا يكون إلّا واحدهما صامت، وهذا كما في الحسن والحُسين فأنّهما كانا إمامين لكنّ الحسين كان ساكتاً صامتاً في حياة أخيه الحَسَن والمقصُود أنّ الإمامة لا تقبل الشِّركة ولذلك قال عليه السلام في جوابهما لا، وأمّا الأعوان والأنصار فقد يحتاج الإمام اليهم في إجراء حدود اللّه وسّد الثغور وأمثالهما.

▫ **قوله ﷺ: أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ الّذِي إنْ قُلْتُمْ سَمعَ وإنْ أضْمَرْتُمْ عَلِم وبادِرُوا المَوتَ الَّذِي إنْ هَرَبْتُمْ أدْرَككُمْ وإنْ أقَمْتُمْ أخَذَكُمْ وإنْ نَسِيتُمُوه ذَكَرَكُمْ...**

خاطب ﷺ جميع النّاس وقال يا أيّها النّاس ولَم يقل يا أيّها المُسلمون أو المؤمنون لأنّ هذه الأُمور لا تختصّ بالمُسلم والمؤمن بل هي ثابتة لجميع النّاس فقال ﷺ إتّقوا اللّه الّذي إن قلتم كلاماً بألسنتكم سَمِع اللّه الكلام كما قال في كتابه: **﴿قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾** (١)

و: **﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرِ﴾** (٢)

و: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (٣)

(**وأن أضمَرتم عَلِم**) أي أن لم تنطِقُوا بألسِنتكم فهو عالم بما في ضمائركم وقلوبكم فأنّه تعالىٰ لا يخفىٰ عليه شئ كما قال تعالىٰ في كتابه: **﴿أَوَ لاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾** (٤)

و: **﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾** (٥)

و: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾** (٦)

▫ **قوله ﷺ: وبادِرُوا المَوْتَ الَّذِي إنْ هَرَبْتُمْ أدرَكَكُمْ**، أي إستَعدُوا له بالأعمال الصّالحة فأنّه يدرككم أينما تكونوا لقوله تعالىٰ: **﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ**

١- طه ـ ٤٦
٢- غافر ـ ٥٦
٣- الحجرات ـ ١
٤- البقرة ـ ٧٧
٥- طه ـ ٧
٦- التّوبة ـ ٧٨

﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُم﴾[1]

و: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾[2]

(وإن أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ) فهو إشارة الىٰ أنّ المَوت يأخذكم وإن لم تفرّوا منه أيضاً أي أنّ الفِرار وعَدمه بالنسبة اليه سيّان كما قال تعالىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[3]

وقد مرّ الكلام في المَوت وتبعاته غير مرّةٍ وقوله (وإنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ) فهو إشارة الىٰ أنّ النسّيان من المَوت لا ينفع الناسّي وذلك لأنّ الموَت يُذكره أمّا بموت غيره وأمّا بموته نفسه فالأولىٰ أن لا ينساه لئلّا يأتيه بَغتَةً وهو في غفلةٍ منه:

١- الجمعة ـ٨ ٢- الأحزاب ـ١٦
٣- النّساء ـ٧٨

٢٠٠

□ قوله عليه السلام: **لا يُزْهِدَنَّكَ في المَعْرُوفِ مَنْ لا يَشْكُرُ لَكَ فَقَدْ يَشكُرُكَ عَليْهِ مَنْ لا يَسْتَمْتِعُ مِنهُ وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِأكْثَرَ مِمَّا أضَاعَ الكافِرُ واللّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ...**

الزّهد التّرك والمعنىٰ أن أنعَمتَ علىٰ إنسانٍ غير شاكرٍ لك فلا يوجب عدم شكره لك التّرك في المعروف وبعبارة أُخرىٰ لا تَتّركن المَعروف بسبب كفران النّعمة من الكافر بها وذلك لأنّه يشكرك علىٰ مَعرُوفك من لا يستمع ولا يستفيد به وقد تُدرك من شّكر الشّاكر في مقابل النّعمة أكثر ممّا أضاع الكافر بها واللّه يحبّ المُحسنين والحاصل أنّ ترك الشّكر من بعض الأفراد وأن كان قبيحاً إلّا أنّه لا ينبغي أن يوجب لك ترك المَعروف وقد قال اللّه: **﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[١]

١- البقرة- ١٩٥

٢٠١

□ قوله عليه السلام: كلُّ وِعاءٍ يَضِيقُ بمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ فإِنَّهُ يَتَّسِعُ...

أي كلّ (**ظرفٍ**) إناءٍ من الأواني (**الظّروف**) يضيق بما جُعل فيه من المواد (**المظروف**) فكلّ ماكانت المادّة (**المظروف**) أكثر يكون الوعاء (**الظّرف**)أضيق مكاناً بالنّسبة الىٰ (**مظروفٍ**) مادةٍ أُخرىٰ مثلاً إذا كان الإناء (**الظّرف**) يستعد بقبول رطلين من الماء أو من شيءٍ آخر فإذا كان فيه رطل من الماء فهو يقبل رطلاً آخر لا أكثر منه لأنّ المفروض أنّه لا يقبل أكثر من رطلين وهكذا يصير أضيَق حتّىٰ يمتلئ من الماء والحاصل كلما كانت المادّة (**المظروف**) فيه أقلّ فمكان الإناء (**الظّرف**) أوسَع وكلما كانت المادّة (**المظروف**) أكثر فمكان الإناء (**الظّرف**) أضيق وأمّا وعاء العلم فليس كذلك لأنّه لا يمتلئ أبداً بل كلّما كان العلم أكثر كان مكانه أي إناء (ظرفه) ووعاءه أوسَع وهو عجيب وفي هذا الكلام حثٌّ علىٰ تحصيل العلم وأنّه ليس بمحدودٍ كما قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **إطلبوا العلم من المَهد الىٰ اللّحد**، وأمّا وعاء العلم فقد قيل أنّه العقل ولا دليلّ عليه والحقّ أنّه النّفس النّاطقة الإنسانية والسّر في عدم تضييقه بكثرة العلم هو أنّ وعاء العلم مجّرد والمجّرد شأنه كذلك بخلاف الأوعية (الظروف) المحسوسة فأنّها لكونها مادّية تقبل الضّيق والسَّعَة فأنّ الضّيق والسَّعَة من الأعراض القائمة بالجواهر والمجّرد بمعزلٍ عنها.

٢٠٢

□ **قوله عليه السلام: أَوّلَ عِوَضِ الحَليمِ مِنْ حِلْمِهِ أنَّ النَّاس أنْصَارُهُ علىٰ الجَاهِلِ...**

الحَليم من إتّصَف بالحِلم وهو من أشرف الصّفات وأفضلها وقد مرّ الكلام فيه ولِلحِلم ثمرات كثيرة في الدّنيا والآخرة كما وَردت الأخبار بـه وأوّل مـا يعَوض الحليم بحلمه في الدّنيا هو أنّ النّاس أنصاره وأعوانه علىٰ الجاهل كما إنّا شاهدنا نصرة النّاس لِلحليم ورَدعهم الجاهل عن إيذاءه وليس هذا إلّا من أجل أنّ الحِلم ممدوح عندهم وهو يكفي له:

٢٠٣

□ قوله عليه السلام: **إنْ لمْ تَكُنْ حَليماً فَتَحلَّمْ فإنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إلَّا أوْشَكَ أنْ يَكُونَ مِنْهُمْ...**

الحِلم طمأنينة النّفس بحيث لا يحّركها الغضب بسهولةٍ ولا يزعجه المكروه بسُرعةٍ وهو من أشرف الكمالات النّفسانية بعد العلم بل لا ينفع العلم بدونه أصلاً وقد مرّ الكلام فيه مفصلاً وذكرنا الآيات والأخبار الواردة في مدحه وفضله وكفاك في مَدحه قوله رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **أنّه من سُنن المرسلين**، وقال **الصّادق** عليه السلام **كفىٰ بالحِلم ناصراً** وغير ذلك من الأخبار:

وأمّا التّحلُم فهو عبارة أُخرىٰ عن كظم الغيظ ويحصل بإكراه النّفس علىٰ عدم إعمال الغَضَب وهو أيضاً ممدوح كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾**(1) وقال رسُول اللّه **أنّما العلم بالتّعلم والحِلم بالتّحلُم فَمن لم يكن حليماً بالطّبع لابدّ له من السّعي في كظم الغيظ عند هيجانه حتّىٰ تحصل له صفة الحِلم انتهىٰ...**

ولذلك **قال** عليه السلام **إن لم تكن حليماً فتحلّم** أي إجعل نفسك شبيهاً بالحليم وذلك لأنّه من تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فهو منهم فَمن تَشبّه نفسه بالحليم فهو يحشر مَعه يوم القيامة فأنّ من أحبَّ حجراً حشَره اللّه مَعه:

١-آل عمران- ١٣٤

□ قوله عليه السلام: مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ وَمَنْ غَفَلَ عنها خَسِرَ وَمَنْ خافَ أَمِنَ ومَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ .ومَنْ فَهِمَ عَلِمَ ستّة...

أحدها قوله عليه السلام: مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ...

فهو إشارة الىٰ لزوم محاسبة النّفس قبل أن تُحاسَب غداً يوم القيامة كما قال حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبُوا، ومعنىٰ المحاسبة التّوجه اليها فيما فعلته في اليوم واللّيلة والمحاسبة والمراقبة قريبة من التّوبة وباب من أبواب الخير ووسيلة للتّقرب الىٰ اللّه تعالىٰ في مقام السّلوك اليه ووجه كونها رِبحاً هو أنّ الإنسان بها يطّلع علىٰ عُيوب النّفس وقُصورها عن وظائفها ثمّ يتدارك ما فات منها بالتّوبة وغيرها وأيّ ربح أفيَد وأحسَن منه ألَيسَ الكتاب والسُّنة وإجماع الأُمّة دالّة علىٰ ثبوت المحاسبة يوم القيامة فإذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فالرّبح الكامل في محاسبتها قبل المَوت لبقاء الفُرصة قبله وزوالها بعده ولا نعني بالرّبح إلّا هذا قال اللّه تعالىٰ:﴿وَلِتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾(١)

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبُوا وَزِنوها قبل أن تُوزنوا، وقال الصّادق عليه السلام في حديثٍ فحاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا عليها فأنّ للقيامة خمسين مَوقفاً مقام ألف سنة ثمّ تلا قوله تعالىٰ:﴿فِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(٢)

١- الحشر ـ١٨

٢- السجده ـ ٥

وقال الكاظم عليه السلام - لَيس منّا من لَم يُحاسب نفسه في كلّ يومٍ فإنّ عَمِلَ حَسنة إستزاد اللّه تعالىٰ وإن عَمِل سيّئة إستَغفر اللّه منها وتاب اليه.

وفي بعض الأخبار ينبغي أن يكون لِلعاقل أربع ساعات ساعة يُحاسِب منها نَفسه جامع السّعادات ج ٣ ص ٩١.

وثانيها قوله عليه السلام: وَمَنْ غَفَلَ عَنها خَسِرَ...

وقد ظهر وجهه ممّا ذكرناه وذلك لإنّه إذا كانت المُحاسَبة النّاشئة عن التّوجه الىٰ النّفس وأعمالها مُوجبة لِلربّح فالغَفلة عنها تُوجب الخِسران فإنّ المَوت يأتي بَغتةً والآخرة دار الجَزاء والحِساب والفُرصة قد فاتَت وأيُّ خِسرانٍ أَخسر منه

وثالثها قوله عليه السلام: ومَنْ خَافَ أَمِنَ...

أي من خاف الحِساب أَمِن من العِقاب لإنّ الخائف يَعمل بمُقتضىٰ خَوفه والعَمَل لا يكون إلّا مرضَياً لِللّه تعالىٰ ومن كان كذلك فهو مأمُون من العِقاب لا مَحالة وإنّما أَلحق بالخوف العَمَل وقُلنا الخائِف يَعَمل بِمَقتضىٰ خَوفه لإنّ الخَوف إذا لَم يقترن بالعمل المُناسب له لا نفع فيه كما مرّ الكلام فيه سابقاً وقُلنا هناك إنّه يَحصل بالمَعرفة وكلّما كانت المَعرفة أكثر وأشّد كان الخوف أكثَر وأَشّد إذ كمال المَعرفة يُوجب إحتراق القَلب فَيَفيض أثر الحِرقة من القَلب الىٰ البَدَن بالنُحول والصّفار والغَشية والبُكاء والىٰ الجوارح بكَفها عن المَعاصي وتقييدها بالطّاعات تلافياً لِما فرّط في جَنب الله فَمن لم يَجتهد في تَرك المعاصي وكسب الطّاعات فَلَيس علىٰ شيٍ من الخَوف ولِذا قيل ليس الخائف من يَبكي ويَمَسح عينَيه بل الخائِف من يَترك ما يَخاف أن يُعاقَب عليه وقال بعض الحُكَماء من خاف شيئاً هَرَب منه ومَن خاف اللّه هَرَب اليه وقال بعض العُرفاء لا يكون العَبَد خائِفاً حتّىٰ ينزل نَفسه منزلة السَقيم الّذي يحتَمي مَخافة طول السّقام والىٰ الصّفات بقمع الشّهوات وتكدر اللّذات فتَصير المَعاصي المَحبُوبة عنده مَكروهة كما يَصير العَسَل مَكروهاً عند من يَشتهيه إذا عَرف

كَونه مَسمُوماً فَتَحترق الشّهوات بالخَوف وتـتأدّب الجَـوارح ويَـحصل فـي القَلب الذّبُول والذّلة والخشُوع والإستِكانَة الىٰ آخر ما قال وفي الخَبر القدسي: **وعزّتي لا أجمع علىٰ عبدي خَوفين ولا أجمع له أَمَنين فإذا آمَنَني في الدّنيا أخِفته يوم القيٰمة وإذا خافَني في الدّنيا أمَنته يوم القيٰمة...**

وقال رسول – اللّه ﷺ **رأس الحِكَمة مَخافة اللّه...**

وقال ﷺ – **من خاف اللّه أخاف اللّه منه كُلّ شئ ومن لَم يَخَف اللّه أخافه اللّه من كلّ شئٍ** والأحاديث كثيرة...

ورابعها قوله ؑ: **ومن إعتَبَر أَبَصر...**

أي من إعتَبَر بالدّنيا وحَوادثها وتقلّباتها فَصار بَصيراً بنَفسه وأعمالها فـإنّ البَصيرة لا تحصل لِلإنسان إلّا بالإعتِبار قـال اللّـه تـعالىٰ: **﴿ فَاعْـتَبِرُوا يَاأُوْلِـي الأَبْصَار﴾**(١)

وقال تعالىٰ: ﴿ إنّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَٰر﴾(٢) وقد مرّ الكلام فيه أيضاً:

وخامسها قوله ؑ: **ومن أَبصر فَهِمَ...**

أي إنّ البَصيرة الحاصلة من الإعتبار علّة لِلفِهم فإنّ من لا يَبِصر لا يَفَهم

وسادسها قوله ؑ: **ومَنْ فَهِمَ عَلِمَ...**

أي إنّ الفَهَم يُوجب العِلم واليَقين الّذي لاشّك فيه وذلك لإنّ الفَهِم هيئة تحصل لِلإنسان بها يتحقّق مـعاني مـا يـحسن قـال اللّـه تـعالىٰ: **﴿ فَـفَهّمناها سُليمان﴾** هكذا قالوا في تعريفه والحقّ إنّ الفَهِم مرحَلَة التّصور والعِلم مَرحلة التّصديق فإذا أطلَق العِلم علىٰ التّصور يراد به الفِهم وإذا أطلَق علىٰ التّصديق يراد به العِلم وعليه فالفِهم مَرَتبة ضَعيفة مـن العِـلم ولعّـله لأجـل هـذا قـال ؑ: **ومن فَهِم عَلِم فإنّه من مصاديق العِلم فأفهم:**

١ - الحشر ـ ٢

٢ - آل عمران ـ ١٣

٢٠٥

□ **قوله عليه السلام: لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيا عَلَيْنا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ على وَلَدِها، وتَلاَ عَقِيبَ ذلِكَ﴿ ونُرِيدُ أنْ نَمُنَّ على الّذِينَ اسْتُضْعِفُوا في الأَرْض ونَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً ونَجْعَلَهمْ الْوارِثِينَ﴾.**

الشِماس بكسر الشّين إمتناع ظهر الفَرس من الرّكوب، والضّروس بفتح الضاد وضّم الرّاء النّاقة السّيئة الخَلق تعّض حبالها والمعنىٰ إنّ الدّنيا سَتَنقاد لنا بعد جمُوحَها وتَلين بعد خَشُونتها كما تنعطف النّاقة علىٰ وَلَدها وإن أَبَت علىٰ الحالب ثمّ إستَدّل عليه السلام علىٰ مُدّعاه بقوله تعالىٰ:﴿ **وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ**﴾ (١) وجه الإستِدلال بها ظاهر فإنّ اللّه تعالىٰ وعَدَ المُستضعَفين في الأرض أن يجعلهم أئِمة ويَجَعلهم الوارثين لِلأرض ومن عَليها وهو دليل علىٰ إنّ الدّنيا لا تبقىٰ علىٰ ما هي عليه من إعراضها عَن الصّالحين وإقبالها علىٰ الكافِرين الظّالمين فإنّ وعَد اللّه حقٌّ ومن أَصدق من اللّه قيلاً وأراد عليه السلام من هذا الكلام ظهُور دَولة الحقّة في آخر الزّمان بيَد مولانا صاحب الزّمان أرواحنا له الفِداء الّذي قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله – **يملأ اللّه الأرض به قَسطاً وعَدلاً بعد ما مُلِئت ظُلماً وجَوراً** وهو الإمام الحقّ الّذي يليق بأن يُقتَدىٰ به اللّهم إجعَلنا من أعوانه وأنصاره وقد مَرّ الكلام في غَيبته عليه السلام ونقلنا الأخبار في الباب سابقاً:

١- القَصص ـ ٥

٢٠٦

▫ قوله ﷺ: إتَّقُوا اللّٰهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً وَجَدَّ تَشْميراً وكَمَّشَ في مَهَلٍ وبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ ونَظَرَ في كَرَّةِ المَوْئِلِ وَعاقِبَةِ المَصْدَرِ وَمَغَبَّةِ المَرْجِعِ...

◁ اللّغة

(شَمّرَ) فعل ماضي ومصدره التّشمير يقال شَمّرَ فلان أي مَرَّ مُسرعاً (تجريداً) التّجريد مصدر باب التفعيل يقال جَرّدَ تَجريداً والتّجريد التّقشير والتّعرية (أكَمش) أي أسَرع (مَهَلٍ) المَهَل الإمهال (وَجَل) الوَجَل بالتّحريك الخَوف (كَرّةَ المَوئل) الكَرّة الرَجّعة والمَوئِل المَرجع (مَغَبّة) المَغَبَة العاقِبة.

◁ المعنىٰ

والمعنىٰ إتَّقُوا اللّٰهَ كَتَقّية مَنْ شَمّرَ عن ساق الجَدّ في طاعة اللّه وجَرّد أي قَشّر لِنفسه لِمرضاته تَجريداً وسار بالأعمال الصّالحة ما دام في مُهلة الحَياة وبادَر أي سابَقَ مَغفرته تعالىٰ في وَجَل وخَوف عن ثمرات سيّئاته وفكّر في عَوده الىٰ المَلجأ الأوّل الّذي فيه بَدء وهو حضرة الرّبوبية وكذالك عاقبة المَصدر الّذي عنه صَدَر في إبتلاء كونه واليه يعود ومَغَبّة المَرجع من خيرٍ لِلحصول عليه أو شرٍ لِيَعمل للخلاص عنه وفي هذا الكلام حثٌّ علىٰ التّقوىٰ التّي خير الزّاد وعلىٰ سبيل الجدّ أعني به العَمَل الصّالح وتَقشير النّفس وتعريتها عن الهواجس الشّيطانية والأوهام الكاذبة الفاسدة والإجتناب عن

دَواعيها التّي تُوجب سقوطها في الهَلَكة مادام كونه في مُهلة الحَياة الىٰ آخر ما قال عليه السلام ثُمّ أنّ ما ذكَره مُؤيّدٌ بالآيات القرآنية بل مأخوذ عنها فقوله عليه السلام: **إتّقُوا اللّه** الىٰ قوله تَشمراً، إشارة الىٰ قوله تعالىٰ في كتابه حيث قال: **﴿يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾** (١)

و: **﴿وَ مٰا أُبَرِّىءُ نَفسْي اَنَّ النَّفْسَ لَاَمّٰارَةٌ بِالسُّوءِإلاّ مٰا رَحِمَ رَبّي﴾** (٢)

و: **﴿وَأَمَّا مِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ونَهَىٰ النَّفْسُ عَنِ الهَوَىٰ فَإِنَّ الْجنَّةَ هِي الْمَأوَىٰ﴾** (٣)

وقوله عليه السلام: **وكَمَّشَ في مَهَلِ**، قال اللّه تعالىٰ: **﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ اَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾** (٤)

وقوله عليه السلام: **وبَادَرَ عَنْ وَجَلِ**، إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَبِّكُم﴾** (٥)

و: **﴿وَيُسَرِعُونَ فِىالْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّلِحِينَ﴾** (٦)

وقوله عليه السلام: **ونَظَرَ في كَرَّةَ المَوئِل** الىٰ آخر الكلام إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: **﴿إِنّٰا لِلّه وَإِنّٰا إليه رٰاجِعُونَ﴾**

و: **﴿وَلَقَدْ جِئتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾** (٧) وقد تكَلمنا في هذه الأُمور سابقاً.

١- آل عمران ـ ١٠٢
٢- يوسف ـ ٥٣
٣- النّازعات ـ ٤٠
٤- الطّارق ـ ١٧
٥- آل عمران ـ ١٣٣
٦- آل عمران ـ ١١٤
٧- الأنعام ـ ٩٤

٢٠٧

□ قوله ﷺ: **الجُودُ حَارِسُ الأَعْرَاضِ، والْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ، والعَفْوُ زَكْوة الظَّفَرِ، والسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ والإسْتِشَارةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ، وقدْ خاطَرَ مَنِ إسْتَغْنىٰ بِرَأيِهِ، وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحِدْثَانَ والجَزَعُ مِنْ أعْوَانِ الزَّمَانِ، وأشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ المُنىٰ، وكَم مِنْ عَقْلٍ أسِيرٍ تَحت هَوًّ أمِيرٍ ومنَ التَّوْفِيقِ حَفْظُ التجْرِبَةِ .والمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتفادَةٌ، وَلا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً...**

أمّا أنّ الجُودَ حَارِسُ الأَعْرَاضِ، فمعناه أنّ الإنسان بسبب الجُود والعَطاء يَحفظ عِرضه عن شرار النّاس ولذلك وَرد أنّ خَيرالمال ما وُقِيَ به عِرضك ولأجل هذا لا يكون الجواد غَرَضاً لِنبال ألَسِنة الأشرار وفي المَثَل إقطع لسانه أي إعِطه الدّرهم والدّينار:

وقوله ﷺ: **والحِلم فِدام السّفِيه**، الفِدام بكسر الفاء كسحاب وقد يقال بتشديد الدّال أيضاً مَع فتح الفاء ما يُشَدّ علىٰ الفَم عند السّقي وغيره والمعنىٰ أنّ الحِلم مَثَله مِثَل الفِدام فكما أنّ الفِدام يشدّ به الأفواه كذلك الحِلم وذلك لأنّك إذا حَلِمتَ فَكأنّك رَبَطتَ فَم السّفيه بالفِدام فَمَنعته عن الكلام وأمّا إذا لَم تَحلم فقد فَتَحتَ فَمَه أكثر ممّا كان ومن هذا القبيل قولهم إذا نَزَل بك الشّر فأقْعد أي فأحلِم ولا تُسارع اليه وقول الآخر الحَليم مطيّة الجهول، وقولهم لا ينتصف حليمٌ من جاهلٍ وقولهم أنّه أي الحَليم لواقع الطّير ولساكن الرّيح، وقولهم في الحُكماء كأنّما علىٰ رؤسهم الطّير:

وقد مَرّ الكلام في الحِلم ومَدحه وقلنا أنّه أشرف الفَضائل بعد العِلم وذكرنا الآيات والأخبار فيه:

وقوله عليه السلام: **والعَفو زكوة الظّفر**، أي إذا ظَفرت فَأْدِ زكوته وهي العَفو فأنّ العَفو عن مقام القُدرة ألَذ شيءٍ في المعقُولات عند من له عَقل ومنه قولهم فيه مَلَكت فأسجح، وقد قالته عائشة يوم الجَمَل لأمير المؤمنين عليه السلام فعفىٰ عليه السلام عنها وقد قال اللّه تعالىٰ:﴿**والعافين عن النّاس**﴾ وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً وفي تعبيره عليه السلام بزكوة الظّفر إشارة الىٰ أنّ الظُّفَر يَنمُو به فَيدُوم كما أنّ المال يطهر وينمُو بالقَدر المُخرج منه وهو الزّكوة وأمّا الظّفر الّذي لا عفو فيه فهو كالمال الّذي لا تُؤدّي زكوته:

قوله عليه السلام: **والسَّلْوُّ عَوِضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ**، فالسَّلُو كالعُلُو مأخوذ من السَّلُو وهو الهَجر والتّرك والمعنىٰ من غَدَر بك فَلَك خلف عنه وهو أن تسلوه وتهجر كأنه لم يكن وبعبارةٍ أُخرىٰ تَركك الغادر عِوَضٌ من غَدره ومَكره وفيه إيماء الىٰ نُكتةٍ وهي أنّه لو غَدَر بك غادرٌ لا تعذره عوضاً من غَدره فأنّ الغَدر ليس من شأن الرّجال فضلاً عن المؤمنين بل إتركه وإهجُره ولا تُعاشره بَعده.

وقوله عليه السلام: **والإستشارة عين الهداية**، حَثٌّ علىٰ الإستشارة وأنّها نعم المُعين في حلّ المُشكلات ولذلك قال عليه السلام أنّها عين الهداية إذا كانت شرائطها موجودة وقد مَرّ الكلام فيها أيضاً (كلام ١٥٦).

وقوله عليه السلام: **وقد خاطر من إستَغنىٰ برأيه**، أي أوقَع نفسه في المُخاطرة من تَرك المَشورة وإستَغنىٰ برأيه فهو عبارة أُخرىٰ لقوله عليه السلام من إستَبد برأيه هَلَك وقد مَرّ الكلام فيه (كلام ١٥٦).

وقوله عليه السلام **والصّبر يُناضل الحِدثان**، الحِدْثان بكسر الحاء المُهملة وسكون الدّال نوائب الدّهر والمُناضلة المُدافِعة والمعنىٰ أنّ الصَّبر يُدافع النَّوائب والحوادث وأن شئت قلت الصَّبر يَدفع النّائبة فلا دَواء لها غيره فأنّ الصَّبر مفتاح الفَرَج ومن صَبَر ظَفَر وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً:

وقوله ﷺ: **والجَزَع من أعوان الزّمان**، الجزَع ضدّ الصّبر فإذا كان الصّبر مَمدُوحاً فالجَزَع مَذمُومٌ وأمّا أنّه من أعوان الزّمان فلأنّ الجَزَع يُعين الزّمان علىٰ الإضرار بصاحبه فهو من أعوانه وأنصاره كما قيل:

وأنّ إمرؤٌ قد جَرَّب الدّهر لم يَخف
تقلّب عصريه لغير لَبيبٍ
وما الدّهر والأيام إلّا كما ترىٰ
رزّية مالٍ أو فراق حبيبٍ

وقال الآخر:

ما أحَسَن الصّبر في الدّنيا وأجَملَه
عند الإلٰه وأنجاه من الجَزَع
من شدّ بالصّبر كفّاً عند مُؤلمةٍ
ألَوَت يَداه بحبلٍ غير مُنقطعٍ

وقوله ﷺ: **وأشْرَفُ الْغِنىٰ تَرْكُ المُنىٰ**، المُنىٰ بضّم الميم جمع مُنيَة وهي ما يتّمناه الإنسان وإذا لم تتّمن شيئاً فقد إستَغنيتَ عنه وفيما ذَكره ﷺ إشارة الىٰ أنّ الغِنىٰ ليس بكثرة المال والثّروة كما ربّما يُتَوهم إذ لا يُبعد أن يكون الإنسان ذا مالٍ كثير وَمع ذلك كان كثير التّمني والآمال بل الغِنىٰ كلّ الغِنىٰ في تَرك الآمال والرّضا بما في يَده:

قوله ﷺ **وكمْ مِنْ عَقْلٍ أسِيرٍ تحْت هَوىً أمِيرٍ**، وفي بعض النّسخ عند هَوىٰ أميرٍ والمآل واحد والمعنىٰ أنّ العقُول في أكثر النّاس أُسارىٰ تحت النّفس الأمّارة بالسُّوء المُعبّر عنها بالهَوىٰ فهي أمير والعَقل مأمور ومن المعلوم أنّ الأسير لا يقدر علىٰ شيءٍ ولذلك ترىٰ كثيراً من العقلاء يفعلون ما لا يُترقب منهم في أعمالهم وأقوالهم بحيث يظنّ من لا يعرفهم أنّهم من الحَمقاء والجُهّال الّذين لا يَعلمُون شيئاً مَع أنّ الواقع بخلافه فأنّ العَقل إذا كان تحت الهَوىٰ يصير مقهُوراً مغلوباً لها فيعمل الإنسان بمُقتضىٰ الهَوىٰ وهو مُتّهمٌ بعَدم العَقل أو قلّته:

قوله ﷺ: **ومن التّوفيق حفظ التّجربة**، وذلك لأنّ التّجربة من أدّل الدّلائل وأوَضح البراهين التّي ينبغي الإعتماد عليها وحفظها عن النّسيان والغفلة من أحسَن التّوفيقات للعَبد فمن لم يحفظها فقد سُلب التّوفيق منه ولذلك قيل من جَرَّب المُجّرب حَلَّت به النّدامة:

قوله ﷺ: **والمودّة قرابة مُستفادة ولا تأمننّ مَلُولاً**، أمّا أنّ الموّدة أي المحبّة قرابة مُستفادة فلأنّ الأحبّاء بمنزلة الأقرباء بل هم أنفَع منهم في أكثر الموارد وأمّا قوله لا تأمننّ ملُولاً، المَلُول بفتح الميم سريع المَلل والسّأمة وقوله ﷺ: **لا تأمننّ** أي لا تعتمد عليه ولا تُؤمِّنه وذلك لأنّه قد يمّل عند حاجتك اليه فيفسد عليك عَمَلك وهو واضح ويمكن أن يقال بأنّ المَلُول يصرفه ويَمنعه مَلاله عن الثّبات على الصّدقة والعَهد وكتمان السِّر ونحوها فَمِن الحَزم إذاً أن لا يؤمن على شيءٍ منها.

٢٠٨

▫ قوله عليه السلام: **عُجْبُ المَرْءِ بِنَفْسِه أحَدُ حُسَّادِ عَقْلِه...**

العُجب بضّم العَين إستعظام النّفس لأجل ما يرىٰ لها من صفة كمالٍ سواء كانت له أم لا وسواء كانت صفة كمالٍ في الواقع أم لا وقد مَرّ الكلام فيه سابقاً وذكرنا الآيات والأخبار الواردة في ذمّه.

وأمّا أنّه أحَد حُسَّادِ عَقْلِهِ، فلأنّ الحَسُود دائـماً يَـتَمنىٰ زوال النّـعمة عـن المَحسُود به، وحيث أنّ العَقل في الإنسان دائماً يترّقىٰ الىٰ الكمال المترّقب منه الىٰ أن يصل الىٰ العَقل بالفعل، والعُجب يَحُول بينه وبين نعمة الكمال ويَمنَعه عن الوصول اليه فهو أحَد حُسّاده وأنّما قلنا أنّ العُجب يحول بينه وبين النّعمة لأنّ المُعجب بنفسه يرىٰ نفسه في أعلىٰ المقامات وأرَفع الدّرجات ولا أقلّ من أنّه يرىٰ نفسه مُتّصفة بكمالٍ ليس لها واقعاً كما عرفت من تعريفه وإذا يرىٰ لها من الكمال ما ليس لها واقعاً لا يترّصد لتحصيله ظانّاً أنّه ثابت لها فلا يـصل العَقل الىٰ هذا الكمال أصلاً مادام صاحبه في العُجب ولا نَعنِي بكونه حاجزاً بين العَقل ونعمة الكمال إلّا هذا كما شأن الحسُود بعينه فأنّ يمنع عن إيصال الخَير الىٰ المَحسُود:

﴿٢٠٩﴾

□ قوله عليه السلام: أَغْضِ علىٰ الْقَذَى والأَلَمِ تَرْضَ أَبَداً...

أغض أمرٌ من الإغضاء وهو كناية عن تحمل الأذىٰ، والقَذىٰ، الشّيئ يسقط في العين، والألَم الوَجَع والمعنىٰ إصبر علىٰ الأذىٰ والألَم في الدّنيا تَرض أبَداً أي أن صَبرت عليه كُنتَ راضياً وذلك لأنّ من لم يتّحمل علىٰ الأذىٰ لَم يقدر علىٰ دَفعه عن نفسه فهو يعيش ساخطاً غاضباً فأنّ الحياة لا تخلو من أذَىٰ وأمّا اذا صَبر عليه فهو يعيش في الدّنيا راضياً وفي الآخرة مُثاباً.

٢١٠

□ **قوله عليه السلام: مَنْ لاَنَ عُودُهُ كَثُفَتْ أغْصَانُهُ...**

اللّين ضدّ الخَشن وهو كناية عن التّواضع يقال فلان لين العَريكة، أي مُتَواضع، والعُود بضّم العين كناية عن الطّبيعة والجبّلة، والقَذر (الكثيف) ضدّ النّظيف وهو في المقام كناية عن الإجتماع، والأغصان جمع غُصن وهي كناية عن الأعوان والأتباع، والمعنىٰ من لانَ عُوده أي كانت طبيعته التّواضع كثفت أغصانه أي إجتمعت أعوانه وأنصاره حَوله وفيه إشارة الىٰ أنّ التّواضع من شأنه جذب النّاس الىٰ صاحبه فأنّ المُتّواضع محبوب عندهم والمُتّكبر مذمُومٌ مَطرُود وأنّما عبّر عليه السلام في المقام باللّين وجَعَله أصلاً لإجتماع النّاس حَول صاحبه لقوله تعالىٰ في شأن نبّيه حيث قال: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾**(١)

١-آل عمران ـ١٥٩

﴿٢١١﴾

□ قوله ﷺ: الخِلاَفُ يَهْدِمُ الرَّأْىَ...

وذلك كقَولهم لا رأي لمن لا يطاع من حيث المَثَل والمقصُود أنّ الرّأي وأن كان سديداً صحيحاً إلّا أنّه إذا صادف الخلاف في الإجتماع لا يفيد بل يُهَدم ويُسقط والسّر فيه أنّ المَجري للرّأي السّديد هو النّاس إذا كانوا متّفقين في قبوله وأمّا إذا كانوا مُختلفين فَبَعضهم يقول صحيح وبعضهم يقول ليس بصحيح فلا محالة يسقط الرّأي بالمرّة وهذا كما كان في حقّه ﷺ في صفّين لمّا رفعوا المَصاحف وإختلف أصحابه فَوَقع ما وَقَع.

٢١٢

□ **قوله عليه السلام: مَنْ نَالَ إسْتَطَالَ...**

أي من نالَ في الدّنيا ما يُوجب الإستطالة والإستعلاء من مالٍ وجاهٍ وسلطان إستَطال بسَبَب ذلك ألا ترىٰ أنّ كثيراً من أبناء الزّمان بعد بلُوغهم الىٰ آمالهم يستطابُون علىٰ غيرهم كأنّهم لم يَعرفوهم أصلاً نعم من كان مؤمناً حقّاً لا يكون كذلك ولكنّ الحُكم ناظرٌ الىٰ الأغلب.

٢١٣

▫ **قوله ﷺ: في تَقَلُّبِ الأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجالِ...**

أي عند تغّير الأحوال مثل صيرورة الغني فقيراً والفقير غنّياً والذّليل عَزيزاً والعَزيز ذَليلاً والصّحيح سَقيماً والسّقيم صحيحاً وأمثال ذلك ممّا هـو عـادة الدّهر بالنّسبة الىٰ أهلها يُعرف المَرء وقيمته فإنّ الرّجل لا يكون رجلاً بمجّرد رجولّيته من حيث اللّغة وإنّما هو رجل بَحسب ثباته وإستقامته في الحَوادث ولذلك قد يقال إنّ لفظ الرّجل يطلق تارةً علىٰ معناه اللّغوي وهو الّذي يقابل المَرأة أعني به مَن له آلة الرّجولية وأُخرىٰ يقال علىٰ من له رأيّ وثبات عند الحَوادث فيقال هو رَجلٌ مثلاً ومنه. قوله تعالىٰ في كتابه:﴿ **رِجَالٌ لاتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**﴾ (١) ومن المعلوم إنّ كلّ رجل لا يكون كذلك وقال:﴿ **مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَـلَيْهِ**﴾ (٢) ولا شّك إنّ المـؤمنين كـلّهم رجال بحسب اللّغة فقوله تعالىٰ:﴿ **ومن المؤمنين رجال**﴾ المفيد للتّبعيض معناه إنّ بعض المؤمنين كذلك دون بعضهم وهو يدّل علىٰ ما ذكرناه من إشـتراك اللّفظ بحسب الصّناعة وإن لم يكن بحسب اللّغة وقال تعالىٰ بـإعتبار مـعناه اللّغوي في كتابه:﴿ **وإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ**﴾ (٣) أراد به الرّجال المقابل للنّساء وقال أمير المؤمنين مُخاطِباً لأُصحابه: **يا أشباح الرّجال ولا رجال والحاصل إنّ الصّورة غير السّيرة والرّجل رَجلٌ بسيَرته**

١- النّور ـ ٣٧ ٢- الأحزاب ـ ٢٣
٣- النّساء ـ ١٧٦

لا بصورته وكذلك المرأة مَرأة بسيرتَها لا بِصُورتَها والِسّر فيه هو إنّ الإنسان إنسان بنفسه النّاطقة القُدسّية وصِفاتها لا بِجَسَده وجِسمه من اللّحَم والشّحم وأمثالها فإنّها موجودة في الحَيوان أيضاً ولذلك قالت الفَلاسفة شيئّية الشّيئ بصُورته لا بمادّته وحيث إنّ النّفس النّاطقة في الإنسان بمنزلة الصُّورة لِجَسمه ومادّته فهو إنسان بها ولا فرق فيه بين الرّجل والمَرأة من هذا الجهة وقد ثبت إنّ الإستقامة والثّبات في الإنسان من شئون نفسه النّاطقة وصفاتها لا من شئون جَسَده العُنصري المادّي فكلّما كانت النّفس في إتّصافها بالمَلَكات والكمالات أقوىٰ كان الثّبات والجزم في الإنسان أقوىٰ وبالعكس بالعكس ولا يُعلم هذا فيه إلّا بالإختبار ولا إختبار أَحَسن من تقّلب الأحوال ولذلك قال ﷺ فيه عُلم جواهر الرّجال:

وما هذه الأيام إلّا منازلٌ
فَمِن منزل رحب الىٰ مَنزل ضنكٍ
وقد دَهَمتَك الحادثات وإنّما
صَفا الذّهب الأبريز قبلك بالسّبكِ
أما في نَبّي اللّه يوسف أُسُوةٌ
لمثلك مَحبُوسٌ علىٰ الظّلم والأفِكَ
أقام جميل الصّبر في السّجن بُرهة
فآل به الصّبر الجميل الىٰ المُلَك

وقال الآخر:

قالوا حُبست فقلتُ ليس بضائري ... حَبسي وأيُّ مُهنّدٍ لا يُغمدُ
والشّمس لولا أنّها مَحجُوبةٌ ... عن ناظرٍ بك ما أضاء الفَرقد
والنّار في أحجارها مَخبُوءةٌ ... لا تَصطلي أن لَم تثرها الأزَند

وقال الآخر:

ولَرُبّ نازلةٍ يضيق بها الفَتىٰ ... ذِرعاً وعند اللّه منها المَخرج
ضاقت فلمّا إستَحكمُت حَلقاتَها ... فَرجت وكان يَظنّها لا تُفرج

﴿٢١٤﴾

▫ قوله عليه السلام: **حَسَدُ الصَّدِيقِ منْ سُقْم المَوَدَّةِ...**

السُّقم المَرض والمعنى أنّ حَسَدَ الصَّدِيقِ دليلٌ على سُقْم مَوّدته وذلك لأنّ الحَسَد عبارة عن تمَنّي زوال نعم اللّه تعالى عن أخيك المُسلم ممّا له فيه صلاح فَمن كان صديقاً لك وكان حَسُوداً عليك فهو ليس بصديقٍ واقعاً إذ كيف يُعقل أن يكون الصّديق مُحبّاً لزوال النّعمة عن صديقه وهو يدّعي المَوّدة والمَحبّة:

٢١٥

□ قوله عليه السلام: **أكثرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ المَطامِعَ...**

أي أكْثَر مَساقط العقُول عن مقاماتها العالية الىٰ دَركاتها النّازلة وإسارتها تحت الهَوىٰ والنّفس الأمّارة بالسُّوء تَحْتَ بُرُوقِ المَطامِعَ فأنَّ الطَّمع يُوجب إسارة العَقل وتنَزّله عن مقامه كما أنّ اليأس عمّا في أيدي النّاس وهو ضدّ الطَّمع يُوجب خلاصه عن الإسارة وعرُوجه الىٰ ما يُتَرتب منه ولذلك قيل عَزَّ من قَنع وذَلَّ من طَمَع وقيل أنّ الطّامع كأنّه لا عَقل له:

٢١٦

□ قوله عليه السلام: لَيْسَ منَ العَدْلِ الْقَضَاءُ عَلىٰ الثِّقَةِ بالظَّنِّ...

وَذلك لأنّ الواثق بظّنه واهِمٌ فلابدّ لمُريد العَدل من طلب اليَقين بمُوجب الحُكم هكذا قال بعض الشّراح في تفسير كلامه عليه السلام وقال بعض آخر معناه من كان عندك ثقة مَعروفاً بالأمانة فلا تحكم عليه بالخيانة بسبب ظنٍّ حَدَث لك فأنّ الحكم بها عليه عن ظنٍّ خرُوج عن العَدل وكلا المَعنيين مُحتمل والجامع هو أنّ القاضي لابدّ له من القَطع في حكمه ولا يجوز له التّعويل علىٰ الظَّنِّ فأنّ الظَّنّ لا يغني من الحقّ شيئاً وقدمَرّ البَحث فيه سابقاً.

﴿٢١٧﴾

◘ قوله ﷺ: بِئسَ الزَّادُ إلىٰ المَعادِ الْعُدْوَانُ علىٰ الْعِبَادِ...

الْعُدْوَانُ علىٰ الْعِبَادِ هو الظّلم عليهم والتّعدي بحقُوقهم والظّالم ليس له زاد يوم القيامة إلّا ظُلمه وهو بئس الزّاد كما أنّ خير الزّاد التّقوىٰ وكفىٰ في ذَمّ الظّلم أنّه من المُستَّقلات العقلّية أي أنّ العقل السّليم يحكم بقُبح الظّلم وذَمّ الظّالم مُضافاً الىٰ الآيات والأخبار الواردة فيه وكفاك في ذَمّه قوله تـعالىٰ فـي كـتابه حيث قال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَـيْتَنِى اتَّـخَذْتُ مَـعَ الرَّسُـولِ سَبِيلاً﴾[1] وغيرها من الآيات الكثيرة الواردة في الباب وقد مَرّ الكـلام فـيه مفصّلاً.

١- الفرقان ـ٢٧

﴿٢١٨﴾

◻ قوله ﷺ: منْ أشْرَفِ أعمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ...

المراد بالغَفلة عدم الإلتفات المُعبّر عنه بالتّغافل والمعنىٰ إنّ الكريم من لا يلتفت الىٰ عيُوب النّاس وإشاعتها وإن عِلمها إذ ليس كلّ ما يُعلم يُقال ولازم ذلك بِحُكم المَفهُوم إنّ من إلتَفَت الىٰ عيُوب النّاس فـهو لَـئيم وهـو كـذلك ويمكن أن يكون المراد بالغَفلة الإعراض عن ذكرها وهو قريب ممّا ذكرناه:

﴿٢١٩﴾

□ قوله عليه السلام: مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ...

أي إنّ فضيلة الحَيَاءُ تستلزم ترك المَعائِب فلا تُرىٰ في صاحبه وإن إرتكَب ما يُعاب من الرّذائل كان علىٰ غايةٍ من التَسّتُر والإجتهاد في إخفائِه وهو بمَظَنَّة أن لا يراه النّاس هكذا قال بعض الشّراح وأنا أقول قوله عليه السلام **مَن كَسَاهُ الحَيَاءُ ثَوْبَهُ**، لا يَخلو من قَلَقٍ وإضطراب لَفَظاً ومعنىٰ، أمّا لَفَظاً فلأنّ كلمة الثّوب لا محّل له وذلك لأنّ الحَياء فاعل الفعل والضّمير مفعوله وقوله عليه السلام: (**ثَوْبَهُ**) لا محّل له من الإعراب وأمّا معنىٰ فلأنّ المقصود إنّ من كَسَاهُ الحَيَاءُ لمْ يَرَ النّاس عَيبه أي من كان الحَياء بمنزلة ثَوبه فقوله بعد ذلك ثَوبه لا معنىٰ له لو كانت العِبارة هكذا، من كان **الحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ** لكانت صَحيحةً وأظَن إنّ العِبارة كانت كذلك في الأصل وأمّا إن كانت كما هي موجودة في المتُون فالمعنىٰ أيضاً ما ذكروه والله أعلم بحقائق الأُمور:

﴿٢٢٠﴾

□ قوله عليه السلام: بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، وبالنَّصَفَةِ يَكثُرُ المُوَاصِلُونَ، والإِفْضَالِ تَعْظُمُ الأَقْدَارُ، وبالتَّوَاضُعِ تَتُّم النِّعْمَةُ، وبِاحْتِمَالِ المُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدَدُ، وبِالسِّيرَةِ الْعادِلَةِ يُقْهِرُ الْمُنَاوِي، وبالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ...

أشار عليه السلام الىٰ سبع فضائل ورغّب في كلّ منها بما يستلزمه من الخَير:

الأوّل قوله بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ: الصَمْت بفتح الصّاد مصدر قولك صَمَتَ صَمتاً وهو السّكُوت والهَيبَة بفتح الهاء وسكون الياء وفتح الباء السَطْوة والمعنىٰ إنّ الهَيبَة للرّجل تحصل له بِكَثرة السّكُوت كما إنّ كَثرة التكَلّم تُوجب زَوالَها وفَناءها والسّر فيه هو إنّ الإنسان قبل التكَلّم لا يُعرف مَوقعه ومَكانَته وبعده يُعَرف فَرُبّما يظّن المُخاطب أو المُخاطبين قبل إستماع كلامه إنّه من العِلم والشّرف والفَضيلة كذا وكذا وأمّا بعده فَليس كذلك فالكلام يُعَرِفُ المُتكلّم هذا في أصل الكلام وأمّا كُثرة الكلام فلا شَك إنّها تُوجب وَهَن المُتكلّم عند السّامع وإن كان المُتكّلم عالِماً وكان كلامه حقّاً فَضلاً من أن يكون باطلاً وكيف كان فكلامه عليه السلام هذا يدّل علىٰ ذمّ التكّثر في الكلام وهو يحصل بالإفراط فيه ومَرَجعه الىٰ العُرف فإنّ الإفراط مذمومٌ في كلّ شيءٍ:

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله -السّكُوت ذَهَب والكلام فِضّة...

وعن الرّضا عليه السلام قال -إنّ الصَمّت باب من أبواب الحِكمَة يكسب المَحّبة

وإنّه دليل علىٰ كلّ خَيرٍ، وعنه ﷺ قال – إتّقُوا اللّه وعليكم بالصَّمت...

وعنه ﷺ قال – ما أَحسَن الصَمّت من غير عَيٍّ والمِهذار له سَقطات...

وعن الباقر ﷺ قال – أنّ شيعتنا الخُرس «مشكاة الأنوار ص ١٧٥»...

الثّاني قوله ﷺ: وبالنَّصَفَةِ بالتّحريك الإنصاف ومنشأه العَدل والمعنىٰ أنّ بسبب إنصافك النّاس من نفسك يكثر المُواصلون أي الأقرباء والأحبّة كما أنّ قلّته تُوجب الفرقة وقطع الأُلفة وهو أيضاً صحيحٌ:

قال رسُول اللّه ﷺ أعَدل النّاس مَن رضىٰ لِلنّاس ما يرضىٰ لنفسه وكَره لهم ما يَكره لنفسه انتهىٰ...

وفي خبر الشّامي قال علّي ﷺ ياشيخ أرض لِلنّاس ما تَرضىٰ لنفسك وآت الىٰ النّاس ما تُحبّ أن يُؤتىٰ اليك...

وعن أبي عبد اللّه ﷺ قال أحبّوا للّناس ما تُحبّون لأنفسكم، وقال رسُول اللّه ﷺ من واسىٰ الفقير وأنَصف النّاس من نفسه فذلك المؤمن حقّاً، وقال رسُول اللّه ﷺ فيما أوصىٰ به علّياً ياعلّي سيّد الأعمال ثلاث خصال إنصافك النّاس من نفسك ومُواساتك الأخ في اللّه عزّ وجلّ وذكرك اللّه علىٰ كلّ حالٍ ياعلّي ثلاث من حقائق الإيمان، الإنفاق من الإقتار، وإنصاف النّاس من نفسك، وبَذل العلم للمتّعلم، وبأسنادٍ آخر ياعلّي ثلاث لا تُطيقها هذه الأُمّة المُواساة لِلأخ في ماله، وإنصاف النّاس من نفسه وذكر اللّه علىٰ كلّ حالٍ، والأحاديث بهذه المضامين كثيرة «بحرا الأنوار ج ١٦ ص ١٢٥ ط كمبانى»...

الثّالث قوله ﷺ: **وبالإِفْضَالَ تَعْظِمِ الأَقْدَارُ**، أي أنّ الإنعام والإحسان الىٰ الغَير يُوجب عِظم القَدر عنده وعند غيره فأنّ النّاس يُعظّمون المُعطي الجواد ويُحقّرون البَخيل قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] وأيّ إحسانٍ أفضَل من الإنعام والإعطاء الىٰ المُستّحق:

روي في البحار بأسناده أنّ رجلاً جاء الىٰ علّي بن أبي طالب فقال له يا

١- البقرة- ١٩٥

أمير المؤمنين أنّ لي اليك حاجة فقال عليه السلام أُكتبها في الأرض فأنّي أرىٰ الضُّر فيك بيّناً فكَتب في الأرض أنا فقير محتاج فقال عليه السلام ياقنبر إكسه حلّتين فأنشأ الرَّجل يقول:

كَسوتني حلّةً تبلي مَحاسنها
فَسوف أكَسُوك من حُسن الثّناء حُلَلا

إن نلتَ حُسن ثنائي نلتَ مَكرمةً
ولستَ تبغي بما قد نلتَه بَدلاً

أنّ الثّناء ليُحيي ذكر صاحبه
كالغيث يُحيي نداه السّهل والجَبَلا

لا تَزهد الدّهر في عُرفٍ بدأت به
فكلّ عبدٍ سيُجزىٰ بالّذي فَعَلا

فقال عليه السلام أعطوه مِائة دينار فقيل له يا أمير المؤمنين لقد أغنَيتَه فقال أنّي سمعتُ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يقول إنزلوا النّاس منازلهم ثمّ قال عليّ عليه السلام أنّي لأعجب من أقوامٍ يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الأحراء بمعروفهم انتهىٰ....

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ لِلجنّة باباً يُقال له باب المعروف لا يدخله إلّا أهل المعروف «ج ١۶ ص ١١٥»...

وقد مرّ الكلام في هذا الباب وأمثاله فيما مضىٰ فلا نعيد بذكره ثانياً وكفاك في إثبات المدّعىٰ أقوال الشّعراء في طول التّاريخ في حقّ الأجواد وأهل السّخاوة كما قيل:

سألتُ النّدىٰ هل أنتَ حرٌّ فقال لا
ولكنّني عبدٌ ليحيىٰ بن خالدٍ

فقلت شراءٌ قال لا بل وراثةٌ
توارثني من والدٍ بعد والدِ

وقال الآخر:

إذا نَزّل الفضل بن يحيىٰ ببلدةٍ
رأيت بها غيث السّماحة يَنبتُ
فليس بسّعالٍ إذا سَيل حاجةٌ
ولا بمُكّبٍ في ثرىٰ الأرض ينكت

وقال الآخر:

سألتُ النّدىٰ والجُود مالي أراكما
تَبدلّتما عِزّاً بذّلٍ مُؤبدٍ
وما بال ركن المجد أمسىٰ مُهدّماً
فقالا أَهَبنا بابن يحيىٰ محمّدٍ
فقلتُ فهلّا مُتّمابعد موته
وقد كنتما عبدَيه في كلّ مَسهدٍ
فقالا أقِمنا كي نَعزّي بفقده
مسافة يومٍ ثمّ نتلوه في غدٍ

وقال الآخر:

لا تَبخلنّ بدنيا وهي مُقبلة
فَليسَ ينقضها التّبذير والسّرف
فأن تولّت فأحرىٰ أن تجود بها
فليس تبقىٰ ولكن شكرها خَلَفٌ

الرّابع قوله عليه السلام: **وبالتّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ**، أي أنّ المتواضع لِلنّاس قد تمّت النّعمة عليه في الحقيقة لأنّه يوجب كُثرة الأخوان وأهل المودّة ورضىٰ اللّه تعالىٰ ومَن كان الخالق والمَخلوق عنه راضياً فقد تمّت النّعمة عليه، قال رسُول صلى الله عليه وآله **ثلاثة لا يزيد اللّه بهنّ إلّا خيراً، التّواضع لا يزيد اللّه به إلّا إرتفاعاً، وذلّ النّفس لا يزيد به إلّا عزّاً، والتّعفف لا يزيد اللّه به إلّا غِنىٰ انتهىٰ.**

وقال ﷺ أوحىٰ اللّه الىٰ داوُد يا داوُد أنّ أقرب النّاس منّي يوم القيامة المُتّواضعُون وكذلك أبعد النّاس منّي يوم القيامة المُتّكبرون، والأحاديث في فضله كثيرة وقد مضىٰ البَحث فيه أيضاً «مشكاة الأنوار ص ٢٢٤»...

الخامس قوله ﷺ: **وبِاحْتِمَالِ الْمُؤَنِ يَجِبُ السُّؤْدَدْ**، المُؤَن بضّم الميم وفتح الهَمزة بعده جمع مَؤونة وهي القُوت، والسُّؤدد بضّم السّين الشَّرَف والمعنىٰ أنّ الشَّرَف يحصل بإحتمال المَؤونات عن النّاس وأقواتهم فكلّما كانت الأقوات عندك أكثر وأوَفر فَشَرفك وسُؤددك أعَظم وأشَرَف وإحتمال المُؤَن كناية عن مراتب الجُود والعَطاء وما ذَكره أيضاً لا غبار عليه ألا ترىٰ أنّ النّاس عبيد الدّنيا وأنّ الدّرهم والدّينار يجذب النّاس الىٰ صاحبه:

وهكذا الإطعام فكلّ من كان النّاس اليه أحَوَج وهو في رفع حَوائجهم أسَبَق وأقَضىٰ فهو أحَبّ عندهم من غَيره وهذا أمرٌ مَحسُوس فضلاً عن كونه معقولاً مَشرُوعاً قال رجل لأحنف بن قيس وكان سيّد قومه بِمَ سِدتَ قَومك وما أنت بأشَرفهم بيتاً ولا أصَبحهم وجهاً ولا أحَسَنهم خُلقاً فقال بخلاف ما فيك قال وما ذاك قال تركي من أمرك ما لا يعتبني كما عناك من أمري ما لا يُعنيك، وقيل السيدّ من يكون لِلأولياء كالغَيث الغادي وعلىٰ الأعداء كاللّيث العادي، وكان بسبب إرتفاع عرابة الأوسي وسُؤدده أنّه قَدِم من سفر فَجَمعه والشّماخ بن ضرار المزني الطّريق فتحادثا فقال له عرابة مالّذي أقَدَمك المدينة ياشماح قال قَدمتها لأمتار منها فَمَلأ له عرابة راحلة برٌّ أو تَمرٍ أو تحفةٍ غير ذلك فأنشد يقول:

رأيتُ عرابة الأوسي يَسمُو ... الىٰ الخَيرات مُنقَطع القرينِ
إذا ما رايةٌ رُفعت لمَسجدٍ ... تلَقّاها عرابة باليَمين

السّادس قوله ﷺ: **وبِالسِّيرَةِ الْعادِلَةِ يُقْهِرُ الْمُنادِي**، المُنادي بضّم الميم المُخالف المُعاند:

والمعنىٰ أنّ الإنسان ولا سيّما إذا كان حاكماً أميراً علىٰ النّاس إذا عَدل في

سيرته وجانَبَ الجَور في طريقته يذّل له المُخالف والمُعاند فضلاً عن المؤمن وبعبارةٍ اخرى بالظّلم والجَور وإيجاد الإختناق والإستبداد لا يمكن الغَلَبة علىٰ الخَصم المُعاند المُخالف بل الطّريق اليها هو إجراء العَدالة بالنّسبة الىٰ المُوافق والمُخالف وذلك لأنّ المُخالف إذ رأىٰ أنّه يَحكم في حقّه كما يحكم في حقّ المُوافق وبعبارةٍ أُخرىٰ إذا رأىٰ المُخالف إجراء العَدالة من غَير تمييزٍ بين النّاس فلا مُحالة يصير مقهُوراً لأنّه عاقل والعاقل لا يُكابر عقله وأمّا إذ رأىٰ خلاف ذلك بإجراء العَدالة في حقّ بعضٍ دون بعضٍ فلا يكون مَقهُوراً لك وإن قُتِل.

أقول: ما ذَكره عليه السلام يليق أن يُتأمل فيه فأنّا نرىٰ في زماننا هذا صدق ما قاله عليه السلام بالحِسّ والعَيان ألا ترىٰ أنّ الدَّم لا يطّهره الدَّم بل يحتاج الىٰ الماء فأنّ اللّه تعالىٰ جَعَل الماء طهُوراً والعَدالة في الإجتماع كالماء تُطهر كلّ شئٍ وحيث أنّها في زماننا مفقُودة ولم يبق منها إلّا إسمها نرىٰ المُخالف يرضىٰ بالقَتل ولا يَرضىٰ بالتّسليم لأنّ التّبعيض في إجراء الأحكام يُوجب أن يكون المُخالف راضياً بالمَوت غير راضٍ بالحياة كذلك بل أنّ السّيرة الجائرة تُولد المُخالف وتزيد علىٰ غَيض المُخالف آناً فآناً:

السّابع قوله عليه السلام: **وَبِالْحِلمِ عَنِ السَّفيهِ تَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ**، أي أنّ الحِلم والعَفو عن السّفيه يُوجب كثرة الأنصار والأعوان وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً غير مرّةٍ ولا سيّما عند كلام (١٩٩) .

٢٢١

□ قوله عليه السلام: **الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلامَةِ الأَجْسَادِ...**

أي من العَجيب حَسَد الحاسدين علىٰ المال والجاه مثلاً وأنّهم لا يحسدون النّاس علىٰ سلامة أجسادهم مَع أنّها من أجلّ النِعم وأفَضل المواهب فقد قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **نعمتان مَجهولتان الصِّحة والأمان قدّم صلى الله عليه وآله الصّحة علىٰ الأمان لأنّها أفَضل منه أيضاً فضلاً عن غيره من النِّعم المادّية** والسّر فيه هو أنّ الإنسان إذا لم يكن صحيحاً في جسده وكانت الدّنيا بأسرها له لا يَنتَفع بها وأمّا إذا كان صحيح البَدن وكان رزقه من الدّنيا قليل فهو يَنتَفع به فهذا أولىٰ له ولأجل ذلك لو خُيّر عاقل بين المَقامين أعني بهما صحّة البَدن والقَناعة بأقلّ ما يكفيه، وسُقم البَدن وجميع الدّنيا وما فيها تحت إختياره بحيث لا يقدر علىٰ الإنتفاع بها لا أظُنّ أنّه يختار الثّاني علىٰ الأوّل فأنّ المَريض حاله معلوم وهو دليلٌ علىٰ أنّ الصّحة من أفَضل النِّعم ألا ترىٰ أنّ الإنسان يصرف جميع ماله لتحصيل الصّحة ولا يصرف صحّته لتحصيل المال:

رُوي عن أبي هريرة قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **اليك إنتهت الأماني يا صاحب العافية، وعنه صلى الله عليه وآله قال أوّل ما يُحاسب به العَبد يوم القيامة أن يقال له ألَم أصّح بَدنك، ورَوت العامّة عن علّيٍ عليه السلام في قوله تعالىٰ: (ثُمّ لتسألنّ يومئذٍ عن النّعيم) هو الأمن والصّحة والعافية والأخبار في الباب كثيرة وحيث أنّ الموضوع من الواضحات المَحسُوسات فلا نحتاج الىٰ ذكر الأدّلة العقلّية**

والنّقلية فيه:

إذا مـــا كَســاك الدّهــر ســربال صــحّةٍ
ولم تــخل مــن قُــوتٍ يــحلّ و يــقرب
فـــلا تَـــغبطنّ أهـــل الكـثير فأنّــما
عــلىٰ قــدر مــا يـعطيهم الدّهـر يَسـلب

قال حكيمٌ أن كان شئ فوق الحياة فهو الصّحة، وأن كان شئ مثل الحياة فهو الغنّي، وأن كان شئ فوق المَوت فهو والمَرض، وأن كان شئ مثل المَوت فهو الفقر وقد مَرّ الكلام في ذَمّ الحَسَد:

٢٢٢

□ قوله عليه السلام: **الطَّامِعُ فِي وَثَاقِ الذُّلِّ...**

أي من يطمع فيما بيد غيره فقد جَعَل الذّل في عُنقه من حيث لا يحتسب قال رسُول اللّه عَزَّ من قَنَع وذَلّ من طَمع، وقد مَرّ الكلام فيه فأنّ الأحاديث في ذَمّ الطّمع أكثر من أن تحصىٰ وقد مَرّ شطراً منها ولنعم ما قيل فيه:

إذا طـاوَعتَ حِـرصك كُـنتَ عَـبداً
لكـلّ دُنـيّةٍ تُـدعىٰ اليـها

وقال الآخر:

وذي حـرصٍ تـراه يـلم وفـراً
لوارثـه ويَـدفع عـن حـماه
ككـلب الصّـيد يُـمسك وهـو طـاو
فَـريسته ليأكـلها سـواه

وقال الآخر:

تـعالىٰ اللّـه يـا سـليم بـن عـمرو
أذَلّ الحِـرص أعـناق الرّجـال
هب الدّنـيا تـفاد اليك عَـفْواً
أَلَـيس مـصير ذلك لِـلزّوال

﴿٢٢٣﴾

□ **قوله ﷺ: وسُئل عن الإيمان) الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بالْقَلْبِ وإقْرَارٌ باللِّسَانِ وعَمَلٌ بِالأَرْكانِ...**

قد مرّ الكلام في الإِيمَانْ وشرائطه وأركانه مفّصلاً وقلنا هناك أنّ الإيمان على مسلك العامّة هو الإسلام بعينه بمعنى أنّه يحصل بالشّهادتين فَحسب ولا يشترط فيه المعرفة بالْقَلْبِ والعَمَل بالأركان.

وأمّا على مَذهب الحقّ فهو عبارة عن معرفة اللّه ورسُوله وأوصيائه وكلّ ما جاء به النّبي بالقلب والإقرار على طبق القلب باللّسان والعَمل بمقتضاهما بالأركان والجوارح والعَمل هو في الأصل في الثلاثة ويكفيك على إثبات المدّعى قوله تعالى: **﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾** (١)

وجه الإستدلال بها ظاهر لا يحتاج الى توضيح أكثر وقد سُئل عن الرّضا ﷺ **هل يشترط في الإيمان العَمَل فقال** ﷺ **وهل الإيمان كلّه إلّا العَمل** وقد ذكرنا الأخبار في إثبات المدّعى فيما مضى وما ذكره ﷺ في المقام صريحٌ في صحّة إعتقاد شيعته ونّص عليه بحيث لا يقبل التّأويل أصلاً:

١- الحجرات ـ١٤

٢٢٤

▫ قوله ﷺ: مَنْ أَصْبَحَ عَلىٰ الدُّنيا حَزِيناً فَقد أَصْبَحَ لِقَضَاء اللَّهِ سَاخِطاً، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقدْ أَصْبَحَ يَشكُو رَبَّهُ، وَمَنْ أَتَىٰ غَنِيّاً فَتَوَاضَعَ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثا دِينِهِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرآنَ فَماتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آياتِ اللّهِ هُزُواً، ومَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْها بِثَلاَثَ هَمٍّ لا يُغِبُّهُ، وَحِرْصٍ لا يَتْرُكه، وأَمَلٍ لا يُدْرِكَهُ...

الحِرص بكسر الحاء قيل في تعريفه هو معنىٰ راتب في النّفس باعث علىٰ جميع ما لا يحتاج اليه ولا يفيده من الأموال من دون أن ينتهي الىٰ حدٍّ يكتفي به وهو أقوىٰ شُعَب حبّ الدّنيا وأشهر أنواعه ولا ريب في كونه ملَكَة مُهلِكة وصفة مفصّلة بل بادية مظلمة الأرجاء والأطراف وهاوية غير مُتناهية الأعماق والأكناف من وَقَع فيه ضلّ وباد ومن سقط فيه هَلك وما عاد بل لا يزال يخوض في غمرات الدّنيا الىٰ أن يفرق وتطرحه أرض الىٰ أرضٍ حتّىٰ يهلك والأخبار في ذمّه كثيرة والعقل بقُبحه مُستقّل:

قال رسُول اللّه ﷺ لو كان لإبن آدم واديان من ذهبٍ لأبتغىٰ ورائهما ثالثاً ولا يملأجوف إبن آدم إلّا التّراب ويتوب اللّه علىٰ من تاب...

وقال ﷺ مَنهُومان لا يشبعان مَنهُوم العِلم ومنهُوم المال، وقال ﷺ يشيب إبن آدم ويشيب فيه خصلتان الحِرص وطول الأَمل...

وقال أبو جعفر الباقر ﷺ مثَل الحريص علىٰ الدّنيا كَمَثَل دُودة القزّ كلّما إزدادت علىٰ نفسها لَفتاً كان أبعَد لَها من الخروج حتّىٰ تموت غمّاً «جامع

السّعادات ج ٢ ص ٩٩»...

إذا مــا نــازعتك النّــفس حِــرصاً
فأمسِكــها عــن الشّــهوات أمسِك
ولا تــحرص ليــومٍ أنتَ فــيه
وعــدّ فَــرزق يــومك رزق أمسِك

وقال الآخر:

ولــي أمَــلٌ قــطعتُ بــه اللّــيالي
أرانــي قــد فــنيتُ بــه ودَامــا

وقال الآخر:

شَطَّ المزار بسعدي وإنتهىٰ الأمَل   فــلا خــيال ولا رسـمٌ ولا طَـلَلُ
إلّا رجــاء فــما نــدري أنُدركه   أم يستمر فــيأتي دُونـه الأجـل

وأمّا قوله عليه السلام: **فَقد أصْبَحَ لِقَضَاء اللَّهِ سَاخِطاً** فمعناه أنّ الحريص لحِرصه لا يقنع بما رزقه اللّه ويطلب الزّيادة دائماً ومن لم يرض بقضاءه فهو ساخطٌ غاضبٌ عليه إذ عدم الرّضا ملازم للغَضَب بل هُو هُو:

الأصل الثّاني قوله عليه السلام: **وَ مَنْ أصْبَحَ يَشكُو مُصِيبَةٌ نَزَلْتُ بهَ فَقَدْ أصْبَحَ يَشكُو رَبَّهُ...**

وذلك لأنّ إصابة المُصيبة تكون بإذن اللّه تعالىٰ وبقضاءه والمُصاب لا يخلُو إمّا أن يكون راضياً بها غير شاكٍ عنها أو لا يكون كذلك والأوّل لا كلام فيه والثّاني يوجب أن يكون المُصاب مِمّن يَشكُو رَبَّهُ في الحقيقة إذ الشّكوىٰ عن المُصيبة الّتي هي فعل اللّه تعالىٰ بعينها الشّكوىٰ عنه تعالىٰ لأنّ الفعل منه علىٰ الفرض:

روي عن جابر قال قلت لأبي جعفر عليه السلام **ما الصّبر الجميل فقال عليه السلام ذاك الصّبر الّذي ليس فيه شكوىٰ الىٰ أحدٍ من النّاس أنّ إبراهيم بعث يعقُوب الىٰ راهبٍ من الرّهبان عابد من العباد في حاجةٍ فلمّا رآه الرّاهب حَسَبه إبراهيم فَوَثَبَ اليه فإعتَنَقه ثمّ قال مَرحباً بخليل الرّحمٰن قال لا ولكن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فقال له الرّاهب فَما بلغ بك ما أرىٰ بك الكِبَر فقال الهَمّ**

والحُزن والسّقم فما جاوز عُتبة الباب حتّىٰ أوحىٰ اللّه اليه يا يعقُوب تشكوني الىٰ عبدي فخّر ساجداً عند الباب فقال يا ربّ لا أعُود فأوحىٰ اللّه اليه أنّي قد غَفَرتُ لك فلا تعُد لِمثلها فما شكىٰ ممّا أصابه من نوائب الدّنيا إلّا أنّه قال يوماً أنّما أشكو بثّي وحُزني الىٰ اللّه وأعلم من اللّه ما لا تعلمون انتهىٰ» مشكاة الأنوار ص ٢٧۶»...

أما والّذي لا يملك الأمر غيره ... ومن هو بالسِّر المُكتّم أعلَم
لأن كان كتمان المصائب مُؤلِماً ... لإعلانها عندي أشدّ وأعظَم
وبي كلّ ما يبكي العُيون أقلّه ... وإن كنتُ منه دائماً أتَبسمُ

وقال الآخر:

عليك بإظهار التّجَلُّد لِلعِدا ... ولا تَظهرنّ منك الذّبول فتَحقرا
أمَا تنتظر الرّيحان شميم ناضِراً ... ويُطرَح في البَيداء إذا ما تغّيرا

وقال الآخر:

ما أجمَل الصّبر في الدّنيا وأجمله ... عند الإلٰه وأنجاه من الجَزَع
من شَدّ بالصّبر كفّاً عند مُؤلِمةٍ ... ألوَت يَداه بحبلٍ غير مُنقطعٍ

وقال الآخر:

علىٰ قدر فَضل المَرء تأتي خطُوبه ... ويُحمَد منه الصّبر ممّا يُصيبه
فَمَن قَلّ فيما يلتَقيه إصطباره ... لَقد قَلَّ فيما يَرتجيه نَصيبُه

الأصل الثّالث قوله عليه السلام: **وَمَنْ أتىٰ غَنِيّاً فَتواضَعَ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثا دِينِهِ...**

قد مَرّ الكلام في التّواضع وأنّه من الصّفات المَمدُوحة عقلاً وشَرعاً إلّا أنّه كذلك إذا كان لِلّه تعالىٰ لا لِلدّنيا وما فيها من النِّعم فأنّه إذا كان لأجل الوصُول الىٰ الحُكام الدّنيوية لا شّك في قُبحه وذَمّه عقلاً وشَرعاً والتّواضع لِلغني لأجل غِناه من هذا القبيل وأمّا التّواضع له لأجل إيمانه ودينه فلا إشكال فيه ولذلك قال عليه السلام: **فَتواضَعَ لِغِنَاهُ**، فأنّ اللّام فيه لِلغاية أي إذا كان التّواضع من الفقير لِلغَني لأجل ماله وثَروته فقد ذَهَب ثُلثا دينه أي ثُلثا دين الفقير وأنّما قال عليه السلام: **ثُلُثا دِينِهِ** ولم يقل ثُلث دينه أو تمام دينه مثلاً لنُكتةٍ وهي أنّ الدّين الحقيقي أعني به الإيمان، له ثلاث أجزاء، معرفة بالقلب، وعَمَل بالأركان وإقرارٌ باللّسان كما مَرّ

شرحه عند كلامه عليه السلام في هذا الباب ثُمّ أنّ التّواضع لأجل الغنّي تذهب به المعرفة القلبية بسبب عَدم إعتماده علىٰ اللّه تعالىٰ، فقد زال يقينه به، ثُمّ أنّ خضوعه لغير اللّه أداء عَمَلٍ للغير هذا هو الثّاني فَلم يبق إلّا الإقرار باللّسان وهو لا يكون إلّا ثُلثه علىٰ الفَرض:

الأصل الرّابع قوله عليه السلام: وَمَن قَرأَ الْقُرْآنَ فَماتَ فَدَخَلَ النّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آياتِ اللَّهِ هُزُواً...

وفيه إشارة الىٰ أنّ قراءة القرآن إذا كانت علىٰ وجهها فصاحبها يَدخل الجنّة بها كما دلّت الأخبار عليه فإذا دَخل قارئ القرآن النّار فهو كان من المُستَهزئين باللّه تعالىٰ فأنّه ربّ تال القرآن القرآن يَلعَنه، ومن المعلوم أنّ القرآن لا يَلعَن إلّا من إتّخذ آياته هُزُواً، ونحن نذكر لك شطراً ممّا رُوي في ثواب قراءة القرآن وأنّ القارئ يَدخل الجنّة ثُمّ نُردفه بما روي فيمن يقرأ القرآن ولا يَعمل به فيدخل النّار وذلك لأنّ ما ذكره عليه السلام في المقام ينحلّ في الحقيقة الىٰ أصلين:

أمّا الأوّل : روي في البحار بأسناده عن الصّادق عليه السلام قال الحافظ للقرآن العامل به مَع السّفرة الكرام البَررة...

وبأسناده عن ابن عبّاس قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أشراف أُمّتي حَمَلة القرآن وأصحاب اللّيل...

وبأسناده عن أبي صعيد الخدري قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله حَمَلة القرآن عُرفاء أهل الجنّة...

وبأسناده عن أبي جعفر قال عليه السلام قُرّاء القرآن ثلاثة، رجل قَرَأ القرآن فإتَّخَذه بضاعة وإستَدَر به الملُوك وإستَطال به علىٰ النّاس، ورجل قَرَأ القرآن فحَفَظ حُروفه وضيّع حدوده، ورجل قَرَأ القرآن ووَضَع دواء القرآن علىٰ قالبه وأسهَر به ليله وأظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتَجافي به عن فراشه بأُولئك يدفع اللّه العزيز الجبّار البلاء وبأُولئك يديل اللّه من الأعداء وبأُولئك يُنزّل اللّه الغَيث من السّماء فَواللّه لهَؤلاء في قُرّاء القرآن أعَزّ من الكبريت الأحمر انتهىٰ...

وبأسناده قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله لا يعذّب اللّه قَلباً وعَىٰ القرآن انتهىٰ...

وبأسناده عن الصّادق عن آباءه قال رسُول اللّه ﷺ صنفان من أُمّتي إذا صَلحا صَلَحت أُمّتي الأُمراء، والقُرّاء انتهىٰ... والأحاديث في فضل قراءة القرآن وحَمَلته كثيرة.

وأمّا الثّاني: أعني به مَن قَرَأه ثُمّ دَخل النّار:

فمنها ما رواه في البحار بأسناده عن النّبي ﷺ قال من قَرَأ القرآن ثُمّ شرب عليه حراماً أو آثر عليه حياة الدّنيا وزينتها إستوجب عليه سخط اللّه إلّا أن يتوب ألا وأنّه أن مات علىٰ غير توبةٍ حاجّه القرآن يوم القيامة فلا يُزائله إلّا مدحُوضاً انتهىٰ...

ومنها ما رواه بأسناده عن علّيٍ ؑ قال مَن قَرأ القرآن يأكل به النّاس جاء يوم القيامة ووَجهه عَظم لا لَحم فيه، وقال الصّادق ؑ المُقري بلا علمٍ كالمُعجب بلا مال الحديث...

وقال رسُول اللّه ﷺ ما آمن بالقرآن من إستَحلّ محارمه، وقال ﷺ كَم من قارئ القرآن والقرآن يَلعَنه« بحار الأنوار ج ١٩ ص ٤٧» والأحاديث كثيرة ومحصَّل الكلام هو أنّ من مات مِمّن قَرَأ القرآن ودَخل النّار هو الّذي قَرَأه بلسانه لا بقلبه وأركانه أي لم يقّر بقلبه ولم يَعمل بأعضاءه وجوارحه فهو ممّن إتّخذه هُزواً:

الأصل الخامس قوله ؑ: **وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا الْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلاَثٍ هَمٍّ لا يُغِبُّه، وحِرصٍ لا يَتْرُكهُ، وَأمَلٍ لا يُدْرِكْهُ...**

قوله ؑ: **إلتاطَ** أي إلتَصق ومعنىٰ الكلام أنّ من كان قلبه مشغُوفاً بِحُبّ الدُّنْيَا إلتَصق **قَلْبَهُ بِثَلاَثٍ** خصالٍ الأوّل قوله هَمّ لا يُغبّه والغَبّ أن تَرد الإبل الماء يوماً وتَدعه يوماً أي أنّ المُحبّ للدّنيا يلتَصق بقلبه هَمٌّ لا يَتركه أصلاً أي أنّه يكون دائماً مَهمُوماً مَغمُوماً، والثّاني وحرص لا يَتركه، أي أنّه يصير حَريصاً علىٰ الدّنيا بحيث لا يمكنه تَرك الحِرص، والثّالث وأمَلٍ لا يَدركه، أي أنّه يصير من ذَوي الآمال البعيدة الّتي لا يدركها أصلاً والحاصل أنّ المُحبّ للدّنيا يكون مَهمُوماً حَريصاً، مُؤملاً وهذه الخصال المَذمُومة من ثَمرات حبّ الدّنيا وما كان هذه ثَمراته فينبغي الحَذَر منه وقد مَرّ الكلام فيه:

□ قوله عليه السلام: كَفَىٰ بالقَناعَةِ مُلكاً وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيماً....

وقد وَرد أنّ القناعة مُلك لا يَنفد، وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله من أراد أن يكون أغنىٰ النّاس فَليَكُن بما في أيدي اللّه أوثَق منه في أيدي غيره، وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله القَناعة مال لا يَنفد، وقال صلى الله عليه وآله القَناعة كنزٌ لا يُفنىٰ « مشكاة الأنوار ص ١٣٠»...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ اللّه إختار الإسلام ديناً فأحسنُوا صُحبته بالسّخاء وحُسن الخُلق فأنّه لا يَصلح إلّا بهما، وقال صلى الله عليه وآله أكثر ما تَلج به أُمّتي الجنّة تقوىٰ اللّه وحُسن الخُلق« ص ٢٢١»...

وحيث إنّا قد تكّلمنا فيهما سابقاً فلا نُطول الكلام في المقام:

٢٢٦

□ **قوله ﷺ: وسُئِل ﷺ عن قوله تعالىٰ:(فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً) هيَ الْقَناعَةُ...**

معناه أنّ الحياة الطّيبة تُوجد في القَناعَةُ بما رَزَقه اللّه تعالىٰ والسّر فيه هو أنّ من لم يَقَنع بما رَزَقه اللّه تعالىٰ يرىٰ نفسه في الدّنيا محتاجةً الىٰ أبناء زماننا فيكون الإنسان خاضعاً خاشعاً لغيره لأجل الوصُول الىٰ آماله ومن المعلوم أنّ الحياة إذا كانت مُلازمة لِلذّلة والحقارة فهي حياة خَبيثة قذرة وأمّا إذا كانت مُلازمة لِلإستغناء عن النّاس فهي الحياة الطّيبة ولا تحصل إلّا بالقناعة:

٢٢٧

□ **قوله عليه السلام: شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عليهِ الرِّزْقُ فإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغَنىٰ وأَجْدَرُ بإِقْبال الْحظِّ عَلَيهِ...**

أي إذا رأيتُم شخصاً أقبَل عليه الرّزق فإشتركوا مَعَه في عَمَله من تجارةٍ أو زراعةٍ أو صنعةٍ أو غيرها وذلك لأنّ في الإشتراك مَعَه مَظَنّته الرّبح والنّفع وأمّا الإشتراك مَع من أدبَر عليه الرّزق ففيه مَظَنّته الضّرر والخُسران وقد إشتهر هذا الحكم علىٰ ألسَنة النّاس وهو ظاهر:

٢٢٨

□ **قوله ﷺ: في قوله تعالىٰ:(إِنَّ اللَّهَ يَأمرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) العَدْلُ الإنْصَافُ وَالإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ...**

أمّا أنّ العَدل الإنصاف فلأنّ العَدل عبارة عن وضع الشّئ في محلّه ولا نعني بالإنصاف إلّا هذا المعنىٰ وأمّا أنّ الإحسان التَّفَضل فلأنّ الإِحْسَانِ عبارة عن فعل الخَير في حقّ الغير بداع التَّقرب الىٰ اللّه تعالىٰ وهذا هو التَّفَضل بعَينه والىٰ هذا المعنىٰ يُشير قوله تعالىٰ: **﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[1]

---

[1]- البقرة- ١٩٥

▫ قوله عليه السلام: مَنْ يُعْطِ باليَدِ القَصيرَةِ يُعْطِ باليَدِ الطَّوِيلَةِ...

قال الرّضي رحمه الله في شرح هذا الكلام معنىٰ ذلك أنّ ما ينفقه المَرء من ماله في سبيل الخَير والبر وأن كان يَسيراً فأنّ الله تعالىٰ يَجعَل الجَزاء عليه عظيماً كثيراً واليَدان هيهنا عبارتان عن النّعمتين ففرق عليه السلام بيْنَ نِعْمَةِ الْعَبدِ وَنِعْمَةِ الرَّبِّ فَجَعَلَ تِلْكَ قَصِيرَةً وَهَذِهِ طَوِيلةً لأنَّ نِعَمِ اللّهِ أبَداً تُضْعَفِ علىٰ نِعَمِ المَخْلُوقِ أضْعافاً كَثيرَةً إذْ كَانَتْ نَعِمُ اللّهِ أَصْلَ النَّعَمِ كُلِّها فَكلُّ نِعْمَةٍ إليها تَرْجِعُ ومِنها تُنْتَزَعُ...

أقول: فعلىٰ ما ذكره الرّضي رحمه الله إستعار عليه السلام لَفظ اليَد في المَوضعين للنّعمة والعَطاء وكنّىٰ بالطّول والقُصر عن الكُثرة والقلّة علىٰ حَذو قوله تعالىٰ: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدَ اللَّه مَغْلَولَةٌ**[1]﴾ أي أمَسَك يَده عن الإنفاق والإعطاء، وقوله تعالىٰ: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ**﴾[2] يعني لا تُمسكها عن الإعطاء والإنفاق بمنزلة المَغلُول يَده الىٰ عُنقه حيث لا يقدر علىٰ الإعطاء وأمّا أنّ الطّول والقُصر كنايتان عن القلّة والكُثرة في الجَزاء فلقوله تعالىٰ: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾[3]

و : ﴿**مَّن ذَاالَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناًفَيُضَاعِفَهُ لَه**[4]

١- مائده -٦۴
٢- الاسراء - ٢٩
٣- الأنعام -١٦٠
۴- البقرة -٢۴٥

٢٣٠

□ قوله ﷺ: **لإبنِه الحَسَنِ ﷺ: لا تَدْعُونَ إلىٰ مُبارَزَةٍ وَإنْ دُعَيتَ إليها فَأَجِبْ الدَّاعِيَ باغٍ وَالبَاغِي مَصْرُوعٌ...**

المُبارزةُ بُروز كلٍّ لِلآخر ليَقتتلا والمصروع المَغلُوب، والمعنىٰ لا تَدْعُوَنْ أحَداً الىٰ مُبارزتك لِلقتال ولكن أن دَعاك أحَدٌ اليها فَأجبه وذلك لأنّ الدّاعي الىٰ المُبارزة باغ أي ظالم نفسه والباغي مصروعٌ مَغلُوبٌ علىٰ كلّ حال ولعلّ الوجه في بغي الدّاعي هو أنّه طالب للمُبارزة والإنسان العادل لا يطلبها لأنّ العَدل يقتضي الصّلح بين النّاس وأمّا الخارج بالسّيف بأيِّ نحوٍ كان فهو ظالم إذا لم يكن مُدافعاً عن نفسه أو مُدافعاً عن نفسٍ أو حقٍّ آخر وبعبارةٍ أُخرىٰ العَدل هو وضع الشّيئ في محلّه والظّلم وضعه في غير محلّه والإنسان لم يُخلق لِلقتال والعداوة وكلّ ما يُنافي شئونه بل خُلق للوصُول الىٰ الكمالات والبلُوغ الىٰ الدّرجات وهو لا يحصل إلّا في الأمن والأمان والصّلح والصّفا وأمّا القَتل والمُقاتلة المُوجب لإزهاق النّفوس وإيجاد البَغضاء بين النّاس فَلَيس من العَدل بشيئ فالقاتل والمُبارز بأيّ نحوٍ كان باغ ظالم علىٰ نفسه وأبناء نوعه لإنّه صار سَبباً لِلعداوة ومانعاً عن وصُول النّاس الىٰ كمّالاتهم المُترقبة فالمُبارزة والمُقاتلة من الشّيطان والصُّلح والأمَن من اللّه تعالىٰ ولذلك نقول لَم يَبعث اللّه رسولاً قطّ لِلقتال والجِدال بل بَعَث الأنبياء لإيجاد الصُّلح والصّفاء والمَحبّة بين النّاس فقِتال الأنبياء مع الأعداء كان لِتحصيل هذا الغَرَض لا إنّهم كانُوا مأمُورين به من حَيث إنّه مَمدُوحٌ وهو ظاهر ولأجل هذه الدّقيقة قال ﷺ: **لا تدعّون أحداً** الىٰ مُبارزة وعَلّله بإنّ المُبارز باغ والباغي مَصروعٌ مغلوب في الدّنيا والآخرة:

﴾٢٣١﴿

□ قوله ﷺ: **خِيَار خِصَالِ النَّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجالِ، الزَّهْوُ، وَالْجُبْنُ، وَالْبُخْلُ، فإذَا كانَتْ المَرْأَةً مَزْهُوَّةً لَم تُمَكِّنْ من نَفْسِها، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا ومَالَ بَعْلِها وإذا كانَتْ جَبَانَةً فَرِقتْ منْ كلِّ شَيْءٍ يَعْرِضُ لَها...**

الزَّهْوُ بفتح الزّاء وسكون الهاء الكِبر والمَزْهوة المُتكّبرة:

أفاد ﷺ إنّ بعض الصّفات يفترق في الرّجال والنّساء حُسناً وقُبحاً بالنّسبة الىٰ الآخر لا بما هي هي فقال خِيار خِصال النّساء أي أن الصّفات الّتي عُدّت بالنّسبة الىٰ النّساء مُستحَسنة فهي بعينها عُدّت لِلرّجال قبيحة وهي ثلاثة، الزّهو، والجُبن، والبُخل، وذلك لأنّ الزَّهْوَ أعني التكبّر في النّساء لا قُبح فيه بل هو حَسَن مَمدوح وأمّا في الرّجال فهو من القَبائح وذلك لأنّ التكبُّر في الإنسان يوجب عدم مُعاشرته أو قلّتها مع النّاس لإنّ المُتكبّر يرى نفسه فوق نفس غيره ومع ذلك مُعجبٌ بها وحيث إنّه يرىٰ عدم مُراعاة النّاس له ما إرتضاه لِنَفسه فلا مَحالة لا يُعاشرهم إلّا قليلاً وهو في الرّجال قبيح عقلاً وشرعاً كما مَرّ ذكره مراراً وأمّا في النّساء فهو مَمدُوح في الجُملة لأنّه في النّساء باعث علىٰ عَدم معاشرتها أو قلّتها وإكتفائهنّ بأزواجهُنّ وهو مَدحٌ لَهنّ لا ذَمّ وعليه فلابدّ لنا من حَمَل الزّهو في النّساء زَهوهنّ مع الرّجال وأمّا مع النّساء فالقُبح باقٍ بحاله إذ لا يمكن لنا القول بِحُسن التكبُّر في النّساء بقولٍ مُطلق وقد ثَبَت قُبحه عقلاً وشرعاً ولا تخصيص في العقّليات ولذلك قلنا هو ممدوح منهنّ في

الجُملة وأنت ترىٰ إنّ كلامه عليه السلام مُطلَق لا تَخصيص فيه لأنّه عليه السلام حَكَم بحُسن الصّفات الثّلاثة علىٰ الإطلاق وهكذا الكلام في الجُبْن والبُخل إذ كيف يجُوز لنا القول بحُسن الجُبْن والبُخل علىٰ الإطلاق في النّساء وهما أيضاً مَذمُومان عقلاً وشرعاً وعليه فلابدّ لنا من حَمَل الكلام علىٰ الأعمّ الأغلب، أو تخصيصه بما ذكرناه وإلّا فالعِبارة لا تخلُو من قلقٍ وإضطراب من حيث المعنىٰ وأمّا الشُّراع فلم يتفَطنُوا لهذه الدّقيقة أصلاً:

وقَنَعُوا بظواهر ألفاظه عليه السلام كما هو شأنهم في مُعضلات كلماته عليه السلام ألم يسئلوا عن أنفُسهم كيف يكون التكبُّر والجُبْن والبُخل في النّساء مَمدوحاً علىٰ سبيل الإطلاق والمفروض إنّ النّساء أيضاً من مصاديق الإنسان وقُبح هذه الصّفات عقلّي قبل كونه شرعَياً بالنّسبة الىٰ كلّ إنسانٍ عاقل فلا مَحيص لنا من حَمل كلامه عليه السلام علىٰ موارد خاصّة مثل التكبُّر لِلنّساء بالنّسبة الىٰ الرّجال غير ذوي المَحارم، والجُبْن والخَوف من الرّجال كذلك والبُخل بالنّسبة الىٰ أموال بعُولتهنّ لا في أموالهنّ وهكذا إذا عَرَفت هذا فقوله عليه السلام في تفسير كلامه، **فإذَا كَانَتْ المَرْأةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ من نَفْسِها**، يُحمل علىٰ تمكّنها من نفسها الأغيار أي إنّها يمنع غير زوجها من نفسها وأمّا إذا وَصَلت المَرأة في الزّهو الىٰ مقامٍ لم تمكّن من نفسها زوجها أيضاً في كثير من الموارد أو في موارد خاصّة كما نَسَمع من بعض النّساء فهذا الزّهو ليس بمَمدوحٍ وهكذا إذا كان زَهوها في معاشرتها مع النّساء فهو أيضاً مذمومٌ فَحُسن الزّهو منها في موردٍ أو موارد خاصّة لا مُطلقاً وهو المَطلُوب، وهكذا قوله عليه السلام **وَإذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَها وَمَالَ بَعْلِها**، أي إنّ البُخل منها حَسَنٌ في هذا المَورد لا مُطلقاً، وقوله عليه السلام **وَإذَا كانَتْ جَبانَةً فَرِقتْ منْ كلِّ شِيْئٍ يَعْرِضُ لُها**، إذا كان الفَزَع عن الشّيئ وظيفتها عقلاً وشرعاً لا مُطلقاً والحاصل إنّ الحُكم بإعتبار الأعّم لا مُطلقاً أو بإعتبار النّسبة في الصّفات لا بإعتبار ذات الصّفة ولا إشكال في كون الشّيئ قَبيحاً بذاته حَسَناً بالنّسبة الىٰ غيره فأفهم:

٢٣٢

□ **قِيلَ لهُ عليه السلام: صف لنا العاقلَ، فقال عليه السلام: هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْ مَواضِعَهُ، فَقِيلَ: فَصِفْ لَنا الجَاهِلَ فقالَ: قَدْ فَعَلْتُ.**

قال الرضى :يَعْنِي إنّ الجَاهِلَ هُوَ الّذِي لا يَضَعُ الشّيْ مَوَاضِعَهُ فَكانَ تَـرْكَ صِفَتِه صِفَةٌ لهُ إذ كانَ بِخِلاَفِ وَصْفِ الْعاقِلِ...

أقول: وضع الشّيْ في مَوَضعه هو العَدَل ووضعه في غير محّله هو الظّلم فقد ظهر من كلامه إنّ العاقل من كان عادلاً والجاهل ظالمٌ فكلّ عادلٍ عـاقل وكلّ ظالم جاهل لأنّه بسبب جهله يَضَع الشّيْ في غير مَوَضعه فيظلم ولا يعلم به وأنت ترىٰ إنّ هذا التّفسير لِلعاقل والجاهل منه عليه السلام يصّح بناءً علىٰ إنّ العَقَل ما عُبد به الرّحمٰن وأكتسب به الجنان كما وَرَد في الأخبار ومن المـعلوم إنّ العاقل بهذا المعنىٰ عادلٌ قطعاً والجاهل ظالمٌ حَتَماً.

وأمّا العاقل بمعناه اللّغوي أو الإصطلاحي عند العُرف فلا وهو واضح وقد مرّ الكلام فيه .

٢٣٣

□ **قوله ﷺ: وَاللّهِ لَدُنْياكُمْ هذِهِ أَهوَنُ في عَيْني منْ عِرَاقِ خنزِيرٍ في يَدِ مَجْذُومٍ...**

العِراق بكسر العين هو من الحشا ما فوق السُرّة مُعترضاً البَطَن، والمَجذُوم المُصاب بمرض الجُذام والمعنى إنّ دُنياكُم هذه أي الّتي تَفتخرُون بها وتَغتَرُون لها أَهوَن أي أَضعف وأَخبث في عَيني من عِرَاقِ خِنزِيرٍ أي كرشه وأمعائه إذا كانت في يد شوهّها الجُذام، وما ذكره ﷺ مشعرٌ بِخسّة الدّنيا وحَقارتها في عَينه ﷺ وعَين أرباب البَصيرة وقد مَرّ منه ﷺ نظير هذا كثيراً في الكتاب ونحن قد تكلّمنا في الدّنيا وأوصافها وما ورده فيها غير مرّةٍ في الأبحاث السّالفة:

﴿٢٣٤﴾

□ **قوله ﷺ: إن قَوْماً عَبَدُوا اللّهَ رَغْبةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارَ، وَإن قَوْماً عَبَدُوا اللّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبادَةُ العَبِيدِ وَإن قِوْماً عَبَدُوا اللّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبادَةُ الأَحْرَارِ...**

قَسَّم ﷺ العبادة علىٰ أقسام ثلاثة، أحَدها من عَبَدَ اللّهَ رَغْبةً الىٰ ثوابه وشَوقاً الىٰ رضوانه، فقال ﷺ: **أنّها عِبَادَةُ التُّجَّارِ** وأنّما سُمّيت بـها لأنّ التّـاجر يـبيع ويشتري لِلإنتفاع ولا غَرض له في بيعه وشراءه غيره وما نحن فيه مـن هـذا القبيل لأنّ العابد إذا كانت عبادته رَغبةً الىٰ ثواب فكأنّه باعَ شيئاً وهو العبادة وإشترىٰ شيئاً آخر وهو الثّواب أو أنّه باع شيئاً وإنتفع به بثوابه، وثانيها من عَبَد اللّه رَهبةً وخَوفاً من عقابه **فَتِلكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ** سُمّيت بها لأنّ العَبد يطيع مَولاه خَوفاً من عقابه والعابد رَهبةً كذلك ولا فرق بين المقامين، وثالثها من عَبَد اللّه شُكراً له تعالىٰ وذلك لأنّ اللّه تعالىٰ مُنعِمٌ وقد ثَبت عقلاً ونقلاً وجوب شكر المُنعِم والشّكر حالِّي ومقالّيٌ وعَمَليٌ والكلّ عبادة إذ لا نعني بها إلّا الخضُوع والخشُوع في جَنب اللّه تعالىٰ وحيث أنّ العابد جَعَل أساس عبادته علىٰ هذه القاعدة العقّلية والشّرعية فتلك عبادة الأحرار سُمّيت بها لخلّوها عن الرّغـبة الىٰ الثّواب والخَوف من العقاب بحيث لو فرضنا أنّ اللّه تعالىٰ لم يتّرتب علىٰ عبادته ثواب أصلاً بل لو علم العابد أنّه تعالىٰ يُعاقبه يوم القيامة مَع ذلك يُعبُده لأنّه وَجَدالخالق لخَلقه أيّاه وأنعامه عليه مستّحقاً للعبادة وهذا عَمَل الأحـرار الّذين يَعملُون ولا يريدون جَزاءً ولاشكُوراً وقد روي عنه ﷺ أنّـه قـال فـي بعض كلماته ومُناجاته إلٰهي ماعَبدُتك خَوفاً من نارك ولا طَمعاً في جنّتك بل وَجدتُك مُستّحِقاً للعبادة فَعَبدتُك وقد وَردت بهذا المَضمُون روايات عن أهل البيت عليهم السّلام وهذا القسم من العبادة لَم يَقع إلّا مِنهُم:

٢٣٥

□ قوله عليه السلام: **الْمَرْأَةُ شَرٌّ كلُّها وَشَرُّ مَافِيَها أَنَّهُ لابَدَّ مِنْها...**

قد مَرّ الكلام منّا في معنىٰ الخَير والشّر مفصّلاً وقلنا أنّ كلّ واحدٍ منهما الىٰ قسمين مطلقٌ وغير مُطلقٍ، والخير المُطلق هو اللّه تعالىٰ لا غيره والشّر المُطلق لم يُوجد ولَن يُوجد أصلاً وأمّا غير المُطلق منها فعلىٰ ثلاث أقسام، غالب الخَير علىٰ الشّر وعكسه أي قالب الشّر علىٰ الخير والمتساويين في الخَير والشّر علىٰ تفصيلٍ مَرّ ذكره، وأمّا قوله عليه السلام: أنّ **الْمَرْأَةُ شَرٌّ كلُّها** ليس معناه أنّه لا خير فيها أصلاً بل المراد أنّها غالب الشّر علىٰ الخير بمعنىٰ أنّه إذا قيس خيرها الىٰ شَّرها فَشَّرها أكثر، وذلك لأنّ الشّر المُطلق لم يُوجد ولا يقبل الوجود أصلاً وذلك لأنّ الموجود المَخلُوق أيّ مخلوق كان، له ماهّية ووجود لكونه ممكناً وكلّ ممكنٍ زوج تركّيبي له ماهّية ووجود وهذا ممّا لا كلام فيه ثُمّ أنّهم أي الفلاسفة إتّفقُوا علىٰ أنّ الوجود خير مَحض لا شّر فيه أصلاً وأنّما الشّرور في المَوجود نشأت من قِبل الماهّيات لكونها أُموراً عدَمية إنتّزاعية من حدّ الوجود فكلّ مخلوق يُوجد في العالم خيره غالب علىٰ شّره أو بالعكس أو هما مُتساويان فيه:

فعلىٰ هذا قوله عليه السلام: **الْمَرْأَةُ شَرٌّ كلُّها** ليس معناه أنّ المرأة شّر وجودها وماهّيتها بل معناه أنّ جنس المرأة شّر أي أنّ شّرها غالب علىٰ خيرها إذا قيس أحَدهما الىٰ الآخر وأنّما قلنا ذلك لأنّ وجُودها خير فكيف يمكن القول

بكونها شّراً مُطلقاً فأنّ الخَير والشَّر لهما إعتباران بذاتهما وإعتبار بمُقايسة كلّ واحد منهما الىٰ غيره، فأن قلنا أنّ المرأة شّر بإعتبار ذاتها وحقيقتها يلزم أن يكون الشّر المَحض موجوداً وقلنا أنّه لا يقبل الوجود فأنّه عَدم مَحض، فلا محالة نقول بكونها شّراً بالقياس الىٰ غيرها من الرّجال، أو بالقياس الىٰ صفاتها الموجودة فيها حيث أنّ شّرورها غالب علىٰ خَيرها فيقال بكونها شّراً من باب التّغليب وهكذا قوله ﷺ: **وَشَرُّ مَافِيهَا أَنَّهُ لابَدَّ مِنْهَا**، أي أنّ شّرورها كثيرة من المَكر وعَدم الوَفاء، ونقض العَهد وأمثالها إلّا أنّ شّر ما في المرأة أنّه لابدّ منها أي لابّدّ لكلّ رجلٍ منها ولا يمكن لأحدٍ من أفراد الرّجال من تَرك المرأة عادةً لوجود الشَّهوة فيه مَع علمه بأنّ جميع الآفات في الدّنيا والآخرة مُتّرتبة علىٰ النّكاح مثلاً إذ لا شَك أنّ حُبّ النّساء والأولاد وجمع المال من الحَلال والحَرام وغيرها ممّا يُوجب هلاك الإنسان في النّشأتين مُتّرتب علىٰ النّكاح المُتّرتب علىٰ الشّهوة:

أن قلت ـ فعلىٰ هذا تَرك المرأة خير من نكاحها مع أنّ الإسلام رَغّب النّاس فيه فقال رسُول اللّه ﷺ **النّكاح سنّتي فَمَن رَغب عن سُنّتي فَلَيس منّي**، وقال ﷺ **أراذل مَوتاكم يوم القيامة العُزّاب وهكذا**، قلتُ ليس الحكم بكون المرأة شّراً كلّياً بل الحكم ناظرٌ الىٰ الغالب في المَرء والمَرأة وبعبارةٍ أُخرىٰ المقصُود أنّ جنس المرأة في الأغلب كذلك ونكاح المرأة معها في الأغلب يكون مُوجباً لِلهَلاك والعذاب وهذا ممّا لا رَيب فيه هذا ما فهمناه من العبارة وأمّا الشّارح المحقق البحراني فقد حَمَل العبارة علىٰ ظاهرها وحكم بكونها شّراً فقال إمّا من جهة مؤنتها فظاهر وأمّا من جهة لذّتها وإستمتاعه بها فلإستلزام ذلك البُعد عن اللّه تعالىٰ والإشتغال عن طاعته وأسباب الشّر شّر وأن كانت عَرّضية الىٰ آخر ما قال وأنت ترىٰ أنّ هذا التّفسير علىٰ إطلاقه لا يستقيم:

٢٣٦

□ قوله ﷺ: مَن أضَاعَ التَّوَانِي ضَيَّعَ الحُقُوقَ وَمَنْ أطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ...

التَّوَانِي، بفتح التّاء التّقصير يقال توانىٰ في حاجته أي قَصّر، والواشي بكسر الشّين السّاعي والمعنىٰ من أطَاعَ التّقصير وبعبارةٍ أُخرىٰ الإنقياد في سِلك التّواني عن الحقُوق المطلوبة يخرج الإنسان عن وقت الفُرصة لحصولها وذلك يستلزم تضييعها وتفويتها ومن أطَاعَ الْوَاشِي أي السّاعي النّمام الّذي سعيه الفساد بين المُتَصادقين فقد ضَيّعَ الصَّدِيقَ أي ضَيَّعَ حقّه ومحصّل الكلام هو أنّ التّقصير والمُسامحة في الأُمور يُوجب تَفويتها وتضييعها كما أنّ الإطاعة عن النّمام السّاعي في الفساد يُوجب تضييع حقّ الصَّدِيقَ فَمن أراد حفظ الحُقُوقُ والصَّدِيقَ ينبغي له الجدّ في الأوّل وعَدم الإطاعة في الثّاني:

﴿٢٣٧﴾

▫ **قوله عليه السلام: الحَجَرُ الْغَصِيبُ في الدَّارِ رَهْنٌ علىٰ خَرَابِها...**

ويُرْوَي هَذَا الكَـلاَمُ عَـنِ النَّـبِّي صلى الله عليه وآله ولاعَـجَبَ أنْ يَشْـتَبِهَ الكَـلاَمَانِ لأَنْ مُسْتَقاهُما منْ قَلِيبٍ وَمَفْرَغَهُما منْ ذَنُوبٍ...

إستعار عليه السلام لَفظ الرَّهن للحَجَر المَغصُوب في دار الظّالم بإعتبار كونه سَبَباً لخرابها كما أنْ الرَّهن سببٌ لأداء ما عليه من المال وهو كناية عن مطلق إستلزام الظّلم لهَلاك الظّالم وخراب ما يَبنيه وأن تأخّر أمَده إعلم أنّ الغَصب بفتح الغين مصدر قولك غَصب غَصباً وهو في إصطلاح الفقهاء الإستقلال بـإثبات اليَد علىٰ مال الغير ظلماً وعُدواناً وقد وَرَد في ذَمّه وحُرمته في الكتاب والسُّنّة ما وَرَد مُضافاً الىٰ الإجماع والعَقل منها ما رواه **في الوسائل عن الصّادق عليه السلام عن آباءه عن النّبي صلى الله عليه وآله في حديث لا مناهي قال من خان جاره شبراً من الأرض جَعَله اللّه طوقاً في عُنقه من تُخوم الأرض السّابعة حتّىٰ يلقي اللّه يوم القيامة مُطّوقاً إلّا أن يتوب ويرجع**، وفي حديث آخر عن صـاحب الزّمـان عليه السلام قـال لايحلّ لأحدٍ أن يتّصرف في مال غيره بغير إذنه والأخبار كثيرة...

وقال الرّضي رحمه الله ويروي هذا الكلام عن النّـبي صلى الله عليه وآله ولا عَـجب أن يشـتبه الكلامان، أي كلام رسُول اللّه وكلام علّيٍ عليه السلام **لأنّ مُستقاهما من قَليبٍ**، القَليب بفتح القاف البئر الّذي فيه ماء المُستقي بضّم الميم إسم المفعول من إستَسقَىٰ

يستسقي إستسقاءً، والإستسقاء طلب السّقي، **والذَّنوب** بفتح الذّال وضمّ النّون الدّلو الكبيرة، ومعنىٰ كلام الرّضي ﵀ أنّه لا عجب في كون أحَد الكلامين مُشتَهياً بالآخر لأنّ مُستقاهما أي مُستسقىٰ الكلامين من قليبٍ أي من قليبٍ واحدٍ وهو بئر علم اللّه تعالىٰ فأنّ النّبي يأخذ علمه عنه تعالىٰ والإمام يأخذ عنه ﷺ فالمَنبَع فيهما واحد:

﴿٢٣٨﴾

▫ **قوله ﷺ: يَوْمُ الْمظْلُومِ عَلىٰ الظَّالمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالمِ عَلىٰ المظْلُومِ...**

والدّليل عليه قوله تعالىٰ: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾**(١) وقد مَرّ منّا البَحث في الظّلم وأنواعه وما وَرَد فيه غير مَرّةٍ في الأبحاث السّالفة والمراد باليَوم المظلوم هو يوم القيامة وباليَوم الظّالم هو يَوم الدّنيا والمقصُود أنّ يوم الظّالم في الدّنيا وأن كان شديداً علىٰ المظلُوم في القيامة عَلىٰ الظَّالمِ أشَدّ وأوَجَع منه:

إمّا لأنّ عقاب اللّه في الآخرة أشدّ، وإمّا لأنّ الدّنيا قد مَضَت مع عقابها، بخلاف الآخرة فأنّ العقاب فيها للظّالم باق الىٰ ماشاء اللّه ويدّل عليه قوله تعالىٰ: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِياتَّخَذْتُ مَعَالرَّسُولِ سَبِيلاً﴾**(٢)

و: **﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذابٍ بَئِيسٍ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ﴾**(٣)

و: **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون﴾**(٤) وقد مضىٰ منّا الكلام في الظّلم ونقلنا الأخبار الواردة فيه غير مرّةٍ:

١- الفرقان ـ٢٧
٢- الفرقان ـ٢٧
٣- الأعراف ـ١٦٥
٤- الشّعراء ـ٢٢٧

٢٣٩

□ **قوله ﷺ: إتّقِ اللَّهَ بَعْضَ التُّقَىٰ وَإِن قَلَّ واجْعَلْ بَيْنكَ وَبَينَ اللَّهِ سِتْراً وَإنْ رَقَّ...**

أي إن لم تقدَر علىٰ الإستكثار من التّقوىٰ الّتي هي خير الزّاد في الآخـرة فخُذ منها ما تيّسر لك وأن قَلّ فأنّ الميسُور لايُترك بالمعسُور وما لا يُدرك كلّه لا يُترك كُلّه وإجعَل بينَك وبين اللّه ستراً يَستُرك من عذابه وأن كان السِّتر رقيقاً وذلك لأنّ السِّتر الّذي إستعاره لحدُود اللّه تعالىٰ الّتي يستر العَبد من عذابـه علىٰ قسمين، غَليظٌ، ورقيقٌ فغليظ السِّتر شدّة المحافظة علىٰ حدُود اللّه تعالىٰ وعدم إستيفاء المباحات خوفاً من الوقوع في الحرام ورِقـتّه إسـتيفاء الأُمـور الجائزة من المباحات والمكروهات والعَبد المؤمن لا محيص له عَن إيـجاد السِّتر بينه وبين اللّه تعالىٰ فأن قَدر علىٰ الغليظ منه فهو أولىٰ وأحسَن وأن لم يقدر عليه فينبغي له الأخذ بالرّقيق منه لما ذكرناه.

﴿٢٤٠﴾

□ قوله عليه السلام: إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوابُ خَفِيَ الصَّوَابُ...

أي إذا سُئِل سائل عن مسئلةٍ فأجاب جماعة كلّ بما يخطر بباله خَفِي الصّواب فيها لا محالة لإلتباس الحقّ بالباطل في تلك الأجوبة وفيه إشارة الىٰ أنّ الجواب ينبغي أن يكون مطابقاً لِلسؤال فإذا كان السؤال واحداً فالجواب أيضاً واحد فأن كان حقّاً فهو المطلوب ولا يحتاج الىٰ جوابٍ آخر وأن كان باطلاً أو عجز المُجيب عن الجواب فيُجيبه شخص آخر علىٰ التّناوب لئلّا يخلط الحقّ بالباطل في صورة الإزدحام في الجواب.

٢٤١

□ قوله عليه السلام: إِنَّ لِلّٰهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً فَمنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنها. ومَنْ قَصَّرَعَنْهُ خاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِه...

حقّ اللّه تعالىٰ الثّابت في كُلّ نِعمةٍ الّتي أنعَمَ اللّه بها علىٰ عبده هو شكر العبَد عليها قولاً وفعلاً وحالاً وهذا أعني الشّكر علىٰ النّعمة هو الّذي يوجب زيادتها علىٰ العبد كما قال اللّه تعالىٰ:﴿**وَلَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَـئِن كَـفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [١] دلّت الآية علىٰ أنّ الشكر علىٰ النّعمة يوجب الزّيادة فيها، والكُفر عليها أي إنكارها وعدم التّوجه الىٰ مُنعمها يوجب زوالها ولا شَك أنّ المراد بالكُفر في الآية هو عدم الشّكر لا الكُفر المُصطلح وبعبارةٍ أُخرىٰ المراد به كُفر الجُحود الّذي هو مساوق لعدم الشّكر وأنّما قال عليه السلام: **ومن قصّر**، بتشديد الصّاد من باب التّفعيل ولم يقل ومَن قَصُر، بالتّخفيف لنُكتةٍ وهي أنّ المُخاطرة أي الإشراف علىٰ الهلاك والزّوال أنّما هو في صُورة تقصير العَبد في إداء وظيفته لا في صُورة قُصوره والفرق بين التّقصير والقُصور لا يخفىٰ علىٰ المتأمل فأنّ التّقصير يكون عن عَمدٍ بخلاف القُصور حيث أنّه قد يكون ناشئاً عن عدم قُدرة العبد أو عن غفلَته وجَهله وقد ثبت أنّ التّكليف مشروط بالقُدرة والإستطاعة.

لقوله تعالىٰ:﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [٢] وقوله:﴿**لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا**

١- إبراهيم-٧

٢- البقرة-٢٨٦

وُسْعَهَا﴾[1] وعليه فالقُصور في العُبوّدية في جميع الشئون لا إشكال فيه إذ هو من لوازم المخلوق وخصائصه لضعفه وعجزه وعدم قُدرته على إداء وظيفته بالنّسبة الى خالقة كما مرّ الكلام فيه مفصلاً غير مرّةٍ، وأمّا التّقصير فيها فليس كذلك وهذا هو السّر في تعبيره ﷺ بقوله قَصُّر، وكيف لا شك أنّ التّقصير في الشّكر الّذي ثبت وُجوبه عقلاً وشّرعاً يوجب زوال النّعمة قال اللّه تعالى:**﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةًمُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَااللَّهُلِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾**[2]

ومن المعلوم أنّ المراد أهل القَرية إذ لا معنىٰ لإسناد الكُفر الى القرية نفسها كما قال تعالى:**﴿وأسأل القرية﴾** أي أهلها والآيات الدّالة على إثبات المدّعىٰ كثيرة:

روي عن أبي عبد اللّه ﷺ عن آبائه قال قال رسُول اللّه ﷺ ما فَتَح اللّه لعبدٍ باب شكرٍ فخزن عنه باب الزّيادة...

وعنه ﷺ قال أيّما عبدٍ أنعَم اللّه عليه بنعمةٍ فعرفها بقلبه وحمد اللّه عليها بلسانه لم ينفد كلامه حتّىٰ يأمر اللّه بالزّيادة وذلك قول اللّه عزّ وجلّ:(لأنّ شكرتُم لأزيدنّكم) الآية...

وعنه ﷺ قال إحسِنُوا جوار النّعم قال الشّكر لمن أنعَم بها وإداء حقوقها...

وعنه ﷺ قال مكتوب في التوراة، إشكُر مَن أنعَم عليك، وأنعَم علىٰ من شكرَك، فأنّه لا زوال للنّعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت والشّكر زيادة في النّعم وأمان من التّغير...

وعن الباقر ﷺ قال لا ينقطع المزيد من اللّه حتّىٰ يقطع الشّكر علىٰ العباد،« مشكاة الأنوار ص ٢٧»...

١- البقرة ـ٢٣٣

٢- النّحل ـ١١٢

٢٤٢

▫ قوله ﷺ: إِذَا كَثُرَتْ المَقْدُرَةُ قُلَّتِ الشَّهْوَةُ...

المَقدَرة بفتح الدّال وضمّها وكسرها، القوّة والغنىٰ وجاءت بمعنىٰ القضاء والقَدَر أيضاً والمعنىٰ أنّ كُثرة المقدَرَة في كلّ شيءٍ توجب قلّة الشّهوة عليها وذلك لأنّ قليل القُدرَة علىٰ ما يشتهيه لا يزال مستشعِراً لخوف فواته عند حصوله فيكون ذلك الخوف معاقباً للذّته به فلا يزال في قلبه وَسوَسَةٌ نفسانيّة تحمله علىٰ مُشتهاه ويَبعَث شَهوته عليه فإذا تمّت قدرته عليه فأنّه يأمن فوته وبَحسب ذلك يضعف الباعث للشّهوة فيقلّ الحاجة عليه وشَهَوته له ومحصّل الكلام هو أنّ الدّنيا وما فيها من مالها ومقامها وقدرتها وأولادها وغيرها ممّا هو موجود فيها أنّما لذتّها وشَهوتّها قبل الوصول اليها وأمّا بعده فلا لذّة فيها واقعاً ولا أقلّ من قِلّتها بالنّسبة الىٰ قبل الفَوز بها ألا ترىٰ أنّ طالب المال يطلبه جدّاً فإذا ظَفَر له عَلِمَ منه بخلاف ما كان يتّخيل سابقاً، أو أنّه بعد الظّفر به يطمئن قلبه به وفي كلامه ﷺ إشعار بحقارة الدّنيا ودنائتها وخِسّتِها وما كان كذلك ينبغي أن لا يُعبأ به.

٢٤٣

□ قوله عليه السلام: إِحْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُوْدٍ...

نِفار النِّعم نِفُورها ونِفورها بعدم إداء الحقّ منها فتزول والمعنىٰ أدّوا حُقوق النِّعم الإلٰهية بالشّكر عليها وصَرفها فيما أن تُصرف فأنّ المعاصي تزيل النِّعم كما قيل:

إذا كُنتَ في نِعمةٍ فأرعِها فأنّ المعاصي تزيل النِّعم

إستعار عليه السلام لفظ النِّفار والشّرود لزوال النِّعم ملاحظة لِشبهَهما بها وقد مرّ الكلام في الباب آنفاً عند قوله عليه السلام أنّ لِللّه تبارك وتعالىٰ في كلّ نعمةٍ حقّاً كلام (٢٣٤).

﴿٢٤٤﴾

□ قوله ﷺ: **الْكَرَمَ أعْطَفُ منَ الرَّحِمِ...**

وذلك لأنّ الكرم يستلزم عاطفة الخلق على الكريم ومحبتّهم له أشَدّ من عاطفة ذي الرَّحِمِ على رَحِمه وفيه قال الشّاعر:

ووشائجَ الآداب عاطفةٌ   فُضلاء فَوقَ وَشائج النَسَب

ولعلّ السّر في هذا الحُكم هو أنّ الإحسان من الكريم بمقتضى جبلّته وسخاوته بخلاف إحسان القَريب لقرابته حيث أنّه قد يكون لأجل التّعصب في القَرابة، أو يقال أنّ القريب يتّرقب من ذوي القرابة الإحسان والإنعام بخلاف غيره من غيره حيث أنّ الإحسان منه غير متّرقب ولذلك قال ﷺ **الْكَرَمَ أعْطَفَ منَ الرَّحِمِ.**

٢٤٥

□ **قوله عليه السلام: مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ...**

والوجه فيه هو أنك لا تعلم كِذبه وخيانته في ظَنّه بك إذ من المحتمل أن يكون صادقاً في ظنّه وعليه فلا وجه لتكذيبه والمراد بتصديقه هو ترتّب آثار التّصديق عليه وهو واضح .

٢٤٦

▫ قوله ﷺ: أَفْضَلُ الأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ...

وذلك لأنّ العَمَل إذا كان موافقاً لأميال النّفس فلا فَضل فيه وأنّما الفَضل فيما خالَفها قال رسُول اللّه ﷺ **حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النّار بالشّهوات**، وقال ﷺ **أفضل الأعمال أحمَزَها**، أي أصعَبَها وأشدّها على النّفس من حيث مخالفتها والسّر فيه هو أنّ الأعمال الصّادرة من الإنسان قولاً وفعلاً علىٰ قسمين، قسمٌ منها موافق لِلنّفس وأميالها وشَهواتها، وقسمٌ منها يخالفها، والأوّل لا يكون إلّا في طريق المعصية والبُعد عن جوار الحقّ غالباً بل كّلاً، كما أنّ الثّاني لا يكون إلّا في طاعة الرّب والبلوغ الىٰ الكمال المتّرقب ألا ترىٰ أنّ الأعمال الصّادرة من الإنسان إذا كانت موافقة لأميال النّفسانية لا تشّق عليها بل تلائمها وتوافقها فلا تحتاج الىٰ إكراه النّفس عليها بخلاف الأعمال المخالفة لها فأنّها تحتاج الىٰ إكراهك النّفس عليها وهو ظاهر.

﴿٢٤٧﴾

▫ **قوله عليه السلام: عَرَفتُ اللَّهَ سُبْحانَهُ بِفَسْخِ العَزائِمِ وحَلِّ الْعُقُودِ...**

العُقُودِ جمع عقد بمعنى النيّة تنعقد على فعل أمرٍ والعَزائِمِ جمع عَزيمة وفَسخُها نقضُها والمقصُود أنّ جريان الأُمور على خلاف النيّات والقصُود دليل على أنّ الأمر بيَد غيرنا وهو اللّه تعالى وتوضيحه بحَسب الإجمال أنّ الإنسان قد يعزم على أمرٍ ويعقد ضميره على فعله بحَسب ما يتّصوره من المنفعة الدّاعية اليه ثمّ عن قريب ينّحل العَزم وينفَسِخ ذلك العقد بِزوال وذلك الدّاعي أو لخاطرٍ معارضٍ له وهذا الّذي ذكرناه ممّا لا شّك فيه أصلاً لأنّه محسوس لنا فضلاً عن كونه معقُولاً إذا عرفت هذا فنقول.

تلك التّغييرات أو الخواطِر المُتعاقبة المرّجحة لفعل الأمر المعزُوم عليه أُمور ممكنة محتاجة فى طَرَفي وجودها وعدمها الى المرّجح والمؤثر فالمرّجح فيها إمّا أن يكون من العبد أو من غيره والأوّل لا يمكن لأنّ الكلام فيه كالكلام في الأوّل فيلزم فيه الدوّر أو التسّلسل وهما محالان فالثّاني هو المُتّيقن في المقام وهو أن يكون المرّجح من غير العَبد وهو اللّه تعالى فالمطلوب ثابت وأن شئت قلت المرّجح فيها إمّا أن يكون من الممكنات أو لا يكون منها والأوّل مستلزم للدوّر والتسّلسل والثّاني لا يكون إلّا الواجب تعالى إذغير الممكن واجب لخروج المُمتنع عن كونه مؤثراً لكونه مَعدُوماً وهو المطلوب وحيث إنّا قد تكلّمنا فى التّوحيد مفصّلاً فى المجلد الأوّل من هذا الكتاب عند قوله عليه السلام: **أوّل الدّين معرفته** الخ. فلا نطول الكلام بالبحث فيه فى المقام.

﴿٢٤٨﴾

□ قوله عليه السلام: مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلاَوَةُ الآخِرَةِ وَحَلاَوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ...

أي أنّ آلام الدّنيا اللازمة عن ترك لذّتها وعدم الإلتذاذ بها طلباً لِلآخرة وشَوقاً الىٰ ثوابها مستلزمة لحلاوة الآخرة ولذّاتها وكذلك الإبتهاج بلذّات الدّنيا يستلزم الغفلة عن الآخرة وترك العَمل لها وذلك مستلزم لعذابها ومستعقبٌ لشقاوتها وأنّما قيّدنا الكلام وقلنا أنّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا إذا كانت طلباً لِلآخرة وشوقاً الىٰ ثوابها تستلزم حلاوة الآخرة، لأنّ الكلام علىٰ إطلاقه لا يصّح ضرورة أنّ مَرارة الدّنيا كيف كانت لا تستلزم حلاوة الآخرة فأنّ كثيراً من الكفّار والفسّاق يتّحملون المرارة في الدّنيا لَفقرَهم ومَرَضهم وغير ذلك مع أنّهم في الآخرة أيضاً لا حلاوة لهم لكفرهم وعنادهم وفِسقهم فَمطلق تحملّ المرارَة في الدّنيا لا تلزم منه حلاوة الآخرة كما أنّ مطلق الحلاوة في الدُّنْيا أيضاً لا يوجب مرارة الآخرة ومحصّل الكلام في المقام هو أنّ المرارة وتحملّها في الدُّنْيا وكذلك حلاوتها أن كانت في طريق العبّودية بمعنىٰ أنّه تَحملّ المرارة في الدّنيا طلباً لِلآخرة وشوقاً الىٰ ثوابها وتحملّ الحَلاوة أيضاً لِللّه طلباً لمرضاته فهو من أهل الجنّة مُتنَعماً فيها من غير فرقٍ بين المقامين فأنّ الملاك في حلاوة الآخرة هو أن يكون المكلّف في الدّنيا مُطيعاً لأوامر اللّه تعالىٰ مُعرِضاً عن معاصيه وهو واضح:

وأمّا مَرَارَةُ الدُّنْيا إذا كانت لِلدّنيا لا لِلآخِرَةِ فهي مستلزمة لمرارة الآخرة أيضاً كما أنّ حلاوة الدّنيا إذا كانت للدّنيا فهي أيضاً تستلزم مرارة الآخرة فالمخالف

لأوامر اللّه ونواهيه لا حلاوة له في الآخرة سواء كانت في الدّنيا في مَضيقةٍ وإبتلاءٍ أم لا، والمؤمن العامل بوظيفته، قد جعل اللّه تعالىٰ له حلاوة الآخرة سواء كانت في الدّنيا مُتنَعمة أم لا فالملاك في المقام هو الإيمان في الدّنيا والعَمَل بمقتضاه هذا ما ظَهَر لي في تفسير العبارة بالنظَر الىٰ الآيات والأخبار وعلىٰ هذا المعنىٰ يُحمل كلامه ﷺ في المقام ويمكن أن يُقال في شرح الكلام أنّ حلاوة الدّنيا إذا كانت لأجل إستيفاء اللّذات فهي مستلزمة لمرارة الآخرة لأنّ الحلاوة كذلك توجب الغفلة عن الآخرة وعَدم العَمل لها، كما أنّ مرارتها إذا كانت بالعفاف عنها فهي توجب حلاوة الآخرة، وهذا قريب ممّا ذكرناه بل مُلخّصه وحاصله وقد إحتَمَله بعض العلماء ولا بأس به هذا كلّه بناءً علىٰ تقييد الكلام وأمّا إذا حَملنا كلامه ﷺ علىٰ إطلاقه كما هو كذلك في اللّفظ فالمعنىٰ كلّما تعدّه في الدّنيا حلاوة فهو في الآخرة مرارة وكلّ مرارة في الدّنيا فهي حلاوة في الآخرة وذلك لأنّ نِعم الآخرة وعذابها لا تقاس بنعم الدّنيا وعذابها، فنعمة الدّنيا مرارة بالنّسبة الىٰ الآخرة كما أنّ مرارتها حلاوة بالنّسبة اليها وأن تعدّها في الدّنيا مرارة وبعبارةٍ أُخرىٰ كلّ حلاوة في الدّنيا فهي في الواقع مرارة وكلّ مرارة فيها فهيّ في الواقع حلاوة بالنّسبة الىٰ مرارة الآخرة هذا ما ظهر لي في شرح العبارة.

٢٤٩

□ قوله عليه السلام: فَرَضَ اللَّهُ الإيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ، والصَّلاَةَ تَنزِيهاً عَنِ الكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ وَالصِّيامَ ابْتِلاَءَ لإِخْلاَصِ الخَلْقِ وَالحجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينَ، والجِهَادَ عِزّاً لِلإِسْلاَمِ والأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهاءِ وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنماةً لِلْعَدَدِ، والْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّماءِ).

وإقامةَ الحُدُودِ إِعْظاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ الخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيْجَاباً لِلْعِفَّةِ، وَتَرْكَ الزِّنا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ، وَتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ، والشَّهَادَةَ اسْتِظْهاراً علىٰ المُجاحَدَاتِ وَتَرْكَ الكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ، وَالسَّلاَمَ أَماناً منَ المَخاوِفِ، والأَماناتِ نِظَاماً لِلأُمَّةِ والطَّاعةَ تَعظِيماً لِلإِمامَةِ وكَانَ عليه السلام - يقول أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرِيٌّ مَنْ حَوْلِ اللَّهِ وقُوَّتِهِ فإِنَّهُ إِذا حَلَفَ بها كاذِباً عُوجِلَ الْعُقُوبَةَ وإِذا حَلَفَ باللَّهِ الَّذِي لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعاجَلْ لأَنَّهُ قد وَحَّدَ اللَّهَ تَعالىٰ...

◁ الشرح

إعلم إنّ هذه الأمور الّتي ذكرها عليه السلام في المقام قد مَرّ ذكرها في مطاوي الخطب وقد شرحناها هناك إلّا إنّها لَم تُذكر مُجتمعةً في غير هذا المقام مُضافاً الىٰ ما ذكره عليه السلام من الفَلسَفة والعِلّة لها ونحن نذكر في المقام ما وَصل الينا من الآيات والأخبار تأييداً لِما ذكره عليه السلام ونَشرحَها شَرحاً يكشف نِقابها بقدر الطّاقة إنشاء اللّه تعالىٰ فنقول الأمور المذكورة في المقام عشرُون:

▫ قوله ﷺ: فَرَضَ اللّهُ الإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشِّرْكِ...

الفَرض الحَتم وهو يُساوق الوجُوب والإيمان هو الإقرار باللّسان والإعتقاد بالجنان والعَمَل بالأركان وأمّا الإسلام فهو الإقرار اللّفظي ولا يشترط فيه الإعتقاد والعَمَل علىٰ التّحقيق وقد مَرّ الكلام فيه غير مرّةٍ والدّليل علىٰ المُدّعىٰ قوله تعالىٰ: **﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾** (١)، وأمّا الشِّرْك بكسر الشين فهو إسمٌ من شَرِك وَأَشْرك، وهو في الأصل بمعنىٰ المُشارِك والنّصِب يقال فلان باعَ شِركٌ من داره، أي حبةٌ منها والمراد به في المقام أن يَجعل الإنسان لِللّه تعالىٰ شَريكاً في إلُوهيّة ومُلكه إذا عَرفت هذا فمعنىٰ العِبارة إنّ اللّه تعالىٰ فَرَض وحَتَم علىٰ عباده الإيمان باللّه وبرسوله وبما جاء الرّسول به وعَلّله ﷺ بإنّه أي الإيمان يطّهر العَبَد من الشِرك فالبَحث في مَقامين:

المقام الأوّل: في كون الإيمان مَفروضاً مَحتُوماً.

والمقام الثاني: في كونه مُطّهراً لِلشِرك:

والدّليل علىٰ الأوّل من الآيات قوله تعالىٰ: **﴿ فَاَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ﴾** (٢)

و : **﴿ قد جاءكم الرّسول بالحقّ من ربّكم فآمِنُوا خيراً لكُم﴾** (٣)

و : **﴿ فَآمِنُوا بِاللّهِ وَ رُسُلِه وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَة﴾** (٤)

و : **﴿ يا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ﴾** (٥) وغيرها من الآيات الآمرة بالإيمان ولا نعني بالفَرض إلّا هذا ولا نحتاج مَعَها الىٰ ذكر الأخبار الدّالة علىٰ فرضه ووجُوبه وأمّا العَقل فهو أيضاً حاكم به لإنّ الإيمان باللّه من شُكر المُنعِم وهو واجب عقلاً وقد مرّ الكلام فيه مفّصلاً في المجّلد الأوّل وأمّا إنّ الإيمان مُطّهرٌ من الشِرك فهو غنّيٌ عن الدّليل وفي كلامه ﷺ إشعار بإنّ التّطهير منه

١- الحُجرات ـ ١٤
٢- آل عُمران ـ ١٧٩
٣- النّساء ـ ١٧٠
٤- النّساء ـ ١٧١
٥- الأحقاف ـ ٣١

علّة لِفَرض الإيمان وحَتمه علىٰ العِباد وهو كذلك إذ لا ثَمَرة له إلّا نفي الشِرْك ولاشّك إنّ الشِرْك من أَخبث الخَبائث وأَرجس الأرجاس بل هو أُمّها وأصلها وأساسها وعَليه فكلّ شئ أزال الشِرْك عن القلب فهو مَمدُوح مُستَحسِن بل لا شئ أَحَسن منه فَالإيمان أحَسَن الأشياء وأفَضَل النّعِم المَوهُوبة من اللّه تعالىٰ علىٰ العَبد وهو المطلوب وأمّا أقسام الشِرْك فللبحث فيها مقام آخر والّذي نقول هو إنّ المؤمن مُطّهرٌ عن الشِرْك جلّياً كان أو خفّياً وإذا كان مطّهراً عنه فهو مُوَحِدٌ لا محالة ولا كمال لِلإنسان أفَضَل من التّوحيد لإنّه أُمّ الفَضائل وأصل الخَيرات:

وثانيها قوله ﷺ: والصَّلاَةَ تَنزِيهاًعَنِ الْكِبْرِ...

والتّقدير، فَرَضَ اللّهُ الصَّلاَةَ تَنزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ، عللّه ﷺ بالتّنزيه عنه مُشعِراً بإنّ الصّلوة تُلازم التّواضع لإنّ نفي الكِبَر إثبات الخَضُوع والخُشُوع كما هو شأن المُتقابلين:

أمّا كون الصّلٰوة مَفروضة واجبة فلا خَلاف فيه كتاباً وسُنّةً وإجماعاً وعقلاً قال اللّه تعالىٰ: **﴿إِنَّ الصَّلٰوةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰباً مَّوْقُوتاً﴾**(1)

و: **﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَءَاتُوا الزَّكٰوةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾**(2)

و: **﴿ حَٰفِظُوا عَلَىَ الصَّلَٰوات والصَّلٰوةِ الْوُسطَىٰ﴾**(3)

و: **﴿ أَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيل﴾**(4)

و: **﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلٰوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾**(5) وغيرها من الآيات المُصّرحة بوجُوبها وفَرضها علىٰ العباد وأمّا إنّها أي الصّلوة تُوجب التّنزيه عن الكِبَر فلقوله تعالىٰ: **﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَٰشِعِينَ﴾**(6)

و: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾**(7)

١- النّساء-١٠٣ ٢- البقرة-٤٣
٣- البقرة-٢٣٨ ٤- الإسراء-٧٨
٥- طه-١٣٢ ٦- البقرة-٤٥
٧- المؤمنون-

روي في العلل بأسناده عن محمّد بن سنان إنّ أبا الحَسَن علّي بن موسىٰ الرّضا عليه السلام كتَب اليه فيما كَتَب من جواب مسائله إنّ علّة الصّلٰوة إنّها إقرار بالرّبُوبية لِلّه عزّ وجلّ وخَلع الأنداد، وقيام بين يدي الجّبار جلّ جلاله بالذّل والمَسكنة والخُضُوع والإعتراف والطّلب لِلإقالة من سالف الذّنُوب ووضع الوجه علىٰ الأرض كلّ يومٍ خَمَس مرّات إعظاماً لِلّه عزّ وجلّ وأن يكون ذاكِراً غير ناسٍ ولا بَطِرٍ ويكون خاشِعاً مُتَذلِلاً راغِباً طالِباً لِلزيادة في الدّين والدّنيا مع ما فيه من الإنزجار والمُداومة علىٰ ذِكر اللّه عزّ وجلّ باللّيل والنّهار لئَلّا ينسىٰ العَبد سيّده ومدّبره وخالقه فَيَبطر ويطغىٰ ويكون في ذكره لرّبه وقِيامه بين يديه زاجِراً له عن المَعاصي ومانِعاً من أنواع الفساد انتهىٰ« ص ٣١٧»...

وثالثها قوله عليه السلام: والزَّكٰوةَ تَسْبِيباً لِلرِّزْقِ...

أي فَرَض اللّهُ الزَّكٰوةَ لِكَونها سَبَباً لإزدياد الرِّزْقِ، أمّا فَرضُها فإنّها ذُكِرَت في أكثر الآيات بعد الصّلٰوة وهو دليل علىٰ شَرَفها وفَضلها بعد وجُوبها كما قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾** (١) وغيرها من الآيات ولذلك تعّد الزّكٰوة عِدلاً للصّلٰوة وقرينةً لها وأمّا كونها سَبَباً لِلرّزق وتكثير المال فالأحاديث فيه كثيرة:

روي في الوسائل بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال - حَصِنّوا أموالكم بالزّكٰوة وداوُوا مَرضاكُم بالصّدقة وما تَلف مال في برٍّ ولا بحرٍ إلّا بمنع الزّكاة...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عن آبائه قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله - لا تزال أمُتّي بخيرٍ ما لَم يَتَخاونُوا، وأدّوا الأمانة وآتُوا الزّكٰوة وإذا لم يَفعلوا ذلك إبتَلُوا بالقَحَط والسّنين انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال - وجَدنا في كتاب علّيٍ قال رسول اللّه

١- البقرة-٤٣

ﷺ - إذا مُنِعَت الزّكٰوة مَنَعت الأرض بركاتِها انتهىٰ

وبأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ عن أبيه قال قال رسول اللّه ﷺ - ما حَبَس عبد زكٰوة فزادت في ماله...

وبأسناده عنه ﷺ قال - ما من طير يُصاد إلّا تبركه التّسبيح وما من مالٍ يُصاب إلّا بترك الزّكٰوة انتهىٰ «ج ۶»... فهذه الأحاديث وأمثالها كما ترىٰ تدّل منطوقاً أو مَفهوماً علىٰ المدّعي وأمّا إنّها فيما تجب وعلىٰ من تَجب ومن يكون مُستّحقاً لها وهكذا سائر شرائطها فَمذكُورة في الكُتب الفَقهية:

ورابعها قوله ﷺ: وَالصِّيامَ إِبْتِلاءً لإِخْلاَصِ الخَلْقَ...

قال اللّه تعالىٰ:﴿ **يَاأَيُّهَاالَّذِينَ ءَامَنُواكُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون**﴾ (١) وأمّا إنّ الصِّيامَ إِبْتِلاءً لإِخلاَصِ الخَلقِ فمعناه إنّه إمتحانٌ وإختبارٌ لهم في إخلاصهم لِللّه تعالىٰ روي في العِلل بأسناده عن محمّد بن سنان إنّ أبا الحَسَن علّي بن موسىٰ الرّضا كتب اليه فيما كتب من جواب مسائله، عِلّة الصّوم لَعرفان مَسّ الجُوع والعَطَش ليكون العَبد ذَليلاً مُستكيناً مأجُوراً مُحتسباً صابِراً فيكون ذلك دليلاً علىٰ شدائد الآخرة مع ما فيه من الإنكسار له عن الشّهوات واعِظاً له في العاجل دليلاً علىٰ الأجل ليعلم شدّة مَبلغ ذلك من أهل الفقر والمَسكنة في الدّنيا والآخرة انتهىٰ« ص ٣٧٨ »

أقول ومن المعلوم إنّ هذه الأمور لا تتحقّق إلّا بالإخلاص:

وخامسها قوله ﷺ: والحَجِّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ...

قال اللّه تعالىٰ:﴿ **وللِّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِاسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِّىٌ عَنِ الْعَالَمِين**﴾ (٢) وأمّا إنّه تَقْرِبَةً لِلدّينِ فيمكن أن يُراد إنّه وَسيلة وسبب لَتقّرب أهل الدّين بعضهم من بعضٍ إذ يجتمعُون من جميع الأقطار في مقام واحدٍ لِغَرض واحدٍ وعليه فَتقدير الكلام تقرُبة لأهل الدّين، ويمكن أن يُراد إنّه سبب لِلتقّرُب الىٰ الدّين أي لا يقَرب العَبد بالدّين كما يقرب به بِسَبب

١- البقرة ـ١٨٣

٢-آل عُمران ـ٩٧

الحّج وذلك لِكُثرة الآثار المُترتّبة عَليّه في الدّنيا والآخرة كما مرّ الكلام فيهما في المجّلد الأوّل من هذا الكتاب .

وإعلم إنّ الشّارح المُعتزلي والبحراني وغيرهما من شّراح القديم ضبطوا في كُتَبهم (تقوية) بَدَل تقربة، وأمّا النّسخ المَطبُوعة بمصر وبيروت فالمضبُوط فيها (تقرُبة) وعليها شرحوا كلامه عليه السلام وأنا أقول الصّحيح في المقام هو التّقوية وأمّا التّقربة وأن كانت صحيحة بضربٍ من التّأويل كما عرفت الوجه فيها إلّا أنّها أي التّقوية أولىٰ وأحَسَن منها وأوَفَق بسياق العبارة وذلك لأنّ الحجّ مُوجب لتقوية الدّين فأنّ تجديد الأُلفة بين المُسلمين في كلّ عام بالإجتماع والتّعارف ممّا يقّوي الإسلام ويعزّه وكيف كان فالأمر سهل بعد وضوح المعنيين:

وسادسها قوله عليه السلام: وَالجِهَادَ عِزّاًلِلإِسْلاَمِ...

قال اللّه تعالىٰ:﴿**يَأَيُّهَا النَّبِيُ جَٰهِد الْكُفَّار وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِم**﴾ (١)

و : ﴿**فَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً**﴾ (٢)

و : ﴿**وَ جَاهِدُ فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ**﴾ (٣)

وأمّا أنّ الجِهَادَ يكون عِزّاً لِلإِسلاَمَ فهو معلومٌ محسُوس لا يحتاج الىٰ دليلٍ أصلاً ومَع ذلك فنقول:

روي في الوسائل بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **للجنّة باب يقال له باب المُجاهدين يمضون اليه فإذاً هو مفتُوح وهم متّقلدون بسيُوفهم والجمع في المَوقف والمَلائكة تُرحّب بهم قال فَمن تَرك الجهاد ألَبَسه اللّه ذلاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه أنّ اللّه أعَزَّ أُمّتي بسَنابك خَيلها ومراكز رماحها...**

وبأسناده عنه عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **إغزوا توارثوا أبنائكم مَجداً انتهىٰ...**

---

١ - التّوبة ـ٧٣ والتّحريم ـ٩
٢- الفرقان ـ٥٢
٣- الحجّ ـ٧٨

وبأسناده عن عثمان بن مظعون قال قلت لرسُول اللّه ﷺ أنّ نفسي تُحدّثني بالسّياحة وأن ألحق بالجبال فقال ﷺ يا عثمان لا تفعل فأنّ سياحة أُمّتي الغزو والجهاد انتهى...

وبأسناده عن ابن عائشة بأسناده أنّ عليّاً قال في خطبةٍ له ﷺ أمّا بعد فأنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة فمَن تركه رَغبةً عنه ألبَسه اللّه الذّل وسيم الخسف وديث بالصّغار الحديث «ج ١١»...

وسابعها قوله ﷺ : والأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ...

قال اللّه تعالى:﴿وَلْتَكُن مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (١)

و : ﴿وَّ أرْزُقُوهُمْ فيها وَأكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ (٢)

و : ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ اِلاّ مَنْ أمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ (٣) وغيرها من الآيات:

وأمّا أنّه مُصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ فالوَجه فيه واضح لأنّه يرشدهم الىٰ ما هو بصلاحهم في الدّارين وأيّة مصلحةٍ تكون أقوىٰ منه، فقد روي في الوسائل بأسناده عن أبي جعفر وأبي عبد اللّه قال ﷺ ويلٌ لقومٍ لا يَدينُون بالأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر انتهىٰ...

وبأسناده عن النّبي ﷺ أنّه قال لا تزال أُمّتي بخير ما أُمروا بالمَعروف ونَهوا عن المُنكر وتعاونوا علىٰ البّر فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات وسلّط بعضهم علىٰ بعضٍ ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السّماء انتهىٰ...

وبأسناده عن الحسن عن أبيه عن جدّه قال كان يقال لا يحلّ لعينٍ مؤمنة ترىٰ اللّه يُعصىٰ فتطرف حتّىٰ تُغّيره انتهىٰ «ج ١١»...

وثامنها قوله ﷺ : والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلسُّفَهاءِ...

الرّدع المَنع والسُّفَهاءِ جمع سَفيه والمعنىٰ أنّه تعالىٰ جَعَل النّهي عن المُنكر

١- آل عمران-١٠٤ ٢- النّساء-٥
٣- النّساء-١١٤

رَدعاً ومَنعاً لِلسّفهاء عن المعاصي والقَبائح وما وَرد في النّهي عن المُنكّر من الآيات والأخبار بعَينه وَرَد في الأمر بالمَعروف فلا نحتاج الىٰ ذكر الآيات والأخبار ثانياً:

روي في الوسائل بأسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال الأمر بالمَعروف والنّهي عن المُنكر خلقان من خَلق اللّه فَمَن نَصرهما أعَزّه اللّه ومَن خَذَلهما خَذَلَه اللّه انتهىٰ...

وتاسعها قوله عليه السلام: وصِلَةَ الرَّحِمِ فَنماةً لِلْعَدَدِ...

قال اللّه تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآأَمَرَ اللَّهُ بِهِأَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِيالأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون**﴾(١)

و: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ اِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامِكُمْ، أُولـٰئِك الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمىٰ أَبْصارَهُم**﴾(٢)

قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أُوصي الشّاهد من أُمّتي والغائب منهم ومَن في أصلاب الرّجال وأرحام النّساء الىٰ يوم القيامة أن يَصل الرّحم وأن كانت منه علىٰ مسيرة سَنة فأنّ ذلك من الدّين انتهىٰ...

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال إتّقُوا الحالفة فأنّها تُميت الرّجال قلت وما الحالفة قال قطيعة الرّحم انتهىٰ...

وقال عليه السلام - أوّل ناطقٍ من الجَوارح يوم القيامة الرّحم يقول يارَبّ من وَصَلني في الدّنيا فَصِل اليَوم ما بينك وبينه ومَن قَطعني في الدّنيا فاقطع اليوم ما بينك وبينه انتهىٰ...

وقال الباقر عليه السلام صلة الأرحام تُزكي الأعمال وتَدفع البَلوىٰ وتُنمي الأموال وتُيَسر الحساب وتُنسي الأجل انتهىٰ...

والأحاديث نقلناها عن كتاب مشكاة الأنوار «ص ١٦٥» والأخبار في الباب كثيرة وقد مَرّ البحث في صلة الرّحم مفصّلاً وأمّا قوله عليه السلام فَنماةً لَلعَدَدِفلأنّه إذا

١- البقرة ـ٢٧

٢- مُحمّد ـ٢٢/٢٣

تواصل الأقرباء على كثرتهم كثر بهم عدد الأنصار وبالعكس بالعكس وهو واضح:

وعاشرهم قوله ﷺ: والْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّماءِ...

أي أنّ اللّه تعالى جعل القصاص سبباً ووسيلةً لحفظ الدّماء وذلك لأنّ القصاص يُوجب الرُّعب والخوف لمن أراد قتل غيره فأنّ القاتل يعلم بكونه مقتولاً بعدُ بمُقتضى القصاص فلا جرم لا يقتل غيره قال اللّه تعالى في كتابه: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْل**﴾ (١)

و: ﴿**وَّ لَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (٢)

وحادي عشرها قوله ﷺ: وإِقامةَ الحُدُودِ إِعْظاماً لِلْمَحَارِمِ...

أي أنّ اللّه تعالى فَرَض إقامةَ الحُدُودِ في الشّريعة المُقدّسة إعْظاماً لِلْمَحَارِمِ أي لتعظيمها وتكريمها وذلك لأنّه لو لم يكن القصاص والحدود في النّاس لوقع الهَرج والمَرج في الإجتماع فلم تكن الدّماء والأعراض والنّواميس محفوظة مصُونة عن خيانة الأشرار والأوباش والظّلمة وهو واضح:

وثاني عشرها قوله ﷺ: وتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ...

أي أنّه تعالى نهى عن شُرب الخَمْرِ لِحفظ العَقل وذلك لأنّ العَقل يزول بشُربه وفي قوله ﷺ تحصيناً إشارة الى نكتةٍ وهي أنّ تَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ بمنزلة الحِصن والحِصار لِلْعَقْلِ عن الآفة والخَدشة وهذا الّذي ذكره ﷺ هو الأصل والأساس في تحريم الخمر لأنّ ذهاب العَقل يجعل الإنسان في زُمرة الحَيوانات ويُخرجه عن مقام الإنسانية فَيفعل ما يَفعله الحَيوان ويقول ما لا يَفهم ويَحكم ما لا يريد وهكذا ومن كان كذلك فليس بإنسانٍ مادام كونه كذلك، قال اللّه تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآإِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾ (٣)

و: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**﴾ (٤)

١- البقرة ـ ١٧٨
٢- البقرة ـ ١٧٩
٣- البقرة ـ ٢١٩
٤- المائدة ـ ٩٠

روي في العِلل بأسناده عن مُحمّد بن سنان قال سمعتُ أبا الحَسن علّي بن موسىٰ بن جعفر عليه السلام يقول حرّم اللّه عزّ وجلّ الخَمر لما فيها من الفساد ومن تغييرها عقُول شاربيها وحملها أيّاهم علىٰ إنكار اللّه عزّ وجلّ والفِرية عليه وعلىٰ رُسُله وسائر ما يكون منهم من الفساد والقَتل والقذف والزّنا وقلّة الإحتجاز عن شيْءٍ من المَحارم فبذلك قَضينا علىٰ كلّ مسكرٍ من الأشربة أنّه حرام محرّم لأنّه يأتي من عاقبةٍ ما يأتي من عاقبة الخَمر فَلَيجتنب من يُؤمن باللّه واليَوم الآخر ويتّولانا وينتحل مودّتنا كلّ شاربٍ مسكرٍ فأنّه لا عصمة بيننا وبين شاربه انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال عليه السلام حرّم اللّه الخَمر لفعلها وفسادها لأنّ مُدمن الخَمر تُورثه الإرتعاش وتُذهب بنُوره وتُهدم مرؤته وتُحمّله علىٰ أن يجترء علىٰ إرتكاب المحارم وسفك الدّماء وركوب الزّنا ولا يؤمن إذا سَكَر أن يثبت علىٰ حَرَمه ولا يَعقل ذلك ولا يزيد شاربها إلّا كلّ شّرٍ انتهىٰ« ص ۴۷۵»...

وثالث عَشرها قوله عليه السلام: ومُجَانبَةَ السَّرِقَةِ إيجَاباً لِلْعِفَّةِ...

أي أنّ تَرْكَ السَّرِقَةِ يصير مُوجباً وباعِثاً لتاركها العِفّة وذلك لأنّ السّرقة خيانة وتركها عِفّة لكونهما مُتقابلين يلزم من وجود أحَدهما عَدم الآخر ومن عَدمه وجوده، قال اللّه تعالىٰ: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَ بِمَا كَسَبَا﴾ (١)

ورابع عَشرها قوله عليه السلام: وتَرْكَ الزِّنا تَحْصِيناً لِلنَسَبِ...

أي أنّ تَرْكَ الزّنا يحفظ النّسب عن الإختلاط فَجَعل اللّه تعالىٰ تَركه بمنزلة الحِصن كما أنّ ترك شُرْبِ الخَمْرِ بمنزلة الحِصن لِلْعَقل والوجه واضح:

وهذا هو السِّر في أنّ أولاد الزّنا لا يَرثون عن آباءهم ويَرثون عن أمّهاتهم لكَون الأُمّ منهم معلومة وأمّا الأب فلا ولذلك يكون النَّسب بالنّسبة الىٰ الزّاني مُنقطعاً عنهم كلّ ذلك لإختلاط النّسب وإنحرافه:

١- المائدة ـ ٣٨

وخامس عشرها قوله ﷺ: وتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ...

وذلك لأنّ الرّجل إذا غَلَبت عليه الشّهوة الموجودة فيه بمُقتضىٰ غَـريزته وطبيعته فلا يخلو إمّا أن يكون مُجامعاً لأبناء جنسه مـن الرّجـال أو يكـون مُجامعاً لزوجته ففي الأوّل لا يُوجَد فيه نسلٌ ألبتة وأمّا في الثّاني فيُوجَد فمن تَرك اللِّوَاطِ يُجامع النّساء لا محالة وبه يكثر النّسل وقد سُمّي اللّواط في القرآن بالفاحشة قال اللّه تعالىٰ حكايةً عن لُوط النّبي: **﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُـونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾**(١)

و : **﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَـا سَبَقَكُمْ بِـهَا مِنْ أَحَـدٍ مِنَ الْعَلَمِينَ﴾**(٢)

وسادس عشرها قوله ﷺ: وَالشَّهادَةَ اسْتِظْهاراً علىٰ المُجاحَدَاتِ...

وفي أكثر النّسخ، والشّهادات، بصيغة الجمع والمآل فيهما واحد فأنّ الألف واللّام فيهما للجنس كما قوله تعالىٰ: **(الحَمدُ لِلّه)** وهو يُفيد العمُوم، وكيف كان فالمراد بها الشّهادة في المحاكم الشّرعية لإحقاق الحقُوق وإحياء المَعروف وإماتة الباطل ولذلك قال ﷺ **الشّهادة من الإيمان**، وقوله ﷺ: **إستظهاراً علىٰ المُجاحدات** معناه أنّ القاضي بسبب شهادة الشّهود يَغلب علىٰ المُنكِر في حُكمه عليه وإستيفاءه الحقّ أو الحقُوق منه ولأجل هذه الدّقيقة أعني إستيفاء الحقّ وإجراء العَدل بها يشترط في الشّاهد العَدالة لئلاّ يضيع بها حقّ الغَير ويحرم كتمانه قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَلاتَكْتُمُواالشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُه﴾**(٣) اللّهم إلّا أن تكون مَفسدتهما أعظم من مَصلحتها فأنّها تحرم حينئذٍ وللبحث فيها مقام آخر والحُكم ناظر الىٰ الأغلب ولا يضّره موردٌ خاصّ.

وسابع عشرها قوله ﷺ: وَتَرْكَ الكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ...

أي أنّه تعالىٰ أمَر النّاس بالصّدق ونهاهم عن الكَذب وذلك لأنّ في ترك الكَذب تشريف وتعظيمٌ لِلصّدق فأنّ الأشياء تعرف بأضدادها قال اللّه تعالىٰ

١- النّمل ـ٥٤
٢- العنكبوت ـ٢٨
٣- البقرة ـ٢٨٣

في ذَمِّ الكَذب: ﴿فَويلٌ يومئذٍ للمُكَذّبين﴾ (١)

و: ﴿وأَمَّآإِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيم﴾ (٢)

و: ﴿فلا تَطع المُكذّبين﴾ (٣)

وقال تعالىٰ في مَدح الصِّدق: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الأَخِرِين﴾ (٤)

و: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ (٥)

و: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَآءَ﴾ (٦)

وثامن عشرها قوله ﷺ: والسَّلاَمَ أماناً منَ المَخاوِفِ...

أي أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل السّلام أماناً ممّا يخاف منه سواء كان المَخُوف من أُمور الدّنيا أم من أُمور الآخرة أمّا أنّه يكون أماناً لِلأوّل فلأنّه أي السّلام يُوجب تأليف القلُوب وتجيبها في النّاس وأن شئت قلت أنّه يُوجب الموّدة والمَحبّة والوَحدة والإلتئام بين النّاس وبهذه الأُمور تندفع الأحقاد الكامنة في القلُوب كما أنّ تركه يُوجب التّباعد والتّباغُض وهذا أمرٌ مَحسوسٌ لا يحتاج الىٰ دليلٍ وبرهانٍ وأمّا أنّه أمانٌ في الآخرة فالوجه فيه أنّه يُوجب الأمان من العذاب غداً ولذلك وَرد في مَدحه ما وَرد من الآيات والأخبار قال اللّه تعالىٰ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (٧)

و: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ (٨)

و: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾ (٩)

و: ﴿يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠)

وتاسع عشرها قوله ﷺ: والأَمانات نِظاماً لِلأُمّة...

أي أنّها تُوجب النّظم في الأُمّة كما أنّ تَركها يُوجب الإختلال فيها.

١- الطّور ـ ١١
٢- الواقعة ـ ٩٢
٣- القلم ـ ٨
٤- الشّعراء ـ ٨٤
٥- المائدة ـ ١١٩
٦- الأحزاب ـ ٢٤
٧- النُّور ـ ٦١
٨- الأنعام ـ ٥٤
٩- يونس ـ ١٠
١٠- النّحل ـ ٣٢

قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (١)

و: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتُمِنَ أَمَانَتَه﴾ (٢)

و: ﴿لا تَخُونُا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُم﴾ (٣)

و: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُون﴾ (۴) وغيرها من الإيات.

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال لا تغتّروا بصلٰوتهم ولا بصيامهم فأنّ الرّجل ربّما بهج بالصّلٰوة ولاصّوم حتّىٰ لو تركه إستوحش ولكن إختبروهم بصدق الحديث وأداء الأمانة انتهىٰ«ج ١٥ الجزء الثّاني ص ١٢۴»...

وبأسناده عن أبي جعفر عن آباءه عن النّبي ﷺ قال لا تنظروا الىٰ كُثرة صلٰوتهم وصومهم وكُثرة الحجّ والمعروف وطَنطَنتهم باللّيل ولكن إنظروا الىٰ صدق الحديث وأداء الأمانة انتهىٰ «ص ١٢۵» وقد مَرّ البحث فيها أيضاً:

والعشرُون قوله ﷺ: **والطّاعَةَ تَعظِيماً لِلإمامَةِ...**

أي أنّه تعالىٰ جَعَل تَعظيم الإمامة وتَشريفها في طاعة النّاس لِلإمام وذلك لأنّه لو كان الإمام في النّاس مَمّن لا يُطاع فلا يقدر علىٰ إجراء المعروف وإمحاء المُنكر وهو واضح وأنّما قال ﷺ تَعظيماً لِلإمامة ولَم يَقل تَعظيماً لِلإمام لنُكتةٍ وهي أنّ عظمة الإمام وشَرفه لا تنوط بطاعة النّاس أيّاه بَل الإمام إمامٌ من قِبَل اللّه تعالىٰ وواسطة في الفيض بين الخالق والمَخلُوق سواء كان النّاس مُطيعين له أم عاصيين وأمّا الإمامة فَلَيست كذلك لأنّها عبارةٍ عن إجراء الحدُود وإحياء المعروف وإماتة المُنكر وهذه الأُمور لا تتّحصل إلّا بعد كون الإمام مَبسُوط اليَد وبَسط اليَد لا يتّحقق إلّا بطاعة النّاس وإنقيادهم لِلإمام وعليه فالطّاعة تعظيم لِلإمامة لا لِلإمام من حيث هو هو فتّدبر فيه فأنّه دَقيقٌ جدّاً:

وأمّا قوله ﷺ: **أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ** الىٰ آخر الكلام ففيه إشارة الىٰ كيّفية تحليف الظّالم ولتَوضيح المقال نقول، أحْلِفُوا فعل أمرٍ من حَلَف يَحلف

١- النّساء ـ٥٨
٢- البقرة ـ٢٨٣
٣- الأنفال ـ٢٧
۴- المؤمنون ـ٨

بمعنىٰ أقسَم والحَلف القَسَم باللّه قال في المُنجد حَلَف حَلفاً وحِلفاً ومحلُوفاً ومحلُوفاء باللّه أقسَم به، ثُمّ قال الحَلف أيضاً والحَلِف والأُحلُوفة اليَمين انتهىٰ وأمّا اليَمين بفتح الياء فهو في الأصل إسم لِلعضو المخصُوص في البَدن أعني به اليَد وإستعماله في وَصف اللّه تعالىٰ في قوله: ﴿**والسّمٰوات مطوّيات بيَمينه**﴾ علىٰ حَدّ إستعمال اليَد فيه وقد يُراد منه النّاحية ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**أنّكم كُنتم تأتوننا عن اليَمين**﴾ أي عن النّاحية التي كان منها الحقّ فتصرفوننا عنها، وقد يُراد به الحَلف أعني القَسَم وإستَعمال اليَمين في الحَلف مُستعارٌ من اليَد إعتباراً بما يفعله المُعاهد والمُحالف وغيره وقيل في توجيه إطلاق اليَمين علىٰ القَسَم أنّهم إذا تحالفوا ضرب كلّ منهم يَمينه علىٰ يَمين صاحبه وقيل غير ذلك:

ثُمّ أنّ اليَمين إمّا مأخوذٌ من اليَمين بمعنى القوّة لأنّ الشّخص به يتّقوىٰ علىٰ فعل ما يحلف علىٰ فعله وترك ما يحلف علىٰ تركه، وقيل مأخوذٌ من اليُمن بمعنىٰ البَركة لحصول التَّبرك بذكر اللّه هذا كلّه بحسب اللّغة وأمّا بحسب الشّرع فلا شبهة في أنّ المراد به الحَلف باللّه أو بأسماءه الخاصّة لتَحقيق ما يحتمل المُوافقة والمُخالفة في الإستقبال والمراد بكونه شرعاً ما يتّرتب عليه الحِنث والكّفارة ونحوهما من الأحكام التّي رتَّبها الشّارع علىٰ اليَمين وإلّا فهو يمين لغةً قطعاً وأن كان قد يقال أنّها مأخوذة من اليَد اليُمنىٰ لأنهم كانوا يتصافقون بأيمانهم إذا حَلَفوا إذا عرفت هذا فنقول:

قد ثَبت اليَمين في الشّرع للمُنكِر كما أنّ البَينة للمُدّعىٰ كما يقال البَينة علىٰ المُدّعىٰ واليَمين علىٰ مَن أنكَر هذا بحسب الأصل وإلّا فقد يُرجع اليَمين الىٰ المُدّعِي من قِبل المُنكِر وتفصيل الكلام في هذه الأُمور في كتاب القضاء وكتاب الإيمان في عِلم الفِقه وهو خارج عن طَور الكتاب وكيف كان فلا خلاف بين الفقهاء في عدم إنعقاد اليَمين إلّا باللّه وبأسماءه الخاصّة التّي لا يشركه فيها غيره ومَع إمكان المُشاركة ينصرف إطلاقها اليه قال المُحَقق ﵀ في الشّرائع (كتاب الإيمان) ماهذا لَفظه، والنّظر في أُمور أربعة:

الأوّل: ما به تنعقد اليَمين، لا تنعقد اليَمين إلّا باللّه أو بأسماءه التّي لا يشركه فيها غيره ومَع إمكان المُشاركة ينصرف إطلاقها اليه فالأوّل كقولنا مُقلّب القلُوب والأبصار، والّذي نفسي بيده، والّذي فَلَق الحَبّة وبَرأ النّسمة.

والثّاني: كقولنا واللّه والرّحمٰن والأوّل الّذي ليس قبله شيئ.

والثّالث: كقولنا والرّب والخالق والبارئ والرّزاق كلّ ذلك ستنعقد بها اليَمين مع القَصد ولا تنعقد بما لا ينصرف إطلاق إسمه اليه كالموجود والحيّ والبَصير والسّميع وأن نوىٰ بها الحَلف لأنّها مُشتركة فلم تكن لها حرمة في القَسَم انتهىٰ.

وقال في الجواهر عند شرحه لهذا الكلام ما لفظه:

وحاصله أنّ أقسام اليَمين العاقدة ثلاثة مَرجعها الىٰ الحَلف باللّه وبأسماءه المَختّصة به أو الغالبة عليه فالأوّل أنْ يقسم بما يفهم منه ذاته المُقدّسة بذكر ما يختّص به من الأفعال نحو قوله ﷺ والّذي نفسي بيده فعَن أبي سعيد الخدري كان رسُول اللّه إذا إجتهد في اليَمين قال لا والّذي نفس أبي القاسم بيده ونحوه والّذي فَلَق الحَبّة وبَرأ النّسَمة وعن علّيٍ ﷺ والّذي أصوم وأُصّلي له الىٰ غير ذلك انتهىٰ.

أن قلت ـ اذا كان مرجع أقسام اليَمين الىٰ الحلَف باللّه وبأسماءه المُختّصة أو الغالبة فأيّ مَحذُورٍ في الحَلف باللّه الّذي لا إله إلّا هو، واللّه إسم الجلالة، والوصف لا يصدق علىٰ غيره، مع أنّ أمير المؤمنين قال إحلِفوا الظّالم بأنّهُ بَرِيءٌ منْ حَوْلَ اللّهَ وَقُوَّتِهِ:

قلت ـ كلامه ﷺ لا يدّل علىٰ المَنع عن الحَلف باللّه الّذي لا إله إلّا هو، بل يدّل علىٰ تأخير العقُوبة لِما في هذا الحَلف من تعظيم اللّه وتَجليله وقد روي أنّ واشياً سعىٰ بالصّادق ﷺ الىٰ المنصُور فإستَحضَره وقال أنّ فلاناً ذكر عنك كذا وكذا فقال ﷺ لم يكن ذلك منّي وأبىٰ السّاعي إلّا كونه منه فَحَلفة الصّادق ﷺ بالبراءة من حَول اللّه وقُوّته أن كان كاذباً فَحَلَف فما إنقَطع كلامه حتّىٰ أُصيب بالفالج فصار كقطعة لحمٍ فَجُّر بِرِجلِه والسِّر فيه ما ذكره أمير المؤمنين ﷺ في كلامه:

٢٥٠

□ **قوله ﷺ: يا ابْنَ آدَمَ كُنْ وَصِّي نَفْسِكَ فِي مَالِكَ وَاعْمَلْ فِيهِ ما تُؤثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فيهِ مَنْ بَعْدِكَ...**

أي إذا أردت الوّصية في مالك لبَعد مَوتك فكُن أنت بنفسك وصّي نفسك فيه فكلّ ما تريد أن تُوصي به إعمَل به في حياتك وذلك لأنّه من المُحتَمل أن لا يَعمل الوّصي بعد مَوتك بما أوَصَيته به وهذا الإحتمال يَكفيك في المقام لو أرَدت العَمَل بالوّصية واقعاً وكيف ترجو أن يَعَمل الوّصي بوصّيتك وأنت لا تَعَمل لنفسك في حياتك:

٢٥١

▫ **قوله عليه السلام: الحِدَّةُ ضَرْبٌ منَ الْجنُونَ لأَنَّ صَاحَبَها يَنْدَمُ فإنْ لَمْ يَنْدَمْفَجنُونُهُ مُسْتَحكَمٌ...**

الحِدّة بكسر الحاء ما تعتري الإنسان من النّزق والغَضَب يقال حَدّ يَحدّ حدّاً إذا غَضَب وقد وَرد في الحَديث عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال (وقد ذكر عنده رجل من أصحابنا وفيه حِدّة) أنّ اللّه تعالىٰ في وقت ما ذرأهم أمَر أصحاب اليَمين وإئتمرهم أن يدخلوا النّار فَدَخلوها فأصابهم وهَجها فالحِدّة من ذلك الوَهَج وأمَر أصحاب الشّمال وهم مُخالفونا أن يدخلوا النّار فلم يفعلوا فمن ذلك لهم سَمتٌ ووقار انتهىٰ مجمع البحرين مادة (عَدد).

أقول، يظهر من كلام أهل اللّغة أنّ الحِدّة عبارة أُخرىٰ عن العَجَلة في الأُمور وكيف كانت لا شّك أنّها ضرب من الجنُون فأنّ العاقل الكامل لا حِدّة فيه وإستّدل عليه السلام علىٰ المُدّعىٰ بأنّ صاحبها يندم علىٰ ما فَعَله غالباً والنّدم دليل علىٰ الخَبط في الفعل هذا إذا نَدِم وأمّا إذا لم يندم فَجنُونه مُستحكم وذلك لأنّه لم يفهم ولم يَعلم أيّ شئٍ صَدَر منه ولا نَعني بالجنُون إلّا هذا والحاصل أنّ الفعل الصّادر عن حِدّةٍ لا يكون مُطابقاً لمُقتضىٰ العَقل غالباً.

٢٥٢

□ **قوله ﷺ: صِحَّةُ الجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الحَسَدِ...**

وذلك لأنّ الحَسُود إشتعل ناراً مُحرقة في جَوفه وهو لا يعلم فَمَثَل جَسَدِ الحَسُود بالنّسبة الىٰ قلبه المتّصف به مَثَل الحَديد في النّار فكما أنّ الحَديد يذوب فيها كذلك الجَسَدِ يذوب في نار الحَسَد ألا ترىٰ أنّ الحَسُود يكون مَغمُوماً مَحزُوناً دائماً والحُزن يُؤثر في الجَسَد قطعاً وبعبارةٍ أُخرىٰ الحَسُود مريض القلب ومَريض الجَسَد وهو مَع ذلك لا يصل الىٰ ما يتّمناه أصلاً وقد وَرد في ذَمّه ما وَرد من الآيات والأخبار.

قال اللّه تعالىٰ: **﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَيٰهُمُ اللّٰهُ مِن فَضْلِه﴾**(١)

وقال تعالىٰ:**﴿ومِن شَرّ حَاسِدٍ إِذا حَسَد﴾**(٢)

وقال رسُول اللّه ﷺ الحَسَد يأكل الحَسَنات كما تأكل النّار الحَطَب، قال ﷺ قال الّه عزّ وجلّ لموسىٰ ابن عمران لا تحسدنّ النّاس علىٰ ما أتيتهم من فضلي ولا تَمُدنّ عَينيك الىٰ ذلك ولا تتّبعه نفسك فأنّ الحاسد ساخط لِنِعَمي صادٌّ لقسمي الّذي قَسمتُ بين عبادي ومن يكون كذلك فلستُ منه ولَيس مِنّي« جامع السّعادات ج ٢ ص ١٩١» وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً:

١- النّساء-٥٤.
٢- الفَلَق-٥.

٢٥٣

□ قوله ﷺ: ياكُمِيْلُ مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا في كَسْبِ الْمَكَارِمِ ويُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتُ مَا مِنْ أَحدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لهُ منْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفاً فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نائِبَةٌ جَرَىٰ إِليهَا كالَماءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتّىٰ يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيْبَةُ الإِبِلِ...

مُر بضّم الميم أمرٌ من أمَرَ، قال ﷺ لِكُميل بن زياد النخعي وهو من كِبار أصحابه وشيعته وهو الّذي عَلّمه ﷺ دُعاء المشهُور وقد قَتَله الحَجّاج لَعَنه اللّه علىٰ التَشّيع،مُر أهلَك أي أقاربك أن يَروحُوا أي يسيروا في كسب المَكارم والفَضائل مثل العِلم والأدب والصّدق والسّخاوة وأمثالها ممّا يُعَد بمَكارم الأخلاق، ويُدلُجوا أي يُدخِلُوا في حاجة من هو نائم، أي نامَ عنها أربابها ونام عنها صاحبها ثمّ أقسَم ﷺ باللّه وقال فَوَالّذِي أي أقسَم بالّذي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتُ فَيَسمعها وإن كانت الأصوات خفيّة، وَهُو لا يكون إلّا اللّه تعالىٰ، ما من أحَدٍ أَوَدع وأَدخل قلباً من قلوب النّاس ولا سيّما المؤمنين منهم سُروراً إلّا وَخَلق اللّه من ذلك السّرُور لُطفاً ورحمةً فإذا نَزَلت به نائبة وحادثة جرىٰ اليها أي جَرىٰ اللطَف الىٰ النّائبة كالماء في إنحداره حتّىٰ يطردها أي يطرد النّائبة عن صاحبها كما تطرد غريبة الإبل أي كما تطرد وتمنع الإبل الّتي لا تكون من مال صاحب المَرعىٰ ومُحصّل الكلام في المَقام أمران، أحدهما كسب المكارم والرّواح فيها، وثانيهما قضاء الحَوائج والإدلاج فيها:

أمّا الأوّل: أعني به كَسب المَكارم فـإعلم أنّ المَكـارِم بـفتح المـيم جـمع المَكَرم والمَكَرَمة والمَكرَم من الصّفات أطَيبها وأفضَلها يـقال أرضٌ مَكَـرمة للنّبات أي كَريمة طيّبة ولا شّك أنّ كَسبها مَمدُوح ضرورة أنّ شَرف الإنسان بها بَل الحقّ أنّ الإنسانية تَدور مَدارها وجوداً وعَدماً وقلّةً وكثرةً وقـد تـظافرت الآيات والأخبار بكَسب المَكارم وهذا ممّا لا شّك فـيه أنّـما الكـلام فـي أنّ المَكارم ما هي وبعبارةٍ أُخرىٰ لا خفاء في مَفهُومها ظاهراً وأنّما الكـلام فـي مصاديقها:

روي في البحار بأسناده عن الصّادق عليه السلام قال أنّ اللّه تبارك وتعالىٰ خصّ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله بمَكارم الأخلاق فإمتحنُوا أنفسكم فأن كانت فيكم فأحمدوا اللّه عزّ وجلّ وأرغبُوا اليه في الزّيادة منها فذكرها عشرة اليقين، والقناعة، والصّبر، والشّكر، والحِلم، وحُسن الخُلق، والسّخاوة، والغَيرة والشّجاعة، والمّرؤة انتهىٰ...

وبأسناده عن حماد بن عثمان قال جاء رجل الىٰ الصّادق جعفر بن مُحمّد فقال له يابن رسُول اللّه أخبرني بمَكارم الأخلاق فقال عليه السلام العَفُو عَمّن ظَلَمك وصِلة مَن قَطعك، وإعطاء من حَرَمك، وقول الحقّ ولَو علىٰ نَفسك انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال المَكارم عَشرة أن إستَطعت أن تكون فيك فلتكن فأنّها تكون في الرّجل ولا تكون في ولده وتكـون فـي ولده ولا تكون في أبيه وتكون في العَبد ولا تكون في الحُرّ قيل وما هنّ يابن رسُول اللّه، قال عليه السلام صدق البأس، وصدق اللّسـان، وأداء الأمـانة، وصِـلة الرّحـم، وإقراء الضّيف، وإطعام السّائل، والمُكافاة علىٰ الصّنائع والتّودد (والتّذمم) للجار والتّذمم للصاحب ورأسهنّ الحياء انتهىٰ...

وبأسناده عن الرّضا عليه السلام عن آباءه قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله عليكم بمَكارم الأخلاق فأنّ اللّه عزّ وجلّ بَعَثني بها وأنّ من مَكارم الأخلاق أن يعفُو الرّجل عَمّن ظَلَمه، ويُعطي من حَرَمه ويَصل من قَطعه، وأن يَـعُود مـن لا يَـعُوده

انتهىٰ« بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٣ الىٰ ص ١٥ باب جوامع المكارم»...

أقول، الأخبار كما ترىٰ في الباب مُختلفة الألفاظ متّحدة المآل والوَجه في كونها متّحدة المآل هو أنّها تُشير الىٰ أصلٍ واحدٍ نُسمّيه بالمَكارم وأمّا حصرها في عددٍ معّين فلا يستفاد منها والحقّ أن يقال أنّ المكارم عبارة عن الأوصاف والكَمالات الإنسانيّة التّي تُوجب شرفاً وفَضلاً له عَقلاً وشَرعاً وعُرفاً وأن شئت قلت كلّ ما جاء به الشّرع كما قال رسُول اللّه ﷺ **بُعثتُ لأُتّمم مكارم الأخلاق**، ولذلك قد يُعبّر عنها بالعلّة الغائية للأديان والشّرائع ولنعم ما قيل:

أنّ المكارم والمَعروف أوديةٌ   أحَلَّك اللّه منها حيث تجتمعُ
مَن لَم يكن بأمين اللّه مُعتصماً   فَلَيس بالصّلٰوات الخمس ينتفع

وقال الآخر :

وهل ينفع الفتيان حُسن وجوههم
إذا كانت الأعراض غير حِسانِ
فلا تَجعل الحُسن الدّليل علىٰ الفتىٰ
فما كلّ مصقُول الحديد يَماني

وأمّا الأمر الثّاني: أعني به قضاء الحَوائج الّذي يلزم منه إدخال السّرور في قلب المُؤمن فهو أيضاً ممدوحٌ مُرَغبٌ اليه والرّوايات فيه كثيرة جدّاً:

روي في البحار بأسناده عن أبي الأعز النّماس قال سمعتُ الصّادق عليه السلام **يقول قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف حُجّة متّقبلة بمناسكها أو عتق ألف رقبة لوجه اللّه وحملان ألف فَرس في سبيل اللّه بسُرجها ولُجمها انتهىٰ...**

وبأسناده عنه عليه السلام عن آباءه عن النّبي قال ﷺ **واللّه لقَضاء حاجة المؤمن خير من صيام شهر وإعتكافه انتهىٰ...**

وأيضاً بهذا الإسناد عنه ﷺ قال **مَن قضىٰ لمؤمنٍ حاجةً قضىٰ اللّه له حَوائج كَثيرة أدناهنّ الجَنّة انتهىٰ« ج ١٦ ص ٨٠»...**

وأيضاً روي بأسناده عن أبي حمزة الثّمالي قال سمعتُ أبا جعفر يقول

من سَّر مؤمناً فقد سَّرني ومَن سَرَّني فقد سَرَّ اللّه...

وقال ﷺ في حديث آخر ما عُبد اللّه بشيءٍ أحَبّ الىٰ اللّه من إدخال السّرور علىٰ المؤمن انتهىٰ« ص ٨٠»...

وبأسناده عن علّي بن الحُسين قال قال رسُول اللّه ﷺ أنّ أحَبّ الأعمال علىٰ اللّه إدخال السّرور علىٰ المُؤمنين انتهىٰ « ص ٨١»...

وبأسناده عن أبي جعفر ﷺ قال أنّ أحَبّ الأعمال الىٰ اللّه عزّ وجلّ إدخال السّرُور علىٰ المؤمن شبعة مسلمٍ أو قضاء دَينه « ص ٨١»... والأحاديث فيه أيضاً كثيرة:

٢٥٤

□ قوله ﷺ: إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ الصَّدَقَةِ...

الإملاق الإحتياج والفقر والمعنىٰ إذا إفتقرتُم فَتَّصدقوا فأنّ اللّه يَعطف الرّزق عليكم الصَّدقة فكأنّكم عامَلتُم اللّه بالتّجارة:

٢٥٥

▫ **قوله عليه السلام: الوَفاءُ لأَهْلِ الغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَالغَدْرُ بأَهْلِ الْغَدْرِ وَفاءٌ عِنْدَ اللَّهِ...**

قالوا في معنىٰ العبارة إذا أعتيد من العدّوان يغدر ولا يفي بأقواله وأيمانه وعهُوده لم يَجُز الوَفاءُ لَهُ ووَجَب أن ينقُض عهُوده ولا يوّفيه من العَهد المعقُود بيننا وبينه فأنّ عَدم الوَفاءُ لمن جاحَده ليس بقبيحٍ بل هو في الحُسن كالوَفاء لِمَن يَستّحق الوَفاء عند اللّه تعالىٰ أقول كأنّه من قَبيل قوله تعالىٰ: **﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** حيثُ يُستفاد منه أن المَكر مَعَ الماكِرِ لا قُبح فيه كما قال الشّاعر:

ومَــن يَــصنع المَعروف في غير أهـله
يُـــلاقي كـــما لاقـىٰ مُـجير أُمّ عـامرٍ
أعَـــدَّ لهـــا لمّـــا إســتجارت بـبَيته
أحـــاليب ألَـــبان اللّـــقاح الدّراثـــر
وأسَـــمنها حـــتّىٰ إذا مـــا تَـــمَكّنت
فَـــــرته بأنـــياب لهـــا وأظـــافرِ
فـقل لذوي المـعروف هـذا جـزاءُ مَن
يــجود بـمعروفٍ عـلىٰ غـير شـاكـرِ

نَقلوا أنّ المَنصُور جَعَل العَهد الىٰ عيسىٰ بن مُوسىٰ ثُمّ غَدر به وأخّره وقـدّم

المَهدي ابنه عليه فقال عِيسىٰ:

أيَنسىٰ بنو العبّاس ذبّي عنهم
بسيفي ونار الحَرب زاد سَعيرُها
فتحتُ لهم شرق البلاد وغَربُها
فَذّل معاديها وعَزّ نصيرها
أُقطّع أرحاماً عَلّي عزيزة
وأبدي مكيدات لهم وأُثيرها
فلمّا وضعتُ الأمر في مُستّقرة
ولاحَت له شمسٌ تلألأ نُورها
دُفعت عن الأمر الّذي أستّحقه
وأوسَق أوساقاً من الغَدر عيرها

حكىٰ بعضهم قال دخلتُ البادية فإذا أنا بعجُوزٍ بين يَديها شاة مقتولةٍ والىٰ جانبها جرٌّ وذئب فقالت أتَدري ماهذا فقلت لا قالت هذا جرٌّ وذئب أخَذناه صغيراً وأدخلناه بيتنا وربّيناه فلمّا كَبُر فَعَل بشاتي هذا وأنَشَدت:

بَقرتَ شَويُهتي وفَجعت قومي وأنت لشاتنا ابنٌ ربيبُ
غَذَيتَ بدّرها ونشأت مَعها فَمن أنَباك أنّ أباك ذئبُ
إذا كان الطّباع طباع سُوءٍ فلا أدَبٌ يُفيد ولا أديبُ

قال الرّضي ﷺ فصلٌ نذكر فيه شيئاً عن إختيار غريب كلامه المُحتاج الىٰ التّفسير...

قال في حديثه عليه السلام (١)

▫ فإذاَ كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ فَيَجْتَمِعُونَ إليهِ كَما يَجْتَمِعُ قَزَعُ الخَرِيفَ...

قال الرّضي رحمه الله: اليَعسُوب السَيّد العَظيم المالِك لأمور النّاس يومئذٍ والقَزَع قِطَع الغيم الّتي لا ماء لَها...

أقول: الظّاهر إنّ القَزَع قِطَعٌ من السّحاب صَغار مُتفرّقة سواء كان لها ماء أم لا قال في المُنجد القَزَع قِطَعٌ من السّحاب صغار، وعليه فقول الرّضي إنّ القَزَع قِطَع الغيم الّتي لا ماء لها لا يُعَرف وَجهه وهو أعلم بما قال إذ لا يَبعد أن يكون ما ذكره رحمه الله أحد الأقوال عند أهل اللّغة، ثمّ إنّ الشّارح المُعتزلي ذَهَب في شرحه الىٰ إنّ هذا الخَبَر من أخبار الملاحم الّتي كان يخبر بها عليه السّلام وهو يذكر فيه المَهدي الىٰ آخر ما قال وتبعه عليه بعض الشّراح ولكنّه عندنا غير مُسّلم إذ لا دليل علىٰ ماذَهَبُوا اليه:

قال في حديثه عليه السلام (٢)

▫ هَذَا الخَطِيبُ الشَّحْشَحُ...

قَالَ الرَّضي: يُرِيدُ المَاهِرَبالخُطبَةِ المَاضِي فِيها وَكُلُّ مَاضٍ فِي كَلاَمٍ أَوْ سَيْرٍ فَهُوَ شَحْشَحٌ وَالشَّحْشَحُ فِي غَيرِ هَذَا المَوْضِعِ البَخِيلُ المُمْسِكُ...

قال في كتاب مصادر نهج البلاغة في هذا المقام ما لفظه: قال عليه السلام - هذا وقد إنتهى اليه قومٌ من قيس شباب يعد واقعة فَخَطب خَطيبهم فـقال عليه السلام - أيـنَ أمْراؤكُم فقال الخَطيب أصَيبُوا تحت نظار الجَمَل ثمّ أخَذ في خَطبته فقال علّي عليه السلام أمّا إنّ هذا لهُو الخَطيب الشّحشح نقل ذلك الطّبري في التّاريخ ج ٥ ص ١٩٥ في حوادث سنة (٣٦) وقد روي هذه الكلمة أيضاً عن أمير المؤمنين أبو عُبيد في غَريب الحَديث ونقل ذلك عنه الجاحِظ انتهى:

قال في حديثه عليه السلام (٣)

▫ إنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً...

قَالَ الرّضي: يُرِيدُ بِالقُحَمِ المَهالِكَ لأَنَّــها تَــقْحِمُ أَصْــحَابَها فِــي المَــهالِكِ والمَتالِفِ في الأَكْثَرِ وَمَنْ ذَلِكَ قُحْمَةُ الأَعْرَابِ، وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ السّنَةُ فَــتَتَعَرّقَ أَمْوَالَهُمْ فَذَلِكَ تَقَحُّمُها فيهِمْ وَقيلَ فِيهِ وَجْهُ آخَرُ وهُوَ أَنّها تُقْحِمُهُمْ بِلاَدَ الرّيفِ أي تُحْوِجُهُمْ إِلىٰ دُخُولِ الحَضَرِ عِنْدَ مُحُولِ البَدْوِ ...

وأنا أقول: قال بعض أهل اللّغة القُحَم من الخصُومات ما يحمل الإنسـان علىٰ ما يُكرهه يقال للخصُومة قُحَم:

قال في حديثه عليه السلام (٤)

□ إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الحِقَاقِ فالعَصَبَةُ أَوْلَىٰ...

قال الرّضي: والنّصّ: مُنْتَهَى الأَشْياءِ وَمَبْلَغُ أَقْصَاهَا كالنَصّ فِي السّيْرِ لأنّهُ أَقْصى ما تَقْدِرُ عَلَيْهِ الدّابّةُ وَتَقُولُ نَصَصْتُ الرّجُلَ عَنِ الأَمْرِ إذا اسْتَقْصَيْتَ مَسألَتَهُ عَنْهُ لِتَسْتَخْرِجَ مَا عِنْدَهُ فِيهِ فَنَصّ الحِقَاقِ يُرِيدُ بِهِ الإِدْرَاكَ لأنّهُ مُنْتَهَىٰ الصّغَرِ وَالوَقْتِ الّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ الصّغيرُ إلىٰ حَدّ الكَبِيرِ وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ الكِنَايَاتِ عَنْ هَذَا الأَمْرِ فَإِذَا بَلَغَ النّسَاءُ ذَلِكَ .فالعَصَبَةُ أَوْلَىٰ بالمَرْأةِ من أُمّها إذا كَانُوا مَحْرَماً مِثْلَ الإِخْوَةِ وَالأَعْمَامِ وَبِتزوِيجِهَا إِنَ أَرَادُوا ذَلِكَ والحِقَاقُ مُحَاقّةُ الأُمّ لِلعَصَبَةِ فِي المَرْأةِ وَهُوَ الجِدَالُ وَالخُصُومَةُ وقَوْلُ كلّ واحِدٍ مِنهُما لِلآخَرِ أنَا أَحَقُّ مِنْكَ بِهذَا يُقالُ مِنْهُ حَاقَقْتُهُ حِقَاقاً مِثْلَ جادَلْتُهُ جِدالاً وَقَد قِيلَ إِنّ نَصّ الحَقَائِقِ بُلُوغُ العَقْلِ وَهُوَ الإِدْرَاكَ لأَنّهُ عليه السلام أرَادَ مُنْتَهَىٰ الأَمْرِ الّذِي تَجِبُ فِيهِ الحُقُوقُ وَالأَحكامُ وَمَنْ رَوَاهُ نَصّ الحَقَائِقِ فإنّمَا أَرَادَ جَمْعَ حَقِيقَةٍ هَذَا مَعْنىٰ ما ذَكَرهُ أبو عُبَيْدٍ والّذِي عِنْدِي أَنّ المُرَادَ بِنَصّ الحِقَاقِ هَنُها بُلُوغُ المَرْأةِ إلَى الحدّ الّذِي يَجُوزُ فِيهِ تَزْوِيجُها وَتَصَرّفُها فِي حُقُوقِها تَشْبِيهاً بِالحِقَاقِ منَ الإِبِلِ وهِيَ جَمْعُ حِقّةٍ وحِقّ وهُوَ الّذِي اسْتَكْمَلَ ثَلاثَ سِنِينَ ودَخَلَ في الرّابِعَةِ وَعِنْدَ ذلكَ يَبْلُغُ إلىٰ الحدّ الّذِي يُتمكّنُ فيهِ منْ رُكُوبِ ظَهْرِهِ ونَصّهِ في السّيرِ وَالحقَائِقُ أَيْضاً جَمْعُ حِقّةٍ. فالرّوَايَتانِ جَمِيعاً تَرْجِعَانِ إلىٰ مَعْنىً واحِدٍ وهذَا أَشْبَهُ بِطَرِيقَةِ العَرَبِ منَ المَعْنى المَذكُورِ.

قال في حديثه ﷺ (٥)

□ إنَّ الإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي القَلْبِ كُلّمَا ازْدادَ الإِيمَانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ...

قال الرّضي: واللُّمظَةُ مِثْلُ النُّكْتَةِ أوْ نَحْوِها منَ الْبَياضِ ومنْهُ قِيلَ: فَرَسٌ ألْمَظُ إذا كانَ بِجَحْفَلَتِهِ شَئٌ منَ الْبَياضِ انتهىٰ.

أقول: اللُمظّة بضمّ اللّام وسكون الميم والجَحفَلة بتقديم الجيم المفتوحة علىٰ الحاء السّاكنة للخيل والبغال والحمير بمنزلة الشّفة لِلإنسان مؤلّف .

قال في حديثه ﷺ (٦)

▫ إِنَّ الرَّجُلَ إذا كانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ يَجِبُ عليْهِ أنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَىٰ إِذا قَبَضَهُ.

قال الرَضي :فالظَّنُون الّذِي يُظَنُّ بهِ فَمرَّةً يَرجُوهُ ومَرَّةً لا يَرْجُوهُ .وهذَا من أَفْصَحِ الكلاَمِ وكذلكَ كلُّ أمْرٍ تَطْلُبُهُ ولا تَدرِي علىٰ أيِّ شَيْءٍ أنْتَ مِنْهُ فهُوَ ظَنُونٌ وعَلىٰ ذَلكَ قَوْلُ الأَعشىٰ:

مَا يَجْعَلُ الْجُدَّ الظَّنُونَ الَّذي جُنِّبَ صَوبَ اللَّجِبِ الْماطِرِ
مِثْلَ الْفُراتِيِّ إِذا ماطَما يَقْذِفُ بِالْبُوصِيِّ وَالْماهِرِ

والجُدُّ البِئرُ، والظَّنُونُ الّتي لا يُعْلَمُ هَلْ فَيها ماءٌ أمْ لا:

قال في حديثه عليه السلام (٧)

▫ أنَّهُ شَيَّعَ جَيْشاً يُغْزِيهِ، فَقالَ)إعْذِبُوا عَنِ النِّساءِ ما اسْتَطَعْتُمْ...

قال الرّضي :ومَعْناهُ اصْدِفُوا عنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ وشُغْلِ القَلْبِ بِهنّ وامْتَنِعُوا منَ الْمُقارَبَةِ لُهنّ لأَنَّ ذَلِكَ يَفُتُّ في عَضُدِ الحَمِيَّةِ وَيَقْدَحُ فِي مَعاقِدِ العَزِيمَةِ وَيكْسِرُ عَنِ العَدْوِ وَيَلْفِتُ عَنِ الإبْعادِ فِي الغَزْوِ وكُلُّ مَنِ امْتَنَعَ مِنْ شَيْءٍ فَقدْ أعْذَبَ عَنْهُ والعَاذِبُ والعَذُوبُ المُمْتَنِعُ منَ الأَكْلِ والشُّرْبِ:

قال في حديثه ﷺ (٨)

▫ كالياسِرِ الفَالِجِ يَنْتَظِرُ أوّلَ فَوْزَةٍ منْ قِدَاحِهِ.

قال الرَضي: اليَاسِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَتَضَارَبُونَ بِالْقِدَحِ على الجَزُورِ، والفَـالِجُ: القَاهِرُ الغَالِبُ يُقالُ: قدْ فَلَجَ عَلَيهِمْ وَفَلَجَهُمْ وَقَالَ الرَّاجِزُ:

(لَمَّا رأيْتُ فالِجاً قدْ فَلَجَا) .

قال في حديثه عليه السلام (٩)

□ كُنَّا إذَا احمَرَّ البأسُ اتَّقَيْنا بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَلَم يَكُنْ مِنَّا أقْرَبُ إلىٰ العَدُوِّ مِنْهُ...

قال الرّضي: ومَعنىٰ ذَلِكَ أنّهُ إذا عَظُمَ الخَوفُ مِنَ العَدُوِّ واشْتَدّ عِضَاضُ الحَرْبِ فَزِعَ الْمُسْلِمُونَ إلىٰ قِتَالِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِنَفْسِهِ فَيُنزِلُ اللّهَ عليهِمُ النّصرَ بِهِ وَيَأمَنُونَ مِمّا كانُوا يَخافُونَهُ بِمكانِهِ.

وقال عليه السلام: إذا احْمَرَ البَأسُ، كِنَايَةٌ عَنِ اشْتِدَادِ الأَمْرِ وَقَدْ قِيلَ في ذَلِكَ أقْوَالُ أحْسَنُها: أنّهُ شَبّهَ حَمَىَ الحَرْبِ بالنّارِ الّتي تَجْمَعُ الحَرَارَةَ والحُمْرَةَ بِفِعْلِهَا وَلَوْنِها. وَممّا يُقَوّي ذَلِكَ قَوْلُ الرّسُولِ صلى الله عليه وآله وَقَدْ رَأىٰ مُجْتَلَدِ النّاسِ يَومِ حُنَيْنٍ وَهِي حَرْبُ هَوَازِنَ: حَمِي الوَطِيسُ قَالوا طِيسُ: مُسْتَوْقَدُ النّارِ، فَشَبّهَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله ما اسْتَحَرْ مِنْ جِلاَدِ القَوْمِ باحْتِدَامِ النّارِ وشِدّةِ الْتِهابِها انْقَضَى هَذَا الفَصْلُ ورَجَعْنا إلى سَنَنِ الغَرَضِ الأَوّلِ في هذَا البَابِ:

انقضى هذا الفصل، و رجعنا الى سنن الغرض الاول فى هذا الباب .

﴿٢٥٦﴾

▫ قوله ﷺ: لَمّا بَلَغهُ إغارةُ أصْحَابِ مُعاوِيَةَ علىٰ الإنْبارِ فَخَرَجَ بِنَفْسِه ماشِياً حتىٰ أَتىٰ النُّخَيْلَةَ فأدْرَكَهُ النّاسَ فَقَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤمِنينَ نَحْنُ نَكْفِيكَهُم فقال ﷺ:

مَا تَكْفُونَ أَنْفُسَكُمْ فَكَيفَ تَكْفُوني غيرَكُمْ إنْ كانَتِ الرَّعايا قَبْلي لَتَشْكُوا حَيْفَ رُعاتِها وَإِنَّنِي الْيَوْمَ لأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتي كأَنَّني المَقُودُ وَهُمْ الْقادَةُ وَالمَوْزُوع وَهُمُ الوَزَعَة!

فَلمَّا قال ﷺ هذا الْقَولَ، في كلامٍ طَوِيلٍ قدْ ذَكَرْنَا مُخْتارَةُ فِي جُمْلَةِ الخُطَبِ، وتَقَدَّمَ إِلَيْهِ رِجْلَانِ من أَصْحابِهِ فَقالَ أحدُهُما :إِنّي لا أملِكُ إلّا نَفْسِي وأخِي، فَمُرْ بأمرِكَ يا أَمِيرَ المُؤمِنينَ نُنَفِذْ لهُ: قال ﷺ:

وأيْنَ تَقَعانِ مِمَّا أُرِيدُ ؟

وقيل أنَ الحارث بن حُوتٍ أتاهُ فقالَ أَتُرانِي أظُنُّ أَصْحَابَ الجَمِلِ كَانُوا علىٰ ضَلاَلَةٍ؟

فقال ﷺ: يا حَارِثُ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَفَجِرْتَ إِنَّكَ لمْ تَعْرِفِ الحَقَّ فتَعْرِفَ مَنْ أتاهُ ولمْ تَعْرِفِ الْباطِلَ فَتَعرِفَ مَنْ أتاهُ.

فَقالَ الحارثُ فإنِّي أعتزِلُ مَعَ سَعِيدِ بْنِ مَالِكِ وعَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ فقال ﷺ: إنَّ سَعِيداً وعَبْدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ لمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلمْ يَخْذُلا الْباطِلَ) .

◁ اللّغة

(النُّخَيْلَةَ) بضمّ النون وفتح الخاء موضع بالعراق قرب الكوفة (حَيْفَ) الحَيف بفتح الحاء وسكون الياء الظّلم (المَقُودُ) على وزن المخُوف إسم مفعولٍ (الْقَادَةُ) جمع قائد (المَوزُوعُ) المحكُوم، إسم مفعولٍ من وزَع (الْوَزَعَة) محرّكة جمع وازع بمعنى الحاكم (فِرِتَ) جِرت بكسر الحاء وفتح التّاء صيغة المخاطب المُذّكر من الماضي على وزن بِعتَ والباقي واضح.

◁ الشّرح

أنّما قال ﷺ ما قال بعد إغارة أصحاب معاوية على الأنباري وقتلهم شيعته ونهبهم أموال النّاس ورجوعهم الى الشّام سالمين غانمين فلمّا بلغ الخبر اليه خرج بنفسه ماشياً الى النُخيلة الّتي كانت مُعدّة لجَمع العَسكَر ولذلك كانت تسّمى بالمعسكَر فأدركه بعض النّاس من أصحابه وقالوا يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم أي نحن نكفيك عنهم أي عن أصحاب معاوية فلا حاجة اليك فقال في جوابهم ما تكفون أنفسكم أي أنّكم تعجزون عن دَفع العدّو عن أنفسكم فكيف تكفوني غيركم من أصحاب معاوية أن كانت الرّعايا قبلي في أيّام الخلفاء الماضين لَتشكُوا حيف رُعاتها أي ظلم حُكّامهم وأُمرائهم وأنّني اليوم لأشكو الى اللّه حيف رعيّتي وظلمها علّي بعدم إطاعتها لي كأنّني المَقُود أي التابع والمأموم وهم القادة لي في ديني ودُنياي أو كأنّني المَوزوع والمحكوم وهم الوَزَعة والحُكّام عَلَّيَ فلمّا قال ﷺ هذا القول في كلام طويلٍ قد ذكرنا مختاره في جملة الخُطب (ونحن شَرحنا الخطبة مُفصّلاً) وتقدّم اليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما أنّي لا أملِك إلّا نفسي وأخي فَمُر بأمرك يا أمير المؤمنين نُنفذ له أي ينفذ ونُجري أمرك قال ﷺ في الجواب وأين تقعان ممّا أُريد، أي أين أنتما وما هي منزلتكما مِن الأمر الّذي أُريده من قتال الأعداء وهو يحتاج الى قوّةٍ عظيمة وأفراد كثيرة:

وقيل أنّ الحارث بن حُوت أتاه أي أتىٰ عليّاً فقال أتراني أظنّ أصحاب الجَمَل كانوا علىٰ ضلالةٍ في دينهم حيث قاتلوك وحاربُوك أي لَستُ كذلك فلا أظنّهم علىٰ الضّلالة فقال عليه السلام في الجواب يا حارث أنّك نظرتَ تَحتك ولم تَنظُر فَوقك فحِرتَ أي أنّك نظرت في أعمال النّاكثين من أصحاب الجَمَل المتمسّكين بظواهر الإسلام وهُم دُونك في المَرتَبة لبغيهم علىٰ إمام الحقّ فأغتَرَرت بشُبهتهم وإقتَديتَ بهم ولم تنظُر الىٰ مَن فوقك وهو إمامك المفترض الطّاعة ومَن مَعه من المُهاجرين والأنصار ولا سَمِعتَ حكمهم بكون خصُومهم علىٰ الباطل وكان ذلك سَبباً لِحيرَتك ثمّ عَلّل وفصّل عليه السلام سَبب حَيرتِه وقال أنّك لم تعرف الحقّ فتعرف من أتاه أي أنّك لم تعرف أصل الحقّ وأنّه ما هو فكيف تقدر علىٰ معرفة من أتىٰ بالحقّ وهو الإمام نفسه وبعبارةٍ أُخرىٰ معرفة من أتىٰ بالحقّ فرعٌ علىٰ معرفة الحقّ، ولم تعرف الباطل وأنّه ما هو فتصرف من أتاه أي أنّك لم تعرف أصل الباطل ولذلك ما عرفت من أتىٰ به وهو أصحاب الجَمَل فأنتَ ما عرفتني وما عَرفتهم لأنّك ما عَرفتَ الحقّ والباطل، فقال الحارث فأنّي أعتَزِل أي أعتَزِل عنك مَعَ سعيد بن مالك وعبد اللّه بن عُمر حيث أنّهما إعتزلا عنك فقال عليه السلام أنّ سعيداً وعبد اللّه بن عُمر لم ينصرا الحقّ حيث لم يُبايعاني ولم يخذلا الباطل لنصرتهما أعدائي صريحاً أو تلويحاً فأنّ من لم ينصر الحقّ فلا محالة ضَعّفه وخَذّله ومن لم يخذل الباطل فهو في الحقيقة نَصَره وقوّاه وهما كانا كذلك لعدم الواسطة بين الحقّ والباطل وغَرَضه عليه السلام من هذا الكلام تفهم الرّجل بأنّ إعتزالهما كان عِصياناً وخطأً لا طاعةً وصواباً كما زَعِمت.

﴿٢٥٧﴾

□ **قوله ﷺ: صَاحِبُ السُّلْطَانِ كرَاكِبِ الأَسَدِ يُغبِطُهُ بِمَوْقِعِهِ وَهُوَ أعْلَمُ بمَوْضِعِهِ...**

أي من صَحب السّلطان في سَلطَنته كَمَن رَكب الأسَد في الخَطَر، يُـغبَط، مبنّي للمجهول أي يَغبطَه النّاس ويتّمنون منزلته لِـعزّته ولكـنّه أي صـاحب السّلطان أعلم بَموضعه من الخوف والحَذَر وحاصله أنّ الصّاحب يخاف من مَوضعه والنّاس يغبطونه ويتّمنُون مقامه ولنذكر لك بعض ما ذكروه في المقام:

قال مسلم بن عُمر لِمن خدم السّلطان، لا تغتّر بالسّلطان إذا أدناك ولا تتّغير منه إذا أقصاك وقال يحيىٰ بن خالد إذا صحبت السّلطان فداره مُداراة المـرأة العاقلة لصُحبة الزّوج الأحمق قال بعض الحُكماء ثلاثة لا يسلم عليها إلّا القليل صُحبة السّلطان، وإئتمان النّساء علىٰ الأسرار وشرب السّم علىٰ التّجربة، وقال الآخر قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطراً من صحب السّلطان، وقال الآخر أحقّ الأُمور بالتثّبت فيهما أُمور السّلطان فأنّ من صَحب السّلطان بغير عقلٍ فقد لبس شعار الغرور، وقيل، صُحبة السّلطان علىٰ ما فيها من العِزّ والثّروة وعظيمة الخَطَر، وقيل للعتابي لِمَ لا تصحب السّلطان علىٰ ما فيك من الأدب قال لأنّي رأيته يعطي عشرة آلاف في غير شئ ويرفي من السُّور في غير شئ ولا أدري أيّ الرّجلين أكونُ وقال معاوية لرجلٍ من قريش أيّاك والسّلطان فأنّه يغضب غَضَب الصّبي ويبطش بطش الأسد.

وقال عمر بن عَبد العَزيز لميمون بن مهران يا مَيمون إحفظ عنّي أربعاً، لا تصحبنّ السّلطان وأن أمرتّه بالمعروف ونهيته عن المنكر، ولا تخلون بإمرأةٍ وأن أقرأتها القرآن، ولا تّصل من قطع رحمه فأنّه لك أقطع، ولا تتكلّم بكلام اليوم تعتذر منه غداً.

أقول: وكم رأينا وبلغنا ممّن صحب السّلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدّين ليصلحه فَفَسد هو به:

ومَثَل من صحب السّلطان ليُصلحه مثَل من ذَهب ليُقيم حائطاً مائلاً فإعتَمد عليه ليُقيمه فخر الحائط عليه فأهلَكه:

ومُعاشر السّلطان شبه سفينةٍ
في البحر ترجف دائماً من خَوفه
أن أدخلت من مائه في جوفها
يغتالها مع مِلئها في جَوفه

ولنعم ما قيل :

أرىٰ المُلوك بأدنىٰ الدّين قد قنعُوا
ولا أراهم رَضوا في العَيش بالدّونِ
فأستغنِ بالدّين عن دنيا الملُوك كما
إستغنىٰ الملوك بدنياهم عن الدّينِ

٢٥٨

□ **قوله عليه السلام: أحَسِنُوا في عَقِبِ غَيرِكُمْ تُحفَظُوا فِي عَقَبكُم.**

أي كونُوا رُحَماء بِأبناء غَيرَكُم يَرَحم غَيركُم أبَنائكُم وهذا يظهر قوله صلى الله عليه وآله كما تُدين تُدان، قال اللّه تعالى: **﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانَ﴾** (١) وقال صلى الله عليه وآله مَن دَقَّ دُقّ.

١-الرحمان-٦٠)

وقال عمر بن عَبد العَزيز لميمون بن مهران يا مَيمون إحفظ عنّي أربعاً، لا تصحبنّ السّلطان وأن أمرتّه بالمعروف ونهيته عن المنكر، ولا تخلون بإمرأةٍ وأن أقرأتها القرآن، ولا تَصل من قطع رحمه فأنّه لك أقطع، ولا تتكلّم بكلام اليوم تعتذر منه غداً.

أقول: وكم رأينا وبلغنا ممّن صحب السّلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدّين ليصلحه فَفَسد هو به:

ومَثَل من صحب السّلطان ليُصلحه مثَل من ذَهب ليُقيم حائطاً مائلاً فإعتَمد عليه ليُقيمه فخر الحائط عليه فأهلَكه:

ومُعاشر السّلطان شبه سفينةٍ
في البحر ترجف دائماً من خَوفه
أن أدخلت من مائه في جوفها
يغتالها مع مِلئها في جَوفه

ولنعم ما قيل :

أرىٰ المُلوك بأدنىٰ الدّين قد قنعُوا
ولا أراهم رَضوا في العَيش بالدّونِ
فأستغنِ بالدّين عن دنيا الملُوك كما
إستغنىٰ الملوك بدنياهم عن الدّينِ

٢٥٨

□ **قوله ﷺ: أحَسِنُوا في عَقِبِ غَيرِكُمْ تُحفَظُوا فِي عَقَبِكُم.**

أي كونُوا رُحماء بِأبناء غَيرَكُم يَرَحم غَيركُم أبَنائكُم وهذا يظهر قوله ﷺ كما تُدين تُدان، قال اللّه تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحسانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [١] وقال ﷺ مَن دَقَّ دُقَّ.

١ - الرحمان - ٦٠

٢٥٩

□ **قوله عليه السلام: إِنَّ كلاَمَ الحُكَماءِ إِذَا كَانَ صَوَاباً كانَ دَوَاءً وإذا كانَ خَطَأً كانَ دَاءً.**

أي إنّ كلام الحَكيم إذا كان حقّاً مُوافِقاً للعَقل والشّرع فهو دَواءٌ لِجَهل الجاهِل إذا عَمَل به وإن كان خَطَأً باطِلاً كان داءً يحتاج الىٰ الدّواء أمّا الأوّل فواضح وأمّا الثّاني فلإنّ كلام الحَكيم يُعَمَل به لِكَونه صَدَر منه فإذا كان باطِلاً يُوجد الدّاء في الدّين والدّنيا وهذا بخلاف كلام غير الحَكيم إذا لا يُعَمَل به غالَباً حتّىٰ يترتّب الفساد عليه:

٢٦٠

□ **وسألهُ رجُلٌ أنْ يعرّفه الإيمان فقال** ﷺ: إِذا كانَ الغَدُ فأَتِني حتّىٰ أُخبَركَ علىٰ أَسْماعِ النَّاسِ فإِنْ نَسِيتَ مَقالَتي حَفِظَها عَلَيْكَ غَيْرُكَ فإِنَّ الكلاَمَ كالشَّارِدَةِ يَنْقُفُها هذَا ويُخْطِئُها هذَا.

قال الرّضي: وقد ذكرنا ما أجابه به فيما تقّدم من هذا الباب وهو قوله ﷺ: الإيمان علىٰ أربع شُعَب...

(دَعائم) كلام (٣٠) أقول (الشّاردة) الضّالة (يَنْقُفُها) أي يَجَدُها أي ومن النّاس من يجد حَلاوة الكلام فَيَحكُم بِصِدقه ومنهم من لَم يجدها فيحكُم بِكَذبه:

٢٦١

□ قوله عليه السلام: **يَا ابْنَ آدَمَ لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ علىٰ يَوْمِكَ الَّذِي قَدْ أَتَاكَ فإِنَّهُ أَنْ يَكُ منْ عُمُرِكَ يَأْتِ اللَّهِ فِيهِ بِرِزْقِكَ...**

أي ينبغي أن يكون الإهتمام بحاجة كلّ يوم مَخَصُوصاً بذلك اليَوم لأنّ رزق كلّ موجودٍ يَصَل اليه في يَومه مُضافاً الىٰ إنّ الإنسان لا يَعلم بِحَياته في الغَد وقد تكّفل اللّه تعالىٰ رِزق المَخلُوق حيث قال: **﴿وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون﴾**[1]

و: **﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِين﴾**[2]

و: **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا﴾**[3]

توكّل علىٰ الرّحمٰن في الأمر كلّه ... فما خاب حقّاً من عليه تَوكّلا
وكُن واثِقاً باللّه وأصبُر لِحُكمه ... تَفُز بالّذي ترجُوه منه تفضُّلاً

وقال الآخر:

إنّي رأيتُك قاعِداً مُستقبلي ... فَعَلِمتُ إنّك لِلهُموم قَرينٌ
هَوّن عَليك وكُن بربّك واثِقاً ... فأخو التّوكل شأنه التّهوين
طَرَح الأذىٰ عن نفسه في رِزقه ... لمّا تَيقن إنّه مَضمُون

١- الذّاريات ـ ٢٢
٢- الذّاريات ـ ٥٨
٣- هُود ـ ٦

٢٦٢

▫ قوله ﷺ: **أحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَى أنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْماً ما، وأبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْناً مَا عَسَى أنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْماً مَّا...**

الهَوْن، بفتح الهاء التّأني وهو صفة مصدرٍ محذوف أي حُبّاً هَيّناً مُعتَدِلاً، وكلمة **(ما)** في الموضعين تُفيد شيئاً ما في الهَون واليَوم، والمقصود لا تُبالغ في الحُبّ والبُغض فَعَسىٰ أن ينقلب كلّ واحدٍ منهما الىٰ ضِدّه فَصار المَحبُوب مَبْغُوضاً والمَبْغُوض مَحبُوباً وإذا كان كذلك لا مَحالة تعظم ندامتك علىٰ ما كُنت فيه وقَدِمت عليه فيهما:

٢٦٣

▫ قوله عليه السلام: النَّاسُ لِلدُّنْيا عَامِلاَنِ عامِلٌ عَمِلَ لِلدّنُيا قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْياهُ عَنْ آخِرَتِه يَخْشَىٰ علىٰ مَنْ يَخْلُفُهُ الفَقْرَ ويأمَنُهُ علىٰ نَفْسِه فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غيرِهِ، وَعامِلٌ عَمِلَ فِي الدّنْيَا لِمَا بَعْدَها فَجَاءَهُ الَّذِي لهُ منَ الدُّنْيا بِغيرِ عَمَلٍ فَأَحْرَزَ الْحَظَّيْنِ مَعاً وَمَلَكَ الزَّادَيْنِ جَمِيعاً فَأَصْبَحَ وَجِيهاً عِنْدَاللَّهِ لا يَسألُ اللَّهَ حاجَةً فَيَمْنَعَهُ...

أي إنّ النّاس في أعمالهم لِلدّنيا علىٰ صَنفَين، صَنفٌ منهم يَعمَل في الدّنيا لِلدّنيا من غير توجّهٍ له الىٰ آخرته إمّا لِعَدم الإعتقاد بها أو لِغفلته عنها وحُبّه لِلدُّنيا وكيف كان فَهو يَعمل لِلدّنيا ويجمع الأموال لاولادها مَخافة الفقر عليهم أو علىٰ نفسه وإذا كان الإنسان كذلك فهو في الحَقيقة يفني عُمره في منفعة غَيره لإنّه يَموت ولا ينتفع بما جَمَعه في الدّنيا فهو خازنٌ لِغَيره وصَنفٍ آخر يَعمل في الدّنيا لِلآخرة فلا ينظر الىٰ الدّنيا إلّا ويرىٰ فيها الآخرة فالدّنيا سببٌ ووسيلةٌ له لا مَقصدٌ وهَدَفٌ وهو مع ذلك يتنّعم بها بإقبالها عليه من حيث لا يَحتسب وهذا.

هو الّذي أحَرَز الحَظّين في الحَقيقة حَظّ الدّنيا وحَظّ الآخرة ومَلَك الزّادين كذلك وصار وَجيهاً في الدّنيا عند الله فَيُعطَه كلّما سَأله لِـمَكانه وقُربه اليه ومحصّل الكلام في المَقام هو إنّ طالب الدّنيا ربّما لا يَصل اليها وإن وَصَل اليها فهو في الحقيقة خازن لِغيره مُستأجر له وأمّا طالب الآخرة ربّما يكون جامِعاً

لِلدّنيا والآخرة وإن لم يكن كذلك فلا أقلّ من الآخرة وهيِ تكفيه لِكَونها باقية دائمة والدّنيا زائلة دائرة والعاقل لا يَختار الفاني ويترك الباقي وقد مرّ الكلام في الدّنيا وذَمّها وما ورد فيها من الآيات والأخبار وأقوال الحُكَماء بما لا مزيد عليه غير مرّةٍ في تضاعيف الكتاب فلا نُعيد الكلام بِذِكرها حَذراً من الإطالة وخَوفاً من المَلالة.

﴾٢٦٤﴿

□ وَرُوِيَ أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ في أيَّامِهِ حَلْيِ الكَعْبَةِ وَكثرتُهُ فقالَ قَوْمٌ لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهزْتَ بِهِ جُيوشَ المُسلمينَ كانَ أعْظَمْ للأَجْرِ وما تَصْنَعُ الكَعبةُ بالْحَلْي فَهَمَّ عمرُ بذَلِكَ وَسَألَ أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ عليه السلام: فقال عليه السلام:

إِنَّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله والأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ أَمْوَالُ الْمُسْلِمينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الوَرَثَةِ فِي الْفَرائِض، والْفَيْءُ فقَسَّمَهُ عَلىٰ مُسْتَحِقيهِ، وَالخُمسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقاتُ فَجعلَها اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَها وَكَانَ حَلْيُ الْكَعبَةِ فِيها يَوْمَئِذٍ فَتَرَكَهُ علىٰ حَالِهِ ولمْ يَتْرُكْهُ نِسْياناً ولَمْ يَخفَ عَلَيْهِ مَكاناًفأَقَرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَالَ لهُ عُمَرُ لوْلاَكَ لافْتَضَحْنا وَتَرَكَ الْحُلْيَ بِحالِهِ...

◁ **اللغة**

(**الحُلِيّ**) بضَم الحاء وتشديد الياء جمع حَلي بفَتح الحاء وتخفيف الياء إسم لكلّ ما يتزّين به من الذّهب والفِضّة وغيرهما (**الْفَرائِض**) بفتح الفاء جمع فَريضة بمعنىٰ الفَرْض تطلق علىٰ ما فَرض من الصّدقة وعلىٰ الحِصّة المفروضة في الإرث ولذلك قد يُعبر عن كتاب الميراث بكتاب الفَرائض وذلك لأنه يعّلم فيه كيفّية قِسمة التّركة علىٰ مُستحّقيها، ويُقال لِلورثة أصحاب الفَرائض (**الفَيْ**) بفتح الفاء وسكون الياء في الأصل الرّجوع الىٰ حالةٍ محمُودة

قال اللّه تعالىٰ: ﴿حَتّٰى تَفِئَ اِلىٰ اَمْرِ الله﴾ [1] أي ترجع الىٰ أمْرِه ومنه فاءَ الظِلّ، إذا رَجَع، ثمّ أُطلَق علىٰ الغَنيمة الّتي لا يلحق فيها مشقة فيٌ، قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَ مَا اَفَاءَاللّٰهُ عَلىٰ رَسُولِهِ﴾ [2] ولعلّ وجه تسميته الغَنيمة الّتي هي أشَرف أعراض الدّنيا بالفَيءِ لِكَونها تَجري مَجرىٰ ظِلٍّ زائلٍ كما قيل: (أرَىٰ المال أفياء الظّلال عَشّيةً):

◁ **والمعنىٰ**

إنّهم قالُوا لِعُمر بن الخطّاب وهو كان يومئذٍ خَليفة علىٰ المُسلمين لو أخَذتَ حِلّي الكَعَبة فَجَهّزت به جُيُوش المُسلمين بَبيعه وصَرفه فيها كان أعظم عند اللّه أجراً وذلك لأنّ الكَعبة لا تحتاج الىٰ الحُلّي فَعَزم عُمَر علىٰ ذلك وسَأل علّياً عمّا أراده وقَصَده، فقال – علّيٌ إنّ اللّهَ تعالىٰ أنْزَلَ القُرآن علىٰ نبّيه وجَعَل الأموال فيه أَربعة أقسام أحَدها الأموال الّتي جَمَعها الإنسان ثمّ مات فَقَسّمها اللّه تعالىٰ في كتابه بين ورَثَته وجَعَل لكلّ واحدٍ من الوُرّاث سَهماً مَفروضاً ولم يجعل لغيرهم فيه سَهَماً بحسب الفَرض:

وثانيها: الفيء أي الغَنيمة الّتي إغتَنمها المُسلمُون في حرُوبهم مع الكُفّار، فَقَسّمه تعالىٰ علىٰ مُستّحقيه أيضاً فقال تعالىٰ: ﴿ **وَمَا أَفَاءَ اللّٰهُ عَلىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مَنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلٰكِنّ اللّٰهَ يُسَلّطُ رُسُلَهُ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيٍّ قَدِيرٌ، مَآ أَفَآءَ اللّٰهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامىٰ وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَىْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِمِنْكُمْ وَمَا ءَاتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** [3]

وثالثها – الخُمُس فَوَضعه اللّه تعالىٰ حيث وَضَعه فقال: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمتُم مِن شَيٍ فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِإِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللّٰهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَىالْجَمْعَانِ**

---

١ - الحجرات ـ ٩
٢ –حشر ـ ٦
٣- الحشر ـ٧

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)

ورابعها: الصّدقات فَجَعلها اللّه حيث جَعَلها، فإن كانت الصّدقة واجبة كالزّكوة فقد بيّن اللّه تعالىٰ في كتابه حُكمها ومَوضعها وإن كانت مُستّحبة فأيضاً كذلك فقال في كتابه: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**(٢)

وتفصيل الكلام فيها مَوكُولٌ الىٰ محّله - ثمّ قال عليه السلام - بعد ذكره الأموال الأربعة في كتاب اللّه، وكان حُلّي الكعبة فيها يومئذٍ، أي يوم نزُول القُرآن وبيان أحكام الأموال فيه فتَركه اللّه علىٰ حاله، أي فَتَرك اللّه تعالىٰ حُلّي الكَعبة بحاله ولم يحكم فيه بشيءٍ في كتابه ولم يدخُله في الأموال المَذكورة بحسب الحُكم، ولم يَترُكه كذلك نِسياناً أي إنّ اللّه لم ينسىٰ الحُلّي ولم يخُف أي لم يَستُر علىٰ اللّه تعالىٰ مكان الحُلّي بل اللّه تعالىٰ كان واقفاً به فأقَره حيث أقَره اللّه، أمَرَ عليه السلام عُمَر بإثبات الحُلّي وإستقراره في مكانه الّذي أقَرّه اللّه وأثبته فيه فقال له أي لعلّي عليه السلام عُمَر، لولاك يا علّي لأفتَضحنا، أي لولا إرشادك وهِدايتك لأخذتُ الحُلّي من الكَعبَة ونقلته الىٰ بيت المال وكان ذلك مُوجباً لِفَضاحَتي إمّا لِقَولهم إنّ ابن الخطّاب كان جاهِلاً بالحُكم، وأمّا لِقَولهم إنّه أخَذَ الحُلّي لِنَفسه مثلاً، وثالثاً إنّ الرّسول لم يأخذه وعُمر أخَذَه وأمثال ذلك من الكَلَمات أقولُ ولذلك ورَدَ في الشّريعة، إسكُتوا عمّا سَكَت اللّه عنه:

١- الأنفال ـ ٤١

٢- التوبة ـ ٦٠

﴿٢٦٥﴾

روي إنّه دُفِعَ إليْهِ رَجُلاَنِ سَرَقا من مَالَ اللّهِ أحَدُهما عَبْدُ منْ مالِ اللّهِ وَالآخَرُ منْ عرْضِ النّاسِ.

▫ فقال ﷺ: أَمَّا هَذَا فهُوَ منْ مَالِ اللَّهِ وَلا حَدَّ عليْهِ مالُ اللَّهِ أكَلَ بَعْضُهُ بَعْضاً وأمَّا الآخَرُ فَعَلَيْهِ الحَدُّ فَقَطَعَ يَدَهُ...

ما ذكره ﷺ من الحُكم في حقّهما هو المُعتمد عند الشّيعة وأمّا العامّة فإنّهم لا يُوجبُون القَطَع وتوضيحه أنّ العَبد إذا كان من مال اللّه كأن يكون من الغنائم كما في المَفروض ثُمّ سَرَق من الأموال قبل القسمة شيئاً قلّ أو كَثُر لا حَدّ عليه وذلك لما ذكره ﷺ من أنّ مال اللّه أكَل بعضه بعضاً:

فأنّ العَبد والمال المسرُوق من مال اللّه تعالىٰ هذا اذا كان العَبد من مال اللّه وأمّا إذا كان من عُرض النّاس أي من سائرهم وعامّتهم وسَرَق من المَغنَم شيئاً فأنّه يُحدّ إذا كان ما سَرَقه زائداً عمّا يستّحقه من الغَنيمة وبَلَغ المال المَسرُوق حَدّ النّصاب في السّرقة وهو رُبع دينار وأمّا إذا كان ما سَرِقه أقلّ عمّا يستّحقه أو أقلّ من ربع دينار فلا حَدَّ عليه، وأمّا العامّة فأنّهم لا يُوجبُون الحَدّ عليه إذا سَرَق من المَغنَم قبل القِسمة سواء كان ما سَرَقه أكثر من حقّه أم أقلّ وعَلّلوه بأنّ مخالطة حقّه ومُمازجته للمسروق شبهة في الجملة تمنع من وجوب الحَدّ فأنّ الحدُود تُدرء بالشّبهات هذا أن كان لِلعَبد السّارق حقّ في الغَنيمة بأن يكون شهد القتال بإذن سيّده فأن لم يكن كذلك فأن كان لسيّده حَقّ لم يُحدّ أيضاً لأنّ حِصّته سيّده المشاعة تمنعه وأن لم يكن له حقّ ولا لسيّده بأن لَم يَشهدا القتال مثلاً وسَرَق من المَغنَم قبل القِسمة يجب قطع يَده كغيره وليتّحقق الحُكم موضع آخر:

٢٦٦

□ قوله عليه السلام: لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ المَدَاحِضَ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ...

المداحض المزالق وإستواء قَدميه كناية عن ثباته وتمكّنه من إجراء الأحكام الشّرعية علىٰ وجوهها في المسائل الإجتهادية المُشلكة التّي يخفي حكم الشّرع فيها علىٰ غيره وذلك لأنّه عليه السلام في خلافته لم يتّمكن من تغيير شئٍ من أحكام الخلفاء قبله وكان له في بعضها رأيٌ غير ما رأوه وإستعار عليه السلام لتلك المسائل لفظ المداحِض بإعتبار أنّها من مزالق أقدام العقُول ومَزالّها هكذا قالوا في شرح العبارة أمّا الشّارح المُعتزلي فقال في شرح العبارة ما لفظه:

لَسنا نشّك أنّه كان يذهب في الأحكام الشّرعية والقضايا الىٰ أشياء يخالف فيها أقوال الصّحابة نحو قطعه السّارق من رؤوس الأصابع وبيعه أُمّهات الأولاد وغير ذلك وأنّما كان يَمنعه من تغّير أحكام مَن تَقّدمه إشتغاله بحَرب البغاة والخَوارج والىٰ ذلك يُشير بالمداحِض التّي كان يؤمل إستواء قَدميه منها ولهذا قال لقضاته إقضوا كما كنتم تَقضون حتّىٰ يكون لِلنّاس جماعة، فلفظة (حتّىٰ) هٰيهنا مؤذِنةٌ بأنّه فَسح لهم في إتّباع عادتهم في القضايا والأحكام التّي يعهدونها الىٰ أن يَصير لِلنّاس جماعة وما بعد (الىٰ) و(حتّىٰ) ينبغي أن يكون مخالفاً لما قبلهما، فأنّا أصحابنا فيقولون أنّه كان فيما يحاول أن يحكم بين النّاس مُجتهداً ويجوز لغيره من المُجتهدين مُخالفته، والإمّامية تقول ما كان يحكم إلّا عن نصٌ وتوقيف ولا يجوز لأحدٍ من النّاس مُخالفته والقول في

صحّة ذلك وفساده فرعٌ من فروع مَسألة الإمامة انتهىٰ.

وأنا أقول: ما ذكره المُعتزلي بعضه صحيح وبعضه ليس بصحيح، أمّا الصّحيح منه فهو لَسنا نشّك أنّه عليه السلام كان يذهب في الأحكام الشّرعية والقضايا الىٰ أشياء يخالف فيها أقوال الصّحابة، وذلك لأنّه كان أعلم بالكتاب والسُنّة من جميع الصّحابة كائناً من كان ولا يخالفنا فيه إلّا المُتّعصب العَنيد وأمّا قوله وأنّما كان يمنعه من تغيّر أحكام من تقدّمه إشتغاله بحَرب البُغاة والخَوارج فهو في حيّز المَنع بل الّذي كان يَمنَعه منه هو عَدم مُوافقة النّاس الّذين أدّبهم أبو بكر ثُمّ عُمر ثُمّ عُثمان علىٰ خلاف سنّة الرّسُول فلو فَرضنا عَدم وقوع حَرب البُغاة والخَوارج أيضاً لم يقدر علىٰ تغيير البَدع الحادثة فيّ عَهد الخُلفاء قبله وذلك لأنّ أكثر النّاس كانوا علىٰ سنّة عُمر لا علىٰ سنّة رسُول بل كان عُمر أحَبّ الىٰ قلوبهم وأعَزّ عند نفوسهم من اللّه ورسُوله وهذا هو الّذي كان مانعاً له عليه السلام من تغيير بدَعهم لا حَرب الخَوارج والبُغاة مضافاً الىٰ أنّ تلك الحروب أيضاً كانت من ثَمرات هذه الشّجرة إذ لا يشّك عاقل في أنّ العِلّة والسَّبب من قتال النّاكثين والقاسطين والمارقين لم تكن إلّا إرشادهم الىٰ سنّة الرّسُول كما أنّ علّة مُخالفتهم له عليه السلام كانت إحياءه لسنّة رسُول اللّه وإعراضه عن سنّة أبي بكر وعُمر ألا ترىٰ أنّه عليه السلام لمّا قَسّم الأموال الموجودة في بيت المال بعد مَوت عثمان وتصّديه عليه السلام لخلافة المُسلمين علىٰ كتاب اللّه وسنّة رسُوله صار مَعرضاً لِلقَدح والطّعن من الصّحابة فقالوا فيه ما قالوا ولمّا عَزل معاوية عن إمارة الشّام صار معاوية مُخالفاً مُحارباً له ولمّا قطع سَهم عائشة وحَفصة عن بيت المال وجَعَلهما كغيرهما فَعَلت عائشة ما فَعَلت ثُمّ أوقَدَت نار الحَرب فقُتل فيها من قُتل ونُهب ما نُهب وهكذا فأن كان أمير المؤمنين تابعاً لسنّة الشّيخين وحَذىٰ حَذوهما لم يُخالفه معاوية وطلحة والزّبير وعائشة وغيرهم من المُفسِدين وهذا واضح وعليه فالمراد بالمداحِض في كلامه عليه السلام ليس ما ذكره المُعتزلي من حَرب البُغاة والخَوارج بل المراد بها البَدع التّي أحَدثُوها قبله في خلافتهم

فأنّها أي البَدع هي الّتي أوجَدت الخلاف والعِناد والتّشتت والإفتراق في حكُومته عليه السلام ثمّ صارت منشأ للحرُوب الواقعة في حلافته ولأجل ذلك عبّر عليه السلام عنها بالمداحِض الّتي هي بمعنىٰ المزالِق ومواضع الزّلات.

وأمّا ما ذكره المُعتزلي من أنّ عليّاً عليه السلام قال لقَضاته أقضوا كما كنتم تقضون حتّىٰ يكون لِلنّاس جماعة، فأنّه من منقولاتهم لتَصحيح مَذاهب خلفائهم ولا ربط له بمذهبنا ولم نَر ممّا ذكره في كتبنا عين ولا أثر وكان علىٰ الشّارح أن يَذكر الكتاب الّذي نقله منه نعم أنّه عليه السلام لم يقدر علىٰ تغيير بِدَعهم ومُحدثاتهم في حكُومته وهذا القدر ممّا لا خلاف فيه، وأمّا أنّه عليه السلام قال لقَضاته أقضوا الىٰ آخر الكلام المُستلزم لإمضاءه وإثباته ما كانوا عليه من الأباطيل والمَشي علىٰ خلاف سُنّة الرّسُول فهو أوّل الكلام ولتَحقيقه مقامآخر:

٢٦٧

◘ قوله عليه السلام: إِعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أَنْ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ وإِنْ عَظُمتْ حِيلَتُهُ واشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ وقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ أَكْثَر مِمَّا سَمَّىٰ لَه فِي الذِّكْرِ الحَكِيمِ ولَمْ يَحُلْ بيْنَ العَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وقِلَّةِ حِيلَتِهِ وَبَيْنَ أنْ يَبْلُغَ ما سَمَّىٰ لَهُ فِي الذِّكْرِ الحَكيمِ والعَارِفُ لهذَا العَامِلُ بِهِ أعظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعةٍ والتَّارِكُ لهُ الشَّاكُّ فيهِ أعَظَمُ النَّاسِ شُغْلاً في مَضَرَّةٍ .وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بالنُّعْمىٰ وَرُبَّ مُبْتلًي مَصْنُوعٌ لهُ بالْبَلْوَى .فَزَدْ أَيُّها المُسْتِمعُ في شُكْرِكَ وقَصِّرْ منْ عَجَلَتِكَ وقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقَكَ .

◁ الشرح

أشار عليه السلام بهذا الكلام الىٰ أصلين هما أساس السّعادة في الدّنيا والآخرة:

الأصل الأوّل أنّ حرص الحريص في الدّنيا لجمع الأموال ليس بنافعٍ له، وثانيهما أنّه ربّما تكون النّعمة للإبتلاء والإختبار في الدّنيا فلا ينبغي الإغترار بها والإعتماد عليها والغفلة عن مُنعمها وكذلك ضدّها:

أمّا الأصل الأوّل: فأشار عليه السلام به في قوله **إعلَمُوا عِلماً يَقيناً** الىٰ قوله **في مَضّرةٍ** وحاصل كلامه عليه السلام في هذا المقام هو أنّه قد ثَبت بالبراهين العقلّية والدّلائل الشّرعية أنّ لِلعَبد رزقٌ مَحتُوم مَقسُوم معّين في علم اللّه تعالىٰ وقد أخبَر بهذا المعنىٰ في كتابه فقال: **﴿وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون﴾**(١)

١ - الذّاريات ـ ٢٢

و: ﴿وَيكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ (١)

و: ﴿إِنَّ اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ (٢)

و: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ (٣)

وعليه فما قدَّر اللّه تعالىٰ للعَبد من الرّزق المَحتوم المَقسُوم فهو يصل اليه لا محالة قوّياً كان العَبد في طلبه أو ضعيفاً والىٰ هذا المعنىٰ أشار ﷺ بقوله **انّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ وإنْ عَظُمتْ حِيلَتُهُ واشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ أَكْثَر مِمَّا سَمَّىٰ** اللّه تعالىٰ وقَدَّره في الذّكر الحكيم كما أنّه تعالىٰ لم يَحُل بين العَبد الضّعيف وبين ما سَمّىٰ له فيه أيضاً وهذا ممّا لا خلاف ولا إشكال فيه بحَسب ما يستفاد من الآيات والأخبار ويُؤيّده الحِسّ والتّجربة أيضاً وقد مَرّ الكلام في ذَمّ الحِرص غير مَرّةٍ فيما مضىٰ بقي في المقام شيئ ينبغي التّنبيه عليه وهو أنّه إذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فما معنىٰ الدّعاء في طلب الرّزق والمَفروض أنّه مَقسُوم مُقَدر فالبحث في مقامين:

أحدهما: أنّ الرّزق مقسُوم.

وثانيهما: أنّه أيّة فائدةٍ في الدّعاء وطلب الرّزق بأيّ نحوٍ كان:

أمّا المقام الأوّل: فتَدَل عليه الآيات والأخبار، أمّا الآيات فقد مضىٰ شطراً منها وفيه كفاية:

وأمّا الأخبار: **فقد روي في البحار عن ابن عبّاس قال قال رسُول اللّه ﷺ أيّها النّاس أنّ الرّزق مَقسُوم لَن يَعدوا إمرؤاً ما قَسم له فأجملوا في الطّلب وأنّ العُمر محدُود لَن يتّجاوز أحَد ما قُدّر له الحديث...**

وروي أيضاً عن ابن مسعود عنه ﷺ قال قال اللّه تبارك وتعالىٰ يابن آدم يؤتي كلّ يومٍ برزقك وأنت تَحزن وينقص كلّ يومٍ من عُمرك وأنت تَفرح أنت فيما يَكفيك وتطلب ما يطغيك لا بقليلٍ تَقنع ولا من كثيرٍ تَشبع انتهىٰ...

١- القصص ـ٨٢ | ٢- النّحل ـ٧١

٣- العنكبوت ـ١٧

وبأسناده عن الحُسين عليه السلام أنّه قال لرجلٍ ياهذا لا تجاهد في الرّزق جهاد الغالب ولا تتّكل علىٰ القَدر إتّكال مستسلمٍ فأنّ إتّباع الرّزق من السُنّة والإجمال في الطّلب من العِفّة وليست العِفّة بمانعة رزقاً ولا الحرص بجالب فضلاً وأنّ الرّزق مقسُوم والأجل محترم وإستعمال الحِرص عن طلب المأثم انتهىٰ...

وبأسناده عن الصّادق عليه السلام قال أن كان اللّه تبارك وتعالىٰ قد تكّفل بالرّزق فإهتمامك لماذا وأن كان الرّزق مقسُوماً فالحرص لِماذا وأن كان الحساب حقّاً فلا جمع لِماذا وأن كان الخلف من اللّه حقّاً فالبُخل لِماذا الخبر...

وبأسناده عنه عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ الرّوح الأمين جبرئيل أخَبَرني عن ربّي تبارك وتعالىٰ أنّه لَن تموت نفس حتّىٰ تستكمل رزقها فإتّقوا اللّه وأجملوا في الطّلب انتهىٰ «بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٠» والأحاديث هناك كثيرة جدّاً وفيما نقلناه كفاية لأُولي الدّراية:

المقام الثّاني: في أنّه أيّة فائدة في طلب الرّزق بالدّعاء وغيره إذا كان مَقسُوماً كما هُو المَفروض إعلم أنّ طلب الرّزق واجب علىٰ العَبد لازم له إذا كان قادراً علىٰ الطّلب بفعله وعَمَله لوجهين:

أحَدهما: أنّ اللّه تعالىٰ خَلق الخَلق وجَعَل لهم أرزاقاً بحسب ما رأه من المَصلحة قلّ أو كَثُر إلّا أنه تعالىٰ جَعَل الأرزاق في الطّلب لها ولذلك حثّ النّاس في الشّريعة المقدّسة علىٰ التّجارة والزّراعة وغيرهما ولعلّه لِما فيه من حِفظ النّظام وعمران الدّنيا وإيجاد الأُنس بين النّاس وحُسن المُعاشرة وغيرها من الوجوه المترتبة علىٰ الفِعل والإنفعال لِلنّاس:

وثانيهما: أنّه يظهر من الأخبار أنّ الرّزق قسمان قسمٌ يَطلب العَبد وقسمٌ يطلبه العَبد والّذي لا يحتاج الىٰ الطّلب والجدّ هو الأوّل وأمّا الثّاني فيحتاج اليه:

روي في البحار عن رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه قال الرّزق يطلب العَبد أشدّ من

أجَلَه وقال ﷺ الرزّق يطلبه العبد كما يطلبه أجَلَه، وقال ﷺ لو أنّ أحدكم فرَّ من رزّقه لتبَعه كما يتبعه المَوت، وقال ﷺ لأبي ذرّ لو أنّ إبن آدم فَرَّ من رزقه كما يفَرّ من المَوت لأدركه رزقه كما يدركه الموَت، وقال علّي عليه السلام:

دَع الحِرص علىٰ الدّنيا وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فلا تدري لِمَن تجمع
ولا تدري أَفي أرضك أم في غيرها تزرَع
فأنّ الرّزق مقسومٌ وكَدُّ المَرء لا يَنفَع
فقيرٌ كلّ من يَطمَع غنيٌّ كلّ من يَقنَع

هذا في الرزّق الّذي يطلبك ويصل إليك لا محالة وأمّا الرزّق الّذي لا يصل إليك إلّا بالطّلب فالأخبار فيه أيضاً كثيرة:

روي في البحار قال رسُول اللّه ﷺ طلب الحلال فريضة علىٰ كلّ مُسلمٌ ومُسلمة، وقال ﷺ العبادة سبعون جزء أفضلها طلب الحلال، وقال ﷺ العبادة عشرة أجزاء تسعة أجزاءه في طلب الحلال.

وعن ابن عبّاس قال كان رسُول اللّه ﷺ إذا نظر الىٰ الرّجل فأعجبَه قال هل له حِرفَة فأن قالوا لا سَقَط من عيني قيل وكيف ذاك يارسُول اللّه ﷺ لأنّ المؤمن إذا لم يكن له حِرفة يعيش بدينه وقال من أكل من كَدّ يَده مَرَّ علىٰ الصّراط كالبرق الخاطف، وقال ﷺ من أكَل من كدّ يده نظر اللّه اليه بالرّحمة ثمّ لا يعذّبه أبداً وقال عليه السلام من أكَل من كدّ يده حلالاً فتح اللّه له أبواب الجنّة يدخل من أيها شاء، وقال من أكَل من كَدّ يده كان يوم القيامة في عداد الأنبياء ويأخذ ثواب الأنبياء، وقال ﷺ من إكتَسَب مالاً من غير حِلّه كان زاده الىٰ النّار، وقال ﷺ قال اللّه عزّ وجلّ من لَم يبال من أيّ باب إكتَسَب الدّينار والدّرهم لَم أُبال يوم القيامة من أيّ أبواب النّار أدخلتَه، وقال علّي عليه السلام للمؤمن ثلاث ساعات فساعةٌ يناجي فيها ربّه وساعة فيها يرّم معاشه وساعة يخلّي بين نفسه وبين لذّتها فيما يحلّ ويحمل وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلّا

في ثلاث، مرّمة لمعاشٍ، أو خطوة في معادٍ، أو لذّة في غير محرّمٍ:

وعن الصّادق عليه السلام قال ثلاثة يَدعُون فلا يستجاب لهم رجلٌ جَلَسَ عن طلب الرّزق ثمّ يقول اللّهم أرزقني يقول اللّه تعالىٰ أَلَم أجعل لك طريقاً الىٰ الطّلب الحديث وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الكّاد علىٰ عياله كالمُجاهد في سبيل اللّه والأخبار كثيرة« ج ٢٣ ص ٦»...

وينبغي أن يكون الطّلب في رزق الحلال فأنّ الرّزق كما يكون في الحلال كذلك يكون في الحرام فقد رويَ عن الصّادق عليه السلام عن آبائه قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ الرّوح الأمين جبرائيل أخبرني عن ربّي تبارك وتعالىٰ أنّه لن تموت نفس حتّىٰ تستكمل رزقها فإتّقوا اللّه وأجمِلوا في الطّلب وأعلموا أنّ الرّزق رزقان فرزقٌ تطلبونه ورزقٌ يطلبكم فأطلبوا أرزاقكم من حلال فأنّكم تأكلوها حلالاً أن طلبتمُوها من وجوهها وأن لَم تطلبُوها من وُجوهها أكلتمُوها حراماً وهي أرزاقكم لابدّ لكم من أكلَها انتهىٰ ص ١٠.

فظهر ممّا ذكرناه من الأخبار أن الطّلب المأمور به لتحصيل الرّزق هو طلب الرّزق الحلال وأمّا الحرام فلا وأنّ الرّزق قد يكون في الحرام كما يكون في الحلال إلّا أنّ الرّزق الحرام منُوط بَطلبه فَمن زَعم أنّ اللّه تعالىٰ قَدَّر للعبد رزقاً حراماً فقد أخطأَ اللّهم أن يُراد بالتّقدير علمه تعالىٰ وهو لا ينافي إختيار العبد في كسب الحرام والتّعيُّش منه بإرادته ومَيلَه وقد فصّلنا الكلام في بحث القضاء والقَدَر ما ينفعك في المقام فراجعه إن شئت:

وأمّا الدُّعاء فأنّه يزيد في الرّزق وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّه لَطلب الزّيادة لِمن أرادها، قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ألا أدلّكم علىٰ سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدّر أرزاقكم قالوا بلىٰ يا رسُول اللّه قال تدعون ربّكم باللّيل والنّهار فأنّ سلاح المؤمن الدّعاء انتهىٰ« ج ١٩ ص ٣٧»...

وقال الصّادق عليه السلام أنّ اللّه جَعَل أرزاق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا وذلك أنّ العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كَثُر دعاءه انتهىٰ« ص ٣٧»...

وحيث إنّا قد تكلّمنا في الدّعاء والآثار المتّرتبة عليه فيما مضىٰ فلا نطول الكلام بذكره ثانياً.

الأصل الثّاني: في بيان أنّ النّعمة والنّقمة قد تكون لِلإبتلاء والإختبار وقد مرّ الكلام فيه أيضاً غير مرّةٍ في تضاعيف الكتاب ومع ذلك نُشير الىٰ ما لابدّ منه في المقام بطريق الإجمال فنقول يقع البحث هنا في مقامين:

المقام الأوّل: في المُنعِم عليه، والمقام الثّاني في المُبتلىٰ به أمّا المقام الأوّل فإعلم أنّ المراد بالنِّعمة في المقام ليس نِعمة المال فقط بل المراد بها مطلق النِّعمة سواء كانت مالاً أو مقاماً أو صحةً أو عافيةً أو غيرها من النِّعم الإلٰهِية الّتي أن تعدّوها لا تحصوها فقوله عليه السلام وربّ مُنعِمٌ عليه مُستدرجٌ بالنّعمىٰ يشمل كلّها وقد يثبت وجوب الشّكر عليها عقلاً وشرعاً وهذا أعني وجوب الشّكر بمعناه العامّ الشّامل للشّكر اللّفظي والعَمَلي والقَلبي والحالي يدّل علىٰ أنّ العَبد يكون مُختبراً بالنِّعمة قال اللّه تعالىٰ:**﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾**(١) و: **﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾**(٢)

و: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً﴾**(٣)

و: **﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**(٤)

روي في مشكاة الأنوار عن سعدان بن يزيد قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام أنّي أرىٰ من هو شديد الحال مضيقاً عليه العيش وأرىٰ نفسي في سعةٍ من هذه الدّنيا لا أمُدّ يدي الىٰ شيءٍ إلّا رأيت فيه ما أحُبّ وقد أرىٰ من هو أفضل منيّ قد صَرَف ذلك عنه فقد خشيتُ أن يكون لي إستدراجاً من اللّه لي بخطيئتي فقال عليه السلام أمّا مَع الحَمد فلا واللّه انتهىٰ ص ٢٨.

وأمّا المقام الثّاني: وهو قوله عليه السلام: **وربّ مُبتلي مصنوعٌ له بالبَلوىٰ،** فالإبتلاء أيضاً يُراد به معناه العامّ الشّامل للفَقر والمَرض والمُصيبة وغيرها فأنّ اللّه

١- النّحل ـ ١١٤.
٢- النّحل ـ ٨٣
٣- إبراهيم ـ ٢٨
٤- البقرة ـ ٢١١

تعالىٰ يبتلي العَبد بها للإختبار أيضاً:

قال اللّه تعالىٰ:﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِالصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾(١)

و : ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِيَبْلُوَكُم فِي مَآ أَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾(٢)

رُوي في مشكاة الأنوار عن أبي عبد اللّه ﷺ قال قال المَسيح ﷺ النّاس رجُلان مُعافي ومُبتلي، فأحمدوا اللّه علىٰ العافية وأرحمُوا أهل البلاء انتهىٰ «ص ٢٨».

ولذلك قال ﷺ فَزِد أيّها المُستمع في شُكرك وقَصِّر من عَجَلتك وقف عند مُنتهىٰ رزقك أي أصبر عليه والأمر واضح بحَمد اللّه:

---

١ - البقرة -١٥٥

٢- الأنعام -١٦٥

﴿٢٦٨﴾

▫ **قوله ﷺ: لا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً وَيَقِينَكُمْ شَكاً إذا عَلِمْتُمْ فأعْمَلُوا وإِذا تيَقَّنْتُمْ فأقْدِمُوا...**

وذلك لأنّه من لَم يظهر أثر عِلمه في عَمله فكأنّه جاهل وعلمه لم يزد على الجَهل شيئاً ومن لَم يظهر أثر يَقينه في عزيمته وفِعله فكأنّه شاك مُتردد إذ لو صحّ اليَقين ما مَرض العَزم وهو واضح:

٢٦٩

□ قوله عليه السلام: **إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيرُ مُصْدِرٍ وَضَامِنٌ غَيرُ وَفِيٍ ورُبما شَرِقَ شارِبُ الماءِ قَبْلَ رَيِّهِ وكُلَّما عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْ‌ءِ المُتَنافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ والأَمانِيُّ تُعْمِي أعيُنَ البَصَائِرِ والحَظُّ يأتي مَنْ لا يأتِيهِ.**

◁ الشرح

الطَّمَعَ بفتح الطّاء والميم التّوقع من النّاس في أموالهم وهو من شُعب حُبّ الدّنيا ومن أنواعه ومن الرّذائل المُهلِكة وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً غير مرّةٍ وقد أشار عليه السلام في المقام الیٰ أمورٍ:

أحدها: أنّه أي الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيرُ مَصْدِرٍ، والمُورد والمُصدِر بضّم الميم فيهما إسماً فاعلٍ من أوَرَد يُورد وأصَدَر يُصدر ومصدرهما الإيراد والإصدار والمعنیٰ أنّ الطّمع يُورد الإنسان في الهَلَكة ومع ذلك هو أي الطّمع غير مُصدرٍ أي لا يَصدُر عنه شئ فكأنّه يمكُر بالإنسان:

وثانيهما: أنّه ضامنٌ غير وفيّ أي أنّ الطَّمَع ضامن لا يفي بعَهده وضمانته وربّما شرق شارب الماء قبل ريّه، الرِّي ضدّ العَطَش والمقصود أنّ الطّامع يشبه الظّمآن فربّما شَرق بالماء عند الشّرب قبل أن يرتوي به وربّما هَلَك الطّامِع في الطّلَب قبل الإنتفاع بالمطلُوب وذلك لأنّه كلّما عَظُم قدر الشّئ المُتنافس فيه الّذي يَطمَعه الطّامِع عَظُمت الرّزية والمُصيبة لِفَقده:

وثالثها: أنّ الأماني والآمال تُعمي أعيُن البَصائر، أي أنّ الإنسان بسبب طَمَعه

في أموال النّاس تحصل له الأماني والأماني تُعمي أعَيُن البَصائر فأنّ الإنسان إذا كان له أمَلٌ بَعيد فقد عَميت عين بَصيرته فيرىٰ بالباصرة ولا يرىٰ بالبَصيرة وقوله ﷺ: **والحَظ يأتي من لا يأتيه**، معناه أنّ مَن له حَظٌ يصل اليه لا محالة وأن لم يَسع في طلبه بسبب الطَّمَع فَعن أبي عبد اللّه ﷺ **قال أروَح الرّوح اليأس عن النّاس**، وعنه ﷺ **قال طلب الحَوائج الىٰ النّاس إستلابٌ للعِزة ومذهبة للحياء واليأس ممّا في أيدي النّاس عِزٌّ للمؤمن في دينه والطّمَع هو الفَقر الحاضر** «مشكاة الأنوار ص ١٨٤» ولنعم ما قيل فيه:

ويَطمَع في سوف ويَهلك دُونها　　　وكم من حريصٍ أهلكته مَطامعه

وقال الآخر:

لا تَغضبنّ علىٰ إمرؤٍ　　　لَك مانعٌ فيما يَديه

وإغضب علىٰ الطَّمَع الّذي　　　إستدعاك تَطلب ما لَديه

٢٧٠

◻ قوله عليه السلام: **اللَّهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ أنْ تُحَسِّنَ فِي لامِعَةِ الْعيُونِ عَلاَنِيَتي وتُقَبِّحَ فِيما أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتي مُحَافِظاً علىٰ رِثاءِ النَّاسِ منْ نَفْسي بِجَمِيع ما أنْتَ مُطّلِعٌ عليهِ مِنِّي فأُبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي وأُفْضِي إلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي تَقَرُّباً إلىٰ عِبَادِكَ وتَباعُداً من مَرْضاتِكَ...**

◁ الشّرح

إستعاذ باللّه تعالىٰ علىٰ أن يُظهر اللّه تعالىٰ حُسن ظاهره مع تَقبيحه ما في باطِنه وسريرته وقوله عليه السلام: **مُحافظاً**، حال من الياء في سَريرتي أي حال كون ذلك لأجل رثاء النّاس ومَدحهم أيّاي بجميع ما أنت مُطّلع عليه من قُبح السّريرة وقوله عليه السلام: **فأبدي لِلنّاس حُسْنَ ظَاهِرِي** إلىٰ آخر الكلام بمنزلة النّتيجة لأنّ الفاء للتّفريع أي لازم ذلك هو أن أكون حَسَن الظّاهر عند النّاس وقبيح الباطن عندك فأكون مُقّرباً عند النّاس ومُبّعداً مِن مرضاتك ومحصّل الكلام إستعاذ عليه السلام باللّه أن يجتمع له حُسن الظّاهر في عيُون النّاس مع قُبح باطنه عند اللّه بالرِّياء والتّصنّع بالزّهادة، والعبادة الظّاهرة لغاية طلب الدّنيا فأنّ ذلك داءٌ مُهلِك أعاذنا اللّه منه:

٢٧١

□ قوله عليه السلام: لا والَّذِي أَمْسَينْا مِنْهُ في غُبْرِ لِيْلَةٍ دَهْمَاءُ تَكْثِرُ عَنْ يَوْمٍ أغَرَّ مَا كانَ كذَا وكذَا...

◁ اللّغة

(الغُبْرِ) بضّم الغين وسكون الباء علىٰ وزن قُفل بقيّة الشّيْ، يقال غُبر اللّيلة أي بقيّتها (دَهْمَاءَ) بفتح الدّال وسكون الهاء السَّوداء (تَكْثِرُ) مضارع كَشَر والكَشر الظّهور يقال كَشَر عن أسنانه كَضَرب، أي أبداها في الضّحك (أَغَرَّ)بفتح الهَمزة والغين، أبيض الوَجه والمعنىٰ أنّه عليه السلام أقَسَم باللّه الّذي أمَسىٰ بتقديره في بقيّة لَيلَةٍ سَوداء تفجر عن فجرٍ ساطع أيضاً ما كان كذا وكذا وفي بعض النُّسخ، غُبّر، بضمّ الغين وفتح الباء المُشدّدة والمعنىٰ واحد:

٢٧٢

▫ قوله ﷺ: قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجىٰ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ...

أيّ أنّ العَمَل إذا كان قليلاً وأنت تدُوم عَلَيه فهو أرجىٰ لك من عملٍ كثير صَدَر عنك عن ملالةٍ إمّا لأنّ القليل من العَمَل في صورة المُداومة يكون أقوىٰ إعداداً للنّفس من الكَثير المُمِل فأنّه يُوجب ملالة النّفس وإنضجارها.

وإمّا لأنّ في الكثير المُمِل خوَف التّرك بالكّلية بخلاف القليل الّذي تدوم عليه.

وإمّا لأنّ العبادة إذا صَدَرت عن مَلالةٍ وسأمٍ لا أَثَر لها لأنّها كالعبادة عن جَبرٍ واللّه تعالىٰ يريد العبادة من العَبد عن مَيله وإختياره:

٢٧٣

قوله عليه السلام: إذا أضَرَّتِ النَّوَافِلُ بالْفَرائِض فارْفُضُوها...

اللّغة

النّوافل بفتح النّون جمع نافلة وهي مُشْتقة من النَّفَل بمعنىٰ الزّيادة وبهذا سُمّيت النافلة من الصّلٰوة لأنّها زيادة علىٰ الفَرض.

والنّوافل من الصّلٰوة ما لا عقاب علىٰ تركه وفي فعله ثواب، والفَرائض ما في فعله ثواب وفي تركه عقاب ويُعبّر عن النّوافل بالمُستَحبات والمَندُوبات وعن الفَرائض بالواجبات والمعنىٰ أنّ النّوافل أعني بها المَستَحبات إذا كان الإتيان بها مُوجباً لترك الفَرائض أو نقصها فأرفضُوها أي فأرفضُوا النّوافل والسِّر فيه هو أنّ النّوافل شُرِّعت لتكميل الفَرائض فإذا أضّرت بها فلا مَوقع لها أصلاً وذلك مثل أن يعلم الإنسان أنّه لو أتىٰ بصلٰوة اللّيل تفوت عنه صلٰوة الصُّبح أو ينقص منها شيئ ففي هذه الصّورة ترك صلٰوة اللّيل أولىٰ وهكذا الكلام في كلّ مُستّحب إذا زاحَم الواجب وأضّر به وهو معلوم لا خفاء فيه.

﴿٢٧٤﴾

□ **قوله ﷺ: مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ...**

أي من كان مُتَوجهاً الىٰ بُعد السَّفَر فلا محالة يستَعَدّ له بتحصيل الزّاد وغيره ممّا يحتاج اليه السَّفَر هذا في الأسفار الدّنيوية مشهُودٌ ومَحسُوسٌ فضلاً عن كونه معلوماً:

وأمّا السَّفَر الأبعد من كلّ سَفرٍ أعني به سَفر الآخرة فهو أولىٰ وأَلْيَق بتحصيل الزّاد والإستعداد له كما قال إمامنا المُجتبىٰ لجنادةٍ، ياجُنادة إستَعِد لِسَفرك وحَصّل زادك قبل حلول أجَلك، وقال عليٌ في بعض كلماته، رحم اللّه إمرؤٌ أعَدَّ لنفسه وإستَعَد لِرَمسِه وعَلِم مِن أينَ وفي أينَ والىٰ أينَ، وقد مَرّ الكلام في المَوت وما يتَّعَلق به:

٢٧٥

□ قوله ﷺ: لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كالمُعايَنَةِ مَعَ الإِبْصَارَ فَقَدْ تَكَذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَها ولا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ ...

المَراد بالرَّوِيَّةُ الرَّوِيَّةُ القلّبية بعَين البَصيرة وبالمُعاينة مَعَ الأبصار الرّؤية الحِسّية بعين الباصرة فقال ﷺ: لَيست الرّؤية أي القلّبية كالرّؤية الظّاهرة وذلك لأنّ الباصرة قد تكذب أي تخطئ وأمّا القلّبية الحاصلة من الإيمان بنُور المَعرفة لا تَغش صاحبها أصَلاً ولا تكذبه، والسّر في خطأ الباصرة هو أنّ الرّؤية فيها مُستندة الىٰ الحِسّ وأمّا الرّؤية القلّبية فهي مُستندة الىٰ العَقل والإيمان بنُور المَعرفة وقوله ﷺ: مَن إستَنصَحه إشارة الىٰ أنّ العَقل لا يغشّ من طلب منه النّصيحة وقبلها وأمّا من لم يطلبها منه فلا، والىٰ هذه الرّؤية أشار ﷺ في بعض كلماته ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت اللّه قبله وبعده ومَعَه، وقوله ﷺ لَم أعَبد ربّاً لَم أرَه وأمثال ذلك وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً:

٢٧٦

□ قوله ﷺ: بَينكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجابٌ مِنَ الْغِرَّةِ...

الغِرّة، بكسر الغين وتشديد الرّاء الغَفلة، وقيل الغرُور والمعنىٰ أنّ الدُّنْيَا بشَهَواتها ولذّاتها حجاب بين العَبد وبين المَوعِظة وذلك لأنّ الإنسان يغتّر بها فلا يقبل المَوعِظة لينتفع بها وأمّا من لَم يغتّر بها لإيمانه وعرفانه بها فهو يتّعظ وينتفع قطعاً.

﴿٢٧٧﴾

▫ **قوله عليه السلام: جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ وعالِمُكُم مُسَوِّفٌ...**

أي أنّ جَاهِلَكُمْ يغالي ويَزداد في العَمَل علىٰ غير بَصيرةٍ وعالمكُم مُسَوِّفٌ أي يُسَّوف بعَمَله ويُؤَخره عن أوقاته ويقول سأفعل ذلك أو سأتوب وأمثال ذلك فهو غافل عن المَوت الّذي يأتيه بغتةً وبئس الحال هذه فأنّ لازم ذلك هو فساد الجامعة بالكّلية:

﴿٢٧٨﴾

□ قوله عليه‌السلام: قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ...

قالوا أي أنّ العِلم بالدّين قَطَع عُذر مَن عساه يقول إنّا كُنّا عن هذا غافلين فأنّ الشّيء إذا كان معلوماً فقد قَطَعَ العلم به عُذْرَ أصحاب التّعليل، ويمكن أن تكون العبارة المُتّعلمين بالميم وعليه فالمعنىٰ أنّ المُتَعلم لا عُذر له يوم القيامة بأن يقول مثلاً ما علمتُ إذ يقال له هلاّ تَعَلِّمت، والحاصل أنّ طريق الوصول الىٰ العلم واضح لا خفاء فيه لِلمُتّعلل والمُتّعلم:

﴿٢٧٩﴾

▫ **قوله ﷺ: مَا قالَ النَّاسَ لِشَيٍّ طُوبَىٰ لهُ إلَّا وقدْ خَبَّأَ لهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سُوءٍ...**

قد مَرّ الكلام في كلمة طُوبىٰ مُفصّلاً وكلمة (ما) في قوله ﷺ: **ما قال**، نافية، والمعنىٰ ما قال النّاس لشيءٍ طُوبَىٰ له إلّا وقد سَتر له الدّهر يَوم سُوء وفيه إشارة الىٰ خِسّة الدّنيا وأنّ في كلّ نعمةٍ فيها نقمة وهذا بخلاف نِعم الآخرة فأنّ فيها دوامٌ بلا زوال وسرورٌ ولذّة بلا بؤس:

٢٨٠

□ قوله ﷺ: كُلٌّ مُعاجَلٌ يَسألُ الأَنْظَارَ وَكُلٌّ مُؤَجَّلٌ يَتَعلَّلُ بالتَسْوِيفِ...

قال بعض الشّراح، كلٌّ بالتّنوين في المَوضعين مُبتدأٌ والمُعاجَل بفتح الجيم خبَره في الأوّل والمُؤجّل بفتح الجيم وتشديدها خَبره في الثّاني والتّقدير، كلّ واحدٍ من النّاس مُعاجَل أي يَستَعجله أجَلَه وهو لا يدري ويطلب الأنظار والتّأخير وكلّ واحدٍ منهم قد أجّل اللّه عُمره وهو لا يَعمل عَملاً بل يَتَعَلّل بتأخير الأجل والفُسحة في مُدّته وتمكّنه من تدارك الفائت في المستقبل انتهىٰ.

وذهب الأخرون الىٰ أنّ كلمة كُلّ لا تنوين فيها بل هي في المقامين مُضافة الىٰ مابعدها والمعنىٰ كلّ مُعاجَلٍ يسأل الأنظار والإمهال فيقول: (**ربِّ أرجعُون لَعلّي أعمل صالحاً فيما تركت**) وكلّ مُؤجّلٍ فأنّه يُعَلّل نفسه بالتّسويف ويقول سَوف أتوب سوف أقلَع ما أنا فيه فأكثرهم يختبر من غير أن يبلغ هذا وتأتيه المَنية وهو علىٰ أقبح حالٍ إنتهىٰ.

وأنا أقول: المعنىٰ الثّاني هو الحقّ وذلك لإنّ هذا الحُكم لا يصّح أن يكون علىٰ سبيل الكّلية فإنّ الأنبياء والأوصياء والأولياء ليسُوا كذلك وإنّما هو شأن أكثر النّاس وعليه فأن قلنا بالأوّل يلزم الكِذب في العِبارة وأمّا الثّاني فَليس كذلك لإنّ الحُكم ثابت لِمَن كان كذلك ولا إشكال فيه:

٢٨١

□ **قوله ﷺ: (وسُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ) طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلاَ تَسْلُكُوهُ وُبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلاَ تَلِجُوه وسِرُّ اللَّهِ فَلاَ تَتَكَلَّفُوهُ...**

القَدَر بفتح القاف والدّال علىٰ قول الفَلاسفة عِبارة عن ثبُوت صُور جميع المَوجُودات في العالَم النّفسي علىٰ الوجه الجُزئي مطابقة لِما في موادّها الخارّجية الشَخصية مُستندةٌ الىٰ أسبابها وعِللها واجبةٌ بها لازمة لأوقاتها المُعيّنة ويشملها العِناية الأُولىٰ الإلٰهية شمُول القَضاء لِلقَدر، والقَدر لِما في الخارج، كما إنّ القضاء علىٰ قولهم عِبارة عن وجُود الصّور العقلية لجميع المَوجُودات بإبداع الباريْ إيّاها في العالم العقلي علىٰ الوجه الكلّي بلا زمان، ونحن قد تكلّمنا في القَضاء والقَدر في بحث الجَبر والتّفويض والأمر بين الأمرين مفّصلاً فلا نعد الكلام بالبَحث فيه ثانياً فإنّ ما ذكرناه هناك يُغنيك عن مُراجعتك الىٰ غير هذا الكتاب وأمّا قوله ﷺ: **طريق مُظلم** الىٰ آخر ما قال فهو صَحيح مَتين جدّاً فإنّا لم نجد من الفلاسفة ولا من غيرهم مَن وَلَج في هذا البَحث الخَطير وخرج عنه سالِماً صَحيح الفِكر والإيمان إلّا مَن تشّبث في هذا البَحث بما ورَد عن المعصُومين وقال بما قالوا وسَكَت عمّا سكتُوا عنه:

□ قوله عليه السلام: إِذَا أَرْذَلَ اللَّهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْم...

◁ اللغة

: (أرْذَلَ) أي جَعَله رَذِلاً (حَظَرَ) أي مَنَع – والمعنىٰ إنّ اللّه تعالىٰ إذا أرَذَل عَبداً، أي جَعَله رَذِلاً مَبَغُوضاً مَنفُوراً مَنَع عليه العِلم أي جَعَله مَبَغُوضاً اليه والسِّر فيه هو إنّ العِلم أفضَل النِّعم وأشَرف المَوهُوبات وأفضَل الكمالات بل لا كمال في عالم الوجود أفضَل منه كيف وعليه مَدار الوُجود والإيجاد وبه قامت السّموات والأرضين واليه ترجع الصِّفات الكمّالية بأجمَعها وقَد وصَف اللّه تعالىٰ نفسه به في كثيرٍ من الآيات وحيث قد ثَبت إنّ العِلم أفضَل الأشياء وأشَرف النِّعم عنده فلا جُرم لا يُعطيه إلّا لِمن كان مَحبُوباً مُقّرباً لَديه فإنّ العِلم نورٌ يقذفه اللّه في قلب من يشاء فقال تعالىٰ:﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ﴾ (١) شرّف اللّه تعالىٰ آدم بتَعليمه إيّاه الأسماء وقال تعالىٰ:﴿ علّم الإنسان ما لَم يَعلَم﴾ (٢) وقال:﴿ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ (٣)

و : ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ امَنُوا وَ الَّذينَ أُوتُو الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾ (٤) من الآيات، ونحن قد تكّلمنا في العِلم وشَرَفه وذكرنا الآيات والأخبار وكلمات الحُكَماء فيه مفّصلاً غير مرّةٍ في هذا الكتاب وما كان هذا شَرَفه فَمَن حُظِر عليه العِلم فهو من أرَذَل النّاس وأخبَثهم وأسَوَأهَم حالاً في الدّارين.

١- البقرة ـ ٣١
٢- العَلَق ـ ٥
٣- البقرة ـ ٢٤٧
٤- المّجادلة ـ ١١

٢٨٣

□ قوله عليه السلام: كانَ لِي فِيما مَضَى أَخٌ في اللَّهِ وكانَ يُعْظِمُهُ في عَيْنِ صِغَرُ الدُّنْيا في عَيْنِه وكانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِه فَلاَ يَشْتهِي مَا لا يَجِدُ وَلا يُكْثِر إِذَا وَجَدَ .وكانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صامِتاً. فإِنْ قالَ بَذَّ القَائِلِينَ ونَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلينَ وكانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فَإِنْ جَاءَ الجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ غاب وصِلُ وادٍ لا يُدْلِي بحُجَّةٍ حتّىٰ يأْتِيَ قاضِياً كانَ لا يَلُومُ أحَداً علىٰ ما يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ وكانَ لا يَشكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ وكانَ يَقُولُ مايَفْعَلُ ولا يَقُولُ ما لا يَفْعَلُ، وكانَ إِذَا غَلَبَ علىٰ الكلاَمِ لَمْ يَغْلِبْ علىٰ السُّكُوتِ، وكانَ عَلىٰ ما يَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ علىٰ أَنْ يَتَكلَّمَ .وَكانَ إذا بَدَهَهُ أمْرَانِ يَنظُرُ أَيُّهُما أقْرَبُ إلىٰ الهَوَى فَخالَفَهُ .فَعلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَلاَئِقِ فألزَمُوا وتَنافَسُوا فِيها فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوها فأعْلَمُوا إِنَّ أَخْذَ القَلِيل خَيرٌ منْ تَرْكِ الكَثيرِ...

◁ اللغة

(بَذّ) البَذّ بفتح الباء وسكون الذّال المُعجمة الغَلَبة، وفي بعض النّسخ (بَدّ) بالدّال المُهملة وهو الكَف والمَنع (نَقَعَ) النَّقع إزالة العَطَش يُقال نَقع الغليل، أي أزال العَطَش (لَيْثُ) اللّيث الأسَد (غابٍ) الغاب جمع غابة وهي الشّجر الكثير المُلتّف يَستَوكِر فيه الأسَد (صِلُّ وادٍ) الصِلّ بكسر الصّاد وسكون اللاّم المُشّددة الحَيّة والوادي معرُوف (يُدْلِيْ) بضّم الياء مضارع أدْلىٰ يقال أدْلىٰ بحُجّته أحْضرها (بُرْئِهِ) البُرء بضّم الباء الصّحة (بَدَهَهُ) أي فَجائَه:

◁ الشَرح

قد أختلف النّاس في المعنىٰ بهذا الكلام فقيل هو أبو ذرّ الغفاري وقيل هو عثمان بن مظعون وقيل هو عمّار بن ياسر ولا يَهمّنا البحث في تَعيين الأخ وأنّه من هُو وأنّما المُهّم لَنا أوصافه الّتي ذكرها في كلامه عليه السلام والخصال الّتي أثبتها له في المقام ونحن نتكلّم في كلّ واحدٍ منها:

أحدها قوله عليه السلام: **وكانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِ صِغَرُ الدُّنْيا فِي عَيْنِه.**

وفيه أشار عليه السلام الىٰ أنّه أي الأخ كان عَظيماً في عَيني قَدراً ومنزلةً وذلك لأنّ الدّنيا كانت في عَينه أي في عَين الأخ صغيرة وترتيب القياس هكذا أنّ الدّنيا كانت صغيرة في عَينه وكلّ من كانت الدّنيا في عَيْنه صغيرة فهو عظيمٌ عندي فهو عظيمٌ عبدي، والسِّر فيه هو أنّ الدّنيا لا تكون صغيرة إلّا في عين الزّاهد الحقيقي المُعرض عنها بشراشرها وحيث أنّ الأخ كان كذلك فهو في عَيني عظيمٌ محبوبٌ:

وثانيهما قوله عليه السلام: **وكانَ خَارِجاً مِنْ سُلْطَانَ بَطْنِه فَلا يَشْتَهِي مَا لا يَجِدُ وَلا يُكْثِر إذا وَجَدَ.**

وهذا هو الوصف الثّاني له وحاصله أنّ الأخ لم يكن بطنه مُسلطاً عليه بأن يأكل كلّما يجده من الطّعام والشّراب بل كان خَارِجاً من حكومة بطنه عليه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يُكثِر في الأكل إذا وَجَدَ فقوله عليه السلام لا يشتهي ما لا يجد إشارة الىٰ عدم كونه حريصاً طامعاً وقوله عليه السلام لا يُكثر إذا وَجَدَ إشارة الىٰ أنّه كان قانعاً بأدنىٰ الطّعام وَأقلّه وقد قال الصّادق عليه السلام لرجلٍ وهو يَعظه إقنَع بما قَسم اللّه لك ولا تنظر الىٰ ما عند غيرك ولا تتّمن ما لَستَ نائله فأنّه من قَنَع شَبَع ومن لم يَقنع لم يشبَع وخُذ حَظّكَ من آخرتك إنتهىٰ.

وقال أبو جعفر عليه السلام أيّاك أن تطمح بَصرك الىٰ ما هو فوقك فكثيراً ما قال اللّه عزّ وجلّ: **﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾** وقال: **﴿لا تمدّن عَينيك الىٰ ما متّعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدّنيا﴾** فأن دَخلَك منزلك شئ فأذكر عيش رسُول اللّه

ﷺ فأنّما كان خُبزه الشّعير وحلواه التّمر ووقوده السّعف إذا وَجَده إنتهى «مشكاة الأنوار ص ١٣٠»...

وثالثها قوله ﷺ: وكانَ أكْثرَ دَهْرِهِ صامِتاً فإنْ قالَ بَذَّ القائِلِينَ ونَقَعَ غَلِيلَ السّائِلينَ.

وَصَفه ﷺ بكونه صامِتاً أكْثَر دَهْرِهِ وذلك لأنَ الصّمت ممدوح في الجملة قال رسُول اللّه ﷺ السّكوت ذَهَب والكلام فِضّة، وقال الرّضا ﷺ أنّ الصّمت باب من أبواب الحِكمة يكسب المحبّة وأنّه دليل على كلّ خير، وعَنه ﷺ قال إتّقوا اللّه وعليكم بالصّمت، وعنه ﷺ قال ما أحسَن الصّمت من غير عيٍ والمِهذار له سَقَطات، وعن الباقر ﷺ أنّ شيعَتنا الخُرس، وقال رسُول اللّه ﷺ رحم اللّه عَبداً قال خيراً فغنم أو سَكَت عن سُوء فَسَلِم،« مشكاة الأنوار ص ١٧٥»...

وحيث أنّ الصّمت بقولٍ مطلق لا يجوز كما هو واضح بل لابدّ في بعض الموارد من التكّلم وقد يجب قال ﷺ فأن قال بَذَّ القَائِلينَ أي غَلَبهم في الكلام أو كَفَّهم عن القول لِما في كلامه من الحِكَم والمواعِظ، ونَقَع غليل السّائلين: أي أنّه بكلامه كان مُزيلاً لِعَطش السّائلين كما أنّ الماء يُزيل العَطَش عن الظّمآن ومُلخصّ الكلام أنّه كان صامتاً في الأكثر فأن قال كذا وكذا.

ورابعها قوله ﷺ: وكانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعَفاً فإنْ جاء الجِدُّ فَهُوَ لَيْثٌ غابٍ وصِلٌ وادٍ لا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حتّى يأتِيَ قاضِياً:

الضَعف بفتح الضّاد وسكون العين خلاف القُوّة يقال ضَعُفَ فهو ضعيفٌ قال اللّه تعالى: ﴿**ضَعُفَ الطّالب والمطلوب**﴾ ثمّ أنّه قد يكون في النّفس وقد يكون في الجِسم والحال، وأمّا الإستضعاف فمعناه عدّ الرّجل ضعيفاً يقال تَضعّفَه وإستَضعَفه أي رآه أو عَدّه ضَعيفاً والرّجل في كلامه ﷺ كان كذلك ومَعَ ذلك فأن جاء الجدّ فهو ليثُ غاب أي أسَدٌ في مكانه وصِلٌ وادٍ أي هو حَيّة الوادي والتّقدير هو كالليث وكالصِّل فَحُذِفَ حرف التّشبيه أو أنّه هو وهي

مبالغةٌ والحاصل أنّ ضَعف جِسمَه لا يدّل علىٰ ضَعف قُدرته في الهيجاء كما قيل بالفارسية:

بــزرگ است رُوحــم تــواناست قلبم
اگـــر چــه بــه تــن لاغــر ونــاتوانــم

وخامسها قوله ﷺ: لا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حتّىٰ يأتِيَ قاضِياً.

وهو كناية عن عَدله وأنّه مِمّن يَضَع الشّئ محلّه،

وسادسها قوله ﷺ: لا يَلُومُ أحَداً علىٰ ما يَجِدُ الْعُذْرَ في مِثْلِهِ حَتّىٰ يَسْمَعَ إعْتِذَارَهُ.

أي كان لا يَلُومُ أحَداً في فعلٍ يصّح في مثله الإعتذار إلّا بعد سِماع العُذر وأمّا قبله فلا وبعبارةٍ أُخرىٰ كان يقبل العُذر بعد سماعه فيما يصّح الإعتذار فيه فأنّ العُذر عند كرام النّاس مقبولٌ:

وسابعها قوله ﷺ: وكانَ لا يَشكُو وَجَعاً إلّا عِنْدَ بُرْئِهِ.

أي أنّه كانَ لا يَشكُو فِي حال المَرَض وذلك لكونه منافياً لِلرّضا والتّسليم وأمّا بعد البُرء منه فلا إشكال فيه لأنّه حينئذٍ حِكاية لا شِكاية:

وثامنها: قوله ﷺ: وكانَ يَقُولُ مَا يَفْعَلُ ولا يَقُولُ ما لا يَفْعَلُ.

وهو أيضاً من محاسِن الأخلاق وأحسَن الصِّفات قال اللّه تعالىٰ: **﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون﴾** (١) وفيه قيل:

إذا قـلتَ فـي شيٍ نِـعم فأتـمّه ... فأنّ نِعم دَينٌ علىٰ الحُـرّ واجبُ
وإلّا فـقُل لا تستـرح وتَـرح بـها ... لئَـلا يَـقول النّـاس أنّك كـاذبُ

وقال الآخر:

لأن جَمع الآفات فالبُخل شـرّها ... وشَرٌ من البُخل المواعيد والمَطل
ولا خير في وعدٍ إذا كـان كـاذباً ... ولا خير في قولٍ إذا لم يكن فَعل

وتاسعها قوله ﷺ: وكانَ إذا غَلَبَ علىٰ الكلاَمَ لمْ يَغْلِبْ علىٰ السُّكُوتِ.

١- الصّف ـ٣.

فالمقصود أنّه كان يترك المُماراة والمجادلة والغلبة في الأقوال ويَعدل الىٰ السّكوت إذا غُولب في القول وذلك لِعلمه بموقع السّكوت والكلام ووجه الفضيلَة فيه هو قهره لقوّته الغضّبية في المغالبة:

وعاشرها قوله ﷺ: وكانَ علىٰ مَا يَسْمَعُ أحْرَصَ مِنْهُ عَلىٰ أَنْ يَتَكلَّمَ.

وذلك لوجود الآفات والسّقطات في الكلام وأمّا السّماع فليس فيه خَطر وزِلّة وبعبارةٍ أُخرىٰ ربّ كلامٍ يوجب خُسران الدّارين وقد مرّ البحث في مَضّرات الكلام ومحاسِن السُّكُوت هذا أوّلاً، وثانياً أنّ في الإستماع والسّماع فوائد كثيرة ليست في الكلام منها زيادة العِلم، ومنها الإتّعاظ بالمَواعِظ والنّصائح، ومنها معرفة المتكلّم بكلامه، ومنها الوقوف علىٰ مضّار الكلام ومحاسِنه وغير ذلك من الأُمور.

حادي عشرها قوله ﷺ: وكانَ إِذا بَدَهَهُ أمْرَانِ يَنْظُرُ أيُّهُما أقْرَبُ إلىٰ الهَوَىٰ فَخالَفَهُ.

أي أنّه جَعَل ملاك الحقّ فَخالَفَةُ الهَوَىٰ وعَدمه فكلّ أمرٍ كان مخالفاً لهواه أخَذَ به وكلّ أمرٍ كان موافقاً لهواه تَرَكه، وذلك لِما قال رسُول اللّه ﷺ **حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النّار بالشّهوات:**

ثمّ قال ﷺ **فَعلَيْكُمْ بهَذِهِ الْخَلائِقِ فألزَمُوا وتَنافَسُوا** أي وأرغِبوا فيها فأن لم تستطيعوها أي أن لم تَسْتَطِيعُوا أن تَتخلقُوا بجَميعها فَاْعْلَمُوا أنَّ أخْذَ القَلِيل خيرٌ منْ تَرْكَ الكَثيرِ فأنّ الميسُور لا يُترك بالمعسُور وما لا يُدرك كلّه لا يُترك كُلّه: **﴿لايُكَلّفُ اللّهَ نَفْساً إلاّ وُسْعَهٰا﴾**(١) وحيث إنّا قد تكلّمنا في هذه الأُصول في تضاعيف الكتاب مفصّلاً إكتفينا في المقام بهذا الإجمال.

١ البقره ٢٨٦

﴿٢٨٤﴾

▫ **قوله عليه السلام: لوْ لَمْ يَتَوَعِدَّ اللَّهُ علىٰ مَعْصِيَتِه لَكانَ يَجِبُ أنْ لا يُعْصَىٰ شُكْراً لِنِعْمِه...**

التَّوعُّد مصدر قولك تَوَّعد يَتَوَعد مثل تصَّرف يَتصَّرف ومصدره التَّـوعُد بمعنىٰ الوَعيد والإخافة والتَّهديد وأمثال ذلك والمقصود هو أنَّ اللّه تعالىٰ لَو لَم يتَّوَعد عباده علىٰ مَعصيّته بأنواع العذاب في القيامة لكن يجب أن لا يُعصىٰ فضلاً عن أنّه توعّدهم عليه وذلك لأنّه تعالىٰ مُنعِمٌ علىٰ عباده وكلّ مُنعم يجب شكره علىٰ المُنعَم عقلاً، فاللّه تعالىٰ يجب شكره علىٰ عباده والشّكر الوَاقعي ينافي المَعصية لأنّها من الكُفران، وما ذكره عليه السلام دليل علىٰ صحّة قولهم بوجوب شكر المُنعِم كما مرّ الكلام فيه في المُجلّد الأوّل وغيره من الموارد والحاصل أنّه يجب علىٰ العَبد أن يَشكر خالقه الّذي أنَعَم عليه ولا نعني بالشّكر إلّا طاعته وترك معصيته فإذا كان ترك العصيان من لوازم الشّكر بدليل العَقل فَتركه في صُورة التَّوَعُد أوَلىٰ.

٢٨٥

□ قوله عليه السلام: وَقَد عزّىٰ الأشعَث بن قيس عن إبن له:

يا أَشْعَثُ إِنْ تَحْزَنْ علىٰ ابْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّحِمُ، وإِنْ تَصْبِرْ فَفي اللَّهِ منْ كلِّ مُصيبَةٍ خَلَفٌ، ياأَشعَثُ إِنْ صَبَرْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ القَدَرُ وَأَنْتَ مأجُورٌ، وإِنْ جَزِعْتَ جَرَىٰ عَلَيْكَ القَدَرُ وَأَنْتَ مأزُورٌ، إِبْنُكَ سَرَّكَ وَهُوَ بَلاَءٌ وفِتْنَةٌ، وحَزَنَكَ وهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ) .

◁ اللّغة

(عَزَّىٰ) بفتح العين والزّاء المُشدّدة فعل ماضٍ مصدره التّعزية بمعنىٰ التّسلية يقال عَزّىٰ الرّجل أي سلاّه:

(خَلَفٌ) الخَلَف محّركة ما يقوم مقام الشّيئ وقد يُعبّر عنه بالعِوَض (مأجورٌ) إسم مفعول من الأجر (مأزورٌ) أصله مَوزُور وهو مفعول من وَزَر يَزرُ مثل وَعَد يَعدُ فهو مَوعُود، ثُمّ بُدّل الواو الهَمَزة فصار مأزُور ليُناسب المأجُور وَزناً وإزدواجاً ومعناه من يرتكب الذّنب:

◁ الشّرح

قد مَرّ الكلام في نَسَب الأشعَث بن قيس الكِندي وقلنا هناك أنّه كان من أعداء أمير المؤمنين عليه السلام ومَع ذلك كان رئيس المُنافقين وقد ثَبت مُشاركته ابن مُلجم في قتله عليه السلام وكيف كان لمّا مات إبنه عَزّاه أمير المؤمنين وقال له ياأشَعث

إن تَحزن عليٰ إبنك فقد إستّحقت منك ذلك الرَّحِم أي إستّحقت الرَّحم الحُزن عليه ولا بأس به ولا قَدح فيه فأنّ الأولاد بمنزلة الأكباد والحُزن عليه في مَوته أمرٌ فِطريٌ غرَيزيّ يشمل كلّ إنسانٍ، وأن تَصبر عليٰ مَوته ففي اللّه من كلّ مُصيبةٍ خَلَفٌ يقوم مقامها وهو الأجر الجَزيل للصّابرين في الآخرة لقوله تعالىٰ: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. اَلَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ (١)

ياأشَعث إن صَبرت عليٰ المُصيبة فقد جَرىٰ عليك القَدَر والحال أنّك مأجورٌ مُثاب وأن لم تَصبر أيضاً جَرىٰ عليك القَدَر من غير أجرٍ وثواب فعليٰ كلا التّقديرين لا تقدر عليٰ تغيير القضاء والقَدَر إذ لا رادّ لقضاءه فالأحسن الصّبر والرّضا برضاءه تعالىٰ ثُمّ قال ﷺ إبنك سرك وهو بلاء وفِتنة لقوله تعالىٰ: ﴿**أنَّما أمْوالُكُمْ وأوْلادكُمْ فِتْنَةٌ**﴾ وحَزنك في مَوته وهو أي الحُزن ثوابٌ لك ورَحمة: عن أبي جَعفر ﷺ قال ما من عَبدٍ يصاب بمُصيبةٍ فيَسترجع ذكر المُصيبة ويصبر حتّىٰ تَفجائه إلّا غَفَر اللّه له ما تَقدّم من ذنبه وكلّما ذكر مُصيبة فأستَرجع عند ذكره المُصيبة غَفَر له كلّ ذنبٍ إكتَسبه بينهما انتهىٰ...

وعنه ﷺ قال من عَزّىٰ حَزيناً كُسي في المَوقف حلّة يحيىٰ بها انتهىٰ...

وعن مهران، قال كَتب رجل الىٰ أبي جعفر ﷺ يشكو اليه مصابه بولده وشدّة ما دَخله فَكتب ﷺ اليه أما علمتَ أنّ اللّه يختار من مال المؤمن ومن ولده أنفَسه ليأجره عليٰ ذلك انتهىٰ...

وقال الصّادق ﷺ من كَثُرت ذنوبه ولَم يجد ما يُكفّرها به إبتلاه اللّه عزّ وجلّ بالحُزن في الدّنيا ليُكفّرها به فأن فَعَل ذلك به وإلّا عَذّبه في قَبره فيلقىٰ اللّه عزّ وجلّ يوم يلقاه وليس شئ يشهد عليه بشئٍ من ذنوبه انتهىٰ...

وقال رسُول اللّه ﷺ أنّ اللّه يحبّ كلّ قلبٍ حَزين انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ٢٧٨»...

---

١ - البقرة- ١٥٥/١٥٦

٢٨٦

□ قوله ﷺ: على قبر رسُول الله ﷺ ساعة دَفنه:

إِنَّ الصَّبرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عنْكَ وَإِنَّ الجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنَّ المُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ...

◁ الشّرح

قد مَرّ الكلام في الصّبر وما يتّرتب عليه من الأجر بحَسب الآيات والأخبار غير مرّةٍ فيما مضىٰ وقلنا هناك أنّه عبارة عن ثبات النّفس وعَدم إضطرابها في الشّدائد والمَصائب بأن تقاوم مَعَها بحيث لا تَخرجها عن سِعة الصّدر وما كانت عليه قبل ذلك من السّرور والطّمأنينة وقَد عَرّفه المحقق الطّوسي ﷺ بأنّه حبس النّفس عن الجَزَع عند المَكروه وهو يمنع الباطن عن الإضطراب، واللّسان عن الشّكاية:

والأعضاء عن الحَركات غير المُعتادة، وكيف كان لا شّك في حُسنه عقلاً ومَدحه شَرعاً كيف وهو منزل من منازل السّالكين ومقام من مقامات المُوحدين وبه ينسلك العَبد فيّ سِلك المُقربين ويصل الىٰ جوار ربّ العاليمن وقد أضاف اللّه أكثر الدّرجات والخَيرات اليه وذكره في نيّف وسبعين مَوضعاً من القرآن ووَصَف اللّه الصّابرين بأوصاف فقال تعالىٰ: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾**(١)

١- السّجدة-٢٤

و : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ (١)
و : ﴿ لَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢)
و : ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ (٣)
و : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤)
و : ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٥)

وأمّا الأخبار الواردة في شأنه ومَدحه فأكثر من أن تُحصىٰ:

قال رسُول اللّه ﷺ الصّبر نصف الإيمان:

وقال ﷺ من أقلّ ما أُوتيتم اليَقين وعزيمته الصّبر ومن أعطىٰ حَظّه منهما لم يُبال ما فاته من قيام اللّيل وصيام النّهار الحديث وقال ﷺ الصّبر كنزٌ من كنُوز الجنّة، وسُئل ﷺ عن الإيمان فقال الصّبر والسّماحة، والأحاديث كثيرة« جامع السّعادات ج ٣ص ٢٨١»...

ولأجل هذا قال عليه السلام أنّ الصّبر لَجميلٌ وهذا ممّا لا خلاف فيه أنّما الكلام في الإستثناء حيث قال عليه السلام إلّا عنك، وهكذا الكلام في الجَزَع فأنّه مذمومٌ قبيح لكونه ضدّ الصّبر وقانون الضّدية يقتضي قُبحه ولكِنّ الكلام في الإستثناء أيضاً حيث قال عليه السلام والجَزَع لَقبيحٌ إلّا عليك وتقرير الإشكال هو أنّ الصّبر لو كان حَسناً جَميلاً في حدّ نفسه والجَزَع أيضاً يكون قبيحاً في حدّ نفسه فكيف يصّح الإستثناء منهما إذ لازمه أن لا يكون الصّبر عنه ﷺ حَسناً مَمدُوحاً ويكون الجَزَع عليه صَحيحاً معقُولاً مشرُوعاً وهو كما ترىٰ أمّا الشّارح المُعتزلي فَلَم يتكلّم فيه أصلاً إمّا لِعَدم تَنبّهه ووقوفه عليه وإمّا لجَريه علىٰ دأبه في المُشكّلات وهو أنّ السّكُوت فيها أوْلىٰ وأمّا الشّارح البحراني رحمه الله فقد تصّدىٰ لرفع الإشكال وقال ما لفظه:

وأنّما كان الصّبر غير جميلٍ في المُصيبة به ﷺ والجَزَع عليه غير قبيح لأنّه أصل الدّين والقُدوة فيه فالجَزَع في المُصيبة يستلزم دوام تَذكرة المُستلزم

١- الأعراف ـ١٣٣
٢- النّحل ـ٩٦
٣- القصص ـ٥٤
٤- الزمر- ١٠
٥- الانفال ـ٤٦

لدوام ذكر أخلاقه وسُننه وسِيرته فكان غير قبيح من هذا الوَجه أو لأنّ المُصيبة به ﷺ مُصيبةٌ عظيمة وهو أعَظَم نائب فيُستَحسن الجَزَع عليه وأمّا الصَّبر فأنّه يؤول الىٰ الغَفلة عنه فكان غير جميل من هذا الوَجه وقد تَعرِض لِلفضيلة القُبح من بعض الإعتبارات ولِرّذيلة، الحُسن من وجهٍ انتهىٰ بألفاظه وعباراته:

أقول، ماذكره ﵀ لا بأس به بل هو وجهٌ وَجيه وعندي وجه آخر مُضافاً عليه ولعلّه أوَجه وأحَسَن وحاصله أنّ الصَّبر علىٰ المُصيبة جميل حَسن والجَزَع عليها قبيحٌ لأنّ لِللّه تعالىٰ في كلّ مُصيبةٍ خَلَف يقوم مقامها في الدّنيا والآخرة فإذا مات الوَلَد مثلاً يمكن أن يرزقك اللّه ولَداً آخر قام مقامه بلىٰ أحَسَن وأكَمَل مِمّن فات وأن لم يرزقك في الدّنيا بَدلاً قام مقامه ففي الآخرة يُعطيك من الثّواب ما هو أحَسَن ممّا فات عنك ولأجل هذا فالصّبر عُدّ جَميلاً والجَزَع قبيحاً وهذا ظاهر:

وأمّا فيما نحن فيه فليس كذلك لأنّ فقدان النّبي ومُصيبته أعَظم من كلّ شئٍ اذ لا شئ في الدّنيا والآخرة يقوم مقامه ضرورة أنّ الرّسُول ﷺ لا يُوازيه شئ ولا يقاس به أحَد وعليه فالصَّبر عنه ﷺ لا حُسن فيه من حيث هو وأن كان فيه حُسنٌ شرعاً وأنّ الجَزَع عليه لا قُبح فيه كذلك هذا بحَسب الظّاهر المُستفاد من العبارة من حَمل الصَّبر والجَزَع علىٰ المعنىٰ المُتَعارف منهما وأمّا إن حَملناهما علىٰ ما يلزم منهما من النّسيان والإعراض والغفلة وأمثالها كما فَعَله البحراني ﵀ فالأمر أوَضَح وكيف كان فكلامه ؑ مُشعر بعِظَم المُصيبة وأنّه لا مُصيبة أعَظَم منها:

وقد وَرَد عن الباقر ؑ قال أن أصَبتَ بمُصيبة في نفسك أو مالك أو ولدك فاذكر مُصابك برسُول اللّه ﷺ فأنّ الخلائق لم يُصابوا بمثله قطّ:

وعن رجل عن أبيه لمّا أُصيب أمير المؤمنين ؑ بَعثني الحَسن الىٰ الحُسين ؑ وهو بالمَدائن فلمّا قَرأ الكتاب قال يالَها من مُصيبة مَع أنّ رسُول اللّه ﷺ قال من أُصيب منكم بمُصيبةٍ فليَذكُر مُصابه بي فأنّه لَن يُصاب بمُصيبةٍ أعَظَم منها وصَدَق ﷺ انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ٢٧٩»...

٢٨٧

▫ قوله عليه السلام: لا تَصحَبِ الْمَائِقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ ويَوَدُّ أنْ تَكُونَ مِثْلَهُ...

المائِق، الاحَمق نهىٰ عليه السلام عن مصاحبته وعلّله بأنّه أي المائِق يُزَين لك فِعله الّذي صَدَر عن حُمقه وجهالته ويَوّد أي يُحبّ الأحَمق أن تكون مثله وذلك لأنّه إن لَم يقدر علىٰ أن يكون مثلك لأنّ داء الجَهل لا دواء له فهو قادر علىٰ تزّيين فِعله في عَينيك حتّىٰ يَجعَلك مثله وقد مَرّ نظير هذا الكلام منّه فيما مضىٰ:

قال إبن الأعرابي الحماقة مأخوذة من حَمقت السّوق إذا كَسَدت فكأنّه كاسد العقل والرّأي فلا يُشاوَر ولا يُلتَفت اليه في الأُمور والحُمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داءٌ دواءه المَوت كما قيل:

لكــلّ داءٍ دَواءٌ يُسـتّطب بـه ... إلّا الحماقة أعَيت مَن يُداويها

قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الأحَمق أبَغض الخَلق الىٰ اللّه تعالىٰ اذ حَرَمه أعزّ الأشياء عليه وهو العَقل وقد قالوا في علاماته وصفاته من حيث الأفعال أنّه لا ينظر الىٰ العواقب، ويثق بمن لا يعرفه، ويُعجب بنفسه، ويُكثر في الكلام، ويُسرع في الجواب، وتكثر منه الإلتفات، ويستعجل في الأُمور متّصفٌ بالخفّة والسّفه والظّلم والغفلة والسّهو والخُيلاء، إن إستَغنىٰ بَطَر، وإن إفتَقر قَنط وإن قال أفَحَش، وإن سَأل ألَحَّ وأن قال لم يُحسن، وأن قيل له لم يفقه، وأن ضحك قهقه وأن بكىٰ صَرخ وهكذا...

وأنت ترىٰ أنّه أن إعتبرنا هذه الخصال وجدناها في كثير من النّاس فلا يكاد يعرف العاقل من الأحمق ولذلك قال عيسىٰ عليه السلام عالَجتُ الأبـرص والأكـمه فأبرأتهما وعلَجتُ الأحمق فأعياني، والسّكُوت عن الأحَمق جـوابـه، ونَـظَر بعض الحُكماء الىٰ أحَمق علىٰ حَجَرٍ فقال حَجَرٌ علىٰ حَجَرٍ، حُكي أنّ أحَمقين إصطحبا في طريقٍ فقال أحدهما لِلآخر تعال نتّمن علىٰ اللّه فأنّ الطّريق تُقطع بالحَديث فقال أحدهما أنا أتّمنىٰ قطائع غَنم أنتفع بلَبَنها ولَـحمها وصُـوفها، وقال الآخر أناأتَّمَنىٰ قطائع ذئابٍ أُرسلها علىٰ غَنمك حتّىٰ لا تَترك منها شيئاً قال وَيحك أهَذا من حقّ الصُّحبة وحُرمة العشرة فتَخاصما وإشتّدت الخصُومة بينهما حتّىٰ تماسكا بالأطواق ثُمَّ تراضيا علىٰ أنّ أوّل من يطلع عليهما يكون حَكَماً بينهما فَطَلَع عليهما شيخ بحمارٍ عليه زقّان من عَسَلٍ فَحدّثاه بحديثهما فنزل الزّقين وفتحهما حتّىٰ سال العَسَل علىٰ التّراب ثُمّ قال صَبّ اللّه دَمي مثل هذا العَسَل أن لم تكونا أحَمَقين ونظائره كثيرة:

﴿٢٨٨﴾

□ **وقدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فقال** عليه السلام: **مَسيرة يَوْمٍ لِلشَّمْسِ...**

هذا الجواب صحيح إلّا أنّه جوابٌ إقناعيّ لكونه غير كافٍ لِما أراد السّائل لأنّ السّائل أراد أن يذكر له كمّية المسافة مفصّلاً وهو ليس كذلك والوَجه في عدُو له عليه السلام عن الجواب التّفصيلي الىٰ الإقناعي هو إستبعاد العوام له فكأنّه عليه السلام كلّم في المقام علىٰ قَدر عَقل السّائل وفَهمه وهذا من نتائج حكمته وقد مَرّ الكلام في أمثال هذه الأُمور في المُجلدات السّابقة وقد ثَبت الآن إنّ الشّمس من الثّوابت وهي مركز مجمُوعنا الشّمسي وهي أحدىٰ النّجوم السّابحة في الفضاء وإنّما السّيارات تَدور حَولها في أفلاك هليجّية الشّكل والأرض من هذه السّيارات الدّائرة حَول الشّمس، نعم لِلشّمس حَركة حَول مِحَورها وقد قالُوا إنّ مدّة دَوران الشّمس علىٰ مِحَورها أي بين ظهور كُلفةٍ علىٰ جانب الشّمس الشّرقي وغيابها علىٰ جانبها الغَربي أربعة عشر يوماً فلو كانت الأرض ثابتة لإستّدل منه إنّ الشّمس تَدور علىٰ مِحَورها كلّ (٢٨) يوماً ولِلتّحقيق في هذه المَباحث موضعٌ آخر وإن كان أكثر ما ذكروه في هذا الباب ونظائره أيضاً من الحَدسّيات الّتي لا يمكن الإعتماد عليها علىٰ سبيل البّت والقَطع والحاصل إنّ جوابه عليه السلام لِلسّائل علىٰ مُعتَقد السّائل من إنّ الشّمس تَسير من المَشرِق الىٰ المَغرب فلو أجابه عليه السلام بغير هذا الجواب لَم يَقبله قطعاً.

﴿٢٨٩﴾

□ **قوله عليه السلام: أَصْدِقاؤُ كَ ثَلاَثَةٌ وَأَعْدَاؤكَ ثَلاَثَةٌ فأَصَدقائك صَدِيقِكَ وصَدِيْقُ صَدِيْقِكَ وعَدُوُّ عَدُوُّكَ وأعْدَاؤكَ عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ وصَدِيقُ عَدُوكَ...**

الأصدقاء جمع صَديق وهو الخلّ الحَبيب والأعداء جمع عَدّو وهو الخَصم ضدّ الصَدّيق والمعنىٰ واضح.

٢٩٠

□ **قوله عليه السلام: لِرَجُلٍ رَآهُ يَسْعىٰ علىٰ عَدُوٍ لهُ بِما فِيهِ إِضْرَارٌ بِنفْسِهِ: إِنَّمَا أَنْتَ كالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ...**

الرِّدف بكسر الرّاء الرّاكب خَلف الرّاكب، شَبَّه عليه السلام السّاعي علىٰ عَدُوه بما فيه إضرار بنَفسه، بالطّاعِن نفسه لِيَقتُل مَن رَكَب خَلَفه ووجه الشّبه قصده لأذىٰ غيره بما يستلزم أذىٰ نَفسه ومن الواضح إنّ العاقل لا يفعل هذا لإنّه مذمُومٌ عقلاً وشَرعاً أمّا عقلاً فَمعلوم وأمّا شَرعاً فلقوله تعالىٰ: **﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾**(١)

---

١ – البقره ـ ١٩٥

٢٩١

▫ قوله ﷺ: مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وأَقَلَّ الإعْتِبارَ...

العِبَر بكسر العين وفتح الباء جمع عِبَرة بكسر العين وسكون الباء وهي العِظَة يقال لك بفلان عِبَرة أي عِظَة والمقصود إنّ المُواعِظ التّكوينية والتّشريعية كثيرة إلّا أنّ المُعتبَر بها قليل جدّاً والىٰ هذا المعنىٰ أشار اللّه تعالىٰ في كتابه حيث قال:﴿لَقَدْ كانَ في قَصَصِهِمْ عَبْرَةٌ لِأُولِى الأَلْبابِ﴾ (١) و : ﴿ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةٍ لأُوْلِي الأَبْصَار﴾ (٢) وقد مَرّ الكلام فيه غير مرّةٍ.

١- يوسف ـ ١١١

٢-آل عمران-١٣

٢٩٢

□ **قوله ﷺ: مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ ومَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظَلِمَ وَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خاصَمَ...**

◁ الشّرح

نَفَّر ﷺ عن طَرَفي الإفراط والتّفريط في المُخاصمة وذلك لأنّ المُبالغة في الخصُومة إفراطٌ فيها والتّقصير فيها تفريطٌ عنها.

والأوّل: يُوجب الإثم .

والثّاني: يُوجب الذّل والمَظْلَمية وكلاهما مذمُومان .

أمّا الأوّل: فواضح لأنّ الإفراط فيها ظلمٌ في الحقيقة ولذلك عُدّ من الإثم.

وأمّا الثّاني: فلأنّه إنظلامٌ أي قبول الظّلم وكما أنّ الظّلم قبيحٌ حرام فكذلك الإنظلام والطّريق الوّسطىٰ بين الطّريقين هي الطّريق المُستقيم وأمّا قوله ﷺ: **ولا يستَطيع أن يتّقي اللّه من خاصَم**، فهو إشارة الىٰ صعُوبة العدالة للمُخاصِم في حقّ خَصمه وذلك لأنّه كثيراً ما يخرج عن حدّ الإعتدال فَيَتّبع غَضَبه الّذي يُوقعه في الإفراط أو يتّبع ضَعفه الّذي يُوقعه في التّفريط وقد عرفت الوجه في ذمّها والحُكم بإعتبار الأغلب:

٢٩٣

▫ قوله عليه السلام: مَا أَهَمَّني ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حتّىٰ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنَ...

وذلك لأنّ الذّنب والعصيان لِللّه تعالىٰ إذا كانت التّوبة بعده فهو كالعَدَم وأنّما الإشكال في ذنبٍ لا تكون التّوبة بعده أمّا بعَدم الإمهال بسبب المَوت مثلاً أو بطرّوا الغفلة علىٰ المُذنب وقوله عليه السلام: **حتّىٰ أُصلّي ركعتين** فهوإشارة الىٰ التّوبة الحقّيقية القطّعية وإلّا فالصّلٰوة ليست من شَرائط التّوبة وهو واضح وقد مَرّ الكلام فيها أيضاً مفصّلاً غير مرّةٍ.

٢٩٤

□ **وَسئِلَ ﷺ: كَيْفَ يُحَاسِبُ الْخَلْقَ عَـلىٰ كَـثْرَتِهِمْ فقال ﷺ: كَما يَرْزُقُهُمْ على كَثْرَتِهِمْ، فقيل كَيفَ يُحَاسِبُهُمْ ولا يَرَوْنَهُ، قال كَما يَرْزُقُهُمْ وَلا يَرَوْنَهُ...**

ومحصّل هذا الكلام هو أنّ اللّه تعالىٰ خَلَق الْخَلْقَ وقَدَّر لهم أرزاقاً عـلىٰ وفق مَصلحته ومَع ذلك فهو مَستُورٌ عن الأبصار فهذه أُصول ثلاثة، كونه تعالىٰ خالقاً، ورازقاً، ومَستُوراً إذا عرفت هذا فلمّا سُئل ﷺ عن كيْفية الحساب علىٰ كثرة الخَلق، فأجاب ﷺ بأنّه تعالىٰ يُحَاسِبُهُمْ علىٰ كثْرَتِهِمْ كَما يَرْزُقُهُمْ عـلىٰ كثرتهم وذلك لعَدم الفرق بين الحساب والرّزق من هذه الجَهة ضرورة أنّ رزق الجَميع يتفرع علىٰ ضبط الجَميع من حيث العَدد وإلّا كيف يرزقهم والمفروض أنّه لا يعلم عَدَدهم وبهذا الملاك بعَينه نقول أنّه تعالىٰ يُحاسبهم، وأمّا قول السّائل كيف يُحاسبهم ولا يَرونه، فلعلّه ظنّ أنّ الحساب يتوقف علىٰ الرّؤية وليس كذلك وعَلَّله ﷺ بأنّه كما أنّ الرّزق لا يتوقف عليها فكذلك الحساب والمراد بنفي الرّؤية في قوله ﷺ هو رؤية النّاس أيّاه لا رؤيته أيّاهم وذلك لأنّه يرىٰ الخَلق وهم لا يَرونه، وأمّا الرُّؤية القَلبية فهي حاصلة للعَبد ولكنّها خارجة عن مقام السّؤال وقد تقدم الكلام فيها أيضاً قال اللّه تعالىٰ: **﴿أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾**(١)

و: **﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾**(٢)

---

١ - الأنعام ـ ٦٢

٢ - الانبياء ـ ٤٧

و : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١)

و : ﴿إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (٢)

وقال الله تعالى في الأبصار:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٣)

و : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ (٤)

و : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ (٥) وغيرها من الآيات الدّالات على المّدعى:

١- آل عمران ـ١٩٩
٢- الرّعد ـ٤٠
٣- الأنعام ـ١٠٣
٤- الشّعراء ـ٢١٨
٥- العلق ـ١٤

٢٩٥

□ **قوله عليه السلام - رَسُولُكَ تَرْجَمَانُ عَقلِكَ وكِتابُكَ أبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ...**

يقال تَرَجم فلان كلاماً، إذا بيّنه وأوَضحه، وتَرَجم كلام غيره إذا عَبَّر عنه بلغةٍ غير لُغة المتكلّم وإسم الفاعل تَرجُمان وفيه لغات فتح التّاء وضمّ الجيم وهي أجوَدها، وضَمُّها مَعاً، وفَتحهما كذلك وقد وَرد في الحَديث الأئمّة تراجمة وَحيك، وهي جمع تَرجُمان وهو المُترجم المُفسّر لِلّسان:

والمعنىٰ أنّ رسُولك الّذي ترسله الىٰ غيرك فهو في الحقّيقة مُترجم عَقلك ومُفسّره فأنظَر مَن تُرسله الىٰ الغَير فأن كان الرّسُول عاقِلاً ذكّياً يكشف المُرسل اليه من وجود هذه الأوصاف فيه وجودها فيك بطريق أولىٰ وبالعكس بالعكس وأنّما يكون كذلك لأنّ الرّسُول يتكلّم عن جانب المُرسِل فكأنّه أي الرّسُول مرآة له وما به ينظُر اليه ألا ترىٰ أنّ اللّه تعالىٰ جَعَل رسُوله في كلّ عصرٍ وزمانٍ من أعقَل النّاس وأكمَلهم فضلاً وشَرفاً ووَضعاً، وأمّا قوله عليه السلام: **وكتابك أبلَغ ما يَنطق عنك**، معناه أنّك إذا كَتَبت كتاباً الىٰ شخصٍ آخر فكأنّك تَنطق مَعَه بكتابك فكلّما يُفهم من نطقك يُفهم من كتابك وهو أيضاً واضح لا خفاء فيه والمقصُود إسع سَعيك في إنتخاب رسُولك وكتابك كما قيل:

تَخَيَّر إذا ما كنتَ في الأمر مُرسِلاً
فمبلغ آراء الرّجال رسُولها
وَرَوّا وفكّروا في الكتاب فأنّما
بأطراف أقلام الرّجال عقُولها

٢٩٦

□ **قوله عليه السلام: مَا المُبْتَلي الَّذِي الَّذِي اشْتَدَّ بِهِ الْبَلاَء بأحْوَجَ إِلىٰ الدُّعاء منَ المُعافي الَّذِي لا يَأمَنُ بهِ البَلاَء...**

كلمة (ما) في قوله عليه السلام ما المَبتلي نافية أي لَيس المُبتلي الّذي قد إشتَّد به البلاء من فقرٍ أو مَرَضٍ أو مُصيبةٍ أو غيرها من البلايا بأحوج الىٰ الدُّعاء أي لا يكون أشدّ إحتياجاً بالدُّعاء من المُعافي وهو الّذي يكون في عافيةٍ من البلايا فعلاً وذلك لأنّ المُعافي لا يأمن به البلاء في المُستَقبل وأن أمِن عنه فعلاً والوجه فيما ذكره عليه السلام هو أنّ الدّنيا دارٌ بالبلاء مَحفُوفة فكلّ إنسان فيها أمّا متّصِف بالبلاء بالفعل أو سَيتّصف به في المُستَقبل والدُّعاء قد يكون لرفع الإبتلاء وقد يكون لِدَفعه فكلّ النّاس مُحتاجُون اليه علىٰ كلّ حالٍ ففيه حثٌّ علىٰ الدُّعاء في جميع الأحوال لجميع المؤمنين والمؤمنات وقد مَرّ الكلام في الدُّعاء أيضاً.

٢٩٧

□ قوله ﷺ: النَّاسُ أَبْناء الدُّنْيا وَلا يُلاَمُ الرَّجُلُ علىٰ حُبِّ أُمِّهِ...

◁ الشّرح

هذا الكلام توبيخ منه ﷺ لِلنّاس علىٰ حُبّهم الدّنيا ولفظ الأبناء مُستعارٌ لهم باعتبار تولّدهم منها ومَيلهم اليها بالطّبع كما قال الشّاعر: ونحنُ بَنُوا الدّنيا عذبنا بدَّرها، وقوله ﷺ لا يُلام الرّجل علىٰ حُبّ أُمّه، معناه واضح وذلك لأنّهم لو كانوا أبناء الدّنيا فلا محالة يُحبّونها حُبّ الوَلَد أُمّه، وأنّما قال ﷺ لا يُلام الرّجل علىٰ حُبّ أُمّه لأنّ هذا الحُبّ يرجع الىٰ الفطرة والغَريزة الحيّوانية وهو ثابت لهم بمقتضىٰ الأصل:

أن قلت قال رسُول اللّه ﷺ حُبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئةٍ، وقال ﷺ إحذروا الدّنيا فأنّها أسحَر من هاروت وماروت، وقال تعالىٰ مُخاطباً لموسىٰ ﷺ لا تَركننّ الىٰ حُبّ النيا فلَن تأتني بكبيرةٍ هي أشدّ منها،

وأمثال ذلك منها وعليه فكيف يقول أمير المؤمنين ﷺ لا يُلام الرّجل علىٰ حُبّها ألَيس كلامه هذا مُخالفاً لكلامه ﷺ:

قلتُ لا وذلك لأنّ الدّنيا المذمُومة حَظّ نفسك الّذي لا حاجة اليه لأمر الآخرة ويُعبّر عنه بالهَوىٰ واليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ**

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾(1)

ومجامع الهَوىٰ هي المَذكُورة في قوله تعالىٰ: **﴿أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾**(2)

والأعيان التّي تحصل منها هذه الأُمور هي المَذكُورة في قوله تعالىٰ: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾**(3)

فكلام علّي ﷺ محمُول علىٰ حُبّ الدُّنيا بما هي طريق الىٰ الآخرة وكلام الرّسُول ناظر بحُبّها بما هي هي أو بما أنّها وسيلة وسّبب للوصُول الىٰ المُشتَهيات النّفسانية المُعبّر عنه بالهَوىٰ وبينهما بَونٌ بَعيد وقد مَرّ الكلام في هذا الباب مُفصّلاً هذا أوّلاً، وثانياً أنّه لا إشكال في كون الشّيئ محبُوباً من جَهةٍ ومَبغُوضاً من جَهةٍ أُخرىٰ والدّنيا أيضاً كذلك فهي محبُوبة من حيث أنّها مَزرعة الآخرة ومَبغُوضة من حيث أنّها سبب للغُرور والإطمئنان بها والإعراض عن الآخرة، وثالثاً لا مُنافاة بين حُبّ الدّنيا بإعتبار القوىٰ البَدنية المَخلُوقة منهامن الشّهوة والغَضب وأمثالهما، وبُغضهما بإعتبار ما لم يخلق منها كالرُّوح وقواها والعَقل والنّفس النّاطقة وعليه فالإنسان يُحبّها بحَسب البَدن وقواه ويُبغضها بحَسب الرّوح والعَقل وما ذكره أمير المؤمنين راجع بل صريحٌ في الأوّل، والآيات والأخبار الدّالة علىٰ ذَمّها الىٰ الثّاني فالدّنيا مَحبُوبة بحَسَب الشّهوة ومَذمُومة بحَسب العَقل فلا يُلام الرّجل في حُبّه أيّاه بحَسب الشّهوة ويُلام في حُبّه أيّاها بحَسب العَقل والشّرع:

1- النّازعات ـ 40
2- الحديد ـ 19
3- آل عمران ـ 12

٢٩٨

▫ قوله ﷺ: إِنَّ المِسكينَ رَسُولُ اللَّهِ فَمَنْ مَنَعْه فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ ومَنْ أعْطاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللَّهُ...

◁ الشرح

المِسكين الفقير والمراد برسُول اللّه هو المسكين أي هو هو وأنّما أطلَق لَفظ رسُول اللّه علىٰ المِسكين، لأنّ اللّه تعالىٰ هو الّذي حَرَمه الرّزق فكأنّه أرَسَله الىٰ الغنّي لِيَمتَحنه به أو بإعتبار أنّ المسكين طالبٌ لِللّه وبأمر اللّه وكيف كان ففيه حثٌّ علىٰ الإعطاء والجُود وذَمٌّ علىٰ البُخل والإمساك وأنّ مَنع المسكين حقّه يَرجع الىٰ مَنع كما أنّ إعطاءه يَرجع الىٰ إعطاء اللّه وبعبارةٍ أُخرىٰ من أعان المسكين فقد أعان اللّه ومن مَنَعه فقد مَنَع اللّه ضرورة أنّ إعانة الرّسُول هي إعانة المُرسل ومَنعه مَنعه هذا كلّه بناءً علىٰ أنّ المراد برسُول اللّه في كلامه ﷺ هو معناه اللّغوي أي أنّ اللّه أرسَل المساكين الىٰ الأغنياء للإختبار والإمتحان فالمَسكين رسُوله وقد أجمَعت كلمات الشّراح عليه ولنا في المقام إحتمال آخر وهو أن يكون المراد من رسُول اللّه في كلامه ﷺ هو خاتم النّبيين وسيد المُرسلين لا معناه اللّغوي وعليه فالمعنىٰ أنّ المسكين الحقيقي هو رسُول اللّه ﷺ فَمَن مَنَعه حَقّه فقد مَنَع اللّه ومن أعَطاه أعَطىٰ اللّه ويدّل علىٰ ذلك ما رُوي عنه ﷺ حيث قال **اللّهم أحيني مسكيناً وأمتني مِسكيناً وأحشُرني في زمرة المساكين**، وقال ﷺ **أنّ لي حِرفَتين إثنتين فَمَن أحَبّهما**

فقد أحَبَّني ومَن أبغَضهما فقد أبغَضني، الفقر والجهاد، وقال ﷺ الفقر أزين للمؤمنين من العذار الحَسن علىٰ خَدّ الفَرس، وسُئل ﷺ عن الفقر فقال خزانة من خزائن اللّه، وسُئل عنه ثانياً فقال، كرامة من اللّه، وسُئل عنه ثالثاً فقال شئ لا يعطيه اللّه إلّا نبيّاً مُرسلاً أو مؤمناً كريماً علىٰ اللّه انتهىٰ....

وقوله ﷺ الفَقر فَخري، وأمثالها كثيرة وقد وَرَد عن عِيسىٰ روح اللّه ﷺ أنّه قال أنّ أحَبَّ الأسامي إلّي أن يقال يا مسكين« جامع السّعادات ج ٢ ص ٨١»...

والأخبار بهذه المضامين كثيرة وعليه فلا إشكال من حَمل اللّفظ علىٰ معناه المُتعارف عند الكلّ أعني به مُحمّد ابن عبد اللّه ﷺ فالمعنىٰ لا تنظروا الىٰ المسكين بعين التّحقير لأنّ المسكين الحقيقي هو الرّسُول ﷺ وهذا المعنىٰ لم يحتمله أحَدٌ من الشّراح غيري خوفاً من إطلاق لفظ المسكين علىٰ رسُول اللّه ﷺ أو أنّهم لم يتّوجهُوا الىٰ هذا المعنىٰ مَع أنّه لا إشكال فيه عقلاً وشرعاً فإفهم ثُمّ أنّ الأحاديث بعد الآيات في الباب كثيرة فعلىٰ الأوّل من المَعنَيين المقصُود به إطعام الطّعام علىٰ مُطلق المساكين وعلىٰ الثّاني إطعامه بعد رسُول اللّه علىٰ أولاده وكيف كان فالغَرض الأصلي منه هو الإطعام ولاشّك في مَدحه ولنُشير الىٰ شطرٍ منها تيمناً وتبركاً بهاقال اللّه تعالىٰ:﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأسِيراً**﴾(١)

و : ﴿**وَأطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ**﴾(٢)

و : ﴿**إنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَآءً وَلاَ شَكُوراً**﴾(٣)

روي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ قال أربع مَن أتىٰ بواحدةٍ منّهن دخل الجنّة، مَن سقىٰ هامةً ظامئة أو أشبَع كبداً جائعة، أو كسا جلدةً عارية، أو أعتَق رقبةً عانية، انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي جعفر ﷺ قال قال رسُول اللّه ﷺ أحَبّ الأعمال الىٰ اللّه

١- الانسان ـ ٨
٢- الحج ـ ٢٨
٣- الانسان ـ ٩

ثلاثة إشباع جوعة المُسلم، وقضاء دَينه، وتنفيس كُربته انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عن آبائه قال قال رسُول اللّه ﷺ خيركم مَن أطعَم الطّعام وأفشىٰ السّلام وصّلىٰ والنّاس نيام انتهىٰ...

وبأسناده عنه عليه السلام قال مَن أطعَم مُسلماً حتّىٰ يشبعه لم يدَر أحَد من خلق اللّه ماله من الأجر في الآخـرة لا مـلك مُـقرّب ولا نَـبيّ مُـرسَلٌ إلّا ألـلّـه ربّ العالمين ثمّ قال من مُوجبات الجنّة والمغفِرة إطعام الطّعام السَّغبان ثمّ تلىٰ قوله تعالىٰ:﴿إطعام في يومٍ ذي مَسغَبة يَتيماً ذا مَقربة﴾[1] «ج ١۶ ص ١٠٢»...

وقال النّبي ﷺ ما تقع صَدَقة المؤمن في يَد السّائل حتّىٰ تَقع في يَد اللّه ثمّ تـلا هــذه الآيـة:﴿أَلَـمْ يَـعْلَمُوا أَنَّ اللَّـهَ هُـوَ يَـقْبَلُ التَّـوْبَةَ عَـنْ عِـبَادِهِ وَيَأْخُـذُ الصَّدَقَاتِ﴾[2] «جامع السّعادات ج ٢ ص ١٣١»...

وقال الصّادق عليه السلام أنّ اللّه تعالىٰ يقول ما من شيءٍ إلّا وكلّتُ به مَن يقبضه غيري إلّا الصّدقة فأنّي أتلّقفها بيدي تلّقفاً حتّىٰ أنّ الرَّجل ليتَّصدق بالتّمرة أو بشقّ تمرة فأُربيّها له كما يُربي الرّجل فلوه وفـصيله فـتأتي يـوم القـيامة وهي مِثِل أُحُد وأعظم من أُحُد انتهىٰ« ص ١٣١ » والأخبار كثيرة جدّاً:

١ ـ البلد ـ١۴.

٢ـ التّوبة ـ١٠٥.

﴿٢٩٩﴾

□ **قوله عليه السلام: ما زَنىٰ غَيُورٌ قَطُّ...**

◁ الشّرح

الغَيُور كَرسُول صاحب الغيرة يُقال غَار الرّجل علىٰ إمرأته من فلان وهي عليه من فلانة، أنف من الحميّة وكره شركة الغير في حقّه بها وهي كذلك وفي الحديث إذا لم يغر الرّجل فهو منكوس القلب، ثمّ أنّ قوله عليه السلام ما زَنىٰ غَيُور قطّ، معناه أنّ صاحب الغيرة لا يزني أصلاً، إمّا لأنّه يعلم قوله صلى الله عليه وآله **كما تُدين تُدان، ومَن دَقّ دُقّ**، وتُؤيده التّجربة أيضاً وعليه فلا يَزني لأنّه لو زنىٰ بإمرأةٍ فلا محالة يزني غيره بإمرأته فهو يترك الزّنا صوناً علىٰ أهله من الخطأ فصُورة القياس هكذا:

هذا غَيُورٌ، وكلّ غَيُورٍ لا يزني فهذا لا يزني ومفهوم القياس أنّ الزّاني لا غيرة له وأمّا أقسام الزّنا وما يتّعلق به وكيّفية ثبوته فَللبحث فيها مقام آخر:

٣٠٠

□ قوله عليه السلام: كَفىٰ بالأَجَلِ حارِساً...

◁ الشّرح

إستعار عليه السلام لفظ الحارس له باعتبار إنّ الإنسان لا يَهلك ما دام أَجَله كالحارس وإن شئت قلت إنّ الأجل يحفظ الإنسان عن المَوت قبل حلُوله لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهِ نَفْساً إِذا جاءَ اَجَلُها﴾ (١)

و : ﴿ما تَسْبِقُ مِنْ اُمَّةٍ اَجَلَها وَما يَسْتَأْخِرُونَ﴾ (٢)

و : ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣) وقد مرّ الكلام فيه غير مرّةٍ فيما مضىٰ وعليه فلا معنىٰ لِلخَوف من المَوت قبل حِلُول الأَجَل كما إنّه لا معنىٰ لِلفرار منه بَعده وهو معلومٌ.

١- المنافقون- ١١
٢- المؤمنون- ٤٣
٣- الأعراف ـ٣٤

﴿٣٠١﴾

▫ قوله ﷺ: يُنامُ الرَّجُلُ علىٰ الثُكْلِ ولا يَنامُ عَلىٰ الْحَرَبِ...

◁ **الشَرح**

الثُكّل بضّم الثاء فقد الأولاد، والحَرَب بالتّحريك سلب المال ولذلك قال السّيد في شرح الكـلام: **ومعَنَىٰ ذلِكَ أَنّهُ يَضبِر عَلَىٰ فَقْد الأولاد ولا يَصبُر علىٰ سَلَب الأموال.**

قال بعض الشّراح في وَجهه إنّ المال والوَلَد وإن كانا محبُوبين إلّا إنّه يَطمَع في إستخلاص المال عن يَدَ الغاصِب بخلافه في فقد الوَلَد إذ لا طَمَع لأحدٍ في رِجُوعه الىٰ الدّنيا فالمَوت قاطِعٌ لِلطّمَع، والحَرَب ليس كذلك.

﴿٣٠٢﴾

▫ قوله ﷺ: مَوَدَّةُ الآبَاءِ قَرابَةٌ بيْنَ الأَبْناءِ وَالْقَرَابَةُ إلى المَوَدَّةِ أحْوَجَ منَ الْمَوَدَّةِ إلىٰ القَرَابَةِ...

◁ الشَرح

أي إذا كان بين الآباء مَودّة ومَحبّة كان أثَرها في الأبناء أثَر القرابة من التَعاون والمُرافدة وذلك لإنّ المودّة أصلٌ في المَعاونة، وأمّا القَرابة فهي من أسبابها وقد لا تكون مع القَرابة معاونة كما إذا فقدت المحبّة فالأقرباء في حاجةٍ الىٰ المَودّة أمّا الأولاد فلا حاجة بهم الىٰ القرابة هكذا قيل ولِتَوضيح الكلام نقول في الكلام حَثٌّ علىٰ إيجاد المَودّة والمَحَبّة بين النّاس ومَنَعٌ عن العَداوة والبَغضاء وذلك لأنّ المَودّة بين شخصين أو أشخاص تُوجب القَرابة بين أولادهم ثمّ أفاد ﷺ إنّ القَرابة تَحتاج الىٰ المَوَدّة كما إنّ المَوَدّة أيضاً تحتاج الىٰ القَرابة إلّا إنّ إحتياج القَرابة الىٰ المَودّة أشدّ وأكثَر من إحتياج المَوَدّة الىٰ القَرابة والوجه فيه واضح فإنّ القَرابة بدون المَوَدّة لا تَنفع كما هو المشاهد في أكثر الأقرباء الّذين لا مَودّة ولا مَحبّة بينهم وأمّا المودّة بدون القرابة تنفع كما نرىٰ في الأصدقاء والأحبّاء الّذين لا قَرابة بينهم وهو واضح لا خَفاء فيه عقلاً وحِسّاً.

٣٠٣

▫ قوله ﷺ: اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤمِنِينَ فَإِنَّ اللَّهَ تعالىٰ جَعَلَ الْحَقَّ علىٰ أَلْسِنَتِهم...

◁ الشرح

كلامه ﷺ هذا إشارة الىٰ قول رسُول اللّه ﷺ حيث قال - **﴿إتّقوا فَراسة المؤمن فإنّه ينظر بِنور اللّه﴾** ومن المعلوم إنّ ظّن المؤمن لا يكاد يُخطئ لصفاء نفسه وكمال إستعداده لِلفكر الصّحيح القريب من الحَدّس والإنتعاش بنور الحقّ وقد وردت بهذه المَضامين أخبار كثيرة:

منها ما رواه في البِحار بأسناده عن سُليمان الجعفري قال كُنت عند أبي الحَسَن قال ﷺ **(قال يا سليمان إتّق فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور اللّه فَسَكت حتّىٰ أصبتُ خَلْوةً فقلت جُعلت فِداك سمعتك تقول إتّق فراسَة المؤمن فإنّه ينظر بنور اللّه قال ﷺ - نعم يا سُليمان إنّ اللّه خَلق المؤمن من نوره وصَبَغهم في رَحمته وأخَذَ ميثاقهم لنا بالولاية والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه أبوه النّور وأمّه الرّحمة وإنّما ينظر بذلك النّور الّذي خُلق منه** انتهىٰ« ج ١٥ ص ٢١»...

وبأسناده قال رسُول اللّه ﷺ - **إتّقوا فَراسَة المؤمن فإنّه ينظر بنور اللّه لقول اللّه تعالىٰ: ﴿ إنّ في ذلك آيات لِلمُتَّوسمين﴾** انتهىٰ« ص ٢١»...

٣٠٤

□ قوله عليه السلام: لا يَصَدُقُ إِيْمَانَ عَبْدٍ حَتّىٰ يَكُونَ بِما في يَدِ اللَّهِ أوَثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ...

◁ الشَرح

قد مرّ الكلام في الإيمان وشرائطه وقُلنا إنّه لا يتحّقق إلّا بالقلب والإقـرار باللّسان والعَمَل بالأركان وتظهر ثَمَرته في التّوكل علىٰ اللّه وحُسن الرّجاء به وذلك لأنّ صدق الإيمان عبارة عن تيقّنه وكمال التّيقن حُسـن الرّجـاء بـاللّه والتّوكل عليه ولازمه هو الوثُوق والإعتماد بما في يَدَ اللّه أكثر منه بما في يَدَه فإنّ ما عند اللّه باق وما عنده ينفد ولا شّك إنّ الوثُوق بما هو باق خيرٌ منه بما هو ينفد:

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله - تتوكّلُون علىٰ اللّه حقّ توكّله لرَزقكم كـما يـرزق الطّير تَغدُو خِماصاً وتَروح بِطاناً، وقال صلى الله عليه وآله - من أحَبّ أن يكون أقوىٰ النّاس فليتّوكل علىٰ اللّه، وقال أمير المؤمنين عليه السلام - مَن وَثَق باللّه أراه السّرور ومَن توكّل عليه كفاه الأُمور...

وقال النّبي صلى الله عليه وآله مَن أحَبّ أن يكون أتقىٰ النّاس فَليتوكّل علىٰ اللّه...

وقال الباقر عليه السلام - مَن توكّل علىٰ اللّه لا يَغلب ومن إعتَصم باللّه لا يَـهَزم والأحاديث كثيرة «بحار الأنوار ج ١٥ الجُزء الثّاني ص ١٥٩»...

٣٠٥

□ قوله ﷺ: **لأنَس بن مالك وقد كانَ بَعَثه الىٰ طَلَحة والزّبير لمَا جاءَ الىٰ البَصرة يذكّرهما شيئاً مِمّا سَمَعه من رسُول الله ﷺ في معناهما فلوىٰ عن ذلك فَرَجع إليه فقال:**

إنِّي أنْسِيتُ ذلِكَ الأَمْرَ. فقال ﷺ: إنْ كُنْتَ كاذِباً فَضَرَبَكَ اللَّهَ بهَا بَيْضاءَ لامِعَةً لا تُوَاريها الْعمَامَة...

يَعْني البَرَص فَأَصابَ أنساً هذَا الدّاءُ فِيما بَعَد في وَجْهِهِ فكَانَ لاَ يُرَىٰ إلّا مُبَرْقَعاً...

◁ الشَرح

قد مرّ ذكر نَسَب أنَس فيما مضىٰ وقلنا إنّه كان خادِماً لِرسُول اللّه ﷺ ومع ذلك كان مُنافِقاً مُعانِداً لِعلّي وأهل بيته وأولاده وأمّا بعَثه الىٰ طلحَة والزّبير علىٰ ما في المتن فالمشهُور خلافه كما إعترف به الشّارح المُعتزلي وإن كان ربّ مشهُورٍ لا أصل له ولعلّ السّيد ﵀ أخَذَ هذا الكلام ممّا لم نجده من النصوص (المتُون) فلا إشكال فيه بعد ثبُوت أصل الموضوع وهو إنّه لم يشهَد بما سَمِعه من رسُول اللّه ﷺ فأبتلاه اللّه بما إبتلاه من البَرَص وهذا القَدر يكفي فيما نحن بصدده وهو إثبات النّفاق لأنَس وإستجابة الدُّعاء لِعلّي ﷺ.

قال المُعتزلي المشهُور في الباب هو إنّه ﷺ ناشد النّاس في الرّحبة بالكوفة فقال أنشدكم اللّه رجلاً سَمِعَ رسول اللّه ﷺ: يقول لي وهو مُنصَرف من حجّة

الوداع:(من كُنت مولاه فَعلّي مولاه اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه) فقام رجال فشهدوا بذلك فقال ﷺ لانس بن مالك قد حَضَرتها فما بالك، فقال يا أمير المؤمنين كَبُر سِنّي وصار ما أنساه أكثر مِمّا أذكره فقال له أن كُنت كاذِباً فَضَربك اللّه بها بيضاء لا تُواريها العَمامة فما مات حتّىٰ أصابه البَرص ثمّ إستَدل الشّارح علىٰ مدّعاه بما هو مذكور في شرحه ولا حاجة لنا في ذكره وأنا أقول ما ذكره الشّارح لا بأس به بعد إحتمال أن تكون القصّة مُتكّررة أو إنّ لكلّ واحدٍ من النّقلين مأخذ ومَصَدر غير مأخذ الآخر فإنّ القَضايا التّاريخية قلّما تُوجد مُتّفقة النّقل مُتّحدة الشّكل والأمر سَهَل بعد وضوح المقصَود، وإلّا فقد رأينا في بعض التّواريخ إنّ القضّية وقَعَت في مسجد الكُوفة وكان ﷺ علىٰ المَنبر وذكر حَديث الطّير المَشْوي وطلب منه الشّهادة عليه فأبىٰ عنها وقال كَبُرت سِنّي، أو أنُسيتُ ذلك الأمر فقال ﷺ في حقّه ما قال:

٣٠٦

□ قوله عليه السلام: **إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبالاً وإِدْباراً فإِذا أَقْبَلَتْ فاحْمِلُها علىٰ النَّوَافِلِ وإِذا أدْبَرَتْ فأَقْتَصِروا بِهَا عَلىٰ الفَرَائِضِ...**

◁ **الشرح**

المراد بإقبال القلب نَشاطُه وبادبارِه ملاله وسَأمه ولذلك سُمّي القَلب به لتقّلبه وتغّيره وعدم ثِباته علىٰ حالةٍ واحدةٍ وبعبارةٍ أُخرىٰ إقبال القَلب رَغْبته في العَمَل وإدباره مللَها مِنه والمعنىٰ إحمَلُوا القلُوب علىٰ النّوافل إذا كانت راغِبة مائِلة اليها وإقتَصِرُوا علىٰ الفَرائض إذا كانت القلُوب غير راغبةٍ الىٰ النّوافل وذلك لانّ تَرك النّوافل لا عِقاب عليه وإن كان في فِعَلها الثّواب والأجر وإنّما قال عليه السلام: **فأَقتَصِروا بها علىٰ الفَرائض** في صورة الإدبار لانّ حَملها عليها أي علىٰ النّوافل وهي غير راغبةٍ اليها يضّر بالفَريضة أيضاً وقد قال عليه السلام فيما مضىٰ إذا أضَرّت النّوافل بالفَرائض فأرفضُوها، أي فأرفَضُوا النّوافل لِكَونها زائدة علىٰ الأصل فلا إشكال في تَركها في صُورة الإضرار:

٣٠٧

□ قوله ﷺ: وفي الْقُرْآنِ نَبأُ ما قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ...

◁ الشّرح

النَّبَأ بفتح النّون الخَبَر المُفيد لِلعلم أو الظَنّ الغالب ولا يُقال لِلخَبَر نَبَأ حتّىٰ يتّضمن هذه الأشياء الثّلاثة وحقّ الخَبر الّذي يُقال فيه نَبَأ أن يتعّرىٰ عن الكَذِب كالتّواتر ومنه خَبَر اللّه تعالىٰ وخَبر النّبي ﷺ والإمام المَعصُوم ولتضّمن النّبَأ معنىٰ الخَبر يُقال أنبَأته بكَذا كَقولك أخبَرتُه بِكَذا ولتّضمنه معنىٰ العِلم يُقال أنبَأتُه كما يُقال أعلَمتُه قاله الرّاغب في المُفردات وأنا أقول فَعلىٰ ما ذكره الرّاغب كلّ بناءٍ خَبَر ولا عكس فبينَهُما من النّسَب العُموم والخُصُوص المُطلّق إذا عَرَفت فَنَقول ،أثبَت ﷺ لِلقُرآن أُموراً ثلاثة:

أحَدها: إنّ فيه نَبأ ما قَبلكُم من الأُمَم السّالِفة والحَوادِث الماضِيَة ويدّل عليه قوله تعالىٰ حيث قال: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ (١)

و : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ (٢)

و : ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ (٣)

و : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ (٤) وغيرها من الآيات.

وثانيها: إنّ فيه خَبَرَ ما بَعدكُم، يمكن أن يكون المراد به عالم الآخرة وما أخبر اللّه تعالىٰ به من المَوت والقَبر والصّراط والميزان والجَنّة والنّار وهكذا،

١- التّغابن ـ٥

٢- الكَهف ـ١٣

٣- طه ـ٩٩

٤- القَمر ـ٤

ويمكن أن يكون المراد به الحَوادث الواقعة في الدّنيا بعد المَوت بالنّسبة الىٰ المَوجودين في الدّنيا كما كانت في الأُمَم السّالفة بناءً علىٰ أنّ حُكم الأمثال واحد وعلىٰ كِلا الإحتِمالَين لا شَك إنّ القُرآن أخبَرنا بها ولا سيّما الإحتمال الأوّل الّذي هو أقوىٰ في النّظر لأنّ قوله ﷺ: **ما بَعدكُم** ظاهر في بَعَد المَوت أي بَعَد حَياتكُم في الدّنيا قال اللّه تعالىٰ: ﴿ **وَلَدَارُ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ ولَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِين** ﴾ (١)

و: ﴿ **تِلكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوَّاً فِي الأَرْضِ** ﴾ (٢)

و: ﴿ **كيف بَدَأ الخَلق ثمّ اللّه يُنشئ النّشأة الآخرة** ﴾ (٣)

و: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْـيَا وَهُـمْ عَـنِ الأَخِـرَةِ هُـمْ غَـافِلُون** ﴾ (٤)

والآيات كثيرة.

وثالثها: إنّ فيه حُكم ما بينَكُم، وهو أيضاً واضح سواء قُلنا بأنّ المراد بالحُكم هو فصل الخِصُومات في الدّعاوي أم مَطلق الحُكم من الحَلال والحَرام والقَصاص والدِيّات والأرث والنّكاح والطّلاق وأمثالها فإنّه لا رَطَب ولا يابس إلّا وهو فيه موجود قال اللّه تعالىٰ: ﴿ **وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاءَهُمْ** ﴾ (٥)

و: ﴿ **وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيه** ﴾ (٦)

و: ﴿ **يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُم** ﴾ (٧)

و: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ (٨) وقد تحصّل ممّا ذكره ﷺ أنّ القرآن مُتضّمن لما يحتاج اليه الإنسان في الدّنيا والآخرة ولذلك أُمرنا بالتّمسك به والعَمل بأحكامه وحيث أنّ فهم القرآن وإستنباط الأحكام منه لا تيَسير إلّا لمن كان أهلاً له قال رسُول اللّه ﷺ **أنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وُعترتي أهل بيتي ما أن تمسّكتم بهما لن تضّلوا أبَداً**، وقد رواه الفريقين وفيه إشعار بأنّ القرآن محتاج الىٰ المُفسّر والمُبيّن من أهل البيت الّذين أذهَب اللّه عنهم الرّجس وطَهّرهم تطهيراً وقد تكلّمنا فى هذه المباحث فيما مَضىٰ مفصّلاً.

١-النّحل - ٣٠
٢- القصص -٨٣
٣- العَنكبُوت - ٢٠
٤- الرّوم -٧
٥- المائِدة -٤٩
٦- البقرة -٢١٣
٧- آل عمران -٢٣
٨- المائدة - ٥٠

٣٠٨

□ قوله ﷺ: رُدّوا الْحَجَر منْ حَيْثُ جَاءَ فإنَّ الشَّرَّ لا يَدْفَعُهُ إلّا الشَّرَ...

◁ الشّرح

رَدّ الْحَجَر منْ حَيْثُ جَاءَ، كناية عن مقابلة الشّر بالدّفع على فاعله ليرتدع عنه وهذا إذا لم يكن دفعه بالأحسن والأصل في هذا الحكم هو قوله تعالىٰ: ﴿ومن جَآءَ بِالسَّيِئَةِ فَلاَ يُجْزَىٰ إلّا مِثْلَهَا﴾ (١)

و : ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِين﴾ (٢)

و : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا﴾ (٣)

و : ﴿وَمَن يَعْمَل مِثْقَال ذَرَّةٍ شَراً يَرَه﴾ (٤) فإذا كان اللّه تعالىٰ لا يجزي السيّئة إلّا بها ولا يجزي الشّر إلّا به فهو الأصل في الباب كما قيل:

ولا أتمنّىٰ الشّر والشّر تاركي
ولكن متىٰ أُحمل علىٰ الشّر أركبُ

١- الأنعام ـ ١٦٠
٢- البقرة ـ ١٩١
٣- المائدة ـ ٣٢
٤- الزلزلة ـ ٨

﴿٣٠٩﴾

▫ قوله ﷺ: **لكاتِبِه عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ رِافِع أَلِقْ دَواتِكَ، وأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وفَرِّجْ بِينَ السُّطُورِ، وقَرْمِطْ بَيْنَ الْحرُوفِ فإنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصبَاحَةِ الخَطِّ...**

◁ اللّغة

(**أَلِقِ**) فعل أمرٍ على وزن أَقِم، يقال أَلاَق يُليق إلاقةً، كما يقال أقام يُقيم إقامةً، يقال أَلِقِ دَواتَك أي ضَع اللّيقة فيها وهي كثيراً ما تكون من سَنخ القُطن (**دَواتَك**) الدَوّاة بفتح الدّال ما يُوضَع فيه الحِبر لِلكتابة (**أَطِل**) بفتح الألف وكسر الطّاء أيضاً أمرٌ من أطالَ يُطيل ومصدره الإطالة (**جِلفَة**) بكسر الجيم وفتحها وسكون اللّام وفتح الفاء الكَسرة من الخُبز اليابس وجِلفَة القَلم من مبراه الى رأسه أو مكان بريه (**قَلَمك**) القَلَم بالتّحريك ما يُكتَب به (**فَرّج**) بفتح الفاء وكسر الرّاء المشـدّدة أمرٌ من فَرّج تَفريجاً على وزن صِرّف، ومعناه الفَصل (**السُّطُور**)بضمّ السّين والطّاء جمع سَطر (**قَرْمِط**) بفتح القاف وسكون الرّاء وكسر الميم على وزن دَهرِج، فعل أمرٍ من قرمَطَ يُقرمِطُ قرمَطةً والقَرمَطة بين الحروف المقاربة بينها وتضييق فواصلها يقال قَرمَط الكتاب أي كَتَبه دَقيقاً وقارب بين سُطوره (بصباحةِ الصّباحة الحُسن:

◁ الشَرح

جَعَل ﷺ لصباحة الخطّ وحُسنه شروطاً أربعة:

أحدها: وضع اللِّيقة في الدّواة واليه أشار ﷺ بقوله، **أَلِق دَواتَك**.

وثانيها: إطالَة جلفَة القلم أي سنانه لئَلّا يصير الخطّ مَغشُوشاً فلا يُقرأ واليه أشار ﷺ بقوله **وأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ**، هذا إذا كان قوله ﷺ: **(أَطِل)** بكسر الطّاء أمرٌ من الإطالة كما مرّ وعليه إتفاق الشّراح وهنا إحتمال آخر وهو أن يكون اللّفظ بكسر اللّام وسكون الطّاء أمرٌ من أَطلىٰ يُطلي بمعنىٰ الحَبس والرّبط يقال طَلي طلياً إذا رَبطَه برجلِه وحَبسه وعليه فالمعنىٰ اربِط جِلفَة قَلَمِك أي إتصّل الكَلمات والحروف ولا تفصل بينهما ولعلّ هذا الإحتمال أقرَب الىٰ المدّعي ممّا ذكروه فأنّ إطالَة جِلفَة القَلَم وسنانه وأن كانت من المُحسنات في الخطّ في الجملة إلّا أنّ ربط الحُروف وعدم الفَصل بينها أحسَن منها اللّهم إلّا أن يقال بأنّ المُراد بالإطالة الإطالة الّتي يحسن الخطّ بها بغير فصلٍ بين الحروف والكلمات وبه يجمع بين الإحتمالين:

وأنا أقول: لا طريق الىٰ هذا الإحتمال وذلك لأنّ التّقارب بين الحروف يستفاد من قوله وقَرمِط بين الحروف فلو كان ما ذكره المُحتمل حقّاً لكان قوله ﷺ فيما بعد باطلاً لا محلّ له وهو كما ترىٰ.

وثالثها: التّفريج بين السُّطُور أي الفَصل بينها فصلاً معتدلاً متّوسطاً واليه أشار بقوله وفرّج بين السُّطُور.

ورابعها: التّقارب بين الحروف وتضييق فواصلها واليه أشار ﷺ بقوله وقَرمِط بين الحروف فإذا تمّت الشّرائط الأربعة المذكورة يصير الخطّ جَيّداً حَسَناً وهو معلومٌ:

٣١٠

▫ قوله عليه السلام: أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ...

قال الرّضي رحمه الله: معنىٰ ذَلِكَ أَنَّ المُؤْمِنِينَ يَتْبِعُونَي والْفُجَارُ يَتَّبِعُونَ المَالَ كَمَا يَتْبَعُ النّحْل يَعْسُوبَها وَهُوَ رَئِيسُها.

◁ الشّرح

اليَعْسُوب بفتح الياء وسكون العين وضمّ السّين الرّئيس الكبير ولذلك يقال لذَكَر النّحل وأميرها أمّا أنّه يَعسُوب المؤمنين فلأنّه أمير المؤمنين والأمير هو اليَعسُوب وقد وَرَد في حديث عنه عليه السلام قال كنتُ للمؤمنين يَعسُوباً والأصل فيه ما وَرد في الخَبر عن النّبي صلى الله عليه وآله قال لعلّي أنت يَعسُوب المؤمنين والمال يَعسُوب الكفّار ومن هنا قيل لأمير المؤمنين عليه السلام أمير النَّحل...

روي في البحار بأسناده عن الصّادق عن آباءه قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله لمّا أُسري بي الىٰ السّماء عهد إلّي ربّي في علّي ثلاث كلمات فقال يامُحمّد فقلت لبّيك ربّي فقال أنّ علّياً إمام المُتّقين وقائد الغُرّ المُحجّلين ويَعسُوب المؤمنين انتهىٰ« ج ٩ ص ٤٢٨»...

وبأسناده عنه صلى الله عليه وآله قال رسُول اللّه لعلّي يا علّي أنّك سيّد المُسلمين ويَعسُوب المؤمنين وإمام المُتّقين وقائد الغُرّ المُحجّلين انتهىٰ« ص ٤٢٩»...

وبأسناده عنه صلى الله عليه وآله قال علّيٌ يَعسُوب المؤمنين والمال يَعسُوب المنافقين انتهىٰ وبأسناده عن أبي ذرّ قال سمعتُ النّبي صلى الله عليه وآله يقول لعلّي أنت أوّل من يُصافحني يوم القيامة وأنت يَعسُوب المؤمنين انتهىٰ« ص ٤٣٣»...

وبأسناده عن علّي عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله علّي يَعسُوب المؤمنين والمال يَعسُوب المُنافقين « ص ۴۳۳» والأحاديث كثيرة وأمّا الوجه في كونه عليه السلام يَعسُوب المؤمنين والمال يَعسُوب الفجّار فقد ذَكره الرّضي رحمه الله وهو أنّ المؤمنين يتّبعونه في دينهم ودُنياهم وأمّا الفجّار فَيَتَّبعُون المال وهو ممّا لا خفاء فيه:

ومَن بالإمرة إجتَمَعت عليه ... ملائكة السّماء مُسلّمينا
وسَلَّم فيه جبريلٌ عليه ... علانيةً برغم السّاخطينا

وقال السّيد الحميرى:

علّيٌ أمير المؤمنين وعِزّهم
إذا النّاس خافوا مُهلكات العواقب
علّيٌ هو الحامي المرّمي فعاله
لدىٰ كلّ يومٍ باسِل الشَّرِ غاصب
علّيٌ هو المَرهُوب والذّائد الّذي
يذود عن الإسلام كلّ مُناصب
علّيٌ هو الغَيث الرّبيع مَع الحبا
إذا نزلت بالنّاس أحدىٰ المصائب
علّيٌ هو العدل المُوّفق والرّضا
وفارج لبس المُبهمات الغرائب
علّيٌ هو المأوىٰ لكلّ مُطرَدٍ
شريدٍ ومَنجُوبٍ من الشّر هارب
علّيٌ هو المهّدِي والمقتدىٰ به
إذا النّاس جارُوا في فنُونِ المذاهب
علّيٌ هو البَدَر المُنير ضياؤه
يضئ سناه في ظلام الغياهب
علّيٌ أكّف النّاس عن كلّ محرم
وأبقاهم لِلّه في كلّ جانبِ

٣١١

□ **قوله ﷺ: وقالَ لهُ بَعضُ اليَهُود: ما دَفَنتُمْ نَبيكم حتّىٰ إختلفتُم فيه! فقال ﷺ لهُ:**
إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لا فِيهِ ولَكِنَّكُمْ مَاجفَّت أرْجُلكُمْ منَ الْبَحْرِ حتّىٰ قُلْتُمْ لِنَبِّكُم اجْعَلْ لَنَا إِلٰهًا كَمَا لَهمْ آلِهَةٌ فَقالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ...

◁ الشَرح

لمّا قال له ﷺ بعض اليَهُود ما قال، أجاله بما حاصله أنّ إختلافنا بعد نبّينا ﷺ لم يكن في أصل الدّين من التّوحيد والنّبوة والمعاد بل كان فيما رُوي عنه ﷺ في أمر الإمامة والخِلافة والميراث ولكنّكم معشَر اليهُود لمّا خَرجتم من البَحر قُلتُم لنبّيكم إجَعَل لنا إلٰهاً كما لهم آلِهة وأينَ هذا الإختلاف من ذاك وقد روي في تفسير البُرهان عن مُحمّد بن شهر آشوب ما هذا لَفظه:

قال علّيّ ﷺ لرأس الجالوت لمّا قال له لم تَلبثوا بعد نبّيكم إلّا ثلاثين سَنة حتّىٰ ضَرب بعضكم وَجه بعضٍ بالسّيف فقال ﷺ له وأنتم لم تَجف أقدامكم من ماء البَحر حتّىٰ قُلتم إجعَل لنا إلٰهاً كما لهم آلِهة انتهىٰ...

أقول: يَظهر ممّا رواه السّيد ﷺ في المقام أنّ السّؤال والجواب كان في صدر الإسلام بعد مَوت النّبي ﷺ وذلك لقوله ما دَفنتم نَبيكم حتّىٰ إختلفتم فيه، وأمّا ما رواه في تفسير البُرهان فَيَظهر منه أنّ السّؤال والجواب كان بعد الخلفاء الثّلاثة في أيّام خلافة أمير المؤمنين وحَربه مع معاوية وأصحاب الجَمل والنّهروان ويدّل عليه قوله في السّؤال لم تَلبثُوا إلّا ثلاثين سنة حتّىٰ ضَرب

بعضكم وجه بعضٍ ولعلّ السّيد ﷺ أخَذَه عن مأخذٍ آخر ولا إشكال فيه فأنّ المآل واحدٌ.

ثُمّ أنّ الآية التّي إستّدل ﷺ بها علىٰ مُدّعاه فهي في سورة الأعراف قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَ جاوَزْنا بِبَني اِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلىٰ قَوْمٍ يَعْكَفُونَ عَلىٰ أَصْنامٍ لَهُمْ قالُوا يا مُوسَى اجْعَلْ لَنا اِلهاً كَما لَهُمْ آلِهَةٌ قالَ اِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾**(١)

ثُمّ قال مُوسىٰ في الجواب: **﴿إِنَّ هٰؤُلاءِ مُتَبَّرٌ ما هُمْ فيهِ وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ، قال أغَير اللّه أبغيكم إلٰهاً وهو فضّلكم علىٰ العالمين﴾**(٢)

قال المُفسّرون مَرّوا علىٰ قومٍ يَعبدُون أصناماً لهم علىٰ هيئة البقر فَسألوا مُوسىٰ أن يَجعل لهم إلٰهاً كواحدٍ منها بعد مُشاهدتهم الآيات والأعلام وخلاصهم من رقّ العبُوديّة وعبُورهم البَحر ومُشاهدتهم غَرق فرعُون وهذه غاية الجَهل انتهىٰ.

١- الأعراف ـ ١٣٨

٢- آل عمران ـ ١٤٠

﴿٣١٢﴾

□ **قوله ﷺ: قيل له بأي شيءٍ غَلَبْتَ الأَقْرَانَ؟ فقال ﷺ: ما لَقِيتُ رَجُلاً إِلَّا أعانَني علىٰ نَفْسِهِ...**

قال السّيد ﵀: يُوَمِئُ بِذَلِكَ إلىٰ تِمكُّنِ هَيْبَته فِي القُلُوبِ...

◁ الشَرح

ماذَكره السّيد في تفسير كلامه ﷺ لا بأس به لأنّه ﷺ كان كذلك وقد قالت الحكماء الوَهم مؤثر لأنّ المَريض إذا تقَّهر في وَهَمه أنّ مَرضه قاتل له ربّما هَلَك بالوَهم وكذلك من لَسعته الحيّة فكذلك الّذين بارزوا علّياً ﷺ من الأقران وإجتمعت الكلمة أنّه ما بارزه أحَد إلّا كان مقتولاً في يَده غَلَب الوّهم عليهم فقصرت أنفسهم عن مُقاومته وإنخَذلت أيديهم وجَوارحهم عن مُناهضته وكان هو ﷺ في غاية القُصوىٰ من الشّجاعة بحيث يضرب به المَثَل فيها فلا نحتاج الىٰ إثباتها في المقام له ﷺ:

﴿٣١٣﴾

□ قوله عليه السلام: **لابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ: يابُنَّي إنّي أخافُ عَلَيْكَ الفَقْرَ فاسْتَعِذْ باللَّهِ مِنْهُ فإنَ الفَقْرَ مَنقَصةٌ لِلدِّينِ، مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْل، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ...**

◁ الشرح

أمَر عليه السلام إبنه ظاهراً وجميع شيعته واقعاً بالإستعاذة باللّه تعالىٰ من الفقر الّذي كاد أن يكون كُفراً وأثبت عليه السلام له أوصافاً ثلاثة مترّتبة عليه كلّ واحدٍ منها يكفي فضلاً عن جميعها:

أحدها: أنّه مَنقصةٌ في الدّين أي أنّه يُوجب النّقص فيه وذلك لأنَّ الفـقير مادام كونه في الفقر والإستئصال يطلب ما يسدّ به رَمَقه ويُشبع به بطنه وبطن عائلته وهو في هذه الحالة لا يتّوجه بشيءٍ من الكمالات النّفسانية والأوصاف الحَميدة مثل الشَّرَف والغِيرة والحَمّية والصّداقة وأمثالها بل يبيعها بأجـمعها بدرهمٍ أو أقلّ أو أكثر ومن كان كذلك لا يبقىٰ له دين أصلاً فضلاً عن النّقص فيه:

وثانيها: أنّ الفقر مَدَهشة لِلعَقل، وهو أيضاً صحيحٌ لأنّ العـقل يـصير بـه مُضطرباً مُتَحيراً يقال دَهَش فيه أي تَحّير والسّر فيه أنّ الإنسان إذا كان فـقيراً مُحتاجاً الىٰ غيره لا يقدر علىٰ التّعقّل والتّفكّر علىٰ وجهٍ صَحيح وأن كان عاقلاً عالماً في حدّ نفسه ولذلك قيل أنّ الفقر جنُون والفقير كالمجنُون:

وثالثها: أنّه داعية لِلمَقت، أي البُغض والعَداوة وذلك لأنّ الفَـقير يـبغُض

الغنّي وأنّما دعاه اليه فقره وإحتياجه فأنّه أي الفَقير يرىٰ محبُوبه وهو المال في يَد غيره ولذلك يُبغضه ألا ترىٰ أنّ الفُقراء يُبغضون الأغنياء ولأجل هذه التّوالي الفاسدة المتّرتبة علىٰ الفَقر قلا رسُول اللّه ﷺ **الفَقر كاد أن يكون كُفراً**، وقد مَرّ الكلام في الفَقر والغِنىٰ غير مرّةٍ فيما مضىٰ:

﴿٣١٤﴾

▫ قوله عليه السلام: لِسَائِلٍ سَأَلهُ عَنْ مُعْضِلةٍ: سَلْ تَفقُّهاً وَلا تَسَألْ تَعنُّتاً فإِنَّ الجَاهِلَ المُتَعلِّمَ شَبِيهٌ بالعَالِمِ وَإِنَّ العَالِمَ المُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بالجَاهِلِ المُتَعَنِّتِ...

◁ الشّرح

أمَر عليه السلام السّائل عن المَسائل العلّمية بأن يَسَأل على طريق التّعلّم والتّفقّه لا علىٰ سَبيل التّعَنّت أي الشّدة والإلزام المَوجب لِلايذاء يقال تَعنّت الرّجل وعليه في السّؤال سَأله علىٰ جهة التّلبيس عليه وعَلّل عليه السلام الحُكم بأنّ الجاهل المُتَعلم وهو الّذي يَسَأل لِلتّفَقّه، شبيهٌ بالعالم لكونه بصدده وأنّ العالم المُتَعَسف المُنحرف عن الطّريق شبيه بالجاهل المُتَعَنت في كونه بصدد إيذاء الغَير، وفي بعض النّسخ هكذا. وأنّ العالم المُتَعَنت شبيه بالجاهل وعليه فالمعنىٰ أنّ السّائل علىٰ سَبيل التّعَنّت كالجاهل وأن كان عالماً، وقد مَرّ الكلام في فضل العلم والعالم والمُتَعَلم والآيات والأخبار في الباب كثيرة ولا نحتاج الىٰ الإعادة.

٣١٥

□ قوله عليه السلام: **لعبد الله بن عبّاس ،و قد أشار اليه في شئ لم يُوافق رأيه: لَكَ أَنْ تُشيرَ عَلَيَّ وأرَىٰ فأنْ عَصيتُكَ فَأطِعني...**

قال بعض الشّراح في شرحه لهذا الكلام ما لفظه: وذلك عند ما أشار عليه بأن يَكتب لإبن طَلَحة بولاية البَصرة ولإبن الزّبير بولاية الكُوفة ولمعاوية بإقراره في ولاية الشّام حتّىٰ تسكن القلُوب وتتّم بيعة النّاس وتلقىٰ الخلافة بوانيها فقال علّيٌ عليه السلام **لا أفسد ديني بدُنيا غيري وَلَكَ أنْ تُشيرَ الخ انتهىٰ.**

أقول ما ذَكره خبطٌ وإشتباه والصّحيح أنّ المُشار اليه في كلام ابن عبّاس هو الزّبير وطَلحة لا إبنهما وذلك لأنّه لم ينقل أحَد من المُؤرّخين ما ذَكره والّذي إتّفقوا عليه أنّ طلحة والزّبير ومعاوية إستَدعوا منه ما إستَدعُوا وقد أشار عليه ابن عبّاس به فقال عليه السلام في جوابه ما قال، ولعلّ المُفسّر أراد تبرئة طَلَحة والزّبير عن إستدعائهما الحكُومة لكونهما من العَشَرة المبَشرة بالجنّة عندهم ومن كان كذلك لا يليق بشأنه أن يَستَدعي شيئاً من حُطام الدّنيا وكيف كان فالحقّ مع المشهُور وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً وأمّا قوله عليه السلام: **لَكَ أنْ تُشيرَ عَلَيَّ وأرَىٰ** الخ ، ففيه إشارة الىٰ أمرين، أحَدهما الإشارة من المُشير كما قال عليه السلام لك أن تُشير عَلَّي، وهي وظيفة المُشير النّاصح في جميع الموارد، وثانيهما أنّه عليه السلام في فُسحةٍ من قبُولها وعَدمه وذلك لعِصمته وعلمه بما كان وما يكون واليه أشار عليه السلام بقوله وأرَىٰ فأن عَصَيتك فأطِعني أي أنّي أسَمع قَولك وأرَىٰ رأيي فيه فأن رأيت الحقّ في خلاف ما تقول فعليك بالإطاعة:

٣١٦

□ **ورُوي أنّهُ ﵇، لَمّا وَرَدَ الكُوفَةَ قادِماً منْ صِفّينَ مَرّ بالشّبامِيّينَ، فَسَمِعَ بُكاءَ النّساءِ علىٰ قَتْلىٰ صِفّينَ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ ابْنُ شَرْحَبِيلَ الشّبامِيُّ وكانَ منْ وُجُوهِ قَوْمِهِ فقال ﵇: له تَغْلِبُكُمْ نِساءُكُمْ علىٰ ما أَسْمَعُ ألا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرَّنينِ؟**

وأقبَلَ يَمشي مَعَهُ وهُوَ ﵇ رَاكِبٌ، فقال ﵇:

ارْجِعْ فإِنَّ مَشْيَ مِثْلَكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ...

◁ الشّرح

الشِّباميين جمع شِبام بكسر الشّين ككِتاب إسم حيٍّ من العَرَب، والمعنىٰ أنّه لمّا مَرّ ﵇ بهم وسَمِع بكاء النّساء علىٰ قتلىٰ صفّين خَرَج اليه حَرب بن شُرحبيل وهو من وُجوه قَومه، فقال ﵇ له تَغلبكم نساءكُم علىٰ ما أسمَع من البكاء منهنّ ألا تنهُونهنّ عن هذا الرَّنين والعَويل والضّجة وأقبَل يَمشي مَعَه

ﷺ وهو راكب، أي أنّ حَرب بن شُرحبيل كان يَمشي مَع عليٍّ ﷺ وعَلِيٌ راكب وهو راجلٌ، فقال ﷺ إرجَع يا حَرب فأنّ مَشي مِثلك وأنت من وجُوه قَومك مَعَ مِثلي وأنا الوالي عليك وعلىٰ غيرك فِتنة أي إختبارٌ وإمتحان يُوجب الفساد والإنحراف للوالي ومَع ذلك هو مَذّلة أي مُوجبة لِلذّل لِلمؤمن وهو أعَزّ شَرفاً ومَوضِعاً عند اللّه منه:

﴿٣١٧﴾

▫ **قوله ﷺ: وقَدْ مَرّ بِقَتَلىٰ الخَوارِجِ يَوْمَ النّـهرَوانِ: بُؤْساً لَكُمْ لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ ،فـقيلَ لهُ: مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَميرَ الْمُؤمِنينَ) فَقَالَ الشَّيْطانُ المُضِلُّ والأَنْفُسُ الأَمَّارَةُ بالسُّوءِ غَرَّتْهُمْ بالأَمانِي وفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعاصِي، وَوَعَدَتْهُمْ الإظْهارَ فاقْتحَمَتْ بِهِمْ النَّارَ...**

◁ الشّرح

قد ذَكرنا قصّة الخَوارج مفصّلاً فيما مضىٰ وقوله ﷺ: **بُؤساً لكم**، البُـؤس بضّم الباء ضدّ النَعيم وقيل هو البُعد عن جوار الحقّ، أي بُعداً لكم لَقد ضَرّكم مَن غَرّكم، أي أوَقَعكم في الضّر والخُسران في الدّارين مَن غَرّكم فقيل له ﷺ مَن غَرّهم يا أمير المـؤمنين فـقال ﷺ الشّـيطان المـُضّل عـن طـريق الحـقّ، والأنفس الأمّارة بالسُّوء غرّتهم بالأماني والآمال في الدّنيا وفَسحت الأنـفس الأمّارة بالسّوء لهم بالمعَاصي أي جَعَلتها في أعَينهم فَسيحة وَسيعة بحيث لم يخافوا منها أصلاً وكانوا يظّنون أنّهم يَحسنُون صنعاً ووَعَدتهم الإظهار وهو الظّفر بالمقصُود فإقتَحَمت أي أسَرَعت بهم النّار وقد تكلّمنا سابقاً فـي عـلّة خروجهم وكيّفية إغوائهم وإضلالهم لشُبهةٍ حَصَلت لهم ظاهراً بسَبب وسَوَسة الشّيطان ودَواعي النّفس أعاذنا اللّه من هذه المَضّلات:

٣١٨

□ قوله عليه السلام: إتَّقُوا مَعاصِي اللَّهِ فِي الخَلَوَاتِ فإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ...

◁ الشّرح

الخَلَوات بالتّحريك جمع خَلَوة والمعنىٰ إجتنبوا معاصي اللّه ولا ترتكبوها في الخَلَوات فضلاً عن الإظهار بها وذلك لأنّ الشّاهد على العصيان فيها هو الحاكم غداً يوم القيامة وهو اللّه تعالىٰ وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّه تعالىٰ لا يحتاج الىٰ شاهدٍ في حُكمه لكونه شاهداً ناظراً أمّا أنّه تعالىٰ هو الشّاهد فلقوله: **﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**(١)

و: **﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾**(٢)

و: **﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾**(٣)

و: **﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾**(٤)

وأمّا هو الحاكم فلقوله تعالىٰ في كتابه: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾**(٥)

و: **﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين﴾**(٦)

و: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُون﴾**(٧)

و: **﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾**(٨) و: **﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾**(٩)

١- الفصّلت-٥٣
٢- ق-٢١
٣- الأنعام-١٩
٤- آل عمران-٩٨
٥- الحجّ-١٧
٦- الأعراف-٨٧
٧- المائدة-٥٠
٨- النّساء-١٤١

□ **قوله ﷺ: لَمّا بَلغهُ قتل مُحمّد بن أبي بكر:**
إنَّ حُزْنَنا عَلَيْهِ علىٰ قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضاً ونَقَصْنا حَبِيباً...

◁ الشَرح

قد مَرّ كيْفية قتل مُحمّد بن أبي بكر بمِصر فيّ فِتنة عمرو بن العاص لَعَنه اللّه وقد روي أنّ معاوية لَعَنه اللّه لمّا وَصَل اليه الخَبَر فَرح بـقَتله فَـرحـاً شَـديداً وهكذا أصحابه وأتباعه وذلكَ لأنّ مُحمّد بن أبي بكر كان من خيار شيعة علّي ﷺ شديد العَداوة علىٰ أعداءه فقال ﷺ: **أنّ حُزننا عليه** أي علىٰ قتل مُحمّد بن أبي بكر علىٰ قَدر سُرورهم أي سُرور معاوية وأصحابه وقوله ﷺ: **إلّا أنّهم** الخ.

أشار ﷺ به الىٰ الفَرق بين سُرور معاوية وأصحابه وبين حُزنه ﷺ عـليه فقال إلّا أنّهم أي معاوية ومن تَبَعه نَقَصُوا بَغيضاً أي إفتَقدوا من كان يُبغضهم بُغضاً شديداً وأمّا نحنُ فقد نَقَصنا أي إفتَقدنا حَبيباً صَديقاً والفَرق واضح:

٩- المائدة ـ١

٣٢٠

□ قوله عليه السلام: **الْعُمْرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلىٰ ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً...**

◁ الشرح

العُمر بضّم العين والعُمُر بضّمها، الحَياة أو ما طال منها، قيل هو مُشّتق من (عَمَر) بمعنىٰ العمارة ضدّ الخَراب سُمّيت المدّة المضروبة للحَياة بـه لكـون الإنسان في تلك المُدّة بصَدَد عمارة بَدنه أو رُوحه أو هما معاً فإذا قيل طال عُمره معناه عمارةُ بَدنه برُوحه وأمّا البقاء فلا يقتضي ذلك لأنّه ضدّ الفناء ولا تعتبر فيه العمارة ولذلك وصَف اللّه نفسه بالبقاء دُون العُـمر مُـضافاً الىٰ أنّ العُمر يعتبر فيه المُبدأ والمُنتهىٰ بخلاف البقاء فأنّه أعمّ، والمعنىٰ أنّ اللّه تعالىٰ إن قَبِل العُذر من إبن آدم فيما قبل السّتين بغلبة الهَوىٰ عليه وتـمّلك القـوىٰ الجسّمانية لعقله فلا يقبل العُذر بعد السّتين إذا تَبع الهَوىٰ ومال الىٰ الشّـهوة لضعف القوىٰ وقرب الأجل، ويمكن أن يكون المراد بالإعذار الإمهال وعليه فالمعنىٰ العُمر الّذي يكون العَبد فيه علىٰ مُهلةٍ لتَحصيل الزّاد ليوم المعاد هو السّتون وأمّا بعده فلا لأنّ القوىٰ النّفسانية والبّدنية تضعف بعد التّجاوز عـنه وتَكِلّ عن العَمَل فَمَن قَصر الىٰ تلك الغاية فقد توّجه اللّوم عليه وإنـقَطَعت حُجّته بالإعذار اليه، ويحتمل أن تكون الهَمزة للسّلب أي أزال عُذره فإذا لَم يتُب في هذا اليَوم لم يكن له عُذر فأنّ الشّاب يقول أتوب إذا شـختُ وأمّـا الشّيخ فماذا يقول، ومحصّل الكلام أنّ الإنسان إذا بَلَغ سنّه الىٰ ستّين أو أكثر

ينبغي له التّوجه الىٰ أعماله وأفعاله فأنّ المعَصية قبيحة ذاتاً من أيّ شخصٍ صَدَرت إلّا أنّها من الشّيخ أقبَح وأشنَع ولنعم ما قاله شيخنا البهائي ﷺ في بعض قصائده بالفارسية:

ای باد صبا به پیام کسی — چه بشهر خطاکاران برَسی
بگذر به محَلّه مَهجُوران — واز نفس و هوا ز خدا دُوران
وآنگاه بگو به بهائی زار — کی نامه سیاه خطا کِردار
ای عُمر تباه خطا پیشه — تا چند زنی توبه پا تیشه
تاکی باشی بیمارِ گناه — ای مُجرم عاصِي نامه سیاه
گفتم که مگر چه بسی برَسی — یابی خود را دانی چه کَسی
دَرسِی دَرسی زکلام خدا — رَهبر نشدت بطریق هُدی
وزسی به چهل چه شدی واصل — خبر جهل ز چل نشدت حاصل
شد عُمر تو شصت وهمان پستی — وز بادَه لَهو ولَعب مَستی
مستی زعلایق جسمانی — رسوا شدۀای ونمی دانی
از اهل غرور ببُر پَیَوند — خود را بشکسته دلان دَربند
شیشه چه شکست شود آبتَر — جز شیشۀ دل که شود بهتر
ای ساقی بادۀ روحانی — زارم زعلایق جسمانی
یَک لمعه ز عالم نورم بَخش — یک جرعة ز جام طَهُورم بَخش
کز سَر فکنم بعد آسانی — اِین کُهنة لحاف هیولانی

﴿٣٢١﴾

□ قوله ﷺ: ما ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثم بِهِ والغَالِبُ بالشَّرِّ مَغْلُوبٌ...

◁ الشَرح

أي إذا كانت الوسيلة في الغَلَبة على الخَصم والظَّفر به رُكُوبُ إثم وإقتراف مَعصيةٍ فأنك لم تَظفر بعدَوك في الحقيقة بل صرتَ مغلُوباً للمَعصية فأنّ الغالب بسبب الشّر أو بمعونته مغلُوب واقعاً وملخّص الكلام هو أنّ الظّفر كلّ الظّفر ما لا يكون في طريقه إثمٌ ومَعصية وما كان كذلك.

فَهو لا يُعدّ بالظّفر في الواقع وإن عُدّ به ظاهراً وهذا الكلام منه ﷺ عِبارة أُخرىٰ عن كلامٍ آخر له ﷺ حيث قال ءَأطَلبُ النّصر بالجَور، أي لا يطلب النّصر به أبداً فهو ردٌّ علىٰ قول من قال أو يقول إنّ الهَدف يوجّه الوسيلة أي إنّ الأصل هو الهَدف والمَقصد وأمّا الوسيلة الّتي يصل الإنسان بها اليه فلا إعتناء بها.

□ قوله ﷺ: إِنَّ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الأَغْنِيَاءَ أَقْوَاتِ الْفُقَرَاءِ فَما جاعَ فَقيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِعَ بِهِ غَنِّيٌ واللَّهُ تَعالَىٰ سائِلُهُمْ عن ذٰلِكَ...

◁ الشّرح

قال اللّه تعالىٰ: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُوم﴾ (١)

و : ﴿ وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ (٢)

و : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِير﴾ (٣)

وقد روي في الوَسائل بأسناده عن أبي عبد اللّه ﷺ في حَديثٍ، قال إنّ اللّه عزّ وجلّ فَرَض لِلفُقَراء في مال الأغنياء ما يَسَعهم ولو عَلِم إنّ ذلك لا يَسعهم لَزادهم إنّهم لَم يُؤتُوا من قبل فَريضة اللّه ولكن أوتُوا من مَنع من مَنَعهم حقّهم لا ممّا فَرض اللّه لهم ولو إنّ النّاس أدّوا حقوقهم لكانوا عايشين بخيرٍ أنتهىٰ...

وبأسناده عن معتب مولىٰ الصّادق قال قال الصّادق ﷺ إنّما وضعت الزّكوة إختَباراً للأغنياء ومعونة لِلفقراء ولو إنّ النّاس أدّوا زكوة أموالهم ما بقىٰ مُسلم فقيراً مُحتاجاً ولا إستغنىٰ بما فَرض اللّه له وإنّ النّاس ما إفتقروا ولا إحتاجُوا ولا عرو إلّا بذنُوب الأغنياء وحقيقٌ علىٰ اللّه أن يمنع رحمته ممّن

١- المَعارج ـ٢٤/٢٥
٢- الضّحىٰ ـ١٠
٣- الحَج ـ٢٨

مَنَع حقّ اللّه في ماله الحَديث...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال إنّ اللّه عزّ وجلّ جَعَل لَلفقراء في أموال الأغنياء ما يكفيهم ولولا ذلك لزادهم وإنّما يُؤتون من مَنع من مَنعهم انتهىٰ« ج ۶ ص ۳ الىٰ ۵»...

﴿٣٢٣﴾

▫ قوله عليه السلام: الإِسْتِغْنَاء عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ منَ الصِّدقِ بِهِ...

◁ الشّرح

أي لا تفعل شيئاً تعتذر عنه وذلك لإنّه أعزّ لك من أن تَفعل شيئاً ثمّ تعتذر منه وإن كُنتَ صادِقاً في العُذر والوجه فيه إنّ العُذْر وإن صَدَق لا يَخلُو من تَصاغرٍ عند الموجّه اليه فإنّه إعتَرَف بالتّقصير في حقّه فالعَبد عمّا يُوجب الإعتذار أعَزّ وأشَرف:

﴿ ٣٢٤ ﴾

▫ قوله ﷺ: **أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّهِ أنْ لا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عِلىٰ مَعاصِيهِ...**

◁ الشّرح

أي ينبغي لِلعَبد أن لا يَعصي اللّه أصلاً عقلاً وشرعاً وأقلّه أن لا يستَعين بنَعمه علىٰ مَعاصيه بأن جَعَل النِّعمة الّتي أنعَم اللّه بها عليه وسيلةً وسبباً لِلوصُول الىٰ المَعَصية، ويحتمل أن يكون المراد إنّ العَدَل أن تَستَعينُوا بنَعَمته علىٰ طاعته فإن لم تفعلُوا ذلك فلا أَقلّ من أن تستعملُوا النِّعم في الأمور المُباحة دون الإستعانة بها علىٰ المُحرّمات فإنّ ذلك ممّا يُعدّ لِسَخَطه لكونه من كُفران النِّعم وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿ **وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ (١) ثمّ إنّ المراد بالنِّعم في المقام كلّ ما يصدق عليه النِّعمة من المال والمَقام والأولاد والصّحة وأمثالها.

١- إبراهيم ـ ٧.

٣٢٥

◻ قوله عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ...

◁ الشّرح

الأكَياس جمع كَيِّس بفتح الكاف وكسر الياء المُشَدّدة بمعنىٰ الفَطِن، والعَجَزة مُحَرّكَة جمع عاجِز والمعنىٰ إنّ الأكياس وهُم الّذين إستعملوا فِطَنهم وحَركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علمٍ وعَمَل جَعَل الله الطّاعة غنيمةً لهم عند تَفريط العَجَزة أي عند تقصير من يعجز عن الطّاعة وقيل إنّ المراد بالعَجَزة المُقصّرون عمّا ينبغي لهم وعليه فالمعنىٰ إنّ طاعته تعالىٰ غَنيمة الأكياس بإعتبار إستِلزامها للنّعيم المُقيم في الآخرة وسبب الغَنيمة غَنمته وهو عليه السلام في معرض ذمّهم علىٰ التّقصير البالغ حدّ العَجز أو مُشبه به وإنّما شبّه عليه السلام الطّاعة بالغَنيمة وعبّر بها لِكَونها في الحَقيقة من الغَنائم المعنوية وهو واضح.

٣٢٦

▫ **قوله ﷺ: السُّلْطَانُ وَزَعةُ اللَّه في أرَضِه...**

◁ الشّرح

وَزَعة مُحَرّكَة جمع وازع كَقَتلة جمع قاتِل، والوازع عن الشّيْ الكاف عنه المانع منه والمعنىٰ إنّ اللّه سبحانه وَضَع السّلطان العادِل في أرضه لَيَمَنع به ما يريد مَنَعه من الظّلم والعُدوان والفُجُور وغيرها فَـمن لم يكـن كـذلك ليس بِسُلطانٍ حقّاً فكإنّه قال ﷺ السُّلطان من كان كذلك وقد مرّ الكلام فيه سابِقاً:

٣٢٧

▫ **قوله عليه السلام: فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِ: المؤمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، أوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وأذَلّ شَيْءٍ نَفْساً يكْرَهُ الرِّفْعَةَ، ويَشْنَأُ السُّمْعَةَ، طَوِيلٌ غَمُّهُ، بَعِيدٌ هَمُّهُ كَثِيرٌ صَمْتُهُ، مَشْغُولٌ وقْتُهُ شُكُورٌ صَبُورٌ، مَغْمُورٌ بِفكْرَتِهِ، ضَنِينٌ بَخلَّتِه، سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لينُ العَرِيكةِ، نَفْسُهُ أصْلَبُ منَ الصَّلْدِ، وهُوَ أذَلُّ منَ العَبْدِ...**

◁ الشّرح

أثبت عليه السلام لِلمؤمن أوصافاً يُعرَف بها وهي ثمانية عَشَر:

منها ـ إنّ بِشْرُهُ في وَجْهِهِ، والبِشر بكسر الباء البَشاشة وطلاقة الوجه أي لا يظهر عليه إلّا السّرُور والإنبساط وقد ورد في الحَديث إنّ المؤمن هشّ وبشّ.

ومنها ـ إنّ حُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، لا وجهه وذلك لإنّ المؤمن يكون حَزيناً إمّا لِخَوفه وخَشيته من عذاب اللّه أو تقَصيره في مقام العبودية وعَجزه وضَعفه عن الإتيان بما هو مأمور به، أو لِغير ذلك من الأُمور وقد قال اللّه تعالىٰ في كتابه: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ**﴾(١)

ومنها ـ أوْسَعُ شَيْءٍ صَدْراً، وهو كِناية عن جُوده وسَخاءه وعَفوه وعَدله وغير ذلك ممّا هو مرتبط بِسَعَة الصّدر فلا يكون بَخيلاً حَريصاً ظالِماً قال اللّه تعالىٰ مُخاطِباً لِنبّيه:

---

١ - الأنفال ـ ٢

﴿ أَلَم نَشرح لك صَدرك﴾ (١) وقد ثَبت إنّ شَرح الصّدر لا يكُون فـي غـير المؤمن المُتَوكل علىٰ اللّه .

منها۔ أذّل شَيءٍ نَفْساً ، وهو كِناية عن تَسلِطه علىٰ نفَسه الأمّارة بالسُوء فلا يكون مُتكَبراً مُعجَباً مُرائِياً بل يكون مُتَواضِعاً خاشِعاً قال اللّه تعالىٰ: **﴿ وإخِفض جَناحَك لِلمؤمنين﴾** (٢)

ومنها ـ يكْرَهُ الرِّفْعَةَ،، أي علّو المَقام بأن يكون أَرَفع مَقاماً من غيره وإنّما يكره ذلك لإنّ الرّفعة تُوجب الزّلة والإنحِراف والعُدُول عـن مَـقام العَـبودية والإنسانية ففيها خَطِر عَظيم قال اللّه تعالىٰ: **﴿ تِلْكَ الدَّارُ الأَخِرةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً والْعَاقِبَةُ لِلمُتَقِينَ)** (٣)

ومنها۔ ويَشْنَأُ السُّمْعَةَ، أي يُبغِضَها والسُّمعة بضَم السّين الصّيت والذّكـر والشُّهرة والوجه فيه أيضاً واضح فإنّ الشُّهرة لِلإنسان من الآفـات والسّـمُوم المُهلِكَة إلّا من عَصَمه اللّه:

ومنها۔ طَوِيلٌ غَمُّهُ، وذلك لإنّ مَنشأ غَمّه ليس إلّا حُبّه لِلّه وفُـراقـه عـن مَحبُوبه وعَدم وصُوله بما يشتَهيه في مَقام السّلوك وبالجُملة إنّه يرىٰ نَفسه فِي دارٍ هي بالبلاء مَحفُوفة طول حياته فلا جَرم طويل غَمّه:

ومنها۔ بَعِيدٌ هَمُّهُ ، أي يكون بعيد الهِمّة في تَحصيل الكمالات والفُوز الىٰ الدّرجات لا تضيع بشيءٍ يَسير في كَسب المَعارِف كما قيل بالفارسية:

همّت بلند دارکه مردان روزگار　　　از همّت بلند بجائی رسـیده‌انـد

ومنها -كَثيرٌ صَمْتُهُ، أي إنّ المؤمن يكون صَمتُه أكثر من كلامه لإنّه لا يتكّلم بما لا فائدة فيه فقد قال رسول اللّه ﷺ -**(السّكوت ذَهَب والكلام فِضّة) وقال** الرّضا ؑ -الصَمّت باب من أبواب الحِكَمة، وعنه ؑ قال -**إتّقُوا اللّه وعَليكُم بالصَمّت**، وقال الصّادق إنّ شيعَتنا الخَرس، والأخبار فيه كـثيرة« **مُشكـاة الأنوار ص ١٧٥»**...

منها۔ مَشْغُولٌ وقْتُه، أي إنّ المؤمن تكون أوقاته في اليَوم بل وفي اللّـيل

١- الإنشراح۔١　　٢- الحِجر۔٨٨
٣- القصص۔٨٣

مشغُولة بنَفسه لا بِغَيرها وبعبارةٍ أُخرىٰ المؤمن الحَقيقي يكـون مُتّوجهاً الىٰ مَبْدأه ومعاده غير غافل عن نفسه فهو في طول حياته لا يشتغل بغيره سواء كان إشتغاله بالطّاعات أم بما هو في طريقها:

منها۔ شُكُورٌ صَبُورٌ، وهذان الوَصفان أيضاً من صفات المؤمن، فهو شكور علىٰ النِّعمة صَبورٌ علىٰ النّقمة والبّلية لعلمه بأنّ اللّه تعالىٰ لا يرىٰ له إلّا ما هو خير له قال اللّه تعالىٰ: **﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** (١)

وقال في وَصف نوح: **﴿إنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾** (٢)

و: **﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأسِ﴾** (٣)

منها۔ مَغْمُورٌ بِفكْرَتِهِ، أي غريق في فكرته لأداء الواجب عليه لنفسه وملّته:

منها۔ ضَنِينٌ بَخلَّتِه، الخّلة بفتح الخاء واللّام المشدّدة الحاجة أي بَخيلٌ بإظهار فقره لِلنّاس فلا يظهر حاجته إلّا في صورة الإضطرار لعلمه بأنّ إظهار الحاجة يوجب الذّلة والحقارَة.

منها۔ سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لينُ العَرِيكَةِ، الخَليقة بفتح الخاء الطّبيعة، أي أنّ المؤمن لا جفاوة في طباعه ولا خشُونة بل هو لين العَريكة، والعَريكة بفتح العين النّفس وهو كناية عن سُهولة تناوُل ما يراد منه وأصله من الأديم يكون ليناً عند العرك في الدّباغ سَهلاً علىٰ دابغه:

منها۔ نَفْسُهُ أصْلَبُ منَ الصَّلْدِ، الصَّلد الحجر الصُّلب ونفس المؤمن أصلَب منه في الحقّ وذلك لأنّ قلب المؤمن كالجبل الرّاسخ لا تحّركه العواصِف لأنّه متّوكل علىٰ اللّه ومن يتّوكل عليه فهو حَسبه:

ومنها۔ وهُوَ أذَلُّ منَ العَبْدِ، لتواضعه لِللّه ومعرفته بقُدرة بارئه فلا يرىٰ نفسه شيئاً، وحيث أنّ البحث في الإيمان والمؤمن وما يتّعلق به من الأوصاف والكمالات قد مرّ غير مرّةٍ في هذا الكتاب إكتفينا في المقام بتوضيح اللّغات وشرح الألفاظ علىٰ سبيل الإجمال فأنّ هذه الأوصاف المذكورة في المقام كلّها أو أكثرها قد مضىٰ البحث فيها مفصّلاً:

١- الشّورىٰ ـ٣٣ ٢- الإسراء ـ٣

٣- البقرة ـ١٧٧

۳۲۸

▫ قوله عليه السلام: لَوْ رَأَىٰ العَبْدُ الأَجَلَ وَمَصِيرَهُ لأَبْغَضَ الأَمَلَ وغُرُورِهُ...

◁ الشَرح

أي أنّ حُبّ الآمال والإغترار بها أنّما هو لأجل أنّ العَبد غافل عن الأجل أي المَوت وبعده فلو كان العَبد رائياً بالرّؤية القلّبية المُعبّر عنها باليَقين مَوته وما يقع بعد المَوت أبَغض الأمَل وغُروره لأنّه حينئذٍ يعلم بأنّ المَوت قطعيّ لا مَرّد له ومَعَه لا يصل العبد الىٰ آماله أصلاً، وأمّا علّة بغض العبد لِلأمَل وغُروره هو أنّ الأمَل مَنَعه عن التّوجه الىٰ المَوت الّذي لابدّ منه لكلّ أحدٍ فَوقَع في غَفلَةٍ منه والغَفلَة رأس الشّرور والآفات وهي ناشئة عن الأَمَل فالأَمَل يصير مَبغُوضاً وبعبارةٍ أُخرىٰ أنّ الأَمَل مانعٌ عن الوصول الىٰ الخيرات والمانع عن الخير شرّ مبغُوضٌ فالأَمَل مَبغُوض:

٣٢٩

□ قوله عليه السلام: لِكُلِّ امْرِؤٍ في مالِهِ شَرِيكانِ الوَارِثُ والحَوَادِثُ...

◁ الشّرح

أي أنّ المال في الحقيقة مشترك بين الصّاحب والوارث والحوادث فهو ليس لصاحبه خاصّة وأمّا العَمَل الصّالح فليس كذلك فينبغي للعاقل أن يصرف عُمره في كسب المَعارف والأعمال الصّالحة دون المال الّذي ليس مخصوصاً به في الواقع وبه تثبت مَزّية الكمال على المال، ويمكن أن يكون المراد أنّ المال لكونه مُشتركاً فهو في مَعرض الزّوال والدّثور والفناء بإنتقاله من شخصٍ الىٰ شخصٍ آخر وما كان كذلك لا يُعتمد عليه ولا يُعبأ به وعليه فيكون الكلام ناظراً الىٰ عدم ثبات الدّنيا وما فيها، ثمّ أنّ المراد بالحوادث الحوادث الّتي توجب زوال المال بالكلّية وهي كثيرة واضحة:

٣٣٠

□ قوله عليه السلام: الدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كالرَّامِي بِلاَ وَتَرٍ...

◁ الشَرح

أي أنّ الّذي يدعو اللّه ولا يَعَمل فهو كمن يرمي من قوسٍ بلا وَتَرٍ فكمّا أنّه لا يُصيب كذلك دعاء الدّاعي من غير عَمَل لا يُستجاب قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **أحمق النّاس مَن تَرك العَمَل وتمنّىٰ علىٰ اللّه** ووجه الشّبه عدم الإنتفاع بـهما وقد مرّ الكلام في الدّعاء وشرائطه:

٣٣١

□ قوله عليه السلام: الْعِلْمُ عِلْمانِ مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ ولا يَنْفَعُ المَسْمُوعُ إذا لمْ يكُنْ المَطْبُوعُ...

◁ الشّرح

قال الرّاغب في المُفردات في مادّة (عقل) ما لَفظه، العقل يقال للقوّة المتّهيئة لقبول العلم ويقال لِلعلم الّذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عَقل ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه العقل عقلان، مطبوع، ومَسمُوع، ولا ينفع مَسمُوعٌ، إذا لم يكُ مَطبُوعٌ، كما لا ينفع ضوء الشّمس وضوء العَين ممنوعٌ انتهىٰ...

أقول: لم نَر في كلامه عليه السلام ما نَقَله الرّاغب عنه عليه السلام في مفرداته من تقسيم العقل الىٰ المطبوع والمسمُوع والّذي هو موجود في جميع النّسخ هو الّذي تراه من تقسيم العلم اليهما ولعلّ الرّاغب نقله عن مأخذٍ آخر، ويمكن لنا الجمع بين النّقلين بأنّ العلم والعقل واحد والفرق بينهما إعتباري كما عليه بعض الفلاسفة فقوّة الإدراك من حيث هي هي تسّمىٰ بالعقل ومن حيث إرتسام الصّور فيها تسّمىٰ بالعلم فأنّ العلم هو الصّورة الحاصلة من الشّئ عند العقل وعليه فالعقل عبارة عن نفس القوّة المُدركة والعلم عبارة عمّا يحصّل فيها من الصُّور العقّلية فالتّقسيم يجري في العلم بإعتبار محلّه لا بإعتبار نفسه ولتحقيقه مقام آخر وكيف كان فالمقصود أنّ العلم الحاصل لِلإنسان علىٰ

قسمين قسمٌ منه يحصل له بحسب طبعه وغريزته وهو الّذي يسّمیٰ بالمطبُوع وأنّما سُمّي به لحصوله بغير تحصيلٍ وكَسب وسماع من الغير، وقسمٌ منه يحتاج الیٰ التّحصيل وهو الّذي يُسَمیٰ بالمسمُوع ووجه التّسمية ظاهرٌ، وأمّا قوله عليه السلام: **ولا ينفع المسمُوع إذا لم تكن المَطبُوع**، فمعناه أنّ الإنسان إذا فَقد العلم الطّبعي الغَّريزي بأن لا يقدر علیٰ درك الحقائق بحسب الغَريزة فلا ينفعه المَسمُوع مِن العلم لأنّ الفرع لا بقاء له مَعَ عَدم بقاء الأصل كما أنّ الصُّورة لا تَنفع بدون المادّة بل لا وجود لها حقّاً ولعلّ السّر فيه هو أنّ العلم المَسمُوع اذا لم يُؤيّده المَطبُوع لا يجوز العَمَل به لإحتمال أن يكون خطأً كما قال تعالیٰ في كتابه: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾(١) وجه الإستدلال بالآية هو أنّ اللّه تعالیٰ لم يَمدح فيها من يستَمع القول فقط بل مَدَح من يستَمع القول ثُمّ يَتّبع أحسَن القول ومن المعلوم أنّ مُتّابعة الأحسن بعد تَشخيصه وتمييزه من غير الأحسن وهذا التّشخيص والتّمييز يحصل بالعَقل المَطبُوع أو العلم المَطبُوع وأمّا إستماع القول فهو الّذي نُسمّيه بالعلم المَسمُوع وقوله تعالیٰ في آخر الآية وأُولئك هم أُولوا الألباب، مشعر بأنّ العلم المَطبُوع هو الّذي يطلق عليه اللُّبّ أعني به العلم الخالي من شوائب الأوهام فأنّ المَسمُوعات لا تخلو منها قَطعاً وفيه سّرٌ عظيم فإفهمه أن كنت من أهله:

١- الزمر ـ١٨

٣٣٢

□ قوله عليه السلام: صَوَابُ الرَّأيِ بالدُّوَل يُقْبِل بإقْبالِها وَيَذْهَبُ بِذِهابِهَا ...

◁ الشَرح

الدُّوَل بضّم الدّال وفتح الواو جمع دَّولة بفتح الدّال وهي ما يَتَداول فيكون مرّةً لهذا ومرّةً لذاك فتطلق على المال والغَلَبة، يقال الدَّهر دُوَل، أي لا ثبات فيه ولا قرار، قال الشّارح البحراني في شرح الكلام أي أنّ الدَّولة مستلزمة لصواب الرّأي إذ كان من تمام السّعادة المُقتَضية للدّولة أن يلزمها رأي صَواب يكون به تدبيرها وتلك السّعادة والدَّولَة مُعدّة لإختيار أصَلَح الأراء وقائدة اليه فهو يقبل بإقبالها لإعدادها له وعند ذهابها يَذهب الرّأي الصّواب وأن عُدّ في الظّاهر صواباً انتهىٰ وتَبعه عليه من كان بعده مِن الشّراح:

وأنا أقول: لا يَبعُد أن يكون المراد غير ما ذَكروه من أنّ الدّولة مُستلزمة لصواب الرّأي وذلك لأنّه لا دليل عليه بل هو في حيّز المَنع ضرورة أنّه لا مُلازمة بين إقبال الدّولة وصواب الرّأي أصلاً كما أنّه لا مُلازمة بين إدبارها وعدم صَوابه والّذي يُقوّي في النّظر هو أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد بهذا الكلام أنّ الدّولة أي المال والمُكنة والحكُومة أو ما شئت فَسّمه تُوجب أن يكون الرّأي الصّادر من صاحبها حقّاً وصَواباً في نظر العوام وأن كان باطلاً في ذاته وهذه المُلازمة ثابتة مادامت الدّولة باقية تَقبل بإقبالها وتَذهب بذهابها وذلك لما نرىٰ أنّ صاحب الدّولة والقُدرة كلّما يقول حقّاً كان أو باطلاً يُحكم عند

العوام بصّحته وأمّا الفقير أو مَن ليست له دَولة فلا يُسمع كلامه فضلاً عن الحكم بصدقه والفَرق بين ما ذَكَروه في تَفسير الكلام وبين ما ذُكرناه لا يخفىٰ علىٰ المُتأمل وذلك لأنّهم قالوا أنّ الدّولة مُستلزمة للرّأي الصّواب حقّاً وعَلّلوه بأنّ صحاب الدّولة يقدر علىٰ التّفكر الصّحيح بخلاف من لم تكن له دَولة فأنّه لا يقدر عليه لكونه مشّوش البال مُتَشتت الحَواسّ والأراء، وأمّا علىٰ ما سَلَكناه في شرح الكلام فالمقصُود أنّ النّاس يحكمُون بصواب الرّأي لصاحب الدّولة مادامت باقية وبعَدمه بعد ذهابها مَع أنّه هو هو قبل الدّولة وبعدها ومَعها ولّيس هذا إلّا مِن أجل أنّ لِلدَّولة سَهمٌ قَوّي في هذا المضمار وهذا ممّا لا يَنكره أحَد فأنّ النّاس عبيد الدّنيا فالدّنيا هي المَدار تَدُور الأشياء حُسناً وقُبحاً علىٰ وجودها وعَدمها فَمِن كان له منها نَصيب، له حَظٌّ كامل من كلّ الكَمالات وأن لم تكن فيه ومَن لم يكن له نَصيب لا حَظّ له من الكمالات وأن كانت موجودة فيه كما قال علّي ﷺ في كلام إذا أقبَلت الدّنيا علىٰ أحَدٍ أعارته محاسن غيره وإذا أدبَرت عنه سَلَبته محاسن نفسه، وقد مَرّ شرحه والعلم عند اللّه:

٣٢٣

□ قوله عليه السلام: العَفَافُ زِيْنَةُ الفَقْرِ والشُّكْرُ زِيْنَةُ الغِنىٰ...

◁ الشّرح

أي أنّ زينة الفقير في عفافه كما أنّ زينة الغنّي في شكره علىٰ النّعماء وهو كلام متينٌ قال الصّادق عليه السلام قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ياعلّي أنّ اللّه جَعَل الفقر أمانة عند خَلقه فَمن ستره أعطاه اللّه مثل أجر الصّائم القائم ومن أفشاه الىٰ من يقدر علىٰ قضاء حاجته فَلم يفعل فقد قَتله أما أنّه ما قَتله بسيفٍ ولا رُمح ولكن قَتله بما أنكر قلبه انتهىٰ« مشكاة الأنوار ص ١٢٦»...

وعن الباقر قال رسُول الّه صلى الله عليه وآله قال اللّه عزّ وجلّ أنّ من عبادي المؤمنين عباداً لا يَصلح لهم أمر دينهم إلّا بالغِنىٰ والسّعة والصّحة في البَدن فأبلوهم بالغِنىٰ والسّعة وصحّة البَدن فَيَصلح عليهم أمَر دينهم، وأنّ عبادي المؤمنين عباداً لا يَصلح أمر دينهم إلّا بالفاقة والمَسكنة والسّقم في أبدانه فأبلوهم بالفاقة والمَسكنة والسّقم فَيَصلح عليهم أمر دينهم وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين انتهىٰ« ص ١٢٧»...

وقد مَرّ الكلام في الفقر والغِنىٰ والعفاف في الفقير والشّكر للغنّي وما يتّعلق بهما غير مرّةٍ:

﴿٣٣٤﴾

▫ قوله عليه السلام: يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَىٰ الظَّالِمِ أشَدُّ مِنْ يَوْمِ الجَوْرِ علىٰ الْمَظْلُومِ...

◁ الشرح

أي يوم إجراء العدالة في حقّ الظّالم من قِبل اللّه تعالىٰ في القيامة أشدّ وأصعَب علىٰ الظّالم من يوم إجراء الظّالم الظّلم في حقّ المَظلُوم في الدّنيا، قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله رَحم اللّه عَبداً كان لأخيه قبله مَظلَمة في عِرضٍ أو مالٍ فأتاه فَيُحلّه منها قبل أن يأتي يوم ليس مَعه دينار ولا درهم رواه أبو هريرة عنه صلى الله عليه وآله...

ورُوي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال لا تَغبطنّ ظالماً لّبظلمه فأنّ له عند اللّه طالباً حثيثاً ثُمّ قَرأ كلّما زدناهم سعيراً انتهىٰ...

وعن علّيٍ عليه السلام يقول اللّه تعالىٰ إشتّد غَضبي علىٰ من ظَلَم مَن لَم يَجد ناصراً غيري انتهىٰ...

وعن النّبي صلى الله عليه وآله قال لا يكبرنّ عليك ظلم من ظَلَمك فأنّه يسعىٰ في مضّرته ونَفعك انتهىٰ...

وعن إبن مسعود قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله إذا كان يوم القيامة نادىٰ مُنادٍ أيَنَ الظَّلَمة وأعوان الظَّلَمة وأشباه الظَّلَمة حتّىٰ من بري لهم قَلماً أو لاق لهم دواة فيجعلُون في تابوت حديد ثُمّ يُرمىٰ بهم في نار جهنّم انتهىٰ.

وعن جابر بن عبد اللّه قال قال رسُول اللّه إتّقُوا الظلّم فأنّ الظلّم ظلُمات يوم القيامة الحديث «مجموعة ورّام ص ٥٣»...

لا تَــظلمنّ إذا مــا كــنتَ مُــقتَدراً
فــالظّلم مــصدره يُــفضي الىٰ النّــدم
تــنام عــيناك والمَــظلُوم مُــنتبهُ
يــدعو عــليك وعــين اللّــه لم تَــنم

وقال الآخر:

وحــقّ اللّــه أنّ الظّــلم لؤمٌ وأنّ الظّــلم مَــرتَعه وخـيمٌ
الىٰ ديّـان يـوم الدّيـن يـمضي وعـند اللّـه تـجتمع الخـصُوم

٣٣٥

□ قوله ﷺ: الأَقاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ، والسَّرائِرُ مَبْلُوَّةٌ، و«كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»، والنَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ سائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ ومُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، يكادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضى والسُّخْطُ وَيكادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ وَتَسْتَحِيلُهُ الكَلِمَةُ الوَاحِدةُ مَعاشِرَ النَّاسِ إِتَّقوا اللَّهَ فكَمْ منْ مُؤَمِّلٍ ما لا يَبْلُغُهُ وبانٍ لا يُسكُنُهُ، وجامِعٍ ما سَوْفَ يَتْرُكُهُ، ولَعَلَّهُ منْ باطِلٍ جَمعَهُ، ومن حَقٍّ مَنَعهُ، أَصَابَهُ حَرَاماً واحتَمَلَ بِهِ آثاماً فَباءَ بِوِزْرِهِ، وقَدِمَ عَلىٰ رَبِّهِ آسِفاً لا هِفاً قَد خَسِرَ الدُّنْيا والآخَرَةَ ذَلَكَ هُوَ الْخُسْرَانُ المُبِينَ...

◁ اللُّغة

(الأَقاوِيلُ) جمع أقوال (السَّرائِرُ) جمع السَّريرة (مَبْلُوَّةٌ) علىٰ وزن مَدْعُوَة إسم مفعول من بَلىٰ يَبلُو (مُتَعَنِّتٌ) إسم فاعلٍ من تَعَنّت ومصدره التَّعَنُّت وهو طلب العَنت أي الأمر الشّاق (مُتكلِّفٌ) إسم فاعلٍ من تكَلّف ومعناه واضح (أَصْلَبُهُمْ) أي أحكَمهم (عُودًا) أي تمَسُّكاً بدينه (تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ) تَنكَؤُه، كَتَمنَعُه يقال نَكأتُ القَرحَة إذا صَدَمتها بشيءٍ فتقشرها أي تسيل جَرحه (تَسْتَحِيلُهُ) أي تُحيله وتُغيّره عن مُقتضىٰ طبعه (آثاماً) الآثام جمع إثم و هو الذّنب والخَطيئة (فَباءَ) باء يَبوء بُوءاً يقال باءَ اليه أي رَجع (آسِفاً لاهِفاً) الأسَف إسم فاعلٍ من أَسَف يأسف، واللاّهف من لَهَف يَلهف:

◁ الشرح

أي أنّ الأقاويل محفوظة عند اللّه تعالىٰ كما قال في كتابه: **﴿وما يَلفَظ من قولٍ إلّا لَدَيه رَقيبٌ عتيدٌ﴾** (١)

و: **﴿سَوَآءٌ مِنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَر بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾** (٢)

وأمّا أنّ السّرائر مَبلوّة، فلقوله تعالىٰ: **﴿هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَت﴾** (٣)

و: **﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾** (٤)

وقوله عليه السلام: **والنّاس منقُوصون مدخولُون،** أي منقوصون في كمالاتهم ومدخولُون أي مغشوشون في عقولهم يقال فلان مدخول أي في عقله دخلٌ وعلّة، وفي هذا الكلام إشارة الىٰ أصلين، أحدهما أنّ الإنسان لا يصل الىٰ كماله المترقب فهو ناقص في حدّ ذاته وكماله وثانيهما، أنّه مدخول في عقله أي لا يكون عقله كاملاً بحيث لا يَشوبه وَهمٌ ولا ظنٌ أو خيال وهو أيضاً أصل يُعتمد عليه في مراتب الإدراكات ومحصّل الكلام هو أنّ الإنسان ناقص الكمال مَدخول العقل فلا يصّح لأحدٍ أن يدّعي الكمال في مراتب سلوكه ودَركه ثمّ قال عليه السلام: **إلّا مَن عَصَم اللّه،** وفيه إشارة الىٰ أنّ القاعدة المذكورة أعني نقص الكمال والعقل تخصّصت بمن عَصَم اللّه وَحَفظه فأنّه خارج عن القاعدة بحكم التّخصص المستفاد من الإستثناء والمراد بقوله عليه السلام: **من عَصَم اللّه،** الأنبياء والأوصياء فأنّهم الكاملون كمالاً وعقلاً لِعصمتِهم عن الخطأ ولازم ذلك لزوم متابعتهم في جميع الشّئون وقد مرّ البحث في عصمة النّبي والوّصي سابقاً، ولمّا قال عليه السلام والنّاس كذا وكذا إلّا من عَصَم اللّه، شرع في أوصاف النّاس وذكر منها أُموراً.

أحدها: أنّ سائلهم مُتَعَنِت، أي أنّه لا يسأل تفقّهاً بل يسأل تَعنّتاً وقد مرّ شرح الكلام عند قوله عليه السلام: **لسائلٍ سأله عن مُعضِلة،** سَل تفقّهاً ولا تسأل تَعنّتاً، أي سائلهم يسأل لغير الوجه الّذي ينبغي لطالب العلم كالمغالبة والمجادلة،

١- ق-١٨
٢- الرّعد-١٠
٣- يونس-٣٠
٤- الطّارق-٩

وثانيها: قوله عليه السلام ومُجيبهم متّكلِف، لِقلّة علمه فلا يقول في الجواب أنّي لا أعلم بل يتّقول بما لا فائدة فيه، وثالثها، أنّ أفضلهم رأياً يكاد يردّه عن فضل رأيه الرّضا والسّخط، أي أنّه يتبعهما في رأيه وأن شئت قلت يردّه رضاه تارةً وسخطه أُخرىٰ عن فضل رأيه فهو تابع لهَواه كما يكاد أصلَبَهُم عُوداً أي أشدّهم في اللّه وأقواهم في طاعته يؤثر فيه اللّحظة أي مِمّن ينظر اليه نظر الهَيْبَة، وتستحيله الكلمة الواحدة، أي يكاد أن يتّحوله عمّا هو عليه كلام واحد قيل له أو يقال له كلّ ذلك يدّل علىٰ ضعف قلبه وقلّة إيمانه وعدم ثباته في أمر دينه وبعد ذلك شرع عليه السلام في المَوعِظة علىٰ سبيل الإيجاز فقال معاشِر النّاس إتّقوا اللّه، بترك المحرّمات وإتيان الواجبات، فكم من مُؤملٍ، مِمّن له آمالٌ بَعيدة وهو لا يبلغ اليها أصلاً، وبانٍ لا يسكنه، أي وكم من بانٍ من الأبنية والقُصور المجلّلة وهو لا يسكنُه أبداً، وجامعٍ، أي وَكَم من جامعٍ من الأموال ما سوف يتركه ويموت بحسرةٍ كما قال تعالىٰ: **﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّٰاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ. كَذٰلِكَ وَ أَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ وَ ما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾**(١)

و: **﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**(٢) ثمّ قال عليه السلام ولَعلّه من باطلٍ جَمَعه ومن حقٍّ مَنَعه أي ويمكن أن يكون المال المترُوك كذلك فإن كان فهو المُصيبة، حيث أصابه حراماً وإحتّمل به آثاماً، فإنّ إحتمال الآثام مُصيبة فوق المُصيبة وذلك لإنّه، باءَ بَوَزرِه، وذَنبه أي رجع اليه بَعد موتّه وقدِم علىٰ ربّه في القيامة، آسفاً لاهِفاً، يتأسف ويَلَهف علىٰ ما فَعَل في الدّنيا من جَمعه الأموال من طريق الحَرام ثمّ تَركها لِلوارث لَيَستفيد منها ويتنّعم بها وأمّا هو أي صاحب المال وجامعه فقد إحتّمل آثامه ووَباله في الآخرة فلم ينتفع بماله لا في الدّنيا ولا في الآخرة خسر الدّنيا والآخرة ذلك هو الخِسران المُبين صدق اللّه تبارك وتعالىٰ وصَدَق ولّيه أعاذنا اللّه من هذه الأوزار.

١- الدّخان - ٢٥/٢٦/٢٧
٢- الأنعام الآيات ٩٤

٣٣٦

□ قوله عليه السلام: مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعاصِي...

◁ الشّرح

العِصْمَة، بكسر العَين وسكون الصّاد وفتح الميم في الأصل المَنَع وفي الإصطلاح عبارة عن مَلَكه إجتناب المَعاصي، والخَطأ والمراد بها في المقام هو معناها اللّغوي دون الإصطلاحي أي من المَنَع عن المَعاصي تَعَذُّرها بسبب المَوانع والأصل تعذُر المَعاصي من العِصَمَة، أي عدم القُدرة عليها من أسباب مَنَعها وبعبارةٍ أُخرىٰ كما إنّ تَرك المَعاصي قد يكون بسبب العِصَمَة أعني بها مَلَكة إجتناب المَعاصي كما في الأنبياء والأوصياء كذلك يكون بسبب تَعَذُر المَعاصي فهو أيضاً من العِصْمَة لإنّها في الأصل بمعنىٰ المَنَع من المَعَصية سواء كان بِسبب المَلَكة الحاصلة أم بسبب تَعَذُّر المَعاصي من فقرٍ وهرمٍ، وضعفٍ وغيرها وعليه فهو أي تَعّذُر المَعاصي من النِعم الإلٰهية الّتي يجب الشّكر عليها:

٣٣٧

□ قوله عليه السلام: ماءَ وَجهِكَ جامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤالُ فانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقطِرُهُ...

◁ الشّرح

الإقطار الإراقة تدريجاً والجمُود كناية عن الإستقرار والثّبوت والمعنىٰ أنّ ماء وَجهك ثابت مستقر لك ما لَم تَسأل النّاس فاذا سألتهم فقد أرَقته فأنظر عند من تُقطِره وتُريقه وفيه إشعار بلزوم حفظه حتّىٰ الإمكان عقلاً وشرعاً، أمّا عقلاً فلأنّ إراقته تُوجب الحقارة والذّلة والعقل يَحكم بحفظ العزّة والشّرف وأمّا شرعاً فلأنّ المؤمن عزيز عند الله تعالىٰ لقوله: **﴿لله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاٰ يَعْلَمُونَ﴾** (١)

رُوي في البحار بأسناده عن أبي عبد الله أنّه قال ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذلّه، وبأسناده عن الباقر عليه السلام **قال بئس العَبد عَبد له طمع يَقوده وبئس العَبد عَبدٌ له رَغبة تُذلّه** انتهىٰ...

ومن طريق العامّة :قال رسُول الله صلى الله عليه وآله **مَسألة النّاس من الفَواحش ما أحَلَّ من الفَواحش غيرها**، وقال صلى الله عليه وآله **لأن يأخذ أحَدكم حَبله فَيَحتطب علىٰ ظهره خيرٌ له من أن يأتي رجلاً فَيَسأله أعطاه أو مَنَعه** وفيه قال الشّاعر:

ما إعتاض باذل وجهه بسؤاله عِوَضاً ولو نال الغِنىٰ بسؤالٍ

١- المنافقون ـ ٨

وإذا السّؤال مَع النّوال وزَنة رَجَح السّؤال وخَفَّ كلّ نوالٍ

وقال الآخر:

إذا أذِن اللّه في حاجةٍ أتاك النّجاح علىٰ رسُله
فلا تسأل النّاس من فضلهم ولكن سَل اللّه من فَضله

وقال الآخر:

لا تسألن بنّي آدم حاجةً وسَلِ الّذي أبوابه لا تُحَجب
اللّه يغضب أن تركت سؤاله وبنّي آدم حين يُسأل يَغضب

وقال الآخر:

شاد الملوك قصُورهم وتَحصَّنُوا من كلّ طالب حاجةٍ أو راغبٍ
فأرغب الىٰ مَلكالملُوك ولاتكن ياذا الضّراعة طالباً من طالبٍ

وقال الآخر:

لمّا إفتَقرتُ لصَحبي ما وَجَدتهُم لَجَأت لِللّه لبّاني وأغناني
واهاً علىٰ بذل وجهيلِلورىٰسَفهاً فَلَو بَذلتُ الىٰ مولاي والاني

وفي قوله ﷺ: **فأُنظر عند مَن تُقَطره**، إشارة الىٰ أنّه أن كنتُ لابدّ من السّؤال فأسئل ذويالفضل والشّرف ولا تسأل اللّئيم الدّنيٰ فأنّ إراقة ماء الوجه عنده من أعظم المصائب كمل قيل:

لَموت الفتىٰ خيرٌ من البُخل لِلفتىٰ
ولَلَبُخل خيرٌ من سؤال بخيلٍ
لِعمرك ما شئ لوجهك قيمةٌ
فلا تَلق إنساناً بوجهٍ ذليلٍ

﴿٣٣٨﴾

▫ قوله ﷺ: الثَّناءَ بأكْثَرَ منَ الإسْتحْقاقِ قَلَقٌ والتَّقصيرُ عَنِ الإسْتِحْقاقِ عِيٌّ وحَسَدٌ...

◁ الشّرح

أي أنّ الثّناء والمَدح لأي شخصٍ كان ومِن أيّ شخصٍ صَدَر ينبغي أن لا يكون بأكثر من إستحقاق المَمدوح ولا بأقلّ منه بل اللّازم إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقَّه وذلك لأنّه إن كان أكثر من إستحقاقه يُعدّ من الإفراط المذموم لكونه داخلاً في التّملق، فأنّ المَلَق بالتّحريك التّمَلق، وأن كان أقلّ من إستحقاقه يعدّ من التّفريط والتّضييع لَحقّه وهو من شُعب العَيّ والحَسَد، والعِي بكسر العين العجز والضّعف وكلاهما مذمومان وخير الأُمور أوسَطها وأنا أقول ما ذكره ﷺ في المقام حقّ وصِدق.

لو عَمل به إلّا أنّه قليل المصداق لو لم يكن عَديمه فأنّ المادحين في كلّ عهدٍ وزمان علىٰ أحد الطّرفين الإفراط والتّفريط وقلّما يُوجد منهم مصداقاً لهذا الكلام نظماً ونثراً فأن كان المادح شاعراً فهو كما قال اللّه تعالىٰ:﴿وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُنَ﴾ (١) وأن كان متكلّماً علىٰ سبيل النّثر فهو يتّبع الهَوىٰ، وما ظنّك بمن إتّخذ إِلٰهه هَواه، ولعلّه لذلك قيل أحثّوا التّراب علىٰ

١- الشّعراء-٢٣٤

وجوه المدّاحين اللّهم إلّا أن يكون المدح لِللّه تعالىٰ ولرسُوله ولأوصيائه وأوليائه تقرّباً به الىٰ اللّه وهو قليل مع أنّ المَدح إذا كان لرسُوله وأوصيائه ينبغي للمادح أيضاً مُراعاة القاعدة لقولهم نزّلوُنا عن الرّبوبية وقولوا فينا ما شئتم فَمَن مَدَح علّياً عليه السلام وَجَعلَه فَوق مقام المخلوق فقد أعطاه أكثَر من إستحقاقه فهو مَلَقٌ ومن مَدَحه وجَعَله كأحدٍ من النّاس فقد قَصَّر في حقّه عَيّاً أو حَسَداً وهكذا:

٣٣٩

◻ قوله ﷺ: أشَدُّ الذُّنُوبِ ما استَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ...

◁ الشّرح

أشدّ الذّنوب وأصعَبَها ما يعدّه المذنب خفيفاً فلا يَعبأ به وبعبارةٍ أُخرىٰ إستَحقَره مثل أن يقول ليس هو بشيئٍ يعتّد به وأنّما جَعَله من أَشَدّها لأنّ الذّنب إذا إستحقَره صاحبَه يدوم عليه ولا يتوب ولعلّه يموت علىٰ هذه الحالة وهذا بخلاف الذّنب الّذي يعدّه عظيماً فأنّه يتوب منه ويستريح من تبعاته ولذلك وَرَد النّهي في الأخبار عن إستحقارها وإستصغارها:

روي في البحار بأسناده عن أبي جعفر ﷺ قال سمعته يقول إتّقوا المحقّرات من الذّنوب فأنّ لها طالباً يقول أَحَدكم أذنب وإستَغفر أنّ اللّه عزّ وجلّ يقول:﴿نَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْئٍ اَحْصَيْنٰاهُ فِى اِمٰامٍ مُبِينٍ﴾(١)

و : ﴿إِنَّهَآإِنَ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأتِ بَهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(٢) ج ١٥ جزء الثالث ص ١٤٨ باب الذّنوب وآثارها...

وبأسناده عن زيد الشّحام قال قال أبو عبد اللّه إتّقوا المحقّرات من الذّنُوب فأنّها لا تُغفر قلتُ وما المحقّرات قال الرّجل يذنب الذّنب فيقول طُوبىٰ

١- يس-١٢ ٢- لقمان-١٦

لي لو لم يكن لي غير ذلك انتهى « ص ١٥٧»...

وبأسناده عن أبي عبد الله ﷺ قال أنّ رسُول الله ﷺ نَزَل بأرض قرعاء فقال لأصحابه إئتونا بحَطب فقالوا يا رسُول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حَطّب قال ﷺ فليأت كلّ إنسانٍ بما قدر عليه فجاؤوا به حتّىٰ رَموا بين يديّه بعضه علىٰ بعضٍ فقال رسُول الله ﷺ هكذا تجتمع الذّنُوب ثمّ قال أيّاكم والمحقّرات من الذّنوب«الخبر ص ١٥٧»...

أقول: وكفىٰ في ذلك قوله تعالىٰ حيث قال:﴿**وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ اَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ (١)

١ - الأنبياء ـ ٤٧

٣٣٩

□ قوله ﷺ: أَشَدُّ الذُّنُوبِ ما استَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ...

◁ الشرح

أشدّ الذّنوب وأصعَبَها ما يعدّه المذنب خفيفاً فلا يَعبأ به وبعبارةٍ أُخرىٰ إستَحقَره مثل أن يقول ليس هو بشئٍ يعتّد به وأنّما جَعَله من أشَدّها لأنّ الذّنب إذا إستحقَره صاحبَه يدوم عليه ولا يتوب ولعلّه يموت علىٰ هذه الحالة وهذا بخلاف الذّنب الّذي يعدّه عظيماً فأنّه يتوب منه ويستريح من تبعاته ولذلك وَرّد النّهي في الأخبار عن إستحقارها وإستصغارها:

روي في البحار بأسناده عن أبي جعفر ﷺ قال سمعته يقول إتّقوا المحقّرات من الذّنوب فأنّ لها طالباً يقول أَحَدكم أذنب وإستَغفر أنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿تَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وَآثارَهُمْ وَ كُلَّ شَيْئٍ اَحْصَيْناهُ فِى اِمامٍ مُّبِيْنٍ﴾ (١)

و : ﴿إِنَّهَاإِنَ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (٢) ج ١٥ جزء الثالث ص ١٤٨ باب الذّنوب وآثارها...

وبأسناده عن زيد الشّحام قال قال أبو عبد اللّه إتّقوا المحقّرات من الذّنُوب فأنّها لا تُغفر قلتُ وما المحقّرات قال الرّجل يذنب الذّنب فيقول طُوبىٰ

١- يٰس-١٢

٢- لقمان-١٦

لي لو لم يكن لي غير ذلك انتهى « ص ١٥٧»...

وبأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال أنّ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله نَزَل بأرض قَرعاء فقال لأصحابه إئتونا بحَطب فقالوا يا رسُول اللّه نحن بأرض قرعاء ما بها من حَطَب قال صلى الله عليه وآله فليأت كلّ إنسانٍ بما قدر عليه فجاؤوا به حتّىٰ رَموا بين يديَه بعضه علىٰ بعضٍ فقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله هكذا تجتمع الذّنُوب ثمّ قال أيّاكم والمحقّرات من الذّنوب«الخبر ص ١٥٧»...

أقول: وكفىٰ في ذلك قوله تعالىٰ حيث قال:**﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾**(١)

١- الأنبياء-٤٧

٣٤٠

▫ قوله عليه السلام: مَن نَظَرَ في عَيْبِ نَفْسِه اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غيرِهِ ومَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَىٰ مَا فاتَهُ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ، وَمَنْ كابَدَالأُمُورَ عَطِبَ، ومَن اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ ومَنْ كثَرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ خَطَاؤهُ، ومَنْ كَثُرَ خَطَاؤهُ قَلَّ حَياءُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَياؤهُ قَلَّ وَرَعهُ، ومَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ، ومَنْ نَظَرَ في عُيُوبِ النَّاسِ فأنْكَرهَا ثمَّ رَضِيهَا لِنَفْسِه فَذَاكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِه، ومَنْ أكْثَرَ مَنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ منَ الدُّنْيا بالْيَسِيرِ وَمَنْ عَلِمَ أنْ كلاَمَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلاَمُهُ إلَّا فِيما يَعْنِيهِ .

◁ اللّغة

(سَلَّ) بفتح السّين واللاّم المُشّددة يقال سَلَّ السّيف إذا أخرَجه من الغَمَد (كابَدَ) فعل ماضي، يُقال كابَدَها، إذا قاساها بلا إعداد أسبابها (عَطِبَ) أي تَعَب وهَلَك (إقْتَحَمَ اللُّجَجَ) الإقتحام الدّخول والورُود، واللُّجَج، بضَم اللاّم وفتح الجيم جمع اللُّجَة وهي البَحر وقيل مُعظمه والباقي واضح:

◁ الشّرح

ذكر عليه السلام في المقام أموراً جليلة ينبغي لكلّ مكّلفٍ التّوجه اليها والعَمَل بها فإنّ فيها سعادة الدّارين:

أحـــدها: **مَن نَظَرَ في عَيْبِ نَفْسِه اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غيرِهِ**، ولازم ذلك هـو

الإشتغال والإعراض عن عيوب الغَير وذلك لإنّ الإنسان كائناً من كان إذا توجّه الىٰ نفسه يجدها مَعيُوبة منقُوصة ولازمه ما ذكره عليه‌السلام أمّا لإنّه مشغُول بتَهذيب نَفسه وإصلاحَها فيصرف وَقته فيه، وأمّا لإنّ النّاقص المَعيُوب لا يشتَغل بعيُوب غيره لإنّ ما يعّده عَيباً لَغيره فهو أو أكثر منه موجود في نفسه وقد ثبت في باب السّلُوك إنّ الإنسان لو صَرَف عُمره في إصلاح نَفسه لم يكن وافياً به فَكيف يشتغل بغيره هذا مُضافاً الىٰ إنّ تتبّع عَورات المُسلمين وعَثَراتهُم مذمُوم شَرعاً بحيث لو فَرضنا إنّه لا ينظر في عَيب نفسه ولو نظر ليس بصدد إصلاحها فهو مع ذلك يحرم عليه الإشتغال بعيُوب غيره:

قال رسول اللّه صلى‌الله‌عليه‌وآله لا تَطلبُوا عَثَرات المؤمنين فانّ من تتبّع عَثَرات أخيه تتبّع اللّه عَثَراته ومن تتبّع اللّه عَثَرته فضَحَه ولو في جَوف بيته انتهىٰ« مُشكاة الأنوار ص ١٠٧»...

وثانيها: **وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَىٰ مَا فاتَهُ**، و ذلك لإنّه يعلم بإنّ اللّه تعالىٰ يرزقه لا مَحالة ما دام كونه حَيّاً فلا معنىٰ لَحُزنه علىٰ ما فات منه وإنّما يحزَن عليه من لم يرضَ برزقه وإعتَمد علىٰ الدّنيا وما فيها.

قال الصّادق عليه‌السلام - الرّوح والرّاحة في الرّضا واليَقين، والهَمّ والحُزن في الشّك والسّخط انتهىٰ...

وقال عليه‌السلام - أجرىٰ القلم من محبّة اللّه فمَن أصفاه اللّه بالرّضا فقد أكرَمه، ومن إبتلاه بالسّخط فقد أهَانه والرّضا والسّخط خُلقان من خَلق اللّه يزيد في الخَلق ما يَشاء انتهىٰ« مُشكاة الأنوار ص ٣٢»...

وثالثها: **وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ**، أي من أخرَج سيف الظّلم عن غَمَده لقَتل غيره ظُلماً يُقتل به لا مَحالة لقوله صلى‌الله‌عليه‌وآله (كما تُدين تُدان) وقد قيل إنّ الباغي مَصرُوع وإن كَثُر جنُوده:

ورابعها: **وَمَنْ كابَدَ الأُمُورَ عَطَبَ**، أي من قاسىٰ الأمور بعضها علىٰ بعض بلا إعداد أسبابها فكإنّه يجاذِبها وتُطارده ولذلك قد أوقَعَ نفسه في التّعب

والمشّقة بلا فائدة والسّر فيه هو إنّ لكلّ أمرٍ سبب يخصّه فلا يُقاس بعضها علىٰ بعضٍ بل ينبغي إيجاد الأسباب وهو واضح.

وخامسها: وَمَن اقْتَحَمَ اللُّجَجَ غَرِقَ، وذلك لإنّ الإقتِحام هو الدّخول في شيٍ بشدّةٍ وقُوّة يُقال إقتحم عَقَبة أو وَهَدة رمىٰ بنفسه فيها قال تعالىٰ: **﴿ فلا إقتَحَمَ العَقَبة﴾** أي لم يجاوزها، شَبّه ﷺ الأمور الصَّعبة باللُّجَج، فكما إنّ الإقتِحام فيها يُوجب الغَرق كذلك الإقتحام في الأمور الصَّعبة المُهلكَة بغير تدّبرٍ وتفكّرٍ يُوجب هَدَم الدّين والدّنيا فيَنبغي لِلعاقِل أن يكون علىٰ بَصيرةٍ في دينه ودُنياه:

وسادسها – من دَخَل مَداخِل السّوء أتُّهِم، لقوله ﷺ – **(إتّقُوا مَواضع التُّهم)** وقد مرّ الكلام فيه أيضاً:

وسابعها: مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ خَطَاؤهُ، وهو أيضاً متين وعليه فَمن قلّ كلامه قلّ خَطَأه، وحيث إنّ قلّة الخَطأ أحَبّ الىٰ كلّ عاقلٍ من كُثرة الخَطأ فَمَن قلّ كلامه أحبّ وأحَسَن ممّن كَثُر كلامه وهو المطلوب قال الرضّا ﷺ –**(ما أحَسَن الصَمت من غير عّيٍ، والمِهذار له سَقَطات)** وقال **رسول اللّه** ﷺ – **(السّكُوت ذَهَب والكلام فِضّة...**

وقال ﷺ – **(إن كان في شيٍ شؤم ففي اللّسان « مُشكاة الأنوار ص ١٧٥ »وقد تكلّمنا فيه أيضاً.**

وثامنها: مَنْ كَثُرَ خَطَاؤهُ قَلَّ حَيَاؤهُ، وهو واضح لإنّ الإنسان يستحي من غيره حِفظاً لَخطأه وعِصيانه فإذا أكثر خَطأه بحيث لا يخفىٰ علىٰ غيره فهو يُصير مُتجرياً ولازمه قلّة الحَياء:

وتاسعها: مَنْ قَلَّ حَياؤهُ قَلَّ وَرَعُهُ، لإنّ الوَرَع يَنشأ من كُثرة الحَياء فَقليل الحَياء قليل الوَرَع:

وعاشرها: مَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ، وذلك لما ثَبَت إنّ حياة القلب بالوَرَع ومماته بعدمه فإنّ الوَرَع قد يُفّسر بمَلَكة التَّنزه والإجتناب عن مال الحَرام أكلاً وطَلباً وأخَذاً وإستِعمالاً وقد يُفّسر بكّف النّفس عن مطلق المَعاصي ومنعها

عمّا لا ينبغي وعليه فَمَن قلّ وَرَعه يقتحم في دخُول المُحرّمات فَضلاً عن المُشتَبهات ومن كان كذلك فقد مات قلبه عَلِم به أو لا يعلم:

وحادي عشرها: مَنْ مَاتَ قَلبُهُ دَخَلَ النَّارَ، فإنّ موتَ القَلب يحصل بما ذكرناه ومن كان كذلك يكون عاصِياً لا مَحالة والعاصي إذا مات علىٰ عِصيانه فحاله معلُوم فينتج إنّ من كَثُر كلامه دَخَل النّار وترتيب الأُمنية لا يخفي عليك وإذا كان مضّرة كُثرة الكلام هذا فينبغي تَركها:

وثاني عَشرها: وَمَنْ نَظَر فِي عُيُوبِ النَّاسَ فأنْكَرَها ثمَّ رَضِيهَا لِنَفْسِه فَذَاكَ الأَحْمَقُ بِعَيْنِه، وذلك لإنّه قد رضي لِنَفسه ما أنكَره في حقّ غيره فيقال له أن كان الكِذب مثلاً من المُنكِرات في حقّ غيرك فهو منها بالنّسبة اليك أيضاً وحيث إنّك رضيته لِنَفسك وأنكرته في حقّ غيرك فأنت أحَمق وهكذا باقي الصّفات ولعُمري هذا الّذي ذكره ﷺ جارٍ فينا بِعَينه طابق النّعل بالنّعل:

وثالث عشرها: مَنْ أكْثَرَ مَنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ منَ الدُّنْيا بالْيَسِيرِ، وذلك لإنّ كُثرة ذِكَر المَوت تُوجب التّوجه الىٰ الآخرة ولازمه الإعراض عن الدّنيا وزَخارِفها وهذا معنىٰ رضي منها باليَسير وقد مرّ الكلام فيه أيضاً.

ورابع عشرها: ومَنْ عَلِمَ إنَّ كلاَمَهُ مِنْ عَمَلِه قَلَّ كلاَمُهُ إلَّا فِيما يَعْنِيه، أي من عَمَل ثمّ قال فلا يقول إلّا حقّاً ولا يصير مِصداقاً لَقوله تعالىٰ: **﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لاتَفْعَلُونَ﴾**(1) ثمّ إنّ هذه الأُمور بأجمَعها قد مرّ الكلام فيها مُفَصّلاً في تَضاعيف الكتاب ولذلك لم نطل الكلام فيها في المقام وإكتَفينا بالإشارة:

١- الصّف ـ ٢

﴿٣٤١﴾

▫ قوله ﷺ: لِلظَّالِمِ منَ الرِّجَالِ ثَلاَثُ عَلاَماتٍ يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بالمَعْصِيَةِ ومَنْ دُونَهُ بالْغَلَبَةِ، وَيُظَاهِرُ القَوْمَ الظَّلَمَةَ...

◁ الشرح

أيِ لا ينحصر الظّالم بمن يظلم علىٰ من دونه بالغَلَبة كما يفهمه العُرف العوام بل الظّالم له ثلاث علامات يعرف بها:

أحديها: أنّه يظلم مَن فَوقه بمعصية أوامره ونواهيه أو خروجه عليه أو إنكاره بالمرّة وذلك ظلم لأنّه عدوان علىٰ الحقّ.

وثانيتها: ظلمه علىٰ من دونه بالقهر والغَلَبة مثل أن يقتله عُدواناً أو يسلب ماله أو يهتك عِرضه.

وثالثتها: أنّه يظاهر أي يعاون القَوم الظّلَمَة فكلّ واحدةٍ من هذه العلامات تكفي في إثبات الظّلم له فمن جَمَع له كلّها فهو الظّالم حقّاً وقد مرّ الكلام في الظّلم والظّالم غير مرّةٍ ألا لَعنة الله علىٰ القوم الظّالمين.

٣٤٢

▫ قوله عليه السلام: عِنْدَ تَناهِي الشِّدَّةِ تَكُونَ الفَرجَةُ وَعِنْدَ تَضايُقِ حَلَقِ البَلاَءِ يَكُونُ الرَّخاءَ...

◁ الشّرح

قال اللّه تعالىٰ: ﴿فأنّ مَعَ العُسر يُسراً﴾ والمعنىٰ إذا تناهت الشـدّة والعُسـر تصل النّوبة الىٰ الفَرَج فأنّ الفَرجة بفتح الفاء التَّفَصِي من الهَمّ، وعند تضايق حَلَق البلاء وهو كناية عن إحاطة البلاء يكون الرّخاء والحَلَق مَحرَكة جـمع حَلَقة، والسِّر فيه هو أنّه إذا تناهت الشّدة وتضايقت حَلَق البلاء يقطع العـبد رجاءه عمّا سوىٰ اللّه تعالىٰ لعلمه بعجز ما سواه وإذا كان كذلك فـلا مـحالة يتّوجه الىٰ خالقه بشراشر وجوده لأنّ المفروض يأسه عن غيره بالكلّية وهذا التّوجه لِكونه من صميم قلبه هو الّذي يخرجه عمّا هو فيه:

نقل أرباب السِّير أنّ الوَليد بن عبد الملك لَعنه اللّه كَتب الىٰ صالح بن عبد اللّه عامله علىٰ المدينة أن أخرج الحَسن بن الحَسن بن علّي من السّجن وكان محبوساً وأضربه في مسجد رسُول اللّه صلى الله عليه وآله خمس مِائة سوطٍ فأخرجـه الىٰ المسجد وإجتمع النّاس وصعد صالح يقرأ عليهم الكتاب ثمّ نَزَل يأمر بضربه فبينما هو يقرأ الكتاب إذ جاء علّي بن الحسين عليه السلام فأخرج له النّاس حتّىٰ أتىٰ الىٰ جنب الحَسن فقال يابن عمّ مالك أدعُ اللّه بدعاء الكرب يفرج اللّه عنك قال ما هو يابن عمّ فقال لا إِله إلّا اللّه الحليم الكريم لا إله إلّا اللّه العلّي العظيم

سبحان ربّ السّموات السّبع وربّ العرش العظيم الحمد لِلّه ربّ العالمين ثمّ إنصرف عنه وأقبل الحَسن يُكررّها فلمّا فرغ صالح من قراءة الكتاب ونَزَل قال أراه في سِجنه مظلوماً أخرّوه وأنا أراجع أمير المؤمنين في أمره فأُطلق بعد أيّام وأتاه الفرج من عند اللّه والحكايات كثيرة ويكفيك في المقام أنّهم ألّفوا في هذا الباب كُتباً ورسائل كثيرة ولنعم ما قيل:

إذا إشتملت علىٰ البؤس القلوب ... وضاق بما به الصّدر الرّحيب
وأوطَنت المكاره وإطمأنت ... وأرست في مكامنها الخُطُوب
ولَم تَر لإنكشاف الضُّر وَجهاً ... ولا أغنىٰ بحيلته الأُريب
أتاك علىٰ قنوطٍ منك غَوثٌ ... يَمُنُ به اللّطيف المُستجيبُ
عَسىٰ الهَمّ الّذي أمسيتَ فيه ... يكون وراءه فَرجُ قريبٌ
فيأمن خائفُ ويُغاث عانٍ ... ويأتي أهله النّائي الغريبُ

وقال الآخر:

تَصَبّر أيّها العَبد اللّبيبُ ... لعلّك بعد صبرك ما تخيب
وكلّ الحادثات إذا تناهت ... يكون وَراءها فرجٌ قريب

وقال الآخر:

ولَربَّ نازلةٍ يضيق بها الفتىٰ ... ذرعاً وعند اللّه منها المَخرج
ضاقت فلمّا إستحكمت حَلَقاتها ... فَرجت وكان يظنّها لا تَفرج

وقال الآخر:

لأن صَدَع البَين المُشتّت شَملنا ... فللبَين حكمٌ في الجموع صدوع
وللنّجم من بعد الرّجوع إستقامةٌ ... ولِلشّمس من بعد الغُروب طُلوع
وأن نِعمةٌ زالت عن الحُرّ وإنقضت ... فأنّ لها بعد الزّوال رُجوع
فكُن واثقاً باللّه وأصبر لِحُكمه ... فأنّ زوال الشّر عنك سريعٌ

وقال الآخر:

إذا تَضايَق أمرٌ فإنتظر فَرجاً ... فأضيَقُ الأمر أدناه الىٰ الفَرج

٣٤٣

□ قوله عليه السلام: **لِبَعْضِ أصْحابِهِ: لا تَجْعَلَنَّ أكْثَرَ شُغْلِكَ بِأهْلِكَ وَوَلَدِكَ فإِنْ يكُنْ أهْلُكَ وَوَلَدُكَ أوْلِياء اللَّهِ فإِنَّ اللَّهِ لا يُضِيعُ أوْلِيَائَهُ .وإنْ يكُونُوا أعْدَاءَ اللَّهِ فَمَا هَمُّكَ وَشُغْلِكَ بِأعْدَاءِ اللَّهِ...**

◁ الشرح

أفاد عليه السلام أنّ الأهل والوَلد لا يخلو حالهم من أمرين :

أحدهما: أن يكونوا من أولياء اللّه وأحبّائه:

وثانيهما: أن يكونوا من أعداء اللّه فَعَلىٰ الأوّل أنّ اللّه تعالىٰ يكفيهم لأنّه لا يضيع أوليائه وعلىٰ الثّاني لا فائدة في همّك وشُغلك بهم لأنّه من الإعانة علىٰ الإثم وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿ **وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوانِ** ﴾ مضافاً الىٰ عدم قُدرتك علىٰ إصلاح أمورهم فأنّ الأُمور بيده وفي قوله عليه السلام لا تَجعلنّ أكثر شُغلك، إشعار بأنّ الإشتغال بأُمورهم ممّا لابدّ منه بل مُرغبٌ فيه شرعاً فأنّ الكّاد علىٰ الأهل والعيال كالمجاهد في سبيل اللّه إلّا أنّ الإشتغال بأُمورهم ينبغي أن يكون بحيث لا يخرجه عن طاعة اللّه وإصلاح نفسه فالنّهي قد تعلّق بالإفراط فيه لا مُطلقاً:

٣٤٤

◘ قوله ﷺ: أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ...

◁ الشَرح

أي أكبَر العَيب أن تَعيب لغيرك عَيباً فيك مثله موجود مثل أن تعيب عليه الكذب وأنت كاذب أو البُخل وأنت بخيل، أو الظّلم وأنت ظالم وهكذا وأنّما قال أنّه أكبَر العَيب لأنّ عَدم رؤية العيب عَيباً في نفسه ورؤيته عَيباً في الغير من أكبَر العُيوب لِلإنسان وقد مرّ نظير هذا الكلام آنفاً.

﴿٣٤٥﴾

□ **قوله ﷺ: وهَنَأَ بِحَضْرَتِه رَجُلٌ رَجُلاً بِغُلامٍ وُلِدَ لهُ فَقالَ لهُ: لِيُهْنِئكَ الفارِسُ، فقال ﷺ: لا تَقُلْ ذَلِكَ وَلَكِنْ قُلْ شَكَرْتُ الوَاهِبَ وبُورِكَ لَكَ فِي المَوَاهِبِ وَبَلَغَ أَشُدَّه ورُزِقْتَ بِرَّهُ...**

◁ **الشَرح**

نهىٰ ﷺ القائل عنه لأنّه من رُسوم الجاهلّية ولذلك قال ﷺ لا تقل ذلك ثمّ أَمَره أن يقول في مقام التّهنئة ما تتّرتب عليه أربع فوائد، أحدها تذكير الوالد بشُكر اللّه واليه أشار بقوله شكرت الواهب، وثانيها إستنزال البَركة منه بالدّعاء، واليه أشار بقوله وبُورك لك في المواهب وثالثها، بالدّعاء للموهُوب بـالبقاء وبلوغ الأشدّ وهو كمال القوّة لغاية الإنتفاع به ورابعها، الدّعاء بثمرته والإنتفاع به وهو أن يرزقه برّه ونفعه:

٣٤٦

□ **وبَنى رَجُلٌ من عُمالهِ بِناءً فَخماً، فقال له عليه السلام: أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُؤُسَها أَنّ الْبناءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَىٰ...**

◁ الشَرح

الوَرِق بفتح الواو وكسر الرّاء الفِضّة والمعنىٰ ظَعَّهَرَت الفِضّة فأطَلَعت رؤسها وهو كناية عن ظهور أثَرها في البَناء ولذلك قال عليه السلام: **أنّ البَناء يصف لك الغِنىٰ**، وذلك لأنّ البَعرة تدّل علىٰ البَعير فمن لم يَكن غنّياً كيف يَبني بناءً فَخماً أي عَظيماً عالياً وأنّما قال عليه السلام له ما قال تعييراً وتَوبيخاً له:

﴿٣٤٧﴾

▫ قيل له عليه السلام: لَوْ سُدَّ عَلَىٰ رَجُلٍ بَابُ بَيْتِهِ وَتُرِكَ فِيهِ مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ) فقال عليه السلام: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُه...

◁ الشّرح

سُئل عليه السلام عَمّن سُدّ عليه باب بَيته من أين يأتيه رزقه فقال في الجواب من حيث يأتيه أَجَلُه أي أنّ الرّزق بيَد اللّه كما أنّ المَوت بيَده فكما أنّ المَوت يدخل في البَيت المَسدُود كذلك الرّزق قال اللّه تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾(١)

وقال في الرّزق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(٢) وقد مَرّ البحث فيه:

١- النّساء-٧٨

٢- الطّلاق-٢

٣٤٨

▫ وَعَزّىٰ قَوْماً عَنْ مَيّتٍ ماتَ لهمْ، فـقال عليه السلام: إن هذَا الأَمْرِ لَيْسَ لكُمْ بَدَأ ولا إلَيْكُمْ انْتَهَى وَقدْ كانَ صَاحِبَكُمْ هَذَا يُسَافِرَ فَعدُّوهُ فِي بَعْضِ أسْفارِهِ فإنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وإلَّا فَأنْتُمْ قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ...

◁ الشَرح

التَّعزية التَّسلية والمعنىٰ أنّه عليه السلام قد سَلّىٰ قوماً عن مَيّتٍ مات لهم فقال عليه السلام في مقام التّسلية أنّ هذا الأمر أي المَوت ليس لكم بَدَأ ولا اليكم انتهىٰ أي ليس ميّتكم أوّل من مات ولا آخره بل مات النّاس قبله ويَموت النّاس بعده ثُمّ قال عليه السلام وقد كان صاحبكم الّذي مات قد يُسافر أيّام حياته في الدّنيا فعدّوه بعد مَوته أنّه في بعض أسفاره أي إحسبُوه مُسافراً ولا تَحسبُوه ميّتاً إلّا أنّه أن قَدِم عليكم من سَفره هذا فهو وإلّا فأنتم قَدمتُم عليه أي أنّ هذا السّفر ممّا لابدّ منه لكلّ أحَدٍ فلا تتأسفُوا عليه فأنتم به لاحقُون لا محالة:

٣٤٩

□ قوله عليه السلام: أَيُّها النَّاسُ لِيَرَكُمْ اللَّهُ مِنَ النعْمةِ وَجِلينَ كَما يَراكُمْ منَ النِّقْمةِ فرِقِينَ أَنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدرَاجاً فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفاً ومَنْ ضُيِّقَ عَليهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَاراً فَقَدْ ضَيَّعَ مأمُولاً...

◁ الشرح

ملخّص هذا الكلام هو أنّ الإنسان ينبغي أن لا يأمن من مكر اللّه عند النّعمة والنّقمة فأنّ النّعمة تكون إستدراجاً والنّقمة إختباراً فَمن وُسّع عليه من قِبل اللّه تعالىٰ في المال أو مُطلق النّعمة ولَم يَرَ ذلك إستدراجاً من اللّه فقد أمِن مكره ومَن ضَيّق عليه في معيشته ولم يَرَ ذلك إمتحاناً وإختباراً فقد آيس من رَحمة اللّه وضَيّع أجَراً مأمُولاً فكُونوا بحيث يَراكم اللّه خائفين من مكره عند النّعمة كما يَراكم فَزعين من بلاءه عند النّقمة وأظنّ أنّ الكلام كلّه مُندرج في هـذه الآية: **﴿لِكَيْلاَ تَأسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُم﴾**(١)

أمّا قوله لكيلا تأسوا علىٰ ما فاتكم، فلأنّه إختبار وإمتحان يُوجب الأجر في الآخرة وأمّا قوله ولا تفرحُوا بما آتاكم، فلعلّه لِلإستدراج وهو الأخذ علىٰ غرّة وذلك لأنّ النّعمة بلاء يجب في مُقابلها الشّكر، والنّقمة بلاء يَجب في مُقابلها الصّبر:

١- الحَديد ـ ٢٣.

٣٥٠

□ **قوله ﷺ: يا أَسْرىٰ الرَّغْبَةِ اقْصِرُوا فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلىٰ الدُّنْيا لا يَروعُهُ مُنْها إِلَّا صَرِيفُ أنيابِ الحِدْثَانِ أَيُّهَا النَّاسُ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تأدِيبَها وَأَعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَراوةِ عادَاتِهَا...**

◁ اللّغة

(أَسَرىٰ) جمع أسير (**الرَّغْبَةِ**) بفتح الرّاء وسكون الغين الطّمع (**المُعَرِّجَ**) بضَم الميم وفتح العين والرّاء المُشّددة إسم مفعولٍ من عَرَّج يُعَرّج تَعريجاً والتَّعريج علىٰ الشّيْ الإقامة عليه (**يَروُعه**) من راعَ يَرُوع رَوعاً والرَّوع الفَزَع (**صريف**) الصّريف صوت الإنسان ونحوها عند الإصطكاك (**الحِدثان**) بكسر الحاء النّوائب (**ضَراوة**) الضَّراوة اللّهج بالشّئ والوَلُوع به:

◁ الشّرح

كلمة (يا) لِلنّداء والمعنىٰ يا أُسارىٰ الطَّمع إقصروا أي كُفُّوا وأصبروا والمقصُود كُفّوا وأمنعُوا نفوسكم عن الطَّمع فأنّ المُعَرّج علىٰ الدّنيا والمُقيم بها لا يَرُوعه ولا يَفزعه منها أي من الدّنيا إلّا صريف أنياب الحِدثان أيْ صَوت أنياب الحوادث والنّوائب شَبَّه ﷺ الحِدثان بالحَيوان الّذي له أنياب ثُمّ أثْبت لأنيابه صريف وصَوت تَخييلاً وهذه الإستعارة تُسمّىٰ بالإستعارة التَّخيّلية ومُلّخص الكلام أنّ الدّنيا لو لم تكن فيها الحِدثان والنّوائب لَما كان المُعَرّج

عليها خائِفاً منها ولكنّ المُقيم عـليها أنّـما يـخاف مـن أطـوارهـا وتـقلّباتها وحَوادثها فلا يَعتمد عليها ثُمّ قال ﷺ أيّها النّاس تولّوا من أنفسكم تأديبها أي أدّبُوها حقِ التّأديب وأعدلوا بها أي إمنَعوها عن إتّباع ما تدفع اليـه عـاداتـها فالمَطالب في هذا الكلام ثلاثة:

أحدها: قصر الطّمع عن الدّنيا وزخارفها لوجود النّوائب والحِـدثان فـيها وعَدم بقاءها.

وثانيها: تأديب النّفس بما هو مقّرر في الشّريعة المُقدسة لأنّها أمّارة بالسُّوء فلولا تأديبها علىٰ أساس الشّرع تقع في المَهلَكة والخَطَر.

وثالثها: كفّها أي كفّ النّفس ومَنعها عن إتّباع عاداتها من الأميال والشّهَوات المُهلكة ومن المعلوم أنّ خير الدّنيا والآخرة في هذه الثّلاثة وقد مَرّ الكلام في كلّ واحدٍ منها تفصيلاً:

٣٥١

▫ قوله عليه السلام: **لا تَظُنَّنَّ بكَلِمَةٍ خَرَجَتْ منْ أَحَدٍ سُوءً وأنْتَ تَجِدُ لها في الخَيرِ مُحْتَمِلاً...**

◁ الشّرح

قوله عليه السلام: **تَظُنَّن**، من ظَنّ يَظُنّ مُؤكّد بالنّون الثّقيلة أي لا تَظن ألبّتة ألبّتة بكلمةٍ خَرَجت من أحَدٍ من النّاس، سُوءً أي لا تَظُنّ أنّها كلمة سُوءٍ والحال أنت تجد لها أي لِلكلمة في الخَير مَحمِلاً صَحيحاً أي إذا تَجد لكلمةٍ سَمعتها من غيرك مَحمِلاً صَحيحاً فأحملها عليه ولا تَحملها علىٰ السُّوء المَظنُون فأنّ الظّن لا يغني من الحقّ شيئاً وهو مثل قولهم ضَع فعل أخيك أو قوله علىٰ أحسَن الوجُوه والسّر في هذا الحكم أنّ الأصل الصّحة .

وأمّا الفساد والبُطلان يحتاج الىٰ دليلٍ فأن قام دليلٍ عقلّي أو شرعي علىٰ سُوء نيّة المتكلم فلا كلام لنا فيه إذ يجب مُتابعة الدّليل عقليّاً كان أو شرعياً وأمّا إذا لم يَقم دليل علىٰ سُوء نيّة المتكلّم فلا يُحمل كلامه عليه وأن كان مَظنُوناً لأنّ الظّن لا يكفي في حَمل كلامه عليه لعَدم مقاومته في مقابل الأصل الحاكم به العقل والشّرع مضافاً الىٰ أنّ اللّه تعالىٰ نهىٰ عن مُتابعة الظّن في كثير من الآيات قال تعالىٰ: ﴿**إن يَتَّبِعُونَ إلّا الظَّنَّ وَإنْ أنتُمْ إلّا تَخْرُصُونَ**﴾(1)

---

١ - الأنعام ـ ١٤٨

و : ﴿ذالك ظَنُّ الّذينَ كفروا فَوَيْلٌ لِلّذينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ﴾ (١)
و : ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلمٍ إِلّا إِتْبَاعَ الظّن﴾ (٢)
و : ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلّا يَظُنُّون﴾ (٣)
و : ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيئاً﴾ (٤) وغيرها من الآيات:

١- ص ـ٢٧
٢- النّساء ـ١٥٧
٣- الجاثية ـ٢٤
٤- يونس ـ٣٦

۳۵۲

□ قوله ﷺ: إِذَا كانَتْ لَكَ إِلىٰ اللَّهَ سُبْحَانَهُ حاجةً فأبْدَأ بِمَسألةِ الصَّلٰوة عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللَّهَ أكْرَمُ منْ أن يُسئَلَ حاجَتَين فَيقْضِي إحْدَهُمَا وَيَمْنَعُ الأُخْرَىٰ...

◁ الشّرح

لا شّك أنّ الدّعاء سلاح المؤمن إلّا أنّ لِلدّعاء شرائط مذكورة في محلّها فاذا تمّت الشّرائط لِلدّاعي وأراد أن يَدعُو اللّه ينبغي أن يقول اللّهم صلّ علىٰ مُحمّد وآل مُحمّد ﷺ ثُمّ يَسأل حاجته وعَلَّله بما حاصله أنّ الدّاعي في الحقيقة بعد الصّلٰوة علىٰ رسُول اللّه سأل اللّه حاجتين، أحديهما، سَأل اللّه أن يُصّلي علىٰ مُحمّد وآله، والثّانية كلّ حاجةٍ سَألها عن ربّه وأراد قضاءها، واذا كان كذلك فلا يَخلُو أمّا أن يقضيهما الّه مَعاً، أو لا يَقضيهما كذلك، أويقضي أحدىٰ الحاجتين ويَمنع الأُخرىٰ.

فأن كان الأوّل: فهو المَطلُوب.

وأمّا لاثّاني: فلا سَبيل اليه للزُومه أن لا يَصلّي علىٰ رسُوله وهو كما ترىٰ.

وأمّا الثّالث: فأن كانت الحاجة المقّضية حاجة الدّاعي لنفسه دون الصّلٰوة علىٰ رسُوله فهو غير معقُولٍ وأن كانت الحاجة المقّضية الصّلٰوة علىٰ رسُوله دون حاجة الدّاعي فهو تعالىٰ أكَرَم من أن يَفعل ذلك للزومه بتَبْعُض الصَّفَقة الممنُوع في الشّريعة وإذا كان الوجه الثّالث غير معقولٍ لما ذَكرناه والوجه

الثّاني أيضاً غير معقولٍ يبقىٰ الأوّل بـلا مُعارض وهـو الصّحيح المـطلوب المقصود من الكلام.

رُوي في البحار عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال أنّ العَبد لتكون له الحاجة الىٰ اللّه فَيَبدأ بالثّناء علىٰ اللّه والصّلوة علىٰ مُحمّدٍ وآله حتّىٰ ينسىٰ حاجته فيَقضيها من غير أن يَسأَلَه أيّاها وقول لا إله إلّا اللّه سيّد الأذكار...

وعنه عليه السلام قال أيّاكم أن يَسأل أحَد منكم ربّـه شـيئاً مـن حـوائـج الدّنـيا والآخرة حتّىٰ يَبدأ بالثّناء علىٰ اللّه والمدحة له والصّلوة علىٰ النّبي وآله ثُمّ الإعتراف بالذّنب ثُمّ المَسئلة انتهىٰ...

وقال عليه السلام لا يَزال الدّعاء محجُوباً عن السّماء حتّىٰ يُصّلي علىٰ النّبي صلى الله عليه وآله وآله...

وعنه عليه السلام قال مـن تَـوضأ فأحَسَـن الوضـوء ثُـمّ صـلّىٰ رَكـعتين فأتّـم ركُوعهما وسجودهما ثُمّ سلّم وأثنىٰ علىٰ اللّه عزّ وجلّ وعلىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله ثُمّ سَأل حاجته فقد طلب في فطّانه ومن طـلب الخَـير فـي فـطّانه لم يَـخب انتهىٰ...

وعنه عليه السلام قال إذا أردتَ أن تدعُو فَمَجّد اللّه عزّ وجـلّ وأحَـمده وسَـبّحه وهَلّله وأثني عليه وصلّ علىٰ النّبي وآله عليهم السّلام ثُمّ سَل تُعط انتهىٰ« ج ١٩ باب آداب الدّعاء ص ٤٢ الجزء الثّاني»...

﴿٣٥٣﴾

▫ قوله عليه السلام: مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ المِراءُ...

◁ الشّرح

أي مَن بَخل بِعِرضه ويريد أن يحفظه فَليَدَع أي فَليَترك المِـراء والجَـدَل وذلك لأنّ الجَدَل اذا كان في حقٍّ فلا إشكال فيه لقوله تعالىٰ: **﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** وأمّا المِراء أعنىٰ به الجَدَل في غير حقٍّ فهو يُوجب هَتك العِرض فَيَنبغي أن يُترك صَوناً وحِفظاً له عن الطَّعن وهو واضح:

رُوي في البحار بأسناده عن علّيٍ عليه السلام قال عليه السلام أيّاكم والمِراء والخصُومة فأنّهما يُمرضان القلُوب علىٰ الأخوان ويُنبت عليهما النّفاق انتهىٰ...

وبأسناده عنه عليه السلام قال قال النّبي صلى الله عليه وآله ثلاث من لقىٰ اللّه عزّ وجلّ بهنّ دَخَل الجَنّة من أيّ بابٍ شاء مَن حَسُن خُلقه، وخَشِي اللّه في المغيب والمَحضر وتَرك المِراء وأن كان مُحقّاً« ج ١٥ الجزء الثّالث ص ١٦٦»...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قال جبرئيل للنّبي صلى الله عليه وآله أيّاك وملاحاة الرّجال انتهىٰ« ص ١٦٨»...

أقول: مُلاحاة الرّجال مُقاولتهم ومُخاصمتهم كذا نُقل عن النّهاية:

﴿٣٥٤﴾

□ قوله عليه السلام: مِنَ الْخُرْقِ المُعَاجَلةُ قَبْلَ الإمكانِ والأَناةُ بَعْدَ الفُرْصَةِ...

◁ الشَرح

الخُرق بضّم الخاء الحُمق وضدّ الرِّفق، والأناة التَّأني، والمعنىٰ العَجَلة في الأُمور قبل إمكان الوصُول اليها يُعدّ من الحُمق وضـدّ الرِّفـق كـما أنّ التَّأنـي والتّسامح في الفعل بعد حصُول الفُرصة أيضاً كذلك والحاصل أنّه، شيئان من الحُمق العَجَلة قبل إمكان الوصُول والمُسامحة بعده والسّر فيه هو أنّ التَّعجيل في الأُمور حدّ الإفراط والتَّأني بَعد الفُرصة حدّ التَّفريط وكلاهما مذمُومان وقد مَرّ الكلام فيهما:

٣٥٥

▫ قوله عليه السلام: لا تَسأَلْ عَمَّا لا يَكُونُ فَفِي الَّذِي قدْ كانَ لَكَ شُغْلٌ...

◁ الشّرح

أي لا تتّمن من الأمور بَعيدها فكفاك من قُربها ما يُشغلك، وذلك لأنّ السّؤال عمّا لا يكون من الأمور البَعيدة أو المُستَحيلة في الحقيقة يُعدّ من تَضييع الوَقت إذ لا أثَر له عِلماً وعَملاً وهذا بخلاف الّذي قد كان فأنّ السّؤال عنه والعِلم به ينفع السّائل جدّاً سواء كان المَسئول عنه من الأحكام الشّرعية أم من غيرها:

﴿٣٥٦﴾

▫ قوله عليه السلام: الْفِكْرُ مِرآةٌ صَافِيَةٌ، والإعْتِبَارُ مُنذِرٌ ناصحٌ وكَفَىٰ أدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ ما كَرِهْتَهُ لِغَيرِك...

◁ الشرح

الفِكْرُ بكسر الفاء وسكون الكاف والرّاء قوّة مُطرقة لِلعِلم الىٰ المعلوم، والتَّفكر جَولان تلك القوّة بحَسَب نَظر العَقل وذلك لِلإنسان دون الحَيوان ولا يقال الفِكر أو التَّفكر إلّا فيما يمكن أن يحصل له صُورة في النّفس ولهذا رُوي، تَفكّروا في آلاء اللّه ولا تَفكّروا في اللّه إذ كان اللّه منّزهاً من أن يُوصف بصُورةٍ، وقد نُقل عن بعض الأُدباء أنّه قال الفِكر مقلُوب عن الفَرك لكن يُستعمل الفِكر في المعاني وهو فرك الأُمور وبحثها طلباً للوصُول الىٰ حَقيقتها، ثُمّ أنّه عليه السلام قال الفِكر مرآة صافية والتّقدير أنّه كالمرآة الصّافية فحُذف حرف التّشبيه مثل زيدٌ أسَدٌ أي زيد كالأسد وَوَجه الشّبه فيهما هو أنّ في المرآة تنتقش صُور المَحسُوسات وفي الفِكر تَنتقُش صُور المَعقُولات هذا بناء علىٰ التّشبيه ويمكن حَمل الكلام علىٰ المُبالغة أي أنّ الفِكر هو المِرآة واقعاً إدّعاءً مثل زيد عدلٌ حيث أنّه لكثرة عَدله صار نفسه بالإدّعاء وكيف كان لا شكّ في كَون الفِكر سَبباً وآلةً لدَرك الحقائق العلّمية المُوجبة لسعادة الدّارين ولذلك قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله تَفكّر ساعةٍ خَير من عبادة سِتّين سَنَة، وقال اللّه تعالىٰ:﴿كَذَٰلِكَ

﴿نُفَصِّلُ الأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون﴾[1]

و: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون﴾[2]

و: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون﴾[3] وغيرها من الآيات وقال الشّاعر العارف:

تَفكّر في نبات الأرض وأُنظُر ... الىٰ آثار ما صَنَع المليكُ

ففي رأس الزّبرجد شاهدات ... بأنّ اللّه ليس له شريكُ

وأمّا الإعتبار فمعناه أن تعتبر بالحَوادث الواقعة فِي الدّنيا من المَوت والفَقر والغِنىٰ والصّحة والمَرَض والعزّة والذّلة وغيرها وأنّما قال ﷺ أنّه منذرٌ ناصح لأنّ موارد الإعتبار تُنذرك وتُنصحك لو تَدَّبرت فيها فأنّها تقول بلسان حالها أيّها الإنسان لا تَغفل عن نفسك ولا تَشتغل بما يَمنعك عن الوصُول الىٰ الحقيقة وإعتَبر بالدّنيا وما فيها من الحَوادث وأُنظُر الىٰ أقرباءك وأحبّاءك وأصدقاءك كيف ماتوا فَلم يَبق منهم عين ولا أثر والحاصل إعتَبر قبل أن يُعتَبر بك ومن المعلوم أنّ الإعتبار في عين كونه مُنذراً يكون ناصحاً شفيقاً لمن كان له قلب وقد مَرّ الكلام في الفِكر والإعتبار غيرّ مرّةٍ فيما مضىٰ:

وأمّا قوله ﷺ **وكَفىٰ أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبكَ ما كَرِهْتَهُ لِغَيرِك**، معناه إذا أرَدت تأديب نفسك فتَجّنب عن كلّ ما تَكرَهه في حقّ غيرك، مثل أنّك تَكره أن يكون غيرك كاذباً خائناً ظالماً وهكذا فلا تكن كاذباً خائناً ظالماً وهذا من أحَسن الأَدَب لنفسك وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً:

١- يونس-٢٤ ... ٢- الرّعد-٣

٣- الحشر-٢١

٣٥٧

□ قوله عليه السلام: **الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بالعَمَلِ فَمنْ عَلِمَ عَمِلَ والْعِلْمُ يَهْتِفُ بالْعَمَلِ فأنْ أَجَابَهُ وإِلَّا ارتَحَلَ عَنْهُ...**

◁ الشرح

الهَتف النّداء ومعنىٰ أنّ العِلم مَقرونٌ بالعَمَل فَمن عَلِم عَمِل هو أنّ العَمَل يدّل علىٰ وجود العِلم لصاحبه إذ لولاه لما أمَكَن الإطّلاع عليه، أو المعنىٰ أنّ العِلم الّذي لا يَقرن بالعَمَل فَليس بعلم واقعاً، ومعنىٰ قوله عليه السلام: **والْعِلْمُ يَهْتِفُ بالْعَمَلِ** الخ أي أنّه يُنادي به فأن أجابه صاحبه فهو وإلّا إرتَحَل العِلم عنه أي عن صاحبه فَيصيرُ مَنسّياً وهو كذلك بلا كلام وقد رُوي في البحار هذا الكلام أعني قوله عليه السلام: **والْعِلْمُ يَهْتِفُ بالْعَمَلِ** عن النّبي صلى الله عليه وآله ولا إشكال فيه فأنّ كلام علّي عليه السلام من كلام النّبي وهو من كلام اللّه تعالىٰ وقد مَرّ الكلام في الباب أيضاً.

٣٥٨

□ قوله ﷺ: يا أيُّها النَّاسُ مَتاعُ الدُّنْيا حُطَام مُوْبِيْ فَتَجَنَّبُوا مَرْعاهُ، قُلْعَتُها أحْظَىٰ مِنْ طُمَأْنِينَتِها، وبُلْغَتُها أزْكىٰ مِنْ ثَرْوَتَها، حُكِمَ عَلَىٰ مُكْثِرٍ بِها بالْفاقَةِ وأُعِينَ مِنْ غَنِيَ عَنْها بالرَّاحَةِ ومَنْ رَاقَهُ زِبْرُجُها أعْقَبَتْ ناظِرَيْهِ كَمَهاً، ومَنْ اسْتَشْعَرَ الشَّعَفَ بِها مَلأَتْ ضَميرَهُ أشْجاناً لَهُنّ رَقْصٌ علىٰ سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ، هَمٌّ يَشْغَلُهُ وهَمٌّ يُحْزِنُهُ كذَلِكَ حتّىٰ يُؤخَذَ بِكَظَمِه فَيُلْقَى بالفَضَاءِ مُنقَطِعاً أبْهَرَاهُ هَيِّناً علىٰ اللّٰهِ فَناءُهُ وعلىٰ الإخْوَانِ إلْقاؤُهُ إنما يَنْظُرُ المُؤمِنُ إلىٰ الدُّنْيا بِعَيْنِ الإعْتِبَارِ ويَقْتاتُ مِنْها بِبَطْنِ الإضْطِرَارِ ويَسْمَعُ فيها بِأُذُنِ المَقْتِ والإبغاضِ قِيلَ أثْرَي قِيلَ أكْدَىٰ وإنْ فُرِجَ لهُ بِالْبَقاءِ حُزِنَ لهُ بِالْفَناءِ هذَا وَلَمْ يَأتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ...

◁ اللغة

(حُطَامَ) بضّم الحاء في الأصل ما يُكسر من يُبس النّبات (مُوْبِيْ) المُوبِئ بضّم الميم وسكون الواو وكسر الباء المُحدث لِلوباء وهو المَرَض العامّ (مَرْعاهُ) بفتح الميم إسم مكان أي مكان الرَّعي (قُلْعَتُها) القُلعة بضّم القاف وسكون اللاَم وفتح العين عَدم السّكون للتّوطُن (أحْظَى) أفعل التّفضيل من الحَظّ وهو النَّصيب أي أوَفر وأسعَد (طُمَأْنِينَتِها) أي قَرارها وثباتها (بُلْغَتُها) البُلْغة بضّم الباء وسكون اللّام وفتح العين ما يُبتَلَغ من القُوت (الفاقة) الإحتياج والفقر (أعِينَ) بضّم الهَمزة مجهول أعانَ (راقَه) أي أعجَبه (زِبْرُجُها) الزِّبْرِج بكسر الزّاء وسكون الباء وكسر الرّاء الزِّينة (كَمَهاً) الكَمَه محرّكة العَمىٰ

(**ألشَّعَفَ**) بالعين مَحَرّكة الولُوع وشدّة التّعلق (**أشْجاناً**) أي أحـزانـاً (**رَقْصٌ**) الرّقص بفتح الرّاء وبالتّحريك حركة واثب وقيل الإضطراب والغَليان (**سُويداء القلب**) حَبّته (**بِكَظَمِه**) الكَظم محّركةٌ مـخرج النّـفس وكـنّيٰ بـه عـن المَـوت (**أبْهَرَاهُ**) الأبهَران وريدا العُنُق، وإنقطاعها كناية عن الهلاك (**هَيِّناً**) الهَيّن بـفتح الهاء وكسر الياء المشدّدة السّهل (**إلْقاؤُهُ**) أي طـرحـه فـي قـبره (**يَقْتات**) أي يتّقوتُ أي يأخذ من القُوت ما يكـفي بـطن المُـضّطر (**المَقْتِ**) بـفتح المـيم وسكون القاف الكُره والسّخط (**الإِبْغاضِ**) بكسر الألف مصدر قولك أبغَضَ إبغاضاً (**أَثْرىٰ**) بفتح الألف أي إستغنىٰ (**أَكْدَىٰ**) بفتح الألف وسكون الكاف أي إفتَقَر (**فُرِحَ**) بضمّ الفاء وكسر الرّاء وفتح الحاء مجهول فَرَح (**يُبْلِسُونَ**) يـقال أَبلَس إذا يئس وتَحيّر:

◁ الشّرح

هذا الكلام صَدَر عنه في ذمّ الدّنيا والإغترار بها وقد مرّ في هـذا الكـتاب نظائره غير مرّةٍ وقد تكلّمنا في هذه الأمور بما لا مزيد عليه وذكـرنا الآيـات والأخبار وكلمات القوم حَول الدّنيا مفصّلاً ولنتكلّم في شرح الكلام في المقام علىٰ سبيل الإجمال والإختصار فنقول قال ﷺ يا أيّها النّاس، الخِـطاب عـامّ يشمل الكلّ ،متاع الدّنيا ونِعَمها حُطامٌ، أي حشيش لا يُعبأ بها لأنّها مُربيٌ أي مُهلكٌ فَتَجنّبُوا أي إجتَنبُوا، مرعاه، ومحلّ رَعيه والتّناول منه (**قلعتها أحظَىٰ من طمأنينتها**) أي عَدَم السّكون بها أحظَىٰ وأسعَد من ثباتها وقرارها إذ لا ثبات لها واقعاً (**وبُلغتها أزكَىٰ من ثروتها**) أي أنّ الإكتفاء بالقُوت وهو مقدار ما يُتبلّغ منه علىٰ سبيل الحاجة أزكَىٰ وأطيب من مالها وثروتها، لأنّ في حلالها حسـاب وفي حرامها عقاب (**حُكم علىٰ مُكثريها بالفاقة**) أي أنّ المُكـثّر بـالدّنيا وهـو الّذي يطلب الكثير منه دائماً قد حَكَم اللّه عليه بالفقر والفاقة لأنّه كلّما أكثَر، زاد طَمَعَه وطَلَبه فهو في فقرٍ دائم الىٰ ما يَطمَع فيه (**وأُعين من غنىٰ عنها بالرّاحة**) أي وأعان اللّه تعالىٰ من أعرَضَ عن الدّنيا، بالرّاحة فمن غني عنها إستراح من

هَمّها وغمّها ومن راقه زِبرجها أعقَبَت ناظريه كَمَهاً) أي من أعجَبَته زينة الدّنيا وجمالها أَعمَت الدّنيا عَينَيه فمن نظَر لزينتها بعين الإستحسان أَعمَت عَينيَه عن الحقّ، ومن إستَشعَر الشَّغَف بها ملأت ضميره أشجاناً) أي ومن جَعَل الولُوع والتّعلق بالدّنيا شعاراً لنفسه مَلأت الدّنيا قلبه أحزاناً وهُموماً فأنّها دار بالبلاء محفوفة وبالغَدر معروفة كلّما كان التّعلق بها أكثر كان الحُزن أشدّ وأَوفَر (لَهُنّ رقص علىٰ سويداء قلبه) أي لِلأشجان رقصٍ أي حركةٌ واثب أو إضطراب وغَليان في قلب مَن تعلّق بها (هَمٌّ) أي حُزنٌ (يشغله) عن الآخرة (وَهمٌّ يحزنُه) في الدّنيا فهو دائماً محزون مهمومٌ فيها هكذا حاله (حتّىٰ يؤخذ بَكظمَه فيُلقي بالفضاء) أي حتّىٰ يُؤخذ بنفسه وهو كِناية عن مَوته أي حتّىٰ تَموت وهو علىٰ هذه الحالة، وإلقاء رُوحه في الفضاء كِناية عن فراق الرّوح عن الجَسَد وعُروجها الىٰ عالم المَلَكُوت (مُنقطعاً أبهَراه) وهما وريدا العُنُق أي إنّ وريدَيه قد إنقطعا وإنقطاعها كناية عن هلاكه ومَوته (هَيّناً علىٰ اللّه فناؤه) أي فنَاءه وَموتَه علىٰ اللّه ليس بِعَسيرٍ إذ كلّ من عليها فان (وعلىٰ الإخوان) أي الأقرباء والأحبّاء (إلقاؤه) أي طرحه في القَبر ودفَنه فيه (إنّما ينظر المؤمن الىٰ الدّنيا بعَين الإعتِبار) لِعَلمه بِفَنائها وعَدَم بَقائها علىٰ حالةٍ واحدة (وَيَقتات منها) أي يأخذ القُوت منها (ببطن الإضطرار) أي بقَدر ما يكفي بطن المَضطَرّ (ويَسمع فيها) في الدّنيا (بأذن المَقت والإبغاض) أي بأذن السّخط والبُغض (قيل أثَرىٰ قيل أكَدىٰ) أي قيل إستَغنىٰ قيل إفتَقر بيان لحال الإنسان في الدّنيا فلا يقال فلان أثرىٰ أي إستغنىٰ حتّىٰ يسمع بعد مدّةٍ بإنّه أكَدىٰ أي إفتقر (فُرح له بالبقاء حُزُن له بالفَناء) أي إنّه يَفرح بِبَقائه وحَياتِه ويحَزن بِمَوته وفَنائه (هذا وَلَم يأتهم يوم فيه يُبلسُون) أي هذا الّذي ذكرناه كلّه من أوصاف الإنسان ما دام كونه حَيّاً في الدّنيا وأمّا المَصائب الّتي في الآخرة فهي أعظَم فإنّ يوم القيمة يوم الحَيرة ويوم الحَسَرة والنّدامة أعاذنا اللّه منه:

﴿٣٥٩﴾

▫ **قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ علىٰ طَاعَتِه والْعِقابَ علىٰ مَعْصِيَتِهِ ذِيادَةً لِعَبادِهِ عَنْ نَقْمَتِه وحِياشَةً لَهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِه...**

◁ الشّرح

الذّيادة الدّفع والمَنَع، والحِياشة، الجَمَع، والمعنىٰ إنّ اللّه سُبحانه بِمَقتضىٰ حِكَمته وَضَع الثّواب علىٰ طاعته ووضَعَ العِقاب علىٰ معصيته دَفعاً لِعَباده عن نِقمته وعَذابه وجَمعَاً لهم الىٰ جنّته ورَحَمته أي إنّما فَعَل اللّه ذلك لإن يَجمع عِبادِه الىٰ جَنّته ويدفعهم عن نَقَمته وذلك لأنّ العَبَد إذا عَلِم بإنّ الثّواب مُترتّبٌ علىٰ الطّاعة فلا مَحالة يُطيعُه ومَصيره الىٰ الجنّة وإذا عَلَم بإنّ العِقاب مُترتّبٌ علىٰ المَعَصية يترَكَها خَوفاً منه وبه يَدَفع العَذاب عن نفسه وعليه فَوَضع الثّواب علىٰ الطّاعة والعِقاب علىٰ المَعَصية منه تعالىٰ لطفٌ في حقّ عِبادِه لو كانُوا يعلمُون ولوضُوح الأمر لا نحتاج الىٰ نقل الآيات والأخبار:

٣٦٠

▫ وَرُوِيَ أنَهُ ﷺ قَلَّما اعتَدَلَ بِهِ المِنبَرُ إلّا قالَ إمامَ الخِطبَةِ: أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ امْرُوه عَبَثاً فَيَلْهُو .وَلا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُوا وَمَادُنْياهُ الّتي تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخلَفٍ منَ الآخِرَةِ الَّتي قَبَّحَها سُوءُ النَّظرِ عِنْدَهُ وما المَغْرُورُ الَّذِي ظَفِرَ منَ الدُّنْيا بأعْلىَ هِمّتِهِ كالآخِرَة الَّذِي ظَفِرَ منَ الآخِرَةِ بأدْنىٰ سُهْمَتِهِ...

◁ الشَرح

إعَتَدل به المِنبَر كناية عن إستقراره عليه والمعنىٰ قلّما إستقر علىٰ المِنبَر إلّا قال ﷺ إمام الخُطبة أي قبل الشّروع بها أيّها النّاس إتّقُوا اللّه، في واجباته ومُحرّماته (فما خُلِق إمروٌ عَبَثاً فَيَلهُو) أي فَيَلعب إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرجَعُون﴾ (١)

وقوله ﷺ: (ولا تُرك سُدىٰ فَيَلغُوا) إشارة الىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً﴾ (٢)

ثمّ قال ﷺ: وَمَادُنْياهُ الّتي تَحَسَّنَتْ) في نظره (بِخلَفٍ منَ الآخِرَةِ الَّتي قَبَّحَها سُوءُ النَّظرِ عِنْدَهُ) اي وليست الدّنيا بِخَلفٍ من الآخرة بل لا يُقاس أحدهما بالآخر وإن كانت الآخرة حكَم بِقُبحها سُوء نَظَر النّاظر الّذي تُحسّنت الدّنيا في عَينه كيف والآخرة دار ثباتٍ وبقاءٍ والدّنيا دار فناءٍ وزوالٍ (وما المَغْرُورُ الَّذِي

١- المؤمنون-١١٥ ٢- القيامة- ٣٦

ظَفِرَ منَ الدُّنْيَا بأَعْلىَ هِمّتِهِ) من مالِها ومَقامِها ونِعَمِها ولذّاتِها (كالآخِرَةِ الَّذِي ظَفِرَ منَ الآخِرَةِ بأَدْنىٰ سُهْمَتِهِ) السّهْمة بالضّم النّصيب فإنّ أدنىٰ حَظٍّ من الآخرة أفضَل من أعلاه في الدّنيا لِكَون أحدهما باقياً والآخر فانياً والباقي أعلىٰ وأشرَف من الفاني قال اللّه تعالىٰ: ﴿ والآخرة خيرٌ وأبقىٰ﴾ (١)
و: ﴿ ولِلآخرة خيرٌ لك من الأولىٰ﴾ (٢)

١- الأعلىٰ ـ١٧

٢- الضّحىٰ ـ٤

٣٦١

▫ قوله عليه السلام: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاٰ يَبْقَىٰ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلاّٰ رَسْمُهُ، وَمِنَ الْإِسْلاٰمِ إِلاّٰ إِسْمُهُ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدىٰ سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا يَقُولُ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ: فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلىٰ أُولٰئِكَ فِتْنَةً تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ، وَقَدْ فَعَلَ وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللّٰهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ...

◁ الشرح

أعلم: إنّ هذا الكلام لم يُنقل في بعض النُّسخ وإنّما نَقَله بعض الشّراح كالشّارح المُعتزلي والمحقّق البحراني وأمّا النُّسخ القَديمة الّتي هي موجودة عندنا فليس منه فيها عينٌ ولا أثر ومن ذَكَره فقد ذَكَره قبل الكلام السّابق (وهو قوله قلّما إعتَدل على المِنبر) ونحن رأينا ذكره أولىٰ من تَركه تَبعاً لأكثر الشّراح وإلّا فالكلام بما هو هو مَع التّوجه الىٰ عباراته وسياق كلماته وإفادة معناه لِلنّظر فيه مجال واسع لأنّه بكلام غيره عليه السلام أشبَه منه بكلامه ولعلّه لهذه الدّقيقة لم يُوجد في أكثر النُّسخ القديمة واللّه أعلم ونحن نَشرحه أوّلاً ثُمّ نقول ما يَخطر ببالنا فنقول (**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاٰ يَبْقَىٰ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلاّٰ رَسْمُهُ،**) أي كتابته وكلماته وحروفه (**وَمِنَ الْإِسْلاٰمِ إِلاّٰ إِسْمُهُ**) أي إسم الإسلام لا مصداقه ومُحتواه (**وَمَسَاجِدُهُمْ**) أي مساجد النّاس (**يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ**) من حيث

الزّينة (**خَرَابٌ مِنَ الْهُدىٰ**) أي لا إرشاد فيها ولا هداية الىٰ الخَيرات (**سُكّانُها وَعُمّارُها**) أي سُكّان المساجد وهم النّاس وعُمّالها أي خُدّامها وكلّ من يَعمل فيها (**شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي**) وتَلجأ (**الْخَطِيئَةُ**) والذّنب (**يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهٰا فِيهٰا وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهٰا**) أي يردّون من خَرج منها أي من المساجد الىٰ المساجد ويَسوقُون من لَم يَدخل في المساجد الىٰ المساجد أيضاً (**يَقُولُ اللّٰهُ عزّ وَجَلَّ: فَبِيّ حَلَفْتُ**) أي حلفتُ بنفسي (**لَأَبْعَثَنَّ عَلىٰ أُولٰئِكَ فِتْنَةً**) أي أقسمت بمفسي لأرسلنّ علىٰ أُولئك وهم ساكنوا المَساجد فِتنةً (**تَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهٰا حَيْرٰانَ**) أي أنّ العاقل اللّبيب يصير فيها حَيراناً لا يَعلم كيف وجه خلاصه (**وَقَدْ فَعَلَ**) أي وقد فَعَل اللّه ذلك (**وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللّٰهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ**) قال الشّارح المُعتزلي وينبغي أن يكون قد قال هذا الكلام في أيّام خلافته لأنّها كانت أيّام السّيف المُسّلط علىٰ أهل الضّلال من المُسلمين وكذلك ما بَعَثه اللّه تعالىٰ علىٰ بني أُمّية وأتباعهم من سيُوف بني هاشم انتهىٰ وقال الشّارح البحراني وسكّان المَساجد وعُمّارها (**وفي بعض النُّسخ عُمّالها**) قُرّاء السُّوء وأئمّة الضّلال الّذين وَصَفَهم ﷺ في صدر الكتاب بقوله أنّ أبَغَض الخَلائق الىٰ اللّه رجلان الىٰ آخر ما قال هذا ما ذَكروه في شرح الكلام تَلخيصاً مِنّا:

وأنا أقول في هذا الكلام إعضالات وإشكالات لا يُساعدها العَقل والنّقل:

الأوّل: أنّ صدر هذا الكلام يُغاير بل يُخالف ذيله وذلك لأنّ قوله **يَأْتِي عَلَى النّٰاسِ زَمٰانٌ** كذا وكذا:

يَدّل علىٰ أنّه أخَبَر به عن المُستَقبل ولذلك قال يأتي وأمّا ذيل الكلام يدّل علىٰ أنّ هذه الأُمور قد حَصَلت بدليل قوله (**وَقَدْ فَعَلَ وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللّٰهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ**) فاللازم أن يقال قد أتىٰ علينا زمان كذا وكذا ويُؤيّده قول المُعتزلي في تفسيره حيث قال ينبغي أن يكون قد قال هذا الكلام في أيّام خلافته لأنّها كانت أيّام السّيف المُسّلط علىٰ أهل الضّلال من المُسلمين، أليس لقائلٍ أن

يقول لو كان الأمر كذلك فَلِم قال يأتي علىٰ النّاس والمَفروض حصُوله ووقُوعه:

الثّاني: قوله في وصف المَساجد، **خَرَابٌ مِنَ الْهُدىٰ**، وفي وَصف **سُكَّانُهَا وَعُمَّارهَا** أنّهم **شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ**، تقرير الإشكال واضح إذ كيف يُعقل كون المَساجد خراباً من الهدىٰ بقولٍ مطلق وأنّ عُمّارها وسُكّانها شّر أهل الأرض، وفي الأرض من الكُفّار والمُشركين ما لا يحصىٰ عَددهم نِعم لو قيل ببعض سُكّان المَساجد أو عُمّارها كذلك فَلَه وجهٌ مَع أنّه أيضاً في حَيّز المَنع لأنّ سكّان المَساجد وعُمّارها خير من المُشركين والكُفّار قطعاً وأن كان في إيمانهم ضعيف فأنّ الوجود النّاقص خير من عَدم المَحض:

التّالث: قوله **مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ، وَاِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ**، اذ كيف يُعقل خُروج الفِتَنة من أهل المَساجد وإلتجأوا الخاطئين بهم أو كونهم مأوىٰ لِلخَطيئة مَع أنّ أهل المساجد في كلّ زمانٍ لا يُقاس بغيرهم وهكذا الكلام في بقيّة الكلام اللّهم إلّا أن يقال أنّ ما أخبَر به لَم يَقع وسَيَقع في آخر الزّمان ولا يُبعد أن يكون النّاس في ذلك الزّمان كذلك إلّا أنّ قوله في آخر الكلام (**وقَد فَعَل**) لا يُناسبه فتأمل فيه:

٣٦٢

▫ قوله ﷺ: لا شَرَفَ أعْلىٰ منَ الإِسْلاَمِ، ولا عِزَّ أعَزُّ منَ التقْوَىٰ، ولا مَعْقِلَ أحْسَنُ منَ الوَرَعِ، ولا شَفِيعَ أَنْجَحُ منَ التَّوْبِة، وَلاكَنزَ أغنَىٰ منَ القَناعَةِ، ولا مالَ أذْهَبُ لِلْفاقَةِ منَ الرِّضَىٰ بالْقُوتِ .ومَنْ اقْتَصَرَ علىٰ بُلْغَةِ الكفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحةَ وتَبَّوأَخَفْضَ الدَّعَةِ، والرَّغْبةُ مِفْتاحُ النَّصَبِ ومَطِيّةُ التَّعَبِ والحِرْصُ والكِبْرُ والحَسَدُ دَوَاعٍ إلىٰ التَّقَحُّمِ في الذُّنُوبِ والشَّرُّ جامِعُ مَسَاوِيَ الْعُيُوبِ...

◁ الشّرح

لا شَرَفَ أعْلىٰ منَ الإِسْلاَمِ، لإستلزامه شَرَف الدّنيا والآخرة والمُراد بالإسلام الإسلام بمعناه الأخصّ المُساوق للإيمان بالله وبرسُوله ثُمّ العَمَل بمُقتضاه ووجه كونه أعلىٰ الشّرف هو أنّه مُستَلزم لتَطهير اللّسان بسبب الإقرار وتطهير القلب بسبب الإعتقاد وتطهير الأعمال بسبب الإجتناب عن الشّنائع والقَبائح فَمن أسَلَم واقعاً فقد طَهُر من الأرجاس قولاً وعَمَلاً وإعتقاداً ومن كان كذلك فهو الإنسان الكامل ومن المعلوم أنّه لا شَرَف أعَلىٰ منه لِتَّضمنه سعادة الدّارين وأنّما حملناكلامه ﷺ في الإسلام علىٰ الإسلام المُساوق للإيمان دون الشّهادتين فقط لأنّ الإسلام عنده ما ذكرناه بدليل قوله ﷺ فيما مضىٰ الإسلام هو التّسليم والتّسليم هو اليَقين واليَقين هو التّصديق والتّصديق هو الإقرار والإقرار هو العَمَل والعَمَل هو الأداء وقد مَرّ شَرحه والإسلام كذلك يُساوق الإيمان:

وقوله عليه السلام: **ولا عِزَّ أعَزُّ منَ التقوَىٰ**، معناه أنّ المُتّقي عزيز عند اللّه وعند الرَّسُول وعند الخَلق وذلك لأنّه بسبب التّقوىٰ يفعل الحَسَنات ويترك السّيئات قولاً وفعلاً ومن كان كذلك فهو عَزيز عند الكلّ فإنّ الذّلة والحقارة أنّما تنشأ عن إرتكاب القَبائح العقلَية والشّرعية والمُتّقي منّزه عنه:

وقوله عليه السلام: **ولا مَعْقِلَ أحْسَنُ منَ الوَرَعِ**، المَعقل المَلجأ، والمعنىٰ لا مَلجأ لِلإنسان أحسَن من الوَرَع وذلك لأنّ الوَرَع كفّ النّفس عن المَعاصي ومَنعها عمّا لا ينبغي ومن إلتجأ في أُموره الدّنيوية والأُخروية الىٰ كفّ النّفس عمّا لا ينبغي فقد دَخل في حصن حصين:

وقوله عليه السلام: **ولا شَفِيعَ أَنْجَحُ منَ التَّوْبةِ**، معناه لا شَفيع لِلإنسان أظفَر الىٰ المَقصد أو أسَهل وصولاً اليه من التّوبة وذلك لأنّ العاصي بسبب التّوبة يصير متّطهراً عن الذَنب فكأنّه لا ذنب له وأيّ شَفيع عند اللّه أحَسَن أو أظفَر منها:

وقوله عليه السلام: **وَلا كَنزَ أغنَىٰ منَ القَناعَةِ**، فلمّا قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله القناعة كنز لا ينفد، وذلك لأنّ الإنسان إذا لم يَقنع بما هو في يَده يكون دائماً في طلب الزّيادة ويحرص علىٰ الدّنيا ولا يَصل الىٰ ما أراد أصلاً حتّىٰ يَموت وأمّا القانع بما رَزَقه اللّه فَبمعزلٌ عن هذه الأُمور.

وقوله عليه السلام: **ولا مالَ أذْهَبُ لِلْفاقَةِ منَ الرِّضَىٰ بالْقُوتِ**، عبارة أُخرىٰ عن قوله ولا كنز أغنىٰ من القناعة بتفاوتٍ يَسيرٍ والمعنىٰ أنّ الرّاضي بالقُوت الّذي رَزَقه اللّه لا يَصير مُحتاجاً الىٰ غيره أصلاً لأنّ المَفروض، رضاه بقُوته في كلّ حالٍ.

وقوله عليه السلام: **ومَنْ اقْتَصَرَ علىٰ بُلْغَةِ الكفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحةَ وتَبَوأَخَفْضَ الدَّعَةِ**، فالمراد به أنّ إنتظام الرّاحة في الدّنيا والآخرة والنّزول علىٰ السّعة والعَيش كلّها في ظلّ الإقتصار علىٰ بُلغة الكفاف فَمن لا يكون مقتصراً علىٰ قدر الكفاف لا ينتظم أمر دينه ودُنياه مضافاً الىٰ كونه مَهمُوماً مَحزُوناً وذلك لأنّ الإنسان لا يصل الىٰ ما أراده من الدّنيا أصلاً وهو معلوم:

وقوله عليه السلام: **والرَّغْبةُ مِفْتاحُ النَّصَبِ ومَطِيّةُ التَّعَبِ**، النَّصَب بالتّحريك التَّعَب

وقيل أشدّه، والرّغبة الطّمَع، والمعنىٰ أنّ الرّاغب الطّامع لا يَستَريح أصلاً وذلك لأنّ الطّمَع أوقَعه في التّعَب والمَشّقة.

وقوله ﷺ: **ومَطِيّةُ التَّعَبِ** ، المَطّية، المَركب شبّه ﷺ الرّغبة بالمفتاح تارةً وبالمطّية أُخرىٰ والحاصل أنّ الطّمع كما أنّه مفتاح التّعب كذلك مَطّيته فكأنّ الطّامع ركب التّعَب بطَمَعه ٌ وأمّا الفَرق بين النَّصَب والتَّعَب بالشّدة والضّعف بعد إشتراكهما في أصل المعنىٰ فالنّصب مُحَرّكةً أشدّ التَّعَب.

وقوله ﷺ: **والحِرْصُ والكِبْرُ والحَسَدُ دَوَاعٍ** الىٰ آخر الكلام، معناه أنّ كلّ واحدٍ من هذه الأُمور الثّلاثة أعني بها الكِبر والحَسَد والحِرص يُوجب الإقتحام في الذّنب فكأنّها أسباب للتّقَحُم فيه وهو كذلك لأنّ الحريص والمُتكبر والحسُود ولا يمكن له التَّخَلص عن الذّنب مادام متّصفاً به ولذلك قال ﷺ والشّر جامع مساوئ العيُوب، ويمكن أن يكون قوله ﷺ: **والشَّرُّ جامِعُ مَسَاوِئِ الْعُيُوبِ** راجعاً الىٰ كلّ العُيوب المذكورة في كلامه من أوّله الىٰ آخره أي أنّ هذه الصّفات القبيحة شرور وآفات وقد ثبت أنّ الشّر جامع مساوئ العُيوب أي أنّه كُلّيٌ فَيَنطَبق علىٰ مصاديقه كما أنّ الخير جامع محاسن الأُمور، وأنّما إقتصرنا في شرح كلامه ﷺ علىٰ ما إقتصرنا من الإجمال لأنّ هذه الأوصاف قد مَضَت إستقلالاً وإستطراداً في الأبحاث السّالفة وقد أشبَعَنا الكلام فيها حقّ الإشباع:

٣٦٣

□ قوله عليه السلام: لجابر بن عبد اللّه الأنصاري: يا جابِرُ قِوامُ الدُّنْيا بأرْبَعَةٍ، عالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ، وَجاهِلٍ لا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعلَّمَ، وَجوادٍ لا يَبْخَلُ بمَعْرُوفِهِ وفَقِيرٍ لا يَبيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ، فإذا ضَيَّعَ الْعالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَإِذا بَخِلَ الغَنيُّ بَمَعْرُوفِهِ، باعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ، يا جابِرُ مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللّهِ عَلْيهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إلِيْهِ فَمنْ قَامَ لِلّهِ فِيها بِما يَجِبُ عَرَّضَها لِلدَّوَامِ والْبَقاءِ ومَنْ لمْ يَقُمْ فيها بِما يِجِبُ عَرَّضَها لِلزَّوالِ وَالفَناءِ...

◁ الشّرح

جابر بن عبد اللّه الأنصاري من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وآله وقد مرّ شرح حاله سابقاً، والقوام ما يقوم به الشّيء شبّه عليه السلام الدّنيا بشيء له أربع قوائم مثل السّقف مثلاً إذا كان له القوائم الأربعة فكما أنّه لا يستقيم بدونها كذلك الدّنيا لا تستقيم إلّا بها، ثمّ عَدّها وقال عالم مستعملٍ عِلمه الىٰ آخر ما قال والحَصر في الأربعة عقلّي لأنّ الإنسان لا يخلو حاله من هذه الأوصاف الأربعة لأنّه إمّا عالمٌ وإمّا جاهل ولا ثالث لهما ثمّ أنّ كلّ واحدٍ منهما إمّا غنّي وإمّا فقير، ولا ثالث في البَين أيضاً ففي الحَقيقة يرجع الحَصر الىٰ الحَصر في النّفي والإثبات:

وأنّما قيّد عليه السلام كلّ واحدٍ منها بما قَيّده به لِنكتةٍ وهي أنّ العالم بما هو هو ليس مِمّن تقوم الدّنيا به وهكذا في الفقير والجاهل والجواد وتوضيحه إجمالاً هو أنّ العالم إذا لم يستعمل عِلمه بأن لا يكون عاملاً بما علِمه فلا يكون قوام الدّنيا به

بل ضرره في الإجتماع أكثر من نَفعِه، وهكذا الجاهل إذا كان مستنكِفاً من التّعلم، والغني إذا بَخِل بمعروفه، والفقير إذا باع آخرته بدُنياه وهذا ممّا لا شّك فيه وغرضه ﷺ من هذا الكلام هو أنّ الدّنيا لا تصلح إلّا بهم ولا تفسد إلّا بهم فأن كانوا عاملين بوظائفهم المقرّرة لهم في الشّريعة كانت الدّنيا جيّدة صالحة وإلّا فَلا، والسِّر فيما ذكره ﷺ هو أنّ الدّنيا بنفسها مع قطع النّظر عن سُكّانها لا عيب فيها كما مرّ الكلام فيه مفصّلاً عند شرح قوله ﷺ: **أيّها الذّام للدّنيا الخ** كلام (١٢٦) وأنّما العَيب يسري اليها من أبنائها وعليه فَصلاحُها بصلاح أهلها وفسادُها بفساد أهلها وحيث أنّ أهل الدّنيا لا يخلوا عن هذه الأوصاف الأربعة المذكورة كما علمت وَجهه فلا محالة تدور الدّنيا صلاحاً وفساداً مدارهم كذلك، ثمّ أوضَح ﷺ ما قال،فقال فإذا ضَيَّع العالم عِلمَه إستَنكَف الجاهل أن يتّعلمَ.

وتضييع العالم علمه معناه عَدم العَمَل به إمّا بالبُخل عن التّعليم، أو بأن لا يَعمَل بمقتضىٰ عِلمه ففي كلا الحالين يستنكف الجاهل من التّعلُم لعدم وجود المُعَلِم في الصّورة الأُولىٰ، وضعف إيمانه في الثّانية بسبب رؤيته الخلاف من العالم، وقوله ﷺ: **وَإذَا بَخِلَ الغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ، باعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ**، فالوَجه فيه واضح لأنّ الفقير إذا مُنع من حقّه المشروع فلا محالة يتُشبث لِسَدّ جُوعه وقضاء حوائجه بكلّ حشيش فأنّ الفقر كاد أن يكون كُفراً فيستفاد من هذا الكلام أنّ الأصل في الأربعة العُلماء والأغنياء فأنّ هذين الصّنفين إذا صلحا صلحت الأُمّة وإذا فسدا فَسَدت الأُمّة وهو حقٌّ مَتينٌ جدّاً وقد مرّ البحث فيه:

ثمّ قال ﷺ: **يا جابِرُ مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللّهِ عَلَيهِ كَثُرَتْ حَوَائجُ النَّاسِ إلَيْهِ**، وهو أيضاً لا خفاء فيه فأنّ النّاس يجدون ما يطلبونه في يَده ولذلك كَثُرَت الحوائج اليه (**فَمنْ قَامَ لِلَّهِ فِيها**) أي من قام من أولياء النِّعم بما قرّره اللّه تعالىٰ له وأوجَبَ عليه (**عَرَّضَها لِلدّوَامِ والْبَقاءِ**) أي فقد عَرَّض النِّعم لِلدّوام والبقاء لأنّ العَمَل بالوَظيفة يُعّد من الشّكر وهو يوجب إزدياد النِّعم عليه فضلاً عن بقائها له (**وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فيها**) أي لَم يَعمَل بما هو واجب عليه (**عَرَّضها**) أي عَرَّض النِّعم (**لِلزَّوالِ وَالفَناءِ**)) لأنّه لم يشكر الخالق علىٰ نِعَمه وهو يوجب زوالها:

٣٦٤

□ رَوَي ابنُ جَرِيرٍ الطَبَرِيٌ في تاريخه عن عبد الرّحمٰن ابنِ أبي لَيلىٰ الفقيه ـ وكان مِمّن خرج لقتال الحجّاج مَع ابن الأشعث ـ أنّه قال فيما كان يَحُضُّ بِهِالنَّاسَ علىٰ الجِهَادَ: إنّي سَمِعْتُ عَلِيّاًرفع الله درجته فى الصالحين ،و اثابة ثواب الشهداء و الصديقين ،عليه السلام يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أهْلَ الشّامِ:

أيُّها المُؤمِنُونَ إنَهُ ومَنْ رَأىٰ عُدْوَاناً يُعْمَلُ بِهِ ومُنْكَراً يُدْعَىٰ إلَيْهِ فأنْكَرَهُ بقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وبَرِيَّ ومَنْ أنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ اجِرَ وَهُوَ أفْضَلُ من صَاحِبِهِ ومَنْ أنْكَرَهُ بالسَّيْفِ لِتَكُونَ كلمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيا وكِلمةُ الظَّالِمينَ هِيَ السُّفْلىٰ فَذَلِكَ الَّذِي أصَابَ سَبِيلَ الْهُدَىٰ وقامَ علىٰ الطَّرِيقِ ونَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ...

◁ الشّرح

(يَحضّ) أي يُحرّض ويُرّغب، وابن أبي ليلىٰ أحد الفقهاء العامّة وقضاتهم نَقَل عن علّي عليه السلام أنّه قال مخاطباً لأصحابه، أيُها المُؤمِنُونَ مَنْ رأىٰ عُدْوَاناً أي ظلماً وبدعةً، يُعمل به ومُنكراً يُدعىٰ اليه من ناحية المُنكر فأنكره بقلبه، أي أنكره الرّائي بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلمَ وبَرِئَ، أي سَلِم عن آفته وذمّته بريئة منه لأنّه لم يرض به، ومن أنكر المُنكر بلسانه فقد آجر، أي كان مأجوراً عند اللّه وهو أفضل من صاحبه الّذي أنكره بقلبه فقط لأنّ إنكار اللّسان أشدّ وأصعب من إنكار القلب الّذي لا يطّلع عليه غيره ومن أنكره أي المنكره بالسَّيْفِ لِتَكُونَ كلِمَةُ اللّهِ وهيَ المعروف العُليا وكلمة الظّالمين وهي المنكر السُّفلىٰ فَذَلِكَ

الّذِي أصَابَ سَبِيلَ الْهُدَىٰ وقامَعلىٰ الطَّرِيقِ المُستقيم ونَوَّرَ قَلْبِهِ الْيَقِينُ، وفي هذا الكلام حَثٌّ علىٰ وجُوب النّهي قلباً ولساناً وعَملاً إذا تمّت شرائطه قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَلْتَكُنْ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَإِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾**(١)

و : **﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾**(٢)

و : **﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**(٣) والآيات كثيرة وقد مرّ الكلام في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وشرائطهما وما وَرَد من الآيات والأخبار فيهما مفصّلاً.

١- آل عمران-١٠٤
٢-آل عمران-١١٠
٣- المائدة-٧٩

٣٦٥

□ وفي كلامٍ آخرَ له يَجري هَذا المَجرى: فَمِنْهُمْ الْمُنكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ ولِسَانِهِ وقَلْبِهِ فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الخَيرِ وَمِنْهُمْ الْمُنكِرُ بِلِسَانِه وقَلْبِهِ والتَّارِكُ بِيَدِهِ فَذَلِكَ مُتَمسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ منْ خِصَالِ الخَيرِ ومُضَيِّعٌ خَصلَةً ومِنْهُمْ المُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلِكَ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصلَتَيْنِ منَ الثَّلاثِ وتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ وَمِنْهُمْ تَارِكُ لإنكارِ المُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ ويَدِهِ فَذَلِك مَيِّتُ الأَحْياءِ وَما أَعْمالُ الْبِرِّ كُلُّها وَالْجِهادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ في بَحْرٍ لُجّي وإنَّ الأَمْرَ بالمَعْرُوفِ والنَّهيَ عَنِ الْمُنكَرِ لا يُقَرِّبانِ منْ أَجلٍ وَلا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ وأَفْضَلُ منْ ذلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إمامٍ جائِرٍ وعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ أَوَّلَ ما تَغْلِبُونَ عَلَيْهِ منَ الجِهَادِ بأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بألسَنَتِكُمْ ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ فَمنْ لمْ يَعْرِفْ بقَلْبِهِ مَعْرُوفاً ولَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً قَلَبَ فَجَعَلَ أَعْلاهُ أَسْفَلَهُ وأسْفَلَهُ أَعْلاهُ...

◁ الشرح

(فَمِنْهُمْ) أي فمن النّاس (الْمُنْكِرُ) بكسر الكاف (لِلْمُنْكَرِ) بفتحها (بِيَدِهِ ولِسَانِهِ وقَلْبِهِ) جميعاً (فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ) أي المستجمع (لِخِصَالِ الخَيرِ)فأنّ خِصَالَ الخَيرِ لا توجد في غير هذه الثّلاثة (ومِنْهُمُ الْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وقَلْبِهِ والتَّارِكُ بِيَدِهِ فَذَلِكَ مُتَمسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنَ مِنْ خِصَالِ الخَيرِ) لِتركه واحدة منها كما قال عليه السلام (ومُضَيِّعٌ خَصْلَةً) وهي ترك النّهي عن المُنكَر بيَده (وَمِنْهُمُ

المُنْكِرُ بِقَلْبِهِ) فَحسبُ (**والتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسانِهِ فَذَلِكِ الَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ الخَصْلَتيْنِ منَ الثَّلاَثِ وتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ**) وذلك لأنّ النّهي عن المنكر له مراتب في الفضل، أفضله باليَد ثمّ بعده باللّسان ثمّ بالقلب، وعليه فمن ترك بيده ولسانه فقد ضَيَّعَ أشْرَفَ الخَصْلَتيْنِ منَ الثَّلاَثِ وهما النّهي عنه يداً ولِسَاناً وتَمَسَّكْ بِوَاحِدَةٍ هي أخسّ الخصال وهي النّهي بالقلب الّذي لا أثر له في الخارج فأنّ الآثار مترّتبة على الوجود الخارجي وأمّا الذهّني فلا أثر له والنّهي عن المُنكر إذا كان بالقلب فقط فهو موجود ذِهناً ولا أثر له خارجاً فهو مثل أن تُريد إعطاء الفَقير بِقَلبك لا بِيَدّك وأن شئت قُلت الوَجود له مراتِب كثيرة من العَيْني واللّفظي والكَتبي والذهّني وأمثالها وكلّ المَراتِب في الحَقيقة يرجع الى الخارج والذهّني فإنّ اللّفظي والكَتبي من أقسام الخارجي كما حُقّق في محلّه ثمّ إنّهم إتّفقّوا على إنّ الوجُود الخارجي أشرَف من الذّهني وذلك لتّرتب الآثار الخارجية على الخارجي دون الذّهني ألا ترى إنّ تصّور النّار في الذّهن لا أثر له لإنّ أثَر النّار وهو الإحراق مترّتب على وجودها الخارجي وهكذا في جميع الموارد إذا عرفت هذا فنقول:

الإحراق مُتّرتب على وجودها الخارجي وهكذا في جميع الموارد إذا عرفت هذا فنقول:

النَّهي عن المُنكَر له وجود في الذّهن ونُعبّر عنه بالإنكار القلبي ووجود في الخارج وهو على قسمين وجودٌ لَفظي، ووجودٌ عيني خارجي والأوّل قسم من الثّاني في الحقيقة إلّا أنّه بحَسَب الإعتبار غيره والوجود اللّفظي هو المُسمّى بالإنكار اللّساني، وأمّا الوجود العَيني منه هو الإنكار باليَد في مَرحلة العَمَل فأنّ من أنكَر المُنكَر بيَده يَمنع عن وجوده أو يَرفع الوجود منه وهذا هو النَّهي عن المُنكَر حقّاً لأنّه رافع الوجود أو ما نعه فهو الأفضل والأشرف قَهراً ثُمّ تصل النّوبة بعده الى النَّهيِ اللّساني لكونه أيضاً من شئون الوجود الخارجي كما عرفت فهو يتلو الأوّل في الشّرف والفَضل ثُمّ تَصل النّوبة الى النَّهي القلبي الّذي لا وجود له خارجاً أصلاً فهو أخَسّن المراتب في الفَضل والشّرف

وكلامه عليه السلام يَدُور على هذا المَدار فإفهم وإغتنم ما ذكرناه لك في سِر كلامه عليه السلام فأنّك لا تَجده في غير هذا الكتاب ثُمّ قال عليه السلام: **وَمِنْهُمْ تارِكٌ لإنكارِ المُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذَلِكَ مَيِّتُ الأَحْياءِ...** أي من تَرك المُنكَر بجميع شقوقه الثّلاثة من القلب واللّسان واليَد فهو ميّت الأحياء، أي ميّتٌ قلباً ورُوحاً وحيٌ جَسَداً وعُنصراً وذلك لأنّ الإنسان ولا سيّما المؤمِن المُسلم ينبغي له التَّجنُّب عن الرّذائل قولاً ـ فعلاً ومن كان كذا لا يرضىٰ أن يكون غيره أيضاً متّصفاً بها فأنّ المؤمن أخو المؤمن ومرآته فإذا رأىٰ أنه يفعل القَبيح يَنصحه ويأمره بتركه ولا نعني بالنَّهي عن المُنكَر إلّا هذا فإذا فَرضنا عَد إعتنائه به فلا يخلو أمّا أن يرضىٰ به قلباً وهو خلاف الفَرض، وأمّا أن لا يَرضىٰ وعليه فينبغي له إظهار عدم رضايته وحيث لم يُظهر فهو مَيّتٌ قلباً إذ لا نعني بالمَيّت إلّا عَدم ترّتب آثار الوجود عليه وهو كذلك ثُمّ أشار عليه السلام الىٰ شَرَف الأمر بالمَعرُوف والنَّهي عن المُنكَر فقال عليه السلام: **وَمَا أعمَالُ الْبِرِّ كُلُّها وَالجِهادُ فِي سَبِيل اللّهِ عِنْدَ الأمْرِ بالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عن الْمُنْكَرِ إلّاكنَفَشةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّي...**

النَّفثة كالنَّفخة الفَعلة الواحدة من نفثتُ الماء من فَمي أي حَذَفتُه بقوّةٍ شَبّه عليه السلام أعمال البّر كلّها والجهاد في سَبيل اللّه بالنَّفثة، والأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكَر بالبَحر اللّجّي فقال ليست الأعمال كلّها بالنّسبة اليهما إلّا كَنسبة النَّفثة الىٰ البَحر اللُّجي فكما أنّ النّفثة أعني بها الرّيق في مقابل البَحر شئ يَسير حقير كذلك الأعمال في مقابلهما ومنه يُعلم أهَمّيتهما وشَرَفهما، والسِّر فيه واضح فأنّ الدّين كلّه وُضع لإجراء المَعروف وإماتة المُنكَر كما قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله بُعثت لاتّمم مكارم الأخلاق، ومكارم الأخلاق عبارة عن إتيان المعروف وتركك المُنكَر وقد قال اللّه تعالىٰ: **﴿إنَّ الصَّلٰوةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشٰاءَ وَالْمُنْكَرِ﴾**(١) وهكذا بقية الأحكام من الصّوم والحجّ والجهاد والنّكاح والقصاص والدّيات والجهاد الىٰ آخرها كما لا يخفىٰ علىٰ النّاقد البَصير:

▫ **قوله** عليه السلام: **وإِنَّ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهِيَ عَنِ الْمُنكَرِ لا يُقَرِّبَانَ منْ أَجَلٍ ولا**

١ - العنكبوت ـ ٤٥

يُنْقِصَانِ مِنْ رِزْقٍ...

فهو إشارة الىٰ أنّ الآمر بالمعروف والنّاهي عن المُنكَر لا ينبغي له الخوف من المَوت أو النّقص في الرّزِق مثل أن يقول مثلاً لو أمر بالمعروف وأنهىٰ عن المُنكَر يقتلونني أو ينقصُون من رِزقي فأنّ المَوت بيد اللّه والرّزاق أيضاً هو اللّه نِعم يُشترط فيهما أُموراً ينبغي مُراعاتها من العَقل والعِلم بمواضعهما وإحتمال قبولهما وأمثالها ممّا هو مذكور في محلّه وقد بيّناه سابقاً عند بحثنا في هذا الباب ومَع وجود الشّرائط يجب الإقدام بهما:

□ قوله ﷺ: **وأَفْضَلُ منْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إمامٍ جائِرٍ...**

أي وأفضل من جميع ما ذكرناه كلمة عدلٍ عند إمامٍ جائرٍ، وأنّما قال ﷺ هُوَ أفْضَلُ لأنّ كلمة الحقّ عنده من أعلىٰ مصاديق الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكَر وإلّا فهي أيضاً داخلة في الباب، ويمكن أن يكون المراد أنّ الإمام الجائر إذا صلح أمره صَلح أمَر الأُمّة كما أنّ فساده فسادها وعليه فَمن أمَر الإمام الجائر بمعروفٍ أو نهاه عن مُنكرٍ وأثّر فيه ودَخل في السّلم فقد دَخل فيه جميع أُمّته ورَعّيته في الحقيقة ولذلك قال ﷺ وأفَضل من ذلك الخ ورُوي عن أبي جُحيفة قال سمعتُ عليّاً ﷺ **يَقولُ أوَّلُما تَغْلِبُونَ عَلَيْهِ منَ الْجِهادَ بِأيْدِيكُمْ ثُمَّ بألِسِنَتِكُمْ ثُمَّ بِقُلُوبُكُمْ**) أي أنّ أعلىٰ مراتب الجهاد الجهاد باليَد ثُمّ باللِسَانَ ثُمَّ بالقلب (**فَمنْ لَمْ يَعْرِفْ بقَلْبِهِ مَعْرُوفاً ولمْ يُنْكِرْمُنكَراً قَلَبَ فَجَعَلَ أعْلاَهُ أسْفَلَهُ وَأسْفَلَهُ أعْلاَهُ**) فمعناه أنّ الإنسان اذا كان مؤمناً مُسلماً ومَعَ ذلك لم يعرف بقلبه معروفاً ولم يَنكر مُنكَراً أي كان بلا تفاوت بالنّسبة الىٰ وجودهما وعَدمهما، فقد قُلب فَجَعل أعلاه أسَفله وأسَفله أعلاه أي أنّه ميّت بين الأحياء فصارت إنسانّيته حيّوانية وأنّما قال ﷺ: (**قُلب**) إشارة الىٰ أنّ القلب سُمّي به لإنقلابه وتَغّيره فَمن لَم يَعرف ما ذَكره فقد قُلب قَلبه علم به أو لا يعلم وهذا أي معرفة القلب أدنىٰ مراتب الفضل كما عرفت الكلام فيه ولذلك خصّه ﷺ بالذّكر فَمن فَقد هذا فَليس بإنسانٍ فضلاً عن كونه مُؤمِناً مُسلماً لأنّه أسَهل الطّرق الىٰ الدّخُول في زُمرة الآمرين بالمعروف والنّاهين عنِ المُنكَر:

٣٦٦

▫ قوله عليه السلام: إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ وإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيٌّ...

◁ الشّرح

(مَرِيٌّ) مثلّثه الرّاء من مِراء الطّعام أي هَنِيٌّ حميد العاقبة (وَبِيٌّ) بفتح الواو وكسر الباء وَخيم العاقبة يقال أرضٌ وَبيئة أي كثيرة الوباء، والمعنىٰ أنّ الحقّ ثقيل علىٰ القلوب والأذان ولٰكنّه محمود العاقبة وإنّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ أي سَهلٌ علىٰ القلوب والأذان ولكنّه وخيم العاقبة وبعبارةٍ أُخرىٰ عاقبة الحقّ خيرٌ وعاقبة الباطل شرّ، ثمّ أنّ الحقّ كلّ ما صدّقه العقل والشّرع والباطل بخلافه وقد مرّ الكلام فيهما أيضاً.

٣٦٧

□ قوله عليه السلام: لا تأمَنَنَّ على خَيرِ هذِهِ الأُمَّةِ عَذابَ اللّٰهِ لِقَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١) إنّهُ ولا يَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللّٰهِ لقوله تعالىٰ: ﴿أَنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢)

◁ الشرح

قوله عليه السلام: لا تأمَنَنَّ ولا تَيأسَنَّ، مؤكّدان بالنّون التّأكيد المثقلة أي لا تأمن ألبتة ألبتة ولا تَيأس ألبتة ألبتة، والمقصود أنّ المؤمن العارف باللّه يكون قلبه دائماً بين الخَوف والرّجاء فلا يأمن مَكر اللّه بسبب وجود الأخيار والصّلحاء من الأُمّة وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿فلا يأمن مكر الله﴾ ولا ييأس ولا يَقنط من رحمته بسبب وجود الأشرار في الأُمّة لقوله تعالىٰ أنّه لا يَيأس الآية وذلك لأنّ الأمن من مَكر اللّه وكذا اليأس من رَحمته من الإفراط والتّفريط وهما مذمومان والطّريق الوسطىٰ بين المقامين هي الجدّة المُستقيمة المُوافقة للعَقل والشّرع:

قال الباقر عليه السلام ليس من عَبدٍ مؤمنٍ إلّا وفي قلبه نُوران نُور خَيفةٍ ونُور رجاءٍ لو وُزن هذا لَم يَزد علىٰ هذا وقد جَمَع اللّه سُبحانه بينهما في وصف من أثنىٰ عليهم فقال:(يَدعُون ربّهم خوفاً وطَمعاً) وقال تَدعوننا رَغباً ورَهباً انتهىٰ وقال لقمان لإبنه وهو يَعِظه خف اللّه خَيفةً لو جئته ببرّ الثّقلين لَعذّبك وأرج اللّه رجاءً لو جئته بذنُوب الثّقلين لَرحَمك انتهىٰ» جامع السّعادات ج ١ ص ٢٥٣».والأخبار في الخَوف والرّجاء كثيرة وقد تكلّمنا فيه أيضاً غير مَرّة:

---

١ - الأعراف ـ ٩٩

٢ - يُوسف ـ ٨٧

٣٦٨

▫ قوله عليه السلام: البَخِيلُ جامِعٌ لِمَسَاوِئ الْعُيُوبِ وهُوَ زِمامٌ يُقادُ بِهِ إلىٰ كلِّ سُوءٍ...

◁ الشرح

البُخل بضّم الباء هو الإمساك حيث ينبغي البَذل كما أنّ الإسراف هو البَذل حيث ينبغي الإمساك وكلاهما مذمُومان والمَحمُود هو الوَسَط وهو الجُود والسّخاء ثُمّ أنّ البُخل من ثَمرات حبّ الدّنيا ونتائجه وهو من خبائث الصّفات ورذائل الأخلاق قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَـٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾**(١)

و: **﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا ءَاتَـٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ﴾**(٢).

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **البَخيل بَعيد من اللّه بَعيد من النّاس بعيد من الجَنّة قَريب من النّار وجاهل سخّي أحبّ الىٰ اللّه من عابدٍ بَخيل وأدوىٰ الدّاء البُخل...**

وقد مَرّ الكلام فيه أيضاً وفي قوله عليه السلام إشارة الىٰ أمرين أحدهما كون البَخيل جامعاً لمساوئ العيُوب، وثانيهما أنّ البُخل كالزّمام لِلنّاقة في القيادة ووجه الشّبه ظاهر فأنّ البُخل بمنزلة الزّمام الّذي يَقود صاحبه الىٰ القَبائح:

١- النساء ٣٤

٢-آل عمران ـ١٧٥

٣٦٩

□ قوله عليه السلام: الرِّزْقُ رِزْقانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ورِزْقٌ يَطْلُبُكَ فإنْ لَمْ تأتِه أتاكَ فَلاَ تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلىٰ هَمَّ يَوْمِكَ كَفَاكَ كل يَوْمٍ علىٰ ما فِيهِ فَإِنْ تَكُنْ السَّنَةَ منْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تعالىٰ سَيُؤْتِيكَ فِي كلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ وإِنْ لمْ تكُنِ السَّنَة منْ عُمُرِكَ فَما تَصْنَعُ بالهَمِّ لِمَا لَيْسَ لَكَ ولَنْ يَسْبِقَكَ إلىٰ رِزْقِكَ طَالِبٌ وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غالِبٌ .ولَن يُبْطِئَ عَنَكَ ماقدْ قُدِّرَ لَكَ...

قال الرّضي رحمه الله: وقد مضىٰ هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب إلّا أنّهُ ههنا أوْضَحُ وأشرحُ فلذلك كرّرناه علىٰ القاعدة المُقرّرة في أوّل الكتاب...

◁ الشّرح

قول الرّضي رحمه الله قد مضىٰ هذا الكلام فيما تقّدم إشارة الىٰ قوله عليه السلام يابن آدم لا تَحمل هَمّ يومك الّذي لم يأتك علىٰ يومك الّذي قد أتاك الخ (٢٦٣).

أقول ونحن قد تكلّمنا في الرّزق هناك ومَع ذلك نشرح الكلام في المقام أيضاً علىٰ سبيل الإجمال وحاصل ما ذكَره عليه السلام في المقام أنّ الرّزق علىٰ قسمين رزق تطلبُه ورزقٌ يَطلبك، أمّا الرّزق الّذي تَطلبه فهو الزّيادة علىٰ المُقدر لك وأمّا الّذي يَطلبك فهو المُقّدر المَحتُوم منه الّذي أن لَم تأته أي أن لَم تطلبه أتاكَ لا محالة ولذلك قال عليه السلام (**فَلاَ تَحْمِلُ هَمَّ سنَتِكَ علىٰ هَمَّ يَوْمِكَ**) أي لا تَطلب رزق السّنَة في اليَوم (**كَفاكَ كلّ يَوْمٍ علىٰ ما فِيهِ**) من الرّزق (**فإنْ تكُنْ السّنَةَ منْ عُمُرِكَ فإنَّ اللّهَ سَيُؤتِيكَ في كلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ**) كما أتاك في

يَومك الّذي أنت فيه ما قُسّم لك فأنّ لكلّ يوم رزق علىٰ حدة (**وَإنْلَمْ تَكُن السَّنَة منْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بالهَمِّ لَمَا لَيْسَ لَكَ**) فأنّ العاقل لا يطلب ما ليس له ولا يَنتفع به (**ولَنْ يَسْبِقَكَ إلىٰ رِزْقِكَ طَالِبٌ**) قطعاً (ولَن يَغلبك عليه) أي علىٰ رزقك (غالبٌ) حَتماً (**وَلَن يُبْطِيَ عَنْكَ ماقدْ قُدِّرَ لَكَ**) في علم اللّه بل يَسرع اليك:﴿ **إنَّ اللّٰهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ المَتِينُ**﴾(١)

١- الذّاريات ـ٥٨

﴿٣٧٠﴾

□ قوله ﷺ: رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِه وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ قامَتْ بَوَاكِيهِ في آخِرِهِ...

◁ الشّرح

أي ربّما يستقبل شخصٌ يوماً فيَموت فيه ولا يَستدبره أي لا يكون حيّاً بعده فيَخلفه وراءه وربّ مَغبُوطٌ يَغبِطه غيره في أوّل ليلةٍ، ثُمّ ماقت بواكيه في آخره علىٰ مَوته في اللّيلة، ومُحصّل الكلام أنّ الإنسان في معرض الفناء والمَوت فلا ينبغي له الإعتماد علىٰ حياته ولا علىٰ ما يكون فيه من النّعمة وغيرها فأنّ الدّنيا وما فيها لا بقاء لها بل ينبغي له الإغتنام من الفُرصة وعَدم النّوم علىٰ الغفلة كما وَرَد، إغتنم خَمس قبل خَمس حياتك قبل مَوتك وشبابك قبل هَرمك وصِمّتك قبل سُقمك وغِناك قبل فقرك، وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾(١)

١-آل عمران-١٣٣

٣٧١

▫ قوله ﷺ: الكلاَمَ فِي وَثاقِكَ مَا لَمْ تتكَّلمْ بِهِ فَإذا تَكلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وثَاقِهِ فأخْزُنْ لِسَانَكَ كَما تَخْزُنَ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبتْ نِعْمَةٍ وجَلَبَتْ نِقْمَةٍ...

◁ الشرح

الوِثاق، كسحاب، ما يُشدّ به ويُربط، والمعنىٰ أنت مالِكٌ لكلامك قبل أن يَصدر عنك فإذا تَكلّمتَ به صرتَ مَمْلُوكاً له في نَفعه وضَّره.

ثُمّ قال ﷺ فأخْزُنْ لِسَانَكَ أي أحبِسه كما تَخْزُنْ ذَهَبَكَ وَوَرَقَكَ أي فِضّتك فرُب كلمةٍ سَلَبت عنك نِعمةٍ كُنتَ مُتَنعِماً بها وجَلَبَتْ لك نِقْمَةٍ وبـلّيةً كُنَت مُحِتَرزاً عنها والحاصل إنّ اللّسان يَنفعك ويَضُرك وقد ورَد في حَفظ اللّسان ما ورَد.

قال رسول اللّه ﷺ -إمسك لِسانَك فإنّها صَدَقة تتصّدَق بها علىٰ نَفسِك ثمّ قال ولا يعرف عبدٌ حقيقة الإيمان حتّىٰ يَخزن لِسانه انتهىٰ...

وعن أبي جعفر ﷺ قال -كان أبو ذرّ يقول في خُطبته يا مُبتَغي العِلَم إنّ هذا اللّسان مفتاح خيرٍ ومِفتاح شّرٍ فأختِم علىٰ لِسانك كما تَختِم علىٰ ذَهَبك وَورِقك انتهىٰ...

وقال أبو عبد اللّه ﷺ من عَرَف اللّه كلّ لسانه، وقال ﷺ من عَلِم إنّ كلامه من عَمَله قلّ كلامه إلّا من خَيرٍ انتهىٰ «مُشكاة الأنوار ص ١٧٥»...

وقد مرّ الكلام في الباب أيضاً مفّصلاً ولنَعم ما قيل:

إحـــفظ لِســـانَك لا تـــقول فَـــتَبتلي
إنّ الَـــــبلاء مُـــــوكَلٌ بـــالمَنطِق

وقال الآخر:

إحِـــفظ لِســـانك أيّـــها الإنســـان
لا يَـــــلدّغنك إنّـــــه ثِـــعبانٌ
كـــم فـــي المَـقابِر مـن قـتيل لِسـانِه
كـــانت تُـــهاب لِـــقاءه الشّـــجعان

وكفىٰ في الباب قوله تعالىٰ: **﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾**(١)

١- ق ـ١٨.

﴿٣٧٢﴾

□ قوله عليه السلام: لا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمْ بَلْ لا تَقُلْ كلَّ مَا تَعْلَمُ فإِنَّ اللَّهَ فَرَضَ علىٰ جَوَارِحَكَ فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ...

◁ الشّرح

نهىٰ عليه السلام عن شيئين :

أحدهما: القول بغير علم فقال **لا تَقُل ما لا تَعلم**، والأصل فيه قوله تعالىٰ: **﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾**[١] و : **﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾**[٢] و : **﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾**[٣]

وثانيهما: نهىٰ **أن تقول كلّ ما تعلم**، وذلك لإنّه ليس كلّ ما يُعلم يقال إذ ربّ أمرٍ من الأُمور أو حقيقة من الحَقائق لا ينبغي إعلامه وإفشائه إمّا لِعَدَم المَصلحة في إعلامه أو لِعَدم قُدرة المُخاطِب علىٰ فَهمه وعلّل عليه السلام ما ذكره بإنّ اللّه تعالىٰ فَرَض أي أوَجب علىٰ جَوارِحَك فَرائض يحتّج ويستّدل بها عليك يوم القيٰمة كما قال تعالىٰ: **﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسئُولاً﴾**[٤] و : **﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٥] ويظهر لنا من الآيات إنّ الإنسان ينبغي له حِفظ الجَوارِح عَمّا لا يَصلح لها ولا سيّما اللّسان منها كما عَرفت الحال فيهِ في الكلام السّابق وغيره:

١- الإسراء ـ ٣٦
٢- البقرة ـ ١٦٩
٣- البقرة ـ ٨٠
٤- الإسراء ـ ٣٦
٥- يٰس ـ ٦٥

٣٧٣

▫ قوله ﷺ: إحْذَرْ أنْ يَرَاكَ اللّٰهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ ويَفْقِدَكَ عِنْدَ طاعَتِه فَتَكُونَ منَ الْخَاسِرِينَ وإذا قَوِيتَ فاقْوَ عَلىٰ طَاعَةِ اللّٰهِ .وإذا ضَعُفْتَ فأضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللّٰهِ...

◁ الشّرح

أي كُن أيّها الإنسان علىٰ حَذَرٍ من أن تعَص اللّه وهو يَراك ولا تُطيعَه كذلك فإذا كُنتَ كذلك فأنت من الخاسرين.

فإذا قَوِيتَ أيّةَ قوّةٍ كانت من قوّة الجِسم والمال والمقام والصّحة وغيرها، فأقوِ علىٰ طاعة اللّه أي أصرف القُوة في طاعته وإذا ضَعُفَت فأصرف ضَعَفك في تَرك المَعاصي، لا إنّك إذا قَوَيت عَصيتَ وإذا ضَعُفَت عن المَعَصية أطِعتَه كما هو دأب أكثرنا لولا كُلّنا فإنّا نَعَصي اللّه في الشّباب ونَطيعَه في الهَرَم أو نَعَصيه في الغِنىٰ ونُطيعَه في الفِقَر وهكذا، إن قُلَت، نهىٰ ﷺ عن المَعصِية حيث يرانا اللّه ولازمه عَدَم المَنَع فيها عند عدم رؤيته قلتُ نَعِم أن تَجد مَوضعاً تَعصيه وهو تعالىٰ لا يَراك فأفَعل ولكن اللّه تعالىٰ قال في كِتابه: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ**﴾ (١) وقال: ﴿**أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ**﴾ (٢) و: ﴿**اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾ (٣) فإذا كان الأمر كذلك فأفعل ما تَفعل:

١- العَلَق ـ ١۴
٢- البلد ـ ٧
٣- التّوبة ـ ١٠٥

٣٧٤

□ **قوله عليه السلام: الرَّكُونُ إِلىٰ الدُّنْيا مَعَ ما تُعايِنُ مِنْها جَهْلٌ والتَّقصيرُ في حُسْنِ الْعَمَلِ إِذا وَثِقْتَ بالثَّوابِ عليْهِ غَبْنٌ. والطُّمأْنِينَةُ إِلىٰ كلِّ أحَدٍ قبْلَ الإِخْتِبارِ عَجْزٌ...**

◁ **الشّرح**

أي أنّ الإعتماد علىٰ الدّنيا مَع ما تُعاين منها بعينك من التّغيُرات والحَوادث جَهلٌ أي أنّ الإعتماد عليها وهي كذلك يدّل علىٰ جَهل المُعتمد عليها فأنّ العاقل لا يعتمد علىٰ ما لا بقاء له، ثُمّ أنّ التّقصير في حُسن العَمَل بأن لا يَعمل الإنسان عملاً صالحاً عن تقصير لا عن قصُورٍ إذا وثَقتَ وأيقَنتَ بالثّواب عليه غداً يوم القيامة فهو غُبنٌ، أي أنّ هذا التّقصير في الحقيقة غُبنٌ وضررٌ فلك وأيّ ضررٍ أعَظم وأكثَر من ضررٍ لا يُمكن إستدراكه، والطُّمأْنِينَةُ أي االإعتماد والإتّكاء الىٰ كلّ أحَدٍ من المخلوق قبل الإختبار أي قبل إختباره وإمتحانه عَجزٌ أي أنّ هذا الإعتماد دليل علىٰ عَجز المُعتمد وأنّه عاجز عن تَشخيص من يُعتمد عليه أهُو صالحٌ أم غير صالح ومن المعلوم أنّ هذا الظّلام لا تُرفع إلّا بنُور الإيمان فأنّ المؤمن يَنظر بنُور اللّه ومع ذلك متّصفٌ بالفطانة والكياسة وقد مَرّ الكلام فيها أيضاً:

٣٧٥

□ قوله ﷺ: مِنْ هَوَانَ الدُّنْيا عَلىٰ اللَّهِ أنَّهُ لا يُعْصَىٰ إلَّا فِيها وَلا يُنالُ مَا عِنْدَهُ إلَّا بِتَرْكِها...

◁ الشَرح

هَوان، بفتح الهاء الذُّل وقالوا في قوله تعالىٰ: ﴿**أيُمْسِكُهُ عَلىٰ هَونٍ**﴾ أي علىٰ هَوانٍ وذُلٍّ والمعنىٰ أنّ الدّليل علىٰ هَوان الدّنيا وحقارتها شيئان:

أحَدهما: أنّه لا يُعصىٰ اللّه تعالىٰ إلّا في الدّنيا.

وثانيهما: أنّه لا ينال العَبد أي لا يصل الىٰ ما عند اللّه من الثّواب والنّعم الأُخْروية إلّا بترك الدُّنيا والإعراض عمّا فيها.

تقرير الإستدلال علىٰ وجه الأوّل: أنّ الدّنيا دار عِصيان وكلّما كان كذلك فهو حقيرٌ ذليلٌ، فالدّنيا ذليلٌ أمّا الصّغرىٰ فواضحة وأمّا الكبرىٰ فلأنّ الدّنيا لو لم تكن حقيرة لم يُعص فيها ألا ترىٰ أنّ الآخرة لا يُعصىٰ فيها أصلاً وأيّ شيءٍ أذَلّ وأحَقَر من مَنبَع الفساد ومَركز العصيان والظّلم والعناد فَثبت المطلوب.

وأمّا الوجه الثاني: فتقريره أنّ الدّنيا والآخرة مُتقابلان لا يمكن إجتماعهما وقد ثَبت عقلاً وشرعاً أنّ الآخرة لا يصل الإنسان اليها أي الىٰ نِعمها ولذّاتها إلّا بتَرك الدّنيا وليس هذا إلّا أنّها أشرَف من الدّنيا إذ لا يترك الأفضل لِلوصُول الىٰ المَفضُول بل الأمر بالعَكس وصُورة القياس هكذا:

لا يُنالُ ما عِندَ اللّه إلّا بِتَرْك الدّنيا، وكلّما كان كذلك فهو حقيرٌ ذليل فالدّنيا

كذلك وهو المَطلُوب.

وقد وَرَد فى الحديث الدّنيا دارٌ هانت علىٰ ربّها فَخَلط حلالها بـحرامـها وخيرها بشّرها وحياتها بمَوتها وحُلوها بمُرّها:

قال بعض المُحَققين هوانها علىٰ ربّها يعود الىٰ عَدم العناية بها بالذّات فلم تكن خيراً مَحضاً:

٣٧٦

▫ قوله عليه السلام: مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أوْ بَعْضَه...

◁ الشَرح

أي أنّ الطّالب للشّيئ يَجده كلّه أو بَعْضَه وهذا من قبيل قولهم من جَدَّ وَجَد، إلّا أنّ كلام علّي عليه السلام أشمَل وأتقَن ضرورة كذب ما قالوه في أكثر المَواضع وصدق ما قاله عليه السلام في كلّها إذ ليس للإنسان إذا طلب شيئاً وَجَده وأن جَدَّ في الطّلب بل قد يَجد وقد لا يَجد حقّاً كان المطلوب أو باطلاً.

وأمّا قوله عليه السلام: **نالَه أو بَعَضه** فهو صحيح في الكلّ وفي كلامه عليه السلام إشارة الىٰ أنّ الطّالب ينبغي له أن يدوم علىٰ طلبه فأنّه اذا دام عليه يَصل الىٰ ما أراد كلاً أو بَعضاً وأمّا غير الطّالب المُجّد في طلبه فليس له شيئ لا في الدّنيا ولا في الآخرة وهذا أمرٌ محسُوسٌ قبل كونه مَعقُولاً ولا يحتاج الىٰ إقامة برهانٍ.

﴿٣٧٧﴾

◘ قوله عليه السلام: مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وما شَرٌّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ وَكلُّ نَعيمٍ دونَ الْجَنَّةِ فَهُوَ مَحْقُورٌ وكلُّ بَلاَءٍ دُونَ النَّارِ عافِيَةٌ...

◁ الشّرح

أي لا يصّح إطلاق الخَير علىٰ خيرٍ بعده النّار كما لا يصّح إطلاق الشّر بعده الجنّة، وعليه فكلّ شيئ بعده النّار فهو شّر وكلّ شيئ بعده الجنّة فهو خيرٌ، وكلُّ نَعيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ أي غَيْر نِعَم الجنّة فهو محقُورٌ أي حُكِم بحقارته وخِسّته وكلّ بلاءٍ غير النّار فهو عافية في الحقيقة وتوضيحه أنّ الخَير والشّر والنِّعمة والبلاء في عُرف النّاس غيرها في عُرف العقل والدّين وذلك لأنّ النّاس يَطلقُون الخَير علىٰ المال والمقام والأولاد وأمثالها ويَطلقُون الشّر علىٰ الفقر والمَرض وهكذا كما أنّهم يريدون بالنّعمة النّعم الدّنيوية علىٰ أقسامها وأنواعها، وبالبلاء عَدمها هذا منطق العُرف وأمّا منطق العَقل والدّين فهو الّذي ذَكره وحاصله أنّ الخَير كلّ الخَير ما يكون بعده الجنّة، وأن كان في نَظر العُرف شّراً فالفقر مثلاً إذا كان بعد الجنّة فهو خير وأمّا عند العُرف فهو شّر مُطلقاً والشّر كلّ الشّر ما يكـون بعده النّار وأن كان عند العُرف خيراً، فالغنيٰ والثّروة إذا كان بعده النّار فهو شّر وأن كان عند العوام خيراً مطلقاً وهكذا القول في النّـعمة والبـلاء، فأنّ النِّـعم الدّنيوية تُعدّ عندهم نِعمة مع أنّها محكُومة بالحقارة بالنّسبة الىٰ الآخرة، والبَلاء

مثل المَرض والحَبس والقتل وأمثالها إذا لم يكن بعده النّار فهو عافية وأن عُدّ في عُرفهم بالبَلاء وأنّما قال عليه السلام أنّ البَلاء كذلك عافية لأنّه لِلإختبار والإمتحان لا للعقُوبة والعذاب مضافاً الىٰ أنّ العقُوبة المؤقتة اذا كان بعدها الجنّة ومقاماتها فهي عافية إذا قيست اليها وهو ظاهر:

٣٧٨

□ قوله ﷺ: أَلا وإِنَّ مِنَ البَلاَءِ الْفاقَةَ .وَأَشَدُّ منَ الْفاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ.وَأَشَدُّ منْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ، الاَوأَنْ منَ النَّعَم سَعَةَ الْمَالَ وَأَفَضَلُمنْ سَعَةَ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ وَأَفَضَلُ منْ صحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَىٰ الْقَلْبِ...

◁ الشّرح

بيّن ﷺ في المقام أُموراً سِتّة ثلاثة منها في البَلاء، وثلاثة في النِّعم علىٰ مَراتبها:

أمّا الثّلاثة الأُولىٰ:

فأحديُها: الفاقة أعني بها الإحتياج والفقر وهو الّذي كاد أن يكون كُفراً وقد مَرّ الكلام فيه.

الثّانية: المَرَض في البَدن وهو أشدّ من الفاقة وأصعَب والدّليل علىٰ أنّه أشدّ منها هو أنّ الإنسان إذا خُيَر بين الفاقة والمَرض يَختار الفاقة مَع صحّة البَدن قطعاً وذلك لأنّ البَدن إذا كان مَريضاً مَع وجود الغِنىٰ أيّ نفعٍ فيه.

الثّالثة: مَرض القلب وهو أشدّ من مَرض البَدن والمراد بمَرض القلب ليس ما يفهمه العُرف لأنّه يَرجع الىٰ مَرض البَدن بل المراد منه إتّصاف القَلب بالرّذائل من البُخل والحَسَد والكِبر وأمثالها وجامعها عَدم المعرفة بالله وبرسُوله وعَدم إتّصاف القلب بالكَمالات النّفسانية وأنّما قال ﷺ أنّه أشدّ من

مَرض البَدن لأنّ مَرض البَدن يضّر بدُنياه ومَرض القَلب يـضّر بـدينه أو أنّ مَرض البَدن أسَهل علاجاً من مَرض القَلب أو أنّه يضّر بالبَدن وذاك بالرّوح والرّوح أشَرف من البَدن:

وأمّا الثّلاثة التّي من النّعم:

فأوّلها: سعة المال ولا شّك أنّ سعة المال نعمة لأنّ المال زينة الحَياة الدّنيا وأنّما عَدَّ ﷺ المال من النِّعم إذا كان حصُوله لِلإنسان من طريق الشّرع وإلّا فهو نقمة وعذاب:

وثانيها: صحّة البَدن وهي أفَضل من سَعة المال لأنّها مَع عَدم صحّته لا نَفع فيها لأنّ المَريض لا يَنتفع من ماله حقّ الإنتفاع.

والثّالث: تقوىٰ القَلب وهي أفَضل من صحّة البَدن لأنّ تقوىٰ القَلب تُوجب حياته الأبَدي، أو لأنّ تقوىٰ القَلب صحّته وصحّة القَلب أشَرف من صحّة البَدن والمراد بصحّة القَلب صحّته من جهة إتّصافه بالكمالات والمَعارف لا صحّة المُصطلح كما مَرّ في مَرضه وقد مَرّ الكلام في كلّ واحدٍ من هذه الأُمور تفصيلاً فلا نحتاج الىٰ إعادة البَحث فيها في المقام مضافاً الىٰ وضوح المُدّعىٰ:

٣٧٩

▫ قوله ﷺ: لِلْمُؤمِنَ ثَلاَثَ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ وسَاعَةَ يَرِمُّ مَعاشَهُ وسَاعَةَ يُخلِّي بيْنِ نَفْسِه وبيْنَ لَذَّتِها فِيما يَحِلُّ وَيَجْمُلُ وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أنْ يَكُونَ شَاخصاً إلَّا فِي ثَلاَثٍ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أوْ خَطْوَةٍ فى مَعَادٍ أوْ لَذَّةٍ في غير مَحَرَمٍ...

◁ الشّرح

أي ينبغي للمؤمن أن يُقسّم أوقاته في اللّيل والنّهار بين دِينه ودُنياه فَجَعَلها أثلاثاً، ثلثٌ منها لدينه وثلثٌ لأمر معاشه، وثلثٌ لِلإلتذاذ بما يحلّ ويَجمُل له وهذا هو الّذي يقتضيه العَدل، وذلك لأنّه أن إشتَغل تمام ساعات اللّيل والنّهار بالعبادة فَمن يصلح أمر دُنياه ومن أين يعيش فيها وأن إشتَغل بالدّنيا فقط ضيّع دينه وآخرته وهو غير معقُولٍ وأن إشتَغل باللّذات الجسّمانية من غير توجهٍ الىٰ أمر دُنياه وآخرته فقد ضيّعهما ومَع ذلك صارَ أسير الشّهَوات وهو أيضاً غير صحيح ولا يمكن له الخُلو عن هذه الأُمور أيضاً بالكلّية فالعَدل وهو الجَمع بين الدّنيا والآخرة يقتضي تقسيم الأوقات بين الأُصول المذكُورة:

وأن شئت قلت إشتغاله بالعبادة في تمام الأوقات إفراطٌ فيها وعَدم الإشتغال كذلك تفريطٌ، والإشتغال بأمر المعاش في تمام الأوقات إفراط وعَدمه كذلك تفريط، والإشتغال باللّذات دائماً إفراط ومَع ذلك خُروج عن طور الإنسّانية وعَدمه كذلك تفريط وقد ثَبت أنّ الإفراط والتّفريط كلاهما مذمُومان عقلاً وشَرعاً وخير الأُمور أوَسَعها وهو ما ذَكره ﷺ في المَتن هذا كلّه

مضافاً الىٰ أنّه لا رُهبانيّة في الإسلام ولذلك قال عليه السلام ليس لِلعاقل أن يكون شاخصاً وقائماً إلّا في ثلاث، مَرَمّةٍ لمعاشٍ لئلاّ يكون كلاً علىٰ غيره، أو خُطوةٍ في معاد لئلاّ يضيع آخرته أو لذّةٍ في غير محرّمٍ لئلاّ يقع بَدنه في تعبٍ ومشّقةٍ ومفهوم العبارة أنّ من لا يكون كذلك فَليس بعاقلٍ وهو مَتين لأنّ في تَركها هَلاك الإنسان في الدّارين:

٣٨٠

▫ قوله عليه السلام: إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرَكَ اللَّهُ عَوْرَاتِها وَلا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ...

◁ الشّرح

(إزْهَدْ،) بضّم الزّاء ترك الدّنيا ولذّاتها تقّرباً الىٰ اللّه تعالىٰ فترك الدّنيا للدّنيا ليس من الزُّهد بل هو رياء مذمُوم وقد مَرّ الكلام فيه غير مرّةٍ والمعنىٰ أُترك الدّنيا لِللّه تعالىٰ يُبّصرك اللّه عَوراتها وعيُوبها ولا تَغفل في الدّنيا عن الآخرة فَلَستَ بمَغفُولٍ عنك فأنّ ربّك لبالمرصاد، وأنّما قال عليه السلام إزهَد في الدّنيا يُبّصرك اللّه عَوراتها لِلإشارة الىٰ غير الزّاهد التّارك لها لا يَطّلع علىٰ عيُوب الدّنيا لأنّه أي غير الزّاهد مُنغَمِرٌ في الدّنيا مُنَهمكٌ في لذّاتها فكيف يرىٰ عيُوبها، وأمّا قوله عليه السلام: **ولا تَغفل** ففيه إشارة الىٰ أمرين أحَدهما أنّ الغَفلة مذمُومة لكونها أُمّ الخَبائث وأصل الفساد وثانيهما أنّ الغَفلة مَع كونها كذلك لا تَنفعك بل تضّرك لأنّ اللّه تعالىٰ غير غافلٍ عمّا يَعمل الظّالمُون الغافلُون:

۳۸۱

□ قوله عليه السلام: تَكلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنّ الْمَرْء مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ...

◁ الشّرح

أي أنّ الإنسان ما لَم يتكلّم لا يُعرف قَدره ولا يُعلم مقامه وذلك لأنّ المَرء مَخبُوءٌ أي محفوظ مَستُورٌ تحت لسانه فإذا تَكلّم ظَهَر عن الخَفاء وفيه قال الشّاعر بالفارسية:

تا مرد سخن نگفته باشد
عیب وهنرش نهفته باشد
هر بیشه گمان مَبرکه خالی‌است
شاید که پلنگ خفته باشد

وقال الآخر:

وهذا اللّسان يزيد الفؤاد
يَدُلّ الرّجال علىٰ عَقله

قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أنّ من البيان لسحراً، وقال إبن المُعتّز، البيان ترجمان القلُوب، وصَيقل العقُول وقال الجاحظ البيان إسمٌ جامع لكلّ ما كَشف لك من المعنىٰ، ويَكفيك في الباب قوله تعالىٰ:﴿خَلَقَ الإنْسَنَ، عَلَّمَهُ الْبَيَان﴾(١) فلو كان بعد نعمة الإيجاد نعمة أعَلَىٰ وأشَرَف من البيان لَذَكَره بَعده.

١- الرّحمن-٢ و٣

﴿٣٨٢﴾

□ قوله عليه السلام: خُذْ منَ الدُّنْيا مَا أتاكَ وتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّىٰ عَنْكَ فَإِنْ أنْتَ لمْ تَفْعَلْ فأجْمِلْ فِي الطَّلَبِ...

◁ الشّرح

أي خُذْ من حظوظ الدّنيا ونِعمها ما أتَاكَ منها بطَبعه وتَوَلَّ أي أعرِض عمّا أعرَض منها ولا تحرص في طلبه فأن أنت لم تَفعل ذلك أي لم تقنع بما أتاك فيها وتطلب غيره فأجمِل في الطّلب أي أُطلب ما تطّلب علىٰ وَجهٍ جميل أي من طُرق الشّرعية المقرّرة لك لا من كلّ طريقٍ إتّفق والحاصل لا تحرص في الدّنيا، وأقنع فيها بما أتاك فهو أحسن في دينك ودنياك وأن كنت لابدّ من الطّلب زائداً عليه فأجمِل فيه:

﴿٣٨٣﴾

▫ **قوله ﷺ: رُبَّ قَوْل أنفَذُ مِنْ صَوْلٍ...**

◁ **الشَرح**

الصَّول بفتح الصّاد السَّطوة والصَّولة يقال له صَوَلة أي سَطوَة والمعنىٰ ربّما يكون القَول أنفَذ منها لأنّه قد يبلغ الإنسان بالقول ما لا يبلغه بالشّدة والصَّولة، والمراد بالقَول إمّا معناه اللّغوي العُرفي وهو الكلام وأمّا معناه الإصطلاحي وهو رعاية العَهد والميثاق والجمع مهما أمكن أولىٰ وأنّما قال ﷺ ذلك لأنّ الصَّولة والشّدة لا تنفع في كلّ الموارد إذ في كثيرٍ منها تنتج عكس المطلوب وهو ظاهر:

﴿٣٨٤﴾

□ قوله عليه السلام: كلُّ مُقْتَصَرٍ عليْهِ كافٍ...

◁ الشّرح

مُقتَصَر، بضمّ الميم وفتح الصّاد إسم مفعولٍ من إقتَصَر، والمعنىٰ إذا إقتَصَر علىٰ شيءٍ فهو كاف لك والإقتصار الإكتفاء وهو كقولهم من قَنَع بما رَزَقه اللّه فهو يَكفيه ومن لم يقنَع به فالدّنيا بأسرها لا تكفِيه وذلك لأنّ الكفاية وعدمها ترتبط بالقلب في كونه قانعاً وعَدمه وإلّا فجميع النِّعم لا يكفي:

۳۸۵

□ قوله ﷺ: **المَنِيَّةُ ولاَ الدَّنِيَّةُ والتَّقَلُّلُ ولا التَّوَسلُ ومَنْ لَمْ يُعْطَ قاعِداً لمْ يُعْطَ قَائِماً والدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ فإِذَا كانَ لَكَ فَلاَ تَبْطَرَ وإِذا كانَ عَلَيْكَ فَاصْبِر...**

◁ الشّرح

أي أنّ المَنيّة أعني بها المَوت تكون والدَّنية وهي التَذلّل لا تكون فالمؤمن بل العاقل يَموُت ولا يتّذلّل لأحدٍ، وهكذا التَقلّل أي الإكتفاء بالقليل يكُون وأمّا التّوسّل الىٰ النّاس فيما لا يكون مضّطراً اليه لا يكون، ومن لَم يُعط قاعداً أي من لَم يُرزق بالطّلب السّهل لم ينفعه التشّديد في الطّلب في الأكثر والدّهـر يُومان يومٌ لك ويومٌ عليك أي يوم الإقبال ويوم الإدبار فإذا كـان لك أي إذا كانت الدّنيا لك مُقبلة فلا تَبَطر أي لا تَخَف من الفقر وأمّا إذا كانت مُدبرة عليك فأصبر حتّىٰ يحكم الله فالأُمور المذكورة في المتن خمسة:

أمّا الأمر الأوّل: فهو إشارة الىٰ أنّ الإنسان ولا سيّما المؤمن ينبغي أن تكون عِزّة نفسه بحيث إذا دار الأمر بين المَوت والذِّلة إختار المَوت عليها فأنّ الموت كذلك يوجب الشّرف والحياة كذلك توجب الذّلة والحقارة وقد أجمعُوا علىٰ كون المَوت أفضَل في صورة الدّوران والىٰ هذا المعنىٰ أشار الحُسين ﷺ في كلامه حيث قال **هيهات مِنّي الذِّلة**،

وأنّما قال ﷺ هذا الكلام بعد دَوَران أمره بين المَوت مَعَ الشّرف والحياة مَعَ

الذّلة كما قال الشّاعر بالفارسية:

بـزرگ فـلسفهٔ قـتل شاه دين اينست

كه مَرگ سُرخ به از زندگى نَنگين است

وهذه السّيرة كانت ثابتة في طول التّاريخ بالنّسبة الىٰ الأحرار من الرّجال الىٰ زماننا هذا ومنه الىٰ آخر الدّنيا أيضاًكذلك فأنّ الحياة الدّنيا مضافاً الىٰ كونها لا بقاء لها، تكون بالهُموم مَحفوفة وبالآفات والحوادث مأنوسة وأمّا حياة الآخرة فليست كذلك والعاقل لا يختار الفاني علىٰ الباقي، وحيث أنّ التّذَلّل في الدّنيا يوجب مَوت الرّوح فصاحبه في الحقيقة كالميّت بين الأحياء هذا إذا قلنا بأنّ المراد من المنيّة المَوت كما هو الظّاهر وعليه الشّراح ويمكن أن تكون بمعنىٰ الرّضا بقَدر اللّه، فأنّ المَنيّة بفتح الميم جمع منايا، والمَنىٰ كما جاء بمعنىٰ المَوت جاء بمعنىٰ القَدَر أيضاً يقال أنا راضٍ بِمني اللّه أي بَقَدَره وعليه فالمعنىٰ الرّضا بقَدر اللّه يكون، والدَّنية أي التّذلّل النّاشئ عن عدم الرّضا بقَدره لا يكون وهو أيضاً ممّا لا بأس به إلّا أنّ الأوّل من الإحتمالين أوفق بسياق العبارة:

وأمّا الأمر الثّاني: وهو قوله عليه السلام: **والتَّقلل ولا التّوسُل**، فقد قلنا أنّ المراد به أنّ القناعة بالقليل من العيش والتّبلغ به خير من التّوسل الىٰ أهل الدّنيا وذلك لأنّ في التّوسل اليهم حقارة وذِلة قال الشّاعر:

أُقسم بـاللّه لَـمَصُّ النّـوىٰ — وشُرب مـاء القَـلب المـالحة
أحسَن بـالإنسان مـن ذِلّـةٍ — ومن سـؤال الأوجـه الكـالحة
فأسـتغن بـاللّه تكُـن ذا غِـنىً — مُـغطَبَتاً بـالصَفّقة الرّابـحة
فـالزُهد عِـزٌ والتُّـقىٰ سُـؤددٌ — وذلّـة النّـفس لهـا واضـحة
كـم سـالم صـيح بـه بـغتَةً — وقـابل عـهدي بـه البـارحـة
أمسـي وأمسَت عـنده قـينةٌ — وأصـحت تَـندبه نـائحة
طُـوبىٰ لمـن كـان مَـوازيـنه — يـوم يـلاقي ربّـه راجـحة

وأمّا الأمر الثّالث: وهو قوله ومن لم يُعط قاعداً لم يُعط قائماً، فالقعود في كلامه كناية عن سُهولة الطّلب وعدم الحرص عليه فكأنّه قَعَد عن طلبه كما أنّ القيام به كناية عن شدّة الطّلب والحرص عليه ومحصّل المعنىٰ أنّ الوصول بالدّنيا ليس بكثرة الطّلب وشدّته ولا عدمه بعدمه في أكثر الأوقات وأكثر الأفراد فأنّ الدّنيا في الأكثر إذا أقبلت عليهما وإذا أدبرَت أدَبرت كذلك وقد مرّ الكلام فيه:

وأمّا الأمر الرّابع: وهو قوله والدّهر يومان يومٌ لك ويومٌ عليك، فالمعنىٰ أنّ لِلدّنيا بالنّسبة الىٰ كلّ من فيها إقبال وإدبار كما قال الشّاعر في وصفها، وأنّما هي إقبالٌ وإدبارٌ، وهذا أمرٌ محسُوس قبل أن يكون معقولاً وقد مرّ الكلام فيه أيضاً غير مرّةٍ مفصّلاً، وأمّا الأمر الخامس وهو قوله ﷺ: **فإذا كان لك فلا تَبطَر وإذا كان عليك فأصبر** ففيه إشارة الىٰ أنّ الدّنيا إذا أقبلت اليك فلا تَخَف من الفقر فيها بسبب الجُود والعطاء وقيل أن البَطَر هو الطّغيان في النِّعمة وعليه فلا تكون الدّنيا سَبباً لطغيانك وكيف كان فالمقصود إغتنِم الفُرصة وخُذ من الدّنيا لآخرتك وأشكر ربّك علىٰ ما أتاك من النِّعمة ولا تكُن من الطّاغين، وأمّا إذا أدبَرت الدّنيا فأصبر فأنّ لكلّ عُسرٍ يُسر ولكلّ مضيقةٍ فسحة وقد مرّ البحث في هذه الأُمور سابقاً.

﴿٣٨٦﴾

▫ قوله عليه السلام: مُقَارِبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلاَقِهِمْ أَمْنٌ منْ غَوَائِلِهِم...

◁ الشّرح

الغَوائل جمع غائلة وهي الحِقد، والمعنىٰ مُقاربة النّاس أي قرب بعضهم الىٰ بعضٍ تُوجب الأمان من أحقادهم وبعبارةٍ أُخرىٰ المُقاربة لهم في أخلاقهم حافظة لِمودّتهم كما أنّ المُباعدة فيها مُجلبة لِلعداوات والأحقاد ومن عاداه النّاس وَقَع في غوائلهم، وفي هذا الكلام إشارة الىٰ المُجالسة والمُؤانَسة حِفظاً لبُروز الأحقاد البّاطنية ومن المعلوم أنّ المُقاربة تصّح إذا كانت بحقٍّ وأمّا إذا كانت مُوجبة لضرر الدّين والدّنيا، فلا مَدح فيها بل هي مذمُومة هذا إذا قلنا بأنّ الكلام منه عليه السلام خرج مخرج المَدح والحثّ عليها كما عليه الشّراح وأمّا إذا حملنا كلامه عليه السلام علىٰ أنّه كان بصدد بيان حقيقة من الحقائق العُرفية والعَقلية فلا يحتاج الىٰ التّخصيص أصلاً إذ المعنىٰ أنّ المُقاربة فائدتها كذلك وهو ظاهر:

٣٨٧

▫ قوله ﷺ: لبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ: وقدْ تَكَلَّمَ بكَلِمَةٍ يستَصْغَرُ مِثْلُهُ عنْ قَوْلِ مِثْلِها: لَقَدْ طِرْتَ شَكِراً وَهَدَرْتَ سَقْباً...

قال الرّضي ﵀: والشكرُ ههنا: أوّل مَا ينبتُ مِنَ ريش الطّائر، قبل أنْ يَقْوَي وَيَستَحْصِفَ، والسَّقْبُ: الصَّغيرُ مِنَ الإبِلِ ولا يَهْدِرُ إلّا بَعْدَ أَنْ يَستَفْحِلَ...

أقول: الغرض من هذا الكلام أنّ كلامك فوق مقامك وأنّما مثلك في التّكلم بهذا الكلام مَثَل الطّائر الّذي أراد الطّيران قبل أوانه أو مثَل الصّغير من الإبـل الّذي يَهدر قبل أن يَستَفحل فالكلام خرج مخرج الإستعارة حيث شـبّه ﷺ المتكلّم تارةً بالطّائر قبل أوان طيره وأُخرىٰ بالإبل الصّغير قبل إستفحاله فكما أنّ الطّائر أو الإبل كذلك يقع موقع الخَطَر كذلك الإنسان إذا صَدَر منه ما هو أكثر من شأنه قولاً كان أو فعلاً وفي المثل لقد طرتَ وأنتَ فرخٌ لم تَنهَض:

٣٨٨

◻ قوله ﷺ: مَنْ أَوْمأَ إِلىٰ مُتَفاوِتٍ خَذَلَتْهُ الحِيَلُ...

◁ الشَرح

(أَوْمَأَ) أشارَ (مُتفاوِتٍ) أي فتَباعد والمعنىٰ من طلب تحصيل المتباعدات وضمّ بعضها الىٰ بعضٍ خَذَلته الحِيَل فيما يريد فَلَم يظفر بما أراد، وقيل المراد بالمُتفاوت الأُمور المتّضادّة الّتي يتّعذر الجمع بينها في العُرف والعادة وعليه فالمعنىٰ من طلب تحصيل ما لا يمكن الوصول اليه عرفاً وعادةً خَذَلته الحِيَل أي يصير مخذُولاً من حيث عدم وصوله الىٰ ما أراد والجامع أنّ من طلب ما لا يحصل له عادةً لا يصل اليه كذلك وأن كان حصوله له عقلاً ممكناً فأن الإمكان العقلي لا يكفي والّذي ينبغي التّوجه اليه هو الإمكان العادِي وهو ظاهر.

﴿٣٨٩﴾

▫ قوله ﷺ: وَقَدْ سُئل عنْ معنىٰ قولهم: (لا حَولَ ولا قُوّة إلّا باللَّهِ) إنا لا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً، ولا نَمْلِكُ إلّا ما مَلَّكْنا فَمتىٰ مَلَّكْنا مَا هُوَ أمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفنَا وَمَتىٰ أخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكلِيفَهُ عَنّا...

◁ الشّرح

قوله ﷺ: إنا لا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً، إشارة الىٰ نفي الملّكية العِرضية لا نَفيها مطلقاً وذلك لأنّ الملّكية علىٰ قسمين طُولّية، وعَرضّية، ونعني بالطُولّية الملّكية التّبعية وبالعَرضّية المستّقلة وعليه فالطُولّية لا وجود لها إلّا بعد وجود مَتبوعها بل لا وجود لها في الحقيقة وأنّما هي رشحة من رشحات وجود المتبُوع وفيضٌ من إفاضاته وأمّا العَرضّية فلها وجود إستقلالّي مع قطع النّظر عن أيّ وجود كان إذا عرفت هذا فأعلم أنّ الملّكية للمخلوق بالنّسبة الىٰ ملّكية خالقه طُولّيّة لا عَرضّية بمعنىٰ إنّا نملك ما نملك لأنّ اللّه مالك فلولا أنّه مالك لم نكن مالكاً أنّ العلم والقُدرة والإرادة وغيرها من الصّفات أيضاً كذلك فأنّ علمنا تابع لعلمه وقدرتنا لقُدرته وهكذا فمع قطع النّظر عن علمه تعالىٰ وقدرته ومالّكيته لا علم لنا ولا قُدرة ولا ملّكية ولا غيرها وذلك لأنّ الصّفات تابعة للوجود فإذا كان أصل الوجود في المخلوق تبعيّاً فكذلك ما يتبعه أيّ شئ كان، فقوله ﷺ إنا لا نَمْلِكُ مَعَ اللّهِ شَيْئاً معناه إنّا لا نملك من حيث ذواتنا شيئاً حتّىٰ تثبت الملّكية

على طريق المَعيّة كان اللّه ولم يكن مَعَه شيئ والآن كما كان أي الآن ليس مَعَه شيئ ألا ترىٰ أنّك إذا قلت جاءني زيد مع عمرو معناه أنّ مجيئهما كان معاً في زمانٍ واحدٍ فلو كان مجيئ زيد قبل عمرو زماناً لا يصّح ما قلت فكذلك إذا قلنا إنّا نملك مَعَ اللّه معناه أنّ الملكّية لنا وله في مَرتبةٍ واحدة فهو مالك مَعَ قَطع النّظر عنّا ونحن مالكون مع قطع النّظر عنه وهذا شرك وكُفر إذ المفروض إنّا مخلوقون له وكيف يُعقل تأخّر الوجود عن وجوده تأخر المعلول عن علّته وعدم تأخّر الملكّية وغيرها من الصّفات التّابعة للوجود عن ملَكيّته أليس يلزم منه كوننا مالكين قبل الوجود وهو بعينه تقدّم التّابع علىٰ المتبوع فثَبت وتحقّق قوله عليه السلام: **إنا لا نَملِكُ مَعَ اللّهِ شَيْئاً** وهو المطلوب:

وأمّا قوله عليه السلام: **ولا نَمْلَكُ إلَّا مَا مَلَّكْنا**، ففيه إشارة الىٰ إثبات الملكّية الطّولّية وذلك لأنّ معنىٰ الكلام أنّه ليس لنا إلّا ما مَلَّكنا اللّه بعد إيجادنا فكلّ مالَنا هو ملَكّنا فنحن وما في أيدينا تابعُون فقوله عليه السلام: **لا نملك** ليس فيه سلب المالّكية عنّا بقولٍ مطلق بل معناه سلبها عَرضاً وإثباتها طُولاً وأنّما قلنا ذلك لأنّ قوله عليه السلام ولا نملك ينفي الملكية بقولٍ مطلق ثمّ قوله بعد ذلك إلّا ما ملَكّنا إثباتٌ لِلملَكّية الّتي مَلَكّنا اللّه تعالىٰ به بحكم الإستثناء ولا نعني بالطّولّية إلّا هذا وهذا الحكم جارٍ في جميع شئون العَبد من الوجود والعلم والقُدرة والإرادة وغيرها فأنّ العبد وما في يده كان لِمولاه وملخصّ الكلام أنّ العبد معلول والمعلول في طول وجود العلّة لا في عَرضه وهكذا في جميع شئونه وصفاته.

وأمّا قوله عليه السلام: **فَمتىٰ مَلَّكْنا مَا هُوَ أمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنا** الىٰ آخر الكلام ففيه إشارة الىٰ أصلٍ آخر يتّفرع عليه التّكليف وهو القُدرة علىٰ العَمَل والمعنىٰ متّىٰ ما مَلكّنا اللّه تعالىٰ ما أي شيئاً هو تعالىٰ أملَك به أي بالشّيئ مِنّا لأنه المُعطي والمُعطي أملَك للمُعطىٰ من المُعطي له وحيث كان الأمر علىٰ هذا المنوال فقد كَلّفَنا بالتّكاليف الشّرعية المقرّرة لنا ومتىٰ أخَذَه أي متىٰ أَخَذ اللّه ما أعطاه لنا

وهو القُدرة وَضَع وَرَفع تكليفه عَنّا والحاصل أنّ التّكليف مشروط بالقُدرة والإستطاعة على الفعل المُكلّف به لقوله تعالى: **﴿لايُكَلِّفُ اللّهَ نَفْساً إلاّ وُسْعَهَا﴾**(١) وإنتفاء الشّرط يستلزم إنتفاء المشروط وأنّما قال ﷺ: **هو أملَك به مِنّا**، لأنّه تعالى صاحب القُدرة المَطلقة ومُعطيها لمن يشاء فإنتساب القُدرة المَوجودة فينا بل كلّ صِفةٍ من الصّفات اليه تعالى أولى من إنتسابه إلينا لأنّه المالك حقّاً وأمّا غيره فَبتَبعه وأمَره فلا مؤثر في الوجود إلّا هو فمن توكّل عليه فهو حسبه ونعم الوكيل:

١- البقره - ٢٨٦

۳۹۰

□ قوله ﷺ: لِعَمّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَقَدْ سَمعهُ يراجعُ المُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كلاماً: دَعْهُ يا عَمَّارَ فَإِنَّهُ لَم يَأخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا ما قَارَبَهُ منَ الدُّنْيَا وَعلىٰ عَمْدٍ لَبَّسَ علىٰ نَفْسِهِ لِيَجْعَلَ الشُّبُهاتِ عاذِراً لِسَقَطاتِهِ...

◁ الشَرح

عمّار بن ياسِر من أكابر شيعته وهو الّذي قال رسُول اللّه ﷺ في حقّه ما قال قُتل بصّفين وقد كان الرّسُول ﷺ أخبَرَه به وقال له تقتلك الفئة الباغية وقد مرّ الكلام في مقاماته وحالاته ونَسبه وأمّا المُغيرة بن شعبة فهو رأس المُنافقين المُعاندين لِللّه ولِرّسُوله واقعاً ولأوصياء الرّسُول ظاهراً وواقعاً وقد تكلّمنا في نفاقه بل عناده لأمير المؤمنين ﷺ في محلّه وقد عَدّوه من رجال السّياسة في صَدر الإسلام وكان صديقاً لعُمر بن الخطاب وبعده لعُثمان ثمّ لمعاوية وقضاياه في التّواريخ مسطورة مشهورة وكيف كان لا شّك في نفاقه وعناده لأهل البيت الّذين أذهَبَ اللّه عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً اللّهم أحشره مَع من أَحبّه آمين ولنرجع الىٰ شرح كلامه ﷺ قال ﷺ لعمّار دَعه أي أُترك المُغيرة فأنّه أي المُغيرة لم يأخذ من الدّين أي من الإسلام إلّا ما قارَبه من الدّنيا أي لم يأخذ منه إلّا ما يُقربه الىٰ الدّنيا وحُطامها وأمّا لا يُقربه اليها ولا نفع له بحَسَب الدّنيا فيه من الحقائق الشّرعية والمعارف الإلٰهّية فَلم يأخذ به لأنّه من أبناء الدّنيا يدور مدارها نفعاً وضَراً، ثمّ قال ﷺ وعلىٰ عَمدٍ لَبّس علىٰ نفسه أي أوقع

نفسه في الشّبهة عامداً عالماً لتكون عُذراً في زلّاته وسَقطاته بَـزعمه الفـاسد وفي هذا الكلام إشارة الىٰ أنّه كان عالماً بما يفعل إذ العَمد مسبوق بالعلم غالباً كما هو كان شأن أكثر المخالفين في صدر الإسلام ألا ترىٰ أنّه عليه السلام قال فـي الخُطبة الشقّشقية أما واللّه أنّه ليَعلَم الخ وعَلّل عليه السلام ما ذكره بأنّ غرض المغيرة وأشباهه من التّلبيس علىٰ نفوسهم هو أنّهم زعموا أنّ الشّبهات كانت أعذاراً لهم غداً يوم القيامة ولَيسَ كذلك لأنّ الحُجّة قد تمّت بإرسال الرُّسُل وإنزال الكُتب: ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ** ﴾ (١)

١ - الأنفال - ٤٢

٣٩١

□ قوله ﷺ: مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأَغْنَيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَباً لِمَا عِنْدَ اللَّهِ وَأَحسَنُ مِنْه تِيُه الْفُقَرَاءِ عَلىٰ الأَغْنِياءِ إِتِّكالاً علىٰ اللَّهِ...

◁ الشّرح

أشار ﷺ الىٰ أمرين كلاهما -حَسَن،

الأوّل: تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند اللّه من الثّواب لا لوجهٍ آخر.

وثانيهما: تِيه الفقراء أعني تكبّرهم علىٰ الأغنياء إتّكالاً وإعتماداً علىٰ اللّه تعالىٰ وأفاد ﷺ أنّ الثّاني أعني به تيه الفقراء أحسَن من تواضع الأغنياء لهم والوَجه فيه أنّ الفقير لفقره وإحتياجه الىٰ الغنّي لا يتكبّر عليه بمقتضىٰ الطّبيعة وأمّا الغنّي فليس كذلك لأنّه لغناه لا يحتاج الىٰ الفقير وحيث أنّ التّواضع عبارة عن خفض الجناح المُنبعث عن كسر النّفس الأمّارة والتّسلط عليها فلا إستبعاد فى حصوله لِلغنى بأن يكون متواضعاً طبعاً مُضافاً الىٰ علمه بأنّه لو تواضع للفقير لم ينقص منه شيئ وهذا بخلاف الفقير لعِلمه ظاهراً بأنّ التّكبر علىٰ الغنّي يمكن أن يكون بضرره وعليه فلو تكبّر عليه ولا يعتني بماله وثروته فهو ممدوح لكونه كاشفاً عن إيمانه وتوكلّه علىٰ اللّه تعالىٰ وأنّما قال ﷺ في الأوّل، لما عند اللّه، وفي الثّاني إتّكالاً عليه لنكتةٍ وهي أنّ الغني يطلب الثّواب به وأمّا الفقير إنّما يفَعل ذلك إتّكالاً علىٰ اللّه وإعتِماداً ومن المعلُوم إنّ تحصيل هذا المقام أشدّ من تحصيل الثّواب ولأجل ذلك قال ﷺ **وأحَسنه منه تيه الفُقَراء** ثمّ أفاد ﷺ ثانياً إنّ التّواضع من الغَني والتّكبر من الفَقير إذا كانا لِللّه تعالىٰ فهُما مَمدُوحان وإلّا فلا وقد مرّ الكلام فيه:

٣٩٢

▫ قوله عليه السلام: ما اسْتَوْدَعَ اللَّهُ أمْرَأً عَقْلاً إلّا استَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً مَا...

◁ الشّرح

أي إنّ اللّه تعالى لا يَهَب العَقل إلّا حيث يريد النّجاة فَمتى أعطى شَخصاً عَقلاً خَلَصه به من شِقاء الدّارين وليس المراد بالعَقل في المقام العَقل المُصطلح عند العُرف أعني به القوّة المُتهيئة لِقَبول الإدراكات فإنّ العَقل بهذا المعنى موجُود في الكلّ بل المراد به ما قاله الصّادق عليه السلام العقل ما عُبِد به الرّحمٰن وأكْتُسِبَ به الجِنان، والعَقل بهذا المعنى لا يهَبه اللّه تعالى إلّا لعِبادِه الصّالحين وهو الّذي قال تعالى: (له إقبل) فأقبَل ثمّ قال له أدبِر فأدبَر فقال: **﴿ وعزّتي وجَلالي ما خَلَقتُ خَلقاً أحبّ إلّي منك بك أُعاقِب وبك أُثيب﴾**

وهو الّذي قال اللّه تعالى في كِتابه: **﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**(١)

و: **﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الأَيَٰتِ إن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾**(٢)

و: **﴿ ذَٰلِكُمْ وَصَّٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾**(٣)

و: **﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَٰلِمُونَ﴾**(٤)

١- البقرة ـ ٢٤٢
٢- آل عمران ـ ١١٨
٣- الأنعام ـ ١٥١
٤- العنكبوت ـ ٤٣

و: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ﴾ (١)

و: ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ (٢) والآيات كثيرة.

رُوي في البحار بأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال لم يقسم بين العباد أقلّ من خمسٍ، اليَقين والقنُوع والصّبر والشّكر والّذي يكمل به هذا كلّه العقل انتهىٰ...

وبأسناده عن الرّضا عليه السلام قال صديق كلّ إمرِؤٍ عَقله وعدّوه جَهله انتهىٰ...

وبأسناده عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال من كان عاقلاً ختم له بالجنّة إنشاء اللّه...

وبهذا الإسناد عنه عليه السلام قال من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دَخَل الجنّة...

وقال النّبي صلى الله عليه وآله قوام المَرء عَقله ولا دين لمن لا عَقل له «بحار الأنوار ج ١ ص ٣٠»...

١- الملك ـ ١٠

٢- المائدة ـ ٥٨

٣٩٣

□ قوله عليه السلام: منْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعهُ...

◁ الشّرح

الصَّرَع بفتح الصّاد في الأصل الطّرح علىٰ الأرض يـقال صَـرَعه صَـرعاً وصِرعاً ومَصرعاً، طَرَحه علىٰ الأرض كما يقال صارَعه سِراعاً ومُصارعةً حاوَل صَرعه وعليه فالمعنىٰ من حاوَل أي قَصَد وأراد صَرع الحَقّ وطَرحه، صَرَعه أي صَرَعه الحَقّ وطَرَحه والمُصارعة بالفارسية (كُشتى گرفتن) إستعار عليه السلام لفظ المُصارعة لِلمقاومة وذلك أنّ اللّه سُبحانه وملائكته ورُسُله والصّالحين مـن عباده أعوان الحَقّ ولا مُقاوَم لهم فَمن قاوَم في قبال الحقّ لا يدوم قوامه فأنّ للحقّ دَولة وللباطل جَولة، والحَقّ لا يكون مغلُوباً واقعاً وأن كان مغلُوباً ظاهراً قال اللّه تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَاللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِه﴾ (١)

والسِّر فيه هو أنّ الحقّ المطلق الواجب الوجود المُستَجمع لجميع الصِّفات الكمّالية وأمّا غير الواجب أيّ موجودٍ كان فكونه حقّاً ليس بإعتبار ذاته لأنّـه ممكن وكلّ ممكنٍ فهو ناقصٌ باطلٌ في ذاته وما في ذاته باطلٌ عاطلٌ كـيف يكون حقّاً بقولٍ مطلق كما قيل:

ألا كلّ شيً مـا خـلا اللّـه بـاطلُ   وكـــلّ نـعيمٍ لا مـحالة زائـلُ

١- الصّف ـ٨.

وإذا كان اللّه تعالىٰ هو الحقّ المُطلق وما سواه حقّ بإعتباره فمن خالَف الحَقّ وصارَعه فكأنّه خالف الواجب وصارَعَه فأن قَدر المَخلوق أن يَجعل الخالق مصروعاً مغلوباً قَدر أن يجعل الحقّ كذلك وإلّا فلا وحيث قد ثَبت عقلاً وشرعاً أنّ العَبد مغلُوبٌ مَقهُور لخالقه ومُوجده فهو مقهُور مغلُوب للحقّ أيضاً لما ذَكَرناه من إرتباط الحَقّ اليه تعالىٰ فكما أنّ المُقاومة للعَبد في جنب قُدرة الخالق لا تفيده كذلك المُقاومة في مقابل الحقّ وهذا معنىٰ قوله عليه السلام: **من صارَع الحقّ صَرَعه**، وإذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فيجب علىٰ العَبد عقلاً وشَرعاً مُتابعة الحقّ والعَدل ولو كان بضرره ظاهراً وقد مَرّ الكلام في الحقّ وأقسامه سابقاً:

٣٩٤

□ قوله عليه السلام: الْقَلبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ...

◁ الشَرح

قالوا في شرح الكلام أي ما يَتناوله البَصَر يُحفظ في القَلب كأنّه يُكتب فيه، وقال بعض المُحقّقين كما أنّ الإنسان إذا نَظر في المُصحَف قَرأ ما فيه كذلك إذا أبصَر الإنسان صاحبه فأنّه يرىٰ قلبه بوساطة رؤيته وجَهه ثُمّ يعلم ما في قلبه من حُبّ وبُغضٍ وغيرهما كما يعلم برؤية الحظّ الّذي في المُصحَف ما يدّل الحظّ عليه كما قيل:

أنّ العيُون لتُبدي في تقلّبها ما في الضّمائر من وُدٍّ ومن حَنقٍ

قال الرّاغب في المُفردات الصَّحيفة المَبسُوط من الشّئ كَصَحيفة الوَجه، والصَّحيفة التّي يُكتب فيها انتهىٰ.

وقال في المَنجد المُصحَف والمَصحف والمِصحَف ما جمَعه من الصُّحف بين دَفّتي الكتاب المَشدود جمعه مصاحف انتهىٰ.

أقُول: لا يبعد أن يكون المراد بالقلب النّفس النّاطقة التّي قد يُعبّر عنها بصَحيفة عالم الصّغير أعني به الإنسان وبالبَصَر البَصَر الباطِن فكما أنّ البَصَر الظّاهر يُرىٰ به ما في صَحيفة الأفاق ويستّدل به علىٰ صانعه لدلالة الأثر علىٰ المُؤثر كذلك يُرىٰ بالبَصَر الباطن ما في صَحيفة النّفس من عجائب الخِلقة التّي

أُودعت فيها كما قال تعالىٰ: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[1] وعليه فالمعنىٰ أنّ النّفس مُصحَف القلب وقد كُتب فيها ما كُتب بقلم القُدرة فأنّها في وحَدتها كلّ القُوىٰ من حيث خلاقّيتها وكونها مُنشئة للصُّور بإفاضةٍ من خالقها كما أنّ الواجب تعالىٰ في بساطة كلّ الأشياء فالنّفس تفعل في مَمَلَكة البَدن من الإنشاء والإيجا ما يفعله الواجب في الخارج إلّا أنّها معلولة مخلُوقة له ولا تفيض إلّا ما أفاض اللّه عليه وإذا كانت كذلك فَمعرفتها من أدَل الدّلائل وأقوىٰ البَراهين علىٰ معرفة خالقها لقوله ﷺ **من عَرَف نفسه فقد عَرف رَبّه**، فَينبغي لِلإنسان العاقل أن يتّدبر فيها حقّ التّدبر بعين البَصيرة فتأمل فيه فكأنّه قال القلب مُصحَف البَصَر فأُنظر فيه بعين البَصيرة لتَجد فيه ما لا تَجده في غيره هذا ما خَطَر ببالي في حلّ المَسئلة واللّه أعلم:

١- الذّاريات-٢١

٣٩٥

◘ قوله عليه السلام: **التُّقَىٰ رَئِيس الأَخْلاَقِ...**

◁ الشرح

التُّقىٰ بضّم التّاء في الشّرع الوَرَع والخَوف من اللّه وإذا حَصَل حَصَلت الطّاعات كلّها وإنتَفَت القَبائح كلّها وتلك صِفَةٌ عالية ينتقل الإنسان منها الىٰ السّعادة الباقية ولا شيئ من الأخلاق بإنفراده يستَلزم ذلك ولأجل هذه الجامعية المُندرجة في التُّقىٰ عَبّر عليه السلام عنها برَئيس الأخلاق أي أُسّها وأساسها ولَعلّ في الكلام إستعارة حيث شبّه عليه السلام الصّفات بالأشخاص والتُّقىٰ برَئيسهم وفي المقام وجه آخر خَطَر بالبال وهو أنّ الأخلاق عبارة عن إتّصاف الإنسان بالكَمالات مثل العلم والقُدرة والشّجاعة والسّخاوة والحِلم وأمثالها والإتّصاف بها تارةً يكون لِللّه تعالىٰ وأُخرىٰ للوصُول الىٰ حُطام الدُّنيا.

فَعَلىٰ الأوّل: يلزم أن يكون صاحبها مُتّصفاً بالتُّقىٰ.

وأمّا علىٰ الثّاني: فلا يكون مُتّصفاً بها فقوله عليه السلام إشارة الىٰ أنّ الأخلاق الّتي لا تكون التُّقىٰ في رأسها لا نَفع فيها أو أنّها ليست من الأخلاق بشيئٍ واقعاً فأنّ الأخلاق بدُون التُّقىٰ كالجَسَد بلا رأس:

٣٩٦

▫ قوله ﷺ: لا تَجْعَلَنَّ ذَرَبِ لِسَانِكَ على مَنْ أَنْطَقَكَ وَبَلاَغَةَ قَوْلِكَ على مَنْ سَدَّدكَ...

◁ الشَرح

الذَّرب محرّكة الحِدّة، والتّسديد التّقويم والتّثقيف والمعنىٰ لا تَجعلنّ حُدّة لسانك على من أنطَقك وهو اللّه تعالىٰ ولا تَجعَل بلاغة قولك على من قَوّمك وثَقَّفك أي سَدَّدك ، والدّليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (١)

و : ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمهُ الْبَيَان﴾ (٢)

و : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٣) ثَمّ أنّ الغَرَض من هذا الكلام تأديب العَبد في مقام الدّعاء أو مطلق الكلام وأنّه ينبغي له أن يُراعي في كلامه الأدَب ولا سيّما عند خالقه فلا يكون كما قال الشّاعر:

أُعـلّمه الرّمـاية كـلّ يـومٍ ... فـلمّا إشـتَدّ سـاعَده رمـاني

وقال الآخر:

أُعَـلِّمه القَـوافـي كـلّ يـومٍ ... فـلمّا قـال قـافيةُ هَـجاني

١- فصّلت ـ ٢١
٢- الرّحمٰن ـ ٣
٣- التّين ـ ٤

٣٩٧

▫ قوله ﷺ: كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنابُ مَا تَكْرَهُهُ منْ غَيرِكَ...

◁ الشّرح

أي إذا أردتَ تأديب نفسك وتَهذيبها فاجتنب عن كلّ ما تَكرهه نفسك من غيرك فإذا كانت نفسك مثلاً تَكره الكذب والظّلم والخيانة والغيبة وأمثالها من الرّذائل من غيرك فَجَنّبها عن الإتّصاف بها وإذ جَنبّتها عنها فلا محالة تتّصف النّفس بأضدادها مثل الصِّدق والعَدل والأمانة ونظائرها فتَصير بذلك مُؤدَّبة بالآداب الشّرعية والعقلّية ولذلك قال ﷺ كفاك أدَباً:

٣٩٨

▫ قوله ﷺ: مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الأَحْرَارِ وإِلَّا سَلاَ سُلُوَّ الأَغْمَارِ...
وفي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ ﷺ: قالَ لِلأَشْعَثِ بْنِ قَيسٍ مُعَزِّياً.
إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الأَكارِمَ وإِلاَّ سَلَوْتَ سُلُوَّ الْبَهائِمِ...

◁ الشَرح

أي مَن صَبَرَ مثل صَبْرَ الأَحْرَارِ من العباد فهو وإِلّا فلا محالة يسلُو أي ينسىٰ ويغفل عنه سُلُو الأغمار وهي جمع غَمر مثّلث الأوّل وهو الجاهل الّذي لَـم يُجَرب الأُمور، والمقصود أنّ المؤمن العاقل الحُرّ يَصبر علىٰ المُـصيبة وأمّـا الجاهل يَسلو وينسىٰ عنها بطول المُدّة فالصّبر أولىٰ لما فيه من الأجر والثّواب عند الله وبعبارةٍ أُخرىٰ العالم والجاهل يشتركان في أصـل المُـصيبة الواردة عليهما وأنّهما لا يقدران علىٰ تغيير القضاء والقَدَر إلّا أنّ العالم الحُـرّ يـصبر والجاهل لا يَصبر فلا يُؤجر ولا يُثاب:

وفي خبرٍ آخر أنّه ﷺ قال لِلأشعث بن قيس مُعزّياً، يُعزّيه علىٰ إبنٍ له قد مات فقال ﷺ أن صَبرتَ صبر الأكارم فهو وإِلّا أي وإلّا تَصبر سَـلَوت سُـلّو البهائم أي تنسىٰ المُصيبة بعد طول المُدّة كما في البهائم ومن المعلوم أنّ الصَّبر أوَلىٰ وقد مَرّ الكلام في الصَّبر وما وَرَد فيه غير مرّةٍ:

٣٩٩

▫ قوله عليه السلام: فـي صـفةِ الدُّنـيا: تَغُر وتَضُرُّ وتَمُرُّ إنَّ اللَّهَ تَعالىٰ لَمْ يَرْضَها ثَوَاباً لأَوْلِيائِه ولا عِقاباً لأَعْدَائِه وإِنَّ أهْلَ الدُّنْيا كَرَكْبٍ بَيْنَا هُمْ حَلُّوا إِذ صَاحَ سَائِقُهُمْ فارْتَحَلُوا...

◁ الشّرح

وَصَف عليه السلام الدّنيا بأوصاف ثلاثة، أحَدها أنّـها تَـغُرّ أي تَـغُرّ الدّنـيا أهـلها بزينتها، وثانيها أنّها تَضُر أي تَضُر أهلها بمحبّتها ومُتابعتهم أيّاها، وثالثها أنّها تَمُرّ أي لا تَبقىٰ بحالٍ ثُمّ قال عليه السلام أنّ اللّه تعالىٰ لَم يَرضَها أي الدّنيا ثواباً لأولياءه لعَدم صلاحّيتها لذلك ولا عقاباً لأعداءك لقصُورها وبعبارةٍ أُخرىٰ لَم يَجعَلها ثواباً لأولياءه لأنّ ثوابهم أوَفر وأكثَر منها ولا عقاباً لأعداءه لأنّ عقابهم أشدّ منها وأنّ أهل الدّنيا كَرَكبٍ أي كَعِدّةٍ من الرّاكبين حَلُّوا وإستَراحُوا في مكانٍ إذ صاح سائقهم وقائدهم فإرتَحلُوا والسّائق في الدّنيا المَوت قال الشّاعر:

ألا أنّـما الدّنـيا كـمنزل راكبٍ ... أناخ عشّياً وهو في الصُّبح راحلُ

رُوي أنّ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله مَرَّ علىٰ شاة ميّتة فقال أتَرون هذه الشّاة هَيّنة علىٰ صاحبها قالوا نعم قال والّذي بيَده الدّنيا أهَوَن عند اللّه عزّ وجلّ من هذه علىٰ صاحبها ولو كانت الدّنيا تَزن عند اللّه جناح بعوضة ما سـقىٰ كـافراً مـنها شربة ماءٍ انتهىٰ...

وقال صلى الله عليه وآله من أحَبَّ الدّنيا أضّر بآخرته ومن أحَبّ آخـرته أضّـر بـدُنياه

فآثروا ما يبقىٰ علىٰ ما يفنىٰ انتهىٰ...

وقال المَسيح يا معشر الحَوارّيين أنّي قد أكببتُ لكم الدّنيا علىٰ وجهها فلا تَتّغشوها بعدي فأنّ من خُبث الدّنيا أن عصىٰ اللّه فيها وأنّ من خُبث الدّنيا أنّ الآخرة لا تنال ولا تُدرك إلّا بتَركها فأعبرُوا الدّنيا ولا تُعمروها وأعلموا أنّ أصل كلّ خَطيئة حُبّ الدّنيا وربّ شَهوةٍ أوَرَثت حُزناً طويلاً» مجموعة ورّام ج ١ ص ١٢٨»...

وقد مَرّ الكلام في الدّنيا وما وَرَد فيها غير مَرّةٍ ولنعم ما قيل:

وغـــــاية هــــذه الدّار لذّة ســـاعةٍ
وتـــعقبها الأحـــزان والهَـــمّ والنَّـدم
وهـــاتيك دار الأمـــن والعِـزّ والتُّـقىٰ
ورَحـــمة ربّ النّـاس والجُـود والكَـرم

٤٠٠

□ **قوله عليه السلام: لابنه الحسن عليه السلام: لا تُخَلِّفَنَّ وراءكَ شَيْئاً منَ الدُّنْيا فإنَّكَ تُخَلِّفُهُ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ إمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِطاعَةِ اللّهِ فَسُعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ وأمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَكُنْتَ عَوْناً لهُ على مَعْصِيَتِهِ ولَيْسَ أحَدُ هذَيْنَ حَقِيقاً أنْ تُؤثِرَهُ علىٰ نَفْسِكَ...**

ويُروى هٰذا الكلامُ علىٰ وجه آخر.

وَهُوَ أمَّا بَعْدُ فَإنَّ الَّذِي فِي يَدِكَ منَ الدُّنْيا قَد كَانَ لَهُ أهْلٌ قَبْلَكَ وَهُوَ طائِرٌ إلىٰ أهْلٍ بَعْدَكَ وإنَّما أنْتَ جامِعٌ لأَحَدِ رَجُلَيْنِ رَجُل عَمِلَ فِيما جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسُعِدَ بِمَا شَقِيتُ بِهِ أوْ رَجُل عَمِلَ فيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيتَ بِمَا جَمَعْتَ لهُ وَلَيْسَ أحَدُ هذَيْنَ أهَلاً أنْ تُؤثِّرَهُ عَلىٰ نَفسِكَ وَلا أنْ تَحْمِلَ لهُ علىٰ ظَهْرِكَ فَارْجُ لِمَنْ مَضَىٰ رَحْمَةَ اللّهِ ولِمَنْ بَقِيَ رِزْقِ اللَّهِ...

◁ الشرح

قال عليه السلام لإبنه الحَسَن ظاهراً ولجَميع شيعته واقعاً لا تُخَلِّفَنَّ أي لا تُخلِّف ألبتة من مال الدّنيا وراءك أي بعد مَوتك شيئاً فأنّك تخلّفه لأحد رجلين ولا ثالث لهما، أمّا رجل عَمِل فيه أي فيما خلّفته له بطاعة اللّه بأن صَرفه فيها فَسَعِد الوارث بمالٍ شَقيتَ به لأنّك لم تَعمل به في طاعة اللّه وخلّفته وأمّا الوارث فقد عَمِل فيه بطاعة اللّه فهو سَعِد وأنت شَقيتَ به، وأمّا رجل عَمِل فيه أي فيما خلّفته له بمعصية اللّه بأن صَرَفه فيها فكُنتَ عَوناً أي ناصراً ومُعيناً له علىٰ

مَعصيته وذلك لأنّك لَو لَم تخلّفه له لا يعصي اللّه فيه على الفَرض وأن كان عاصياً بطريقٍ آخر وقد قال اللّه تعالىٰ: ﴿ وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ثُمّ قال ﷺ وليس أحَد هذين حقيقاً وجديراً أن تؤثره علىٰ نفسك أي تختاره عليها فأنّ الإيثار تقديم الغير علىٰ النّفس مع إحتياجها، قال الرّضي ﷺ ويروي هذا الكلام علىٰ وجهٍ آخر وهو قوله ﷺ أمّا بعد فأنّ الّذي في يَدك من الدّنيا من المال والثّروة قد كان له أهل قبلك، أي أنّه كان قبلك في يد غيرك، وهو أي المال، طائرٌ الىٰ أهل بعدك شبّه ﷺ المال بالطّائر الّذي يَطير من هذا المكان الىٰ ذاك فقال أنّ المال لا يبقىٰ لك كما لم يبقىٰ لمن كان قبلك بل يطير أي يذهب وينتقل منك الى غيرك وعليه فأنّما أنت جامعٌ له لأحَد رَجلَين رجل عَمِل فيما جمعته وخلّفته له، بطاعة اللّه بصرفه المال فيها فَسَعِد الوارث بما شَقيت به وهو المال الّذي خَلّفته ولم تصرِفَه في طاعة اللّه، أو رجل عَمِل فيه أي في المال بِمَعْصية اللّه بِصَرفه المال فيها فإذا شَقَيتَ بما جَمَعته له من حيث الإعانة علىٰ الإثم وليس أحَد هذين الرّجلين أي من عَمِل بطاعته ومن عَمِل بمعصيةٍ أهَلاً ومَحَلاً أن تؤثّره علىٰ نفسك وتختاره عليها ولا أن تَحمل له علىٰ ظَهَرك وذلك لإنّ المال إذ خلّفته لِغَيرك فقد بقي إثمه ووَزَره عليك، فأرجُ، فعل أمرٍ من رجىٰ يَرجُو أي ينبغي لك أنْ ترجُو لِمَن مضىٰ ومات رَحمة اللّه ولِمَن بقي بَعَدك رزق اللّه فلا تخلّف له شيئاً وإعلم إنّ كلام أمير المؤمنين ﷺ يدّل علىٰ ذمّ جمع المال لِلوارِث إذا كان المُخلّف مُقصّراً في حَياته بإن يجمع المال من أيّ طريقٍ كان ولا يَصَرفه فيما أمره الشّارع به ولا يُؤدّي حقُوقه الواجبة منه كلّ ذلك حُبّاً لِوارثه أو غَفلَةً عن مَوتَه وحِسابه، وأمّا إذا عَمِل بِوَظائِفه المُقرّرة له في الشّريعة بأن يُحصّل المال من طريق المَشرُوع ويُؤدّي حِقوقَه الواجبة بل المَندُوبة ومع ذلك يخَلف شيئاً منه لِوارِثه فلا ذمّ فيه لوجُود الفَرق بين مالٍ جَمَعه المُورّث من أوّل الأمر لِيَكُون ورّاثه أو وارثه مُستَغنين بعد مَوته وبين أن لا يكُون كذلك بل بقىٰ منه مالٌ قهراً وإنتَقل الىٰ وارِثه وذلك لإنّه في الأوّل سَلَم

الوارِث الىٰ المال وفي الثّاني الىٰ اللّه وهذا هو السِّر في المَدِح والذّم فإنّ الأوّل لم يتوكّل علىٰ اللّه بل توكّل علىٰ ماله والثّاني توكّل علىٰ اللّه ومع ذلك بقىٰ منه مال ولا إشكال فيه وبعد اللّتيا والّتي غرضه عليه السلام من هذا الكلام إنّ صاحِب المال ينبغي أن يَعَمل بوَظيفته في ماله وأن لا يكُون غافِلاً عن آخرته وأن يكُون مُتوكّلاً مُعتَمِداً علىٰ اللّه تعالىٰ لِنَفسه ولِوارِثه وهو الّذي علىٰ بصيرة في دينه ولِنَعم ما قيل:

من كان يعَلم إنّ المَوت يُدرِكُه
والقَبَر مَسَكنه والبعث يُخرِجُه
وإنّه بين جنّاتٍ مُزخَرفةٍ
يوم القيٰمة أوتارٍ سَتَنضجَه
فكلّ شيءٍ سوىٰ التّقوىٰ به سمجٌ
ومن أقام عليه منه أسَمَجه
ترىٰ الّذي إتّخذ الدّنيا له وَطَناً
لم يَدَر إنّ المَنايا سوف تُزعِجُه

قال الآخر:

يا من تَملّك مُلكاً لا بقاء له
حَمَلت نفسك أوثاماً ما وأوزاراً
هل الحياة بذي الدّنيا وإن عَذُبَت
إلّا كَطيف خيالاً في الكَرىٰ زارا

۴۰۱

▫ قوله عليه السلام: لقائلٍ قال بحضرته: «أستغفر اللّه» ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَتَدْرِي ما الإِسْتِغْفارُ، الإِسْتِغْفارُ درَجةُ الْعِلِّيينَ وَهُو إِسْمٌ واقِعٌ على سِتَّةِ مَعانٍ، أَوَّلُها النَّدَمُ عَلَىٰ ما مَضَىٰ وَالثَّانِي العَزْمُ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً. والثَّالِثُ أَنْ تؤدِّي إِلَىٰ المَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حتّىٰ تَلْقَي اللَّهُ أَمْلَسُ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ والرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلىٰ كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَها فَتُؤَدِّي حَقَّها، وَالْخامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَىٰ اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ علىٰ السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بالأَحْزانِ حَتّىٰ تُلصِقَ الجِلْدَ بالعَظْمِ ويَنْشأَ بَيْنَهُما لَحْمٌ جَدِيدٌ والسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ المَعْصِيَةِ فعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ...

◁ الشرح

الإِسْتِغْفارُ مصدر قولك أستغفَر إستِغفاراً وهو طلب المَغفرة من اللّه تعالىٰ ولذلك لا يصّح الإسْتِغْفارُ من غيره تعالىٰ لأنّ المغفرة لا تكون إلّا من الذّنب الحاصل للمُستَغفر فمَن لم يَذنب لم يستَغفر سواء كان الذّنب عن قصُورٍ أم كان من تقصيرٍ والأوّل للأنبياء والأوصياء والثّاني لغيرهم وسيجئ الكلام فيه ونحن نُشير الىٰ بعض ما وَرَد في مَدح الإستغفار من الآيات والأخبار مضافاً الىٰ ما ذَكرناه سابقاً فيه لكونه من أهمّ المسائل الّذي ينبغي التّوجه من المُكلّف اليها قال اللّه تعالىٰ: ﴿**أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلىٰ اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ**

﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)

و : ﴿وَمَا كانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون﴾ (٢)

و : ﴿وَاسْتَغْفِرِاللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ (٣)

و : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (٤)

و : ﴿يٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ (٥) وأمثالها من الآيات ومن الأخبار، ما رواه في البحار بأسناده عن الصّادق عن آباءه عليهم السّلام قال قال رسُول اللّه ﷺ لأصحابه ألا أخبركم بشئٍ أن أنتم فَعَلتمُوه تباعد الشّيطان منكم تباعد المَشرق من المَغرب قالوا بلىٰ قال ﷺ الصّوم يُسّود وجهه والصّدقة تكسر ظهره والحُبّ في اللّه والمُؤازرة علىٰ العَمَل الصّالح يقطعان دابره والإستغفار يَقطع وَتينه ولكلّ شئٍ زكوة وزكوة الأبدان الصّيام انتهىٰ« ج ١٩ الجُزء الثّاني ص ٣٣»...

وعن علّي إبن الحُسين ﷺ قال من قال أستَغفر اللّه وأتوب اليه فَليس بمُستكبرٍ ولا جبّار أنّ المُستَكبر من يصّر علىٰ الذّنب الّذي قد غَلبه هَواه فيه وآثر دُنياه علىٰ آخرته انتهىٰ...

وعن الرّضا عن آباءه عليهم السّلام قال قال أمير المؤمنين ﷺ تعطّروا بالإستغفار لا تَفضحكم روائح الذّنُوب انتهىٰ...

عن الصّادق ﷺ قال من أُعطي أربعاً لم يَحرم أربعاً من أُعطي الدّعاء لَم يَحرم الإجابة ومن أُعطي الإستغفار لَم يُحرم التّوبة ومَن أُعطي الشّكر لَم يَحرم الزّيادة ومَن أُعطي الصّبر لَم يَحرم الأجر انتهىٰ« ص ٣٣»...

وقال رسُول اللّه ﷺ عليك بالإستغفار فأنّه المُنجاة، وقال ﷺ من كثر همُومه فليكثر من الإستغفار« ص ٣٤»...

وقال ﷺ عَوّدوا أَلسنتكم الإستغفار فأنّ اللّه لم يعلّمكم الإستغفار إلّا

١- المائدة ـ٧٤
٢- الأنفال ـ٣٣
٣- النّساء ـ١٠٦
٤- غافر ـ٥٥
٥- هُود ـ٥٢

وهو يريد أن يغفر لكم« ص ٣٢»...

والأحاديث في الباب كثيرة جدّاً فَمن أراد الإطّلاع علىٰ تفصيلها فعَليه بالبحار وغيره من المفصّلات فقد عرفت ممّا ذكرناه أنّه مُرغب فيه بحَسَب الآيات والأخبار ولنَرجع الىٰ شرح كلماته فنقول:

الهَمزة في قوله ﷺ أتَدري، لِلإستفهام الإنكاري أي لا تَدري ما معناه فأستمع لما أقول لك (**الإستغفار دَرجة العلّيين**) وفي هذا الكلام أشار ﷺ الىٰ أنّ الإستغفار من دَرجات العَلّيين قبل أن يكون وسيلة وسَبَباً لغفران الذّنوب من المُذنبين العاصين وعَليه فالإستغفار لَه أثَران، أثَر ترفيع المقام وعُلو الدَّرَجة، وأثَر غفران الذّنب، والأوّل ثابتٌ للعَلّيين والثّاني للأدنين المُذنبين من عُصاة الأُمّة.

أمّا الأوّل: فيدّل عليه العَقل والنّقل.

أمّا العَقل: فلأنّه رابط بين الخالق والمخلُوق وإقرار من المُستغفِر بقصُوره في مقام العبُودّية وعَجزه عن الإتيان بما هو وظيفة بالنّسبة الىٰ خالقه وذلك لأنّ العَبد وأن وَصَل الىٰ ما وَصَل في مقام السّلوك الىٰ اللّه من المقامات والدّرجات إلّا أنّه لإمكانه ونقصه بحَسَب ذاته لا يقدر علىٰ عبادة ربّه كما هو أهله لأنّ العبادة فرعٌ علىٰ المَعرفة ومعرفة اللّه علىٰ الوَجه الكامل اللائق بجنابه لا يَتّيسر لأحدٍ من مخلُوقه لقصُور إحاطة الممكن بالواجب وقد ثَبت أنّ المعرفة الكاملة تتَوقف علىٰ الإحاطة الكاملة وكيف يمكن لِلمَخلُوق الممكن النّاقص في حدّ ذاته الإحاطة بالواجب كاملاً وإذا لَم تكن الإحاطة لم تكن المَعرفة الكاملة وإذا إنتَفَت المَعرفة الكاملة إنتَفَت العبُودّية الكاملة والىٰ هذا أشار رسُول اللّه ﷺ **بقوله ما عرفناك حقّ مَعرفتك**، وإذا كان الأمر علىٰ هذا المنوال فالعقل يحكم بلزوم الإستغفار عن الذّنب النّاشئ عن القصُور كما يحكم بلزُومه علىٰ الذّنب النّاشئ عن التّقصير إلّا أنّ الأوّل يُوجب رفعة الدَّرجة وعُلّو المقام حيث أنّ المُستَغفر قد أقَّر بعجزه وقصُوره في مقام العبُودّية وهذا

الإقرار فيه ترفيعٌ له .

وأمّا الثاني: فيُوجب غفران الذّنب ولَعلّه الىٰ هـذا المـعنىٰ أُشير بـقولهم حسنات الأبراء سيّئات المُقرّبين، فالإشكال بين العوام من النّاس من أنّ الأنبياء لِعصمتهم وكذا الأوصياء علىٰ مذهب الشّيعة ما معنىٰ الإستغفار فيّ حـقّهم، مُندفعٌ من أصله اذ لم يدّل دليل من العَقل والنّـقل عـلىٰ أنّ الذّنب مُـختّص بالمُحرّمات مثل الزّنا والظّلم والكذب وأمثالها حتّىٰ يقال أنّ المعصُوم لا ذنب له فلا إستغفار له بل الحقّ خلافه وذلك لأنّ الذّنب مأخوذ مـن ذَنَب الدّابـة ويُعبّر به عن المتأخر لكونه في مقابل رأسها يـقال هُـم أذَنـاب القَـوم، قـال الرّاغب، الذّنب في الأصـل الأخـذ بـذنب الشّـيئ يـقال ذنـبته، أصَبتُ ذَنـبه ويُستعمل في كلّ فعلٍ يُستوخم عُقباه إعتباراً بذنب الشّيئ ولهذا يُسمّىٰ الذّنب تَبَعة إعتباراً لما يَحصل من عاقبته انتهىٰ، واذا كان كذلك فنقول أنّما يُسـمّىٰ الذّنب به لكونه مُوجباً لتأخر الإنسان عن مقام إنسّانيته أو لتّأخره عـن مـقام عبُودّيته وسلُوكه اللائق به وهو أي الذّنب بهذا المعنىٰ في كلّ شخصٍ بحَسَبه وحيث أنّ الإنسان وأن بَلَغ ما بَلغ في مقام العبُودّية والسّلُوك الىٰ اللّه تعالىٰ فأنّه مَع ذلك لَم يبلغ الىٰ مُنتهاه بحيث لا يكون فوقه مقام ودَرجة ولذلك وَرَد في الدّعاء وتَقّبل شفاعته وإرفَع دَرجته فكلّ دَرجةٍ بالنّسبة الىٰ دَرجةٍ فوقها ذنبٌ في الحقيقة لتّأخرها عنها ولا نـعني بـالذّنب إلّا هـذا والعَـقل يَـحكم بـلزوم الإستغفار بهذا المعنىٰ المُوجب لتَرفيع مقام المُستغفر وإرتقاءه الىٰ درجةٍ أعلىٰ وإستغفار المَعصُومين من هذا القَبيل .

وأمّـــا الأدّلة النّـقلية: الدّالة عـلىٰ ثبُوته فـي حـقّهم:فـمن الآيـات قـوله تعالىٰ:**﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدَ رَبِّكَ واسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كَانَ تَوَّابا﴾**(١)

و : **﴿وَاسْتَغْفِرِاللّهَ إنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيما﴾**(٢)

١- النّصر_٣

٢- النّساء_١٠٦

و: ﴿وَظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّه وَ خَرَّ راكِعاً وَّ أَنابَ﴾ (١)

و: ﴿لِيَغْفِرَلَكَ اللهُ ماتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ ما تَأَخَّرَ﴾ (٢) وغيرها من الآيات:

وأمّا الأخبار:رُوي في البحار عن الصّادق عليه السلام عن آباءه قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله أفضل العبادة قول لا إله إلّا اللّه ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه وخير الدّعاء الإستغفار ثُمّ تلىٰ النّبي صلى الله عليه وآله فإعلم أنّه لا إله إلّا اللّه وإستغفر لذنبك انتهىٰ.

وعنه عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله الإستغفار قال اللّه العزيز الجبّار فإعلم أنّه لا إله إلّا اللّه وإستغفر لذنبك انتهىٰ...

وقال صلى الله عليه وآله أنّه ليغال علىٰ قلبي حتّىٰ أستغفر في اليوم مائة مرّة انتهىٰ وقال عليه السلام تُوبوا الىٰ اللّه فأنّي أتُوب في اليَوم مائة مرّة، وعن الصّادق عليه السلام قال أنّ اللّه يحبّ المفتي التّواب قال وكان رسُول اللّه صلى الله عليه وآله يتُوب الىٰ اللّه في كلّ يومٍ سبعين مرّةٍ من غير ذنبٍ قلتُ كان يقول أستغفر اللّه وأتوب اليه قال عليه السلام كان يقول أتوب الىٰ اللّه انتهىٰ« ج ١٩ الجزء الثاني ص ٣٤»...

وأمّا الأخبار الواردة في إستغفار الأئمّة عليهم السّلام فلا نحتاج الىٰ ذكرها فأنّ الأدعية المأثورة عنهم عليهم السّلام مشحُونة به ولا سيّما الصّحيفة السّجادية وحلّ الإشكال قد ظهر وجهه ممّا ذكرناه لك من أنّ الإستغفار منهم لم يكن مثله مِنّا وفي المقام ذكروا وجوهاً غير ما ذكرناه من أنّ الإستغفار كان منهم لشيعتهم ومُحبيّهم كما وَرَدَت الأخبار به أيضاً ولم نذكرها مُراعاةً لِلإختصار:

وأمّا الثّاني: أعني به الإستغفار في حقّ الأدنين المذنبين فقد ذكرنا الآيات والأخبار الدّالة علىٰ المدّعىٰ في أوّل البحث فلا نعيدها ثانياً والىٰ هذا القسم أشار عليه السلام بقول **(وَهُوَ إِسْمٌ واقِعٌ عَلىٰ سِتَّةِ مَعانٍ)** وذلك لأنّ إستغفار العليّين المُقرّبين لا يجري فيه هذا التّقسيم بل هو قسمٌ واحد قال عليه السلام:

أَوَّلُها: النَّدمُ علىٰ ما مَضىٰ، وذلك لأنّ المُستغفر لو لم يَندم علىٰ ما مضىٰ

١- ص-٢٤ ٢- الفتح-٢

من فعله وقوله فمن أيّ شيْ يَستغفر.

والثاني: الْعَزْمَ عَلىٰ تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَداً) فأنّه لو لم يعزم علىٰ ترك العَود الىٰ ما فَعَله سابقاً ومَع ذلك يستَغفر فهو كالمُستهزئ باللّه.

الثالث: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلىٰ الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّىٰ تَلقَى اللَّهُ أَمْلَسُ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ) هذا إذا كان الذّنب بينه وبين المخلوق مثل غصب مال الغير أو غيبته أو الظّلم عليه وأمثالها فأنّه يجب علىٰ من يريد الإستغفار أن يؤدي حقوقهم اليهم بأيّ وجهٍ أمكَن له ولو بالإستحلال منهم حتّىٰ تلقىٰ اللّه وليس عليه تَبعة أي وزرٌ ووبال ممّا فَعَله والوَجه فيه أيضاً واضح لأنّ الحقُوق المالية والعِرضية وغيرها ممّا هو ثابت بينه وبين النّاس لا يَغفرها اللّه إلّا بعد تأديته حقُوقهم اليهم والعَدل يَقتضي ذلك:

الرّابع: أَنْ تَعْمِدَ الىٰ كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَها فَتُؤَدِّي حَقَّها) وذلك إشارة الىٰ الحقُوق الثّابتة لِلّه تعالىٰ علىٰ ذمّة العَبد ويُعبّر عنها بالحقُوق الإلٰهيّة مثل الصّلٰوة والصّوم والحَجّ وأمثالها فَمن فات منه الصّلٰوة أو الصّوم مثلاً عَمداً أوسَهواً وَجَب عليه قضاؤها إلّا أنّ تركها عَمداً مَعصية وذنب يجب علىٰ تاركها التّوبة ولا يتّحقق إلّا بقضاء الفَرائت:

وأمّا في صُورة النّسيان وأن وجَب القَضاء إلّا أنّه لا يُعدّ مَعصية تحتاج الىٰ التّوبة.

والخامس: أَنْ تَعْمِدَ إِلىٰ اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلىٰ السَّحْتِ الخ) السُّحت، بضَم السّين المال المُكتَسب من طريق الحرام وقد وَرَد في الحَديث ثَمَن المَيّتة سُحتٌ، أي حرام والمعنىٰ أنّ التّائب إذا إكتَسَب من الحَرام شيئاً وأكَلَه حتّىٰ نَبَت اللّحم علىٰ بَدنه من الحرام يجب عليه أن يُذنب اللّحم بسبب الأحزان والهمُوم التّي حَصَلت له بعد التّوبة بأن يتّضرع الىٰ اللّه تعالىٰ ويبكي علىٰ خَطيئته ويحزن علىٰ معصية وأنّه هل يكون من التّائبين واقعاً أم لا ويستّمر علىٰ هذا حتّىٰ تلصق الجلد بالعَظم بأن يصير مثل قبل المَعصية وينشأ بينهما

لحمٌ جديد والحاصل أنّه بِسَبَب الرّياضات والمُجاهدات يطّهر بَدنه عمّا نَبَت عليه من أكل الحَرام من اللّحم

والسّادس: أنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أذَقْتَهُ حَلاَوَةَ الْمَعْصِيَةِ) أي أنّك أذَقت الجسم حلاوة المَعصية عند عصيانك إذ لو لَم تكن في الفعل حلاوة لما فَعلته وعليه فإذا أردت التّوبة واقعاً فَذُقه ألَم الطّاعة أيضاً وأنّما قال عليه السلام **ألَم الطَّاعَةِ** لأنّها علىٰ خلاف النّفس الأمّارة وكلّ عَملٍ خالَفته النّفس فهو لها ألَمٌ لكون النّفس عليه مُكرهة ولذلك قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله **حفّت الجنّة بالمَكاره وحُفّت النّار بالشّهوات**، فالمعاصي حلاوة لِلنّفس لموافقتها لها والطّاعات ألام لها لمُخالفتها لها (**فعند ذلك تقول أستغفر اللّه**) أي إذا تَمّت الشّرائط وحَصّلت المعاني المَذكُورة لك فعند ذلك تقول أستغفر اللّه وهو تعالىٰ يقبل التّوبة عن جميع المُذنبين إنشاء اللّه تعالىٰ إلاّ أنّ التّوبة الجامعة للشّرائط المُعتبرة فيها لا تكون إلّا بعد حصُول الشّرائط ومَع ذلك كلّه لو لَم تقدر علىٰ إيجاد الشّرائط فأقنع بما تقدر عليه ولا تيأس من رَوح اللّه لأنّه لا ييأس من رَوح اللّه إلاّ القوم الكافرون وحيث أنّا قد تكلّمنا في التّوبة وأقسامها وشرائطها وآدابها فيما مضىٰ ففيما ذَكرناه في المقام كفاية:

﴿٤٠٢﴾

□ **قوله ﷷ: الحِلْمُ عَشيرَةٌ...**

◁ الشّرح

أي أنّ الحَليم يَجمع اليه من معاونة النّاس له ما يجتمع له بسبب العَشيرة وذلك لأنّ الحِلم يُوجب محبّة النّاس فكأنّ النّاس كلّهم عَشيرته فأنّ الحِلم أشَرَف الكمالات النّفسية بعد العلم بل لا ينفع العِلم بدُونه أصلاً ولذا كلّما يُمدح العلم أو يُسأل عنه يقارن به، قال رسُول اللّه ﷺ **اللّهم أغنني بالعِلم وزيّني بالحِلم**، وقال ﷺ **خَمسٌ من سُنن المُرسلين وعدّ منها الحِلم**، وقال ﷺ **أنّ الرّجل المُسلم ليُدرك بالحِلم دَرجة الصّائم القائم** وقال ﷺ **أنّ يحب الحَيّ الحليم ويُبغض الفاحِش البّذيّ...**

وقال ﷺ **ثلاث من لَم تَكن فيه واحدة منهنّ فلا تعتدوا بشيءٍ من عَمَله، تقوىٰ تَحجزه عن معاصي اللّه وحلمٌ يكُفّ به السّفيه وخلق يعيش به النّاس** وأمثال ذلك من الأحاديث الواردة في فضل الحلم الكثيرة «جامع السّعادات ج ١ ص ٢٦٨»...

رقيق حواشي الحِلم لَو أنّ حِلمَه
يُكفّيك ما ماريت في أنّه برد

٤٠٣

□ قوله ﷺ: مِسكِينٌ ابْنُ آدَمَ مَكْتُومُ الأَجَلِ مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحفُوظُ العَمَلِ تُؤلِمُهُ البَقَّةُ وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ وَتُنْتِنُهُ العَرْقَةُ ...

◁ الشّرح

قُدِّم خبر المُبتدأ عليه لكونه أهَمّ ذكراً والتَّقدير إبن آدم مسكين أي ضعيف حقير وإستَّدل ﷺ علىٰ مَسكَنَته بأمورٍ ستّة.

أوّلها: أنّه مَكتُوم الأجل، أي أنّ أجَله مستُور عنه لا يَعلمه متىٰ هُو.

الثاني: أنّه مكنُون العِلَل والأمراض لا يَطّلع علىٰ مَرضه قبل حدُوثه.

الثّالث: أنّه محفُوظ العَمَل بحيث لا يَسقط من عَمَله شئ وهو مَع ذلك يُحاسب به يوم القيامة.

الرّابع: تؤلمه البَّقة أي إذا عَضّته بقّة تألم .

الخامس: تقتله الشَّرقة أي أنّه قد يَموت بجرعة ماءٍ إذا شَرَق بها.

السّادس: تنتنه العَرقة، أي تنتن ريحه إذا عَرَق عَرَقه، فالوَصف .

الأوّل: منها لمَوته .

والثّاني: لمَرَضه .

والثّالث: لعَمَله وأمّا الأوصاف الثّلاثة الأخيرة كلّها ترجع الىٰ جَسَده خُلق الإنسان ضعيفاً من جَميع الوجُوه:

۴۰۴

▫ **قوله ﷺ: وَرُوِيَ أَنَّهُ كَانَ جَالِساً في أَصْحَابِهِ، فَمَرَّتْ بِهِمُ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فقال ﷺ: إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هِبَابِهَا فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ امْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلاَمِسْ أَهْلَهُ فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَامْرَأَةٍ...**

فَقَالَ رَجُلٌ منَ الْخَوَارِجِ قَاتَلَهُ اللَّهُ كافِراً ما أَفقَهَهُ فَوَثَبَ الْقَوْمِ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ ﷺ:

رُوَيْداً إِنَّما هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ...

◁ اللّغة

(رَمَقَ) يقال رَمَق بعينه إذا أطال النّظر (**الْفُحُول**) بضمّ الفاء والحاء جمع فَحل وهو الذّكر من كلّ شيئ (**طَوَامِحُ**) بفتح الطّاء جمع طامح يقال فلان طَموح البَصَر إذا إرتفع ببصره لأنّ طموح البَصَر إرتفاعه (**هَبابِها**) الهَباب بفتح الهاء الهيجان (**فَلْيُلاَمِسْ**) الملامسة كناية عن المُجامِعة (**فَوَثَبَ**) الوثوب النّهوض (**رُوَيْداً**) بضمّ الرّاء أي مَهلاً:

◁ الشّرح

روي أنّه ﷺ كانَ جالِساً فِي أصْحَابهِ فمرّتْ بِهمْ امْرَأةٌ جَمِيلَةٌ حَسنة فَرَمقَها القَوْمُ أي أطالوا النّظر اليها فقال ﷺ إنّ أبْصَارَ هَذِهِ الفُحُولِ والذُّكُور طَوامح وأنّ ذلك أي طمُوح الأبصار سبب هَبابها أي سبب هَيجان الفُحُول لوجود الشّهوة

فيها والنّظر يُحرّكها فإذَا نَظَر أحَدُكمْ إلىٰ امْرأةٍ تُعْجِبُهُ حُسناً فَلْيُلامَسْ أي فليُجامع النّاظر أهله فأنّما هي إمرأةٌ كإمرأته أي هيَ مثلها فقال رَجُلٌ منَ الْخَوارِجِ قاتَلهُ اللّهُ كافِراً أي قاتل اللّهُ عليّاً على الكفر ما أفقَهه، كلمة (ما) هنا للتّعجب أي أنّي أتّعجب من علمه وفقهه الّذي أعطاه اللّه فَوثَب النّاس أي نَهضُوا وقاموا ليقتلوه أي أرادوا قتل الخارجي لأجل قوله قاتله اللّه كافراً، فقال ﷺ رُويداً أي مهلاً لا تقتلوه أنّما هو سَبٌّ بسَبٍّ أو عَفوٌ عن ذَنب، أي لم يفعل الخارجي شيئاً أوجَب قتله وأنّما قال كلمة سَبٍّ وجزاءه إمّا السّب أو العَفو عن ذَنبه وأمّا قتله فلا مُجوّز له عَقلاً وشَرعاً، انتهىٰ.

أقول: أُنظر أيّها المُنصف الىٰ سيرَته ﷺ وَعدله فإنّا نرىٰ في زماننا هذا من يدّعي أنّه علىٰ سيرته ﷺ ومَعَ ذلك لو قال شخص أو أشخاص كلاماً في حقّه مثل ما قاله الخارجي له ﷺ أو أقلّ منه يأمر بقتله أو بقتلهم جميعاً ولا يقول هو سَبٌّ بسَبٍّ أو عفوٌ عن ذَنب فأنّ العَفو لا مصداق له اليَوم أصلاً وأمّا من لا يدّعي سيرَته ﷺ فحاله مَعلُوم ونحن أيضاً لا نتوقّع منه شيئاً.

٤٠٥

□ قوله عليه السلام: إفْعَلُوا الْخَيْرَ وَلا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فإِنَّ صَغيرَهُ كَبِيرٌ وَقَلِيلَه كَثِيرٌ وَلا يَقُولَنَّ أحَدُكُمْ أَنَّ أحَداً أوْلىٰ بِفِعْلِ الخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ واللّٰهِ كَذَلِكَ. إنَّ لِلْخَيْرِ والشَّرِّ أهْلاً فَمهما تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُما كَفاكَمُوهُ أَهْلُه...

◁ الشَرح

الخَير بفتح الخاء وسكون الباء ما يَرغب فيه الكلّ كالعَدل والعَقل والعَفو وأمثالها وضدّه الشّر قولاً وفعلاً.

والمعنىٰ إفعلوا الخَير لقوله تعالىٰ:﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراًفَهُوَ خَيْرٌ لَّه﴾ (١)

و: ﴿وَمَاتُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُم﴾ (٢)

و: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّٰهَ بِهِ عَلِيم﴾ (٣)

و: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً﴾ (٤) ثمّ أفاد عليه السلام وقال لا تحقروا منه أي من الخير شيئاً بأن تقولوا هذا حقير وذلك لأنّ صغير الخير كبير واقعاً وقليله كثير كذلك وأنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ المناط نفس الخير وأمّا قلّته وكُثرته فهما خارجان عن حقيقته بل هما أمران إضافيان إعتّباريان هذا مضافاً الىٰ أنّ الأصل فيه قبوله عند اللّه ومن المُحتمل أن يكون قليله أحسَن عند اللّه من كثيره أمّا لأجل أنّ الكثير يُفضي الىٰ العُجب في الأكثر وأمّا لأجل أنّ القليل

١- البقرة ـ١٨٤
٢- البقرة ـ ٢٧٢
٣- البقرة ـ٢٧٣
٤- آل عمران ـ ٣٠

أقرب الىٰ قصد القُربة من الكثير وكيف كان الملاك كلّ الملاك وجوده ولذلك قال عليه السلام أنّ للخير والشّر أهلاً فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله، أي أنّ لهما في النّاس أهلاً لا محالة لعدم إجتماع النّاس علىٰ واحدٍ منهما فإذا تركتم الخير أخَذَ به غيركم وقد مرّ الكلام فيهما أيضاً سابقاً:

٤٠٦

□ **قوله عليه السلام: مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلاَنِيَتَهُ وَمنْ عَمِلَ لدِينِهِ كَفاهُ أمْرَ دُنْياهُ وَمَنْ أحْسَنَ فِيما بيْنَهُ وَبَيْنِ اللّهَ كَفاهُ اللَّهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ...**

◁ الشّرح

السّريرة الباطن وإصلاحها عبارة عن إتّصافها بالفضائل والمَلَكات النّفسانية من العلم والعَدل والسّخاوة والشّجاعة والرَّحم وأمثالها ولازم ذلك تجنّبها عن الرّذائل مثل البُخل والحَسد والتّكبر والحِقد وأمثالها فقال عليه السلام: **مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلاَنِيَتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لدِينِهِ كَفاهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ**، أي من آثر دينه على دنياه كفاه اللّه أمَر دنياه، ومن أحسَن فيما بينه وبين اللّه الخ.

معناه من أطاع اللّه حقّ طاعته كفاه اللّه ما بينه وبين النّاس فأنّ القلوب بيده والكلّ مخلوق له يفعل فيهم ما يشاء ويحكم ما يُريد لا رأد لحُكمه ولا مانع من إجراء قضاءه وقد مرّ الكلام فيها أيضاً.

﴿٤٠٧﴾

□ قوله ﷺ: الحِلْمُ غِطَاءُ سَاتِرٌ، والعَقْلُ حُسَامٌ قاطِعٌ، فأسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِك بِحِلْمِكَ وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ...

◁ الشَرح

الحِلْمُ بكسر الحاء طمأنينة النّفس بحيث لا يحرّكها الغَضَب بسهُولةٍ ولا يَزعجه المَكرُوه بسُرعةٍ وقد عرفت البَحث فيه مَراراً والغِطاء بكسر الغين ما نُعطي به الشّئ، والحُسام بضَم الحاء السّيف القاطِع، شبّه ﷺ الحِلم بالغَطاء والعَقَل بالحِسام والتّقدير الحِلم كالغِطاء السّاتِر والعَقَل كالحِسام القاطِع ووجّه الشّبه.

في الأوّل: إنّ الغِطاء يستُر الشّئ ويَخفيه والحِلم أيضاً يستُر العِيُوب ويَخفيها.

وفي الثّاني: إنّ الحِسام يقطع والعَقل أيضاً يَقطَع الهَوىٰ هذا بناء علىٰ التّشبيه ويمُكن عدم القول به بل حمل الكلام علىٰ المُبالغة إدّعاءً وهو من أحَسَن الكلام كما يُقال زيدٌ عَدَلٌ أي إنّه هو هو فكإنّه لِكُثرة عدالته صار نَفسها وهذا معنىٰ المُبالغة إدّعاءً وعليه فالمعنىٰ إنّ الحِلم غَطاءٌ نفسه لا إنّه مثله والعَقَل هو حُسام نفسه لا إنّه مثله، وحيث إنّ الغِطاء قد يكُون رَقيقاً وقد يكُون غير رقيق، والأوّل لا يستُر والثّاني يَستُر فقال ﷺ: **غِطاء ساتِر لا** غَيره وهكذا الكلام في الحِسام، والحقّ إنّ الوَصَف توضيحّي وذلك لإنّ الأصل في الغِطاء

السّتر فما ليس بساترٍ لا يكُون غِطاءً كما إنّ الأصل في الحِسام القَطِع ولذلك قالوا الحُسام السّيف القّاطِع إذا عَرَفت هذا فَنقُول:

أفاد ﷺ في المَقام إنّه إذا كان الحِلم غِطاءً ساتِراً فأستُر خُلقك بِحِلمَك والخُلق بضّم الخاء وكذا الخُلُق بضّمتين السّجية والطّبع والعادة وأمثالها وسَتّرها بالحِلم معناه واضِح لأنّ الحَليم بِحِلمه يمنع عن وقُوف الغير علىٰ باطِنه وسَجّيته وأمّا قوله ﷺ: **وقاتِل هَواك بِعَقَلك** معناه كما تُقاتِل عَدّوك في الظّاهِر بالسّيف القاطِع فقاتِل عَدّوك في الباطِن وهو هَواك بسيف العَقَل فأقتُل الهَوىٰ وأستَرِح منها فإنّها لأمّارة بالسُّوء ومَعَ ذلك لك عدّوٌ مُبين وقد مرّ الكلام في الحِلم والعَقل سابِقاً:

﴿٤٠٨﴾

□ قوله ﷺ: إنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمْ اللَّهُ بالنِّعَمِ لِمَنافِعَ الْعِبَادِ فَيُقِرُّها فِي أَيْدِيهِمْ ما بَذَلُوها فإذَا مَنَعُوها نَزَعها مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَها إِلىٰ غيرِهِم...

◁ الشَرح

أي إنّ اللّه تَبارَك وتعالىٰ إختَّص بعض عِباده بِنَعِمه مِن المالِ والمَقام والصّحة وغيرها لأجل منافع العِباد أي إنّ إختِصاصَهُم بها ليس لأجل أنفُسَهُم وإنّهم أحَبّ الى اللّه من غيرهم بل يكُون إختِصاصَهُم بها لأجل مَنافِع العِباد وإنّهم ينتفِعُون بها كما إنّهم أي أهل النِعَم ينتَفِعُون بها فالمال مال اللّه والنّاس عِباد اللّه فأن كان أهل النِعم بَذَلُوها أي بَذَلُوا النِعم الإلٰهية لِغيرهم من المُحتاجين اليها فيقرّها أي فيقِرّ اللّه النِّعم في أيديهم فإذا مَنَعُوها المُحتاجين نَزَعها اللّه تعالىٰ أي أخَذَها منهم ثمّ حَولّها أي يجعل النِّعم في غَيرِهم والّذي حَصَل لنا من هذا الكلام هو إنّ اللّه تعالىٰ جَعَل حِفظ النّظام في عَدَم تساوي النّاس في الشّئون الإجتماعية وإن كانوا في حقُوقها علىٰ حدٍّ سَواء:

وتَوضيحه إجمالاً أنّ حِفظ النّظام يقتضي تفاوت المَراتب من حيث النِّعم، بأن يكون بعض النّاس فقيراً وبعضهم غنّياً وبعضهم عَزيزاً وبعضهم ذَليلاً وهكذا في الصّحة والمَرض والعلم والجَهل أو ماشئت فَسَمّه وذلك لأنّا لو فَرَضنا جامعةً من الجَوامع لا يكون فيها فقير أصلاً وهكذا فيلزم من وجودها عَدمها ومن بقاءها فناءها بل لا وجود لها إلّا بحَسب الفَرض وأمّا وجودها

الخارجي فلا يكون قطعاً لعَدم إمكان إدامة الحَياة فيها وهو واضح لا خفاء فيه لأنّ بقاء النّظام في إحتياج النّاس بعضهم لبعضٍ كما أنّ بقاء العالَم فيه كيف لا والإحتياج هو الّذي صار باعثاً لتّحرك النّظام والأُلفة والمُؤانسة بين النّاس فلو عَدم الإحتياج منهم لا يكون في العالَم بنّاءً ولا نجّاراً ولا بقّالاً ولا حمّالاً ولا غيرها فَمن يَفعل هذه الأُمور والمفروض أنّ النّاس على حدٍّ سَواء وهذا ممّا لا شّك فيه:

ثُمّ أنّ اللّه تعالىٰ قد إختّص بعض العباد بمزيد النِّعم أيّة نِعمة كانت في كلّ عصرٍ وزمانٍ كما نرىٰ ونُشاهد بالحِسّ والعيان فهذا الإختصاص لا يخلو بحسب العَقل من وجهين:

أحَدهما: أن يكون لهم مَزيد شَرَفٍ وفَضلٍ عند اللّه فَشاء أن أعطاهم ما أعطاهم كما في الملُوك والسّلاطين فأنّهم يعطون أقاربهم وأحبائهم كلّ نعمةٍ تكون في إختيارهم من غير مزّيةٍ لهم علىٰ غيرهم وأنّما شَرَفهم في قُربهم الىٰ المَلك.

وثانيهما: أن لا يكون الأمر علىٰ هذا المنوال بل كان له وجه آخر:

أمّا الوَجه الأوّل: فلا سبيل اليه أمّا أوّلاً فلأنّ اللّه تعالىٰ خالق العباد ولا قرابة بينه وبين أحَد ولا فَضل لأحدٍ عنده إلّا بعَمَله علىٰ أساس التّقوىٰ كما قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَيكُمْ﴾ (١)

وثانياً، أنّه مُستَلزم لِلظّلم علىٰ غير المُتّنعم لكونه محروماً عن النّعمة من غير جهةٍ ولا حجّةٍ.

فالوَجه الثّاني: هو المُتّبع فنقول أنّه تعالىٰ قد أعطىٰ مِن النِّعم بعض عباده لأجل الإختبار والإمتحان كما أنّ اللّه تعالىٰ قد حرم بعضهم منها أيضاً لِلإختبار فالغنّي مثلاً يُختَبر بماله والفقير بفقره والصّحيح بصحّته والمَريض بمَرضه وهكذا وهذا هو الّذي يُؤيّده العَقل والنّقل وكلام أمير المؤمنين عليه السلام إشارة الىٰ

١- الحجرات - ١٣

هذا ألا ترىٰ أنّه يظهر من كلامه عليه السلام أنّ إعطاء اللّه النّعمة الىٰ من أعطاه مشروط لا مطلق حيث قال عليه السلام: **فيُقِرُّها فِي أَيْدِيهِم ما بَذَلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوها نَزَعَها مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَها إلىٰ غيرِهِمْ**، وعليه فأولياء النّعم في الحقيقة أُمناء اللّه وأن شئت قلت أنّهم الوسائط بين الخالق والخلق لإيصال النّعم الىٰ العباد فمن لم يُوصلها الىٰ مَن هو أهلٌ لها فقد خانَ الأمانة وبذلك إستحق الخلع والنّزع عن النّعمة: **﴿وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (١)

و: **﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا لِبَاسَ الجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** (٢)

وقد مرّ الكلام في هذه المباحث أيضاً مفصّلاً والحمد لِلّه ربّ العالمين.

١- الأنفال-٥٣ ٢- النّحل-١١٢

٤٠٩

□ قوله ﷺ: لا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتينِ، العَافِيَةِ والغِنىٰ بَيْنا تَرَاهُ مُعافي إِذْ سَقِمَ وبَيْنا تَرَاهُ غَنِيّاً إذا افْتقَرَ...

◁ الشّرح

أفاد ﷺ أنّ العافية والغِنىٰ وأن كانا من الخصال الحميدة الّتي قلّ وُجودها في النّاس إلّا أنّ المؤمن العاقل ينبغي أن لا يَغتّر بهما بحيث يَغفَل عن تبعاتهما وذلك لأنّه يقابلهما السُّقم والفقر فبينا تراه معافي أي تراه في العافية إذ سَقِم وقد تراه في الغِنىٰ إذا إفتقر والحاصل أن الدّنيا وما فيها لا تبقىٰ علىٰ حالةٍ واحدةٍ والتّغير والحُدوث من شئونها الذّاتية فالإغترار بكلّ نعمةٍ فيها دليل علىٰ الجهل بحقيقة الدّنيا ونِعَمها وهذا هو السِّر في عدم الإعتماد بالنّعمة مضافاً الىٰ أنّ كلّ نعمةٍ في الدّنيا مع التّوجه الىٰ ما يقابلها نقمة وما كان كذلك لا يُعبأ به أصلاً ولنعم ماقيل:

وربّ غـنّيٍ عـظيم الثّـرىٰ ... أمسـىٰ مُـقّلاً عـديماً فـقيراً
وكم بات من مُترفٍ في القصُور ... فعوّض فـي القُـبح عـنها القُـبور

وقال الآخر:

إذا ما كساك الدّهر سربال صحّةٍ ... ولَم تخُل من قُوتٍ يحلّ ويقرب
فـلا تَـغبَطن أهـل الكـثير فأنّـما ... علىٰ قدر ما يُعطيهم الدّهريَسلبُ

وقال الآخر:

رأيت خيال الظّل أعظم عبرةٌ لِمَن كان في علم الحقائق لاقي
شخوصاً وأصواتاً يخالف بعضها لبعضٍ وأشكالاً بغير وفاقِ
تجيءُ وتمضي بابةٌ بعد بابةٍ وتفنىٰ جميعاً والمحرّك باقي

وقال الآخر:

ما أنعَمَ اللّه علىٰ عَبده بنعمةٍ أوفىٰ مِن العافية
وكلّ مَن عُوفي في جِسمَه فإنّه في عيشةٍ راضية
والمال حُلْوٌ حَسَنٌ جَيّدٌ علىٰ الفَتىٰ لكنّه عاريةٌ
ما أحسَن الدّنيا ولكنّها مَع حُسنها غدارّةٌ فانية

وقال الآخر:

ألَيس الىٰ ذا صار آخر أمرنا فلا كانت الدّنيا القليل سرُورها
فلا تَعجبي يا نَفس ممّا ترينه فكلّ أمُور النّاس هذا مَصيرها

٤١٠

▫ قوله ﷺ: مَنْ شَكَاالحَاجَةَ إلىٰ مُؤمِنٍ فَكأنَّه شَكاهَا إلىٰ اللّهِ وَمَنْ شَكَاهَا إلىٰ كافِرٍ فَكأنَّمَا شَكا اللّهَ...

◁ الشّرح

جَعَل ﷺ الشّكوىٰ الىٰ المؤمن كالشّكوىٰ الىٰ اللّه تعالىٰ لإنّه لا يشكُو الىٰ المؤمن إلّا وقد خَلَت شَكواه من السّخط والتّأنف فكإنّه يُبيّن له حاله ويَحكي له ما وَرَد عَليه فَكانت ثَمَرة الشّكاية اليه الإستِعانة منه علىٰ دفع الأمر المَشكُو منه والمُؤمن شأنه ذلك وهذا بِخلاف الشّكاية الىٰ الكافِر لأنّ الشّكوىٰ اليه لا تخلُو من التّسخط والتّأنف والتّضجر فهي في الحَقيقة شِكاية عن اللّه تعالىٰ الىٰ عَدّوه ولذلك رَغّب ﷺ في الأوّل ونَفَّر عن الثّانية.

قال اللّه تعالىٰ حكايةً عن يعقُوب النّبي: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١)

فلو كانت الشّكوىٰ مذمومة مطلقاً لما يشكو يعقوب النّبي الىٰ اللّه تعالىٰ واذا كانت الشّكاية الىٰ اللّه تعالىٰ مُرّغباً فيها فكذلك الشّكاية الىٰ المؤمن الّذي ينظر بنُور اللّه وقلبه عرش الرّحمٰن وهو أعزّ عنده من كلّ موجودٍ وقد وَرَد في حقّه أنّ من آذاه فقد آذىٰ اللّه ومن أحَبّه أو أسَرّه كذلك، قال الصّادق ﷺ من

١- يوسف ـ ٨٦

شكىٰ الىٰ أخيه فقد شكىٰ الىٰ اللّه ومَن شكىٰ الىٰ غير أخيه فقد شكىٰ اللّه انتهىٰ...

وعنه قال من شكىٰ الىٰ مؤمنٍ فقد شكىٰ الىٰ اللّه عزّ وجلّ ومن شكىٰ الىٰ مُخالفٍ فقد شكىٰ اللّه عزّ وجلّ انتهىٰ...

وقال أمير المؤمنين عليه السلام إذا ضاق المُسلم فلا يشكُونَّ ربّه وليَشكُ الىٰ ربّه الّذي بيَده مقاليد الأُمور وتدبيرها انتهىٰ« بحار الأنوار ج ١٥ الجُزء الثّالث ص ٦٠»...

﴿٤١١﴾

□ **قوله ﷺ: في بَعْضِ الأعْيادِ: إنَّما هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللَّهُ منْ صِيَامِهِ وشَكَرَ قِيَامَهُ وكُلُّ يَوْمٍ لا يُعْصَىٰ اللَّهُ فِيهِ فَهوَ عِيدٌ....**

◁ الشّرح

العِيد بكسر العين كلّ حالةٍ تُعاود الإنسان والعائدة كلّ نفعٍ يرجع الىٰ الإنسان من شيءٍ ما، قاله الرّاغب في المُفردات وقال بعض أهلّ اللّغة العِيد المَوسِم، كلّ يومٍ فيه جمع أو تذكار لذي فضلٍ أو حادثة مُهمة، وقيل أنّه سُمّي عيداً لأنّه يعود كلّ سنةٍ بفَرَحٍ مُجّددٍ وأصله عِود بكسر العين وسكون الواو أُبدلت الواو ياءً لأنّ الواو تدعىٰ ما قبلها مَضمُوماً كما أنّ الياء تدعىٰ ما قبلها مَكسُوراً فقُلبت الواو ياءً لذلك وقيل عيد، وقال في المَجمع والعِيد واحد الأعياد هو كلّ يوم مجمع وقيل معناه الّذي يَعُود فيه الفَرح والسُّرور الىٰ أن قال وأنّما جُعل يوم الفِطر العيد ليكون المُسلمُون مجتمعاً يجتمعُون فيه فيحمدون اللّه علىٰ ما مَنَّ اللّه عليهم انتهىٰ.

أقول: ولذلك قال ﷺ أنّما هو عيد لِمن قَبَل اللّه من صيامه وشكر قيامه وهو كناية عن قبُول صلٰوته والوجه فيه أنّ العِيد كما عرفت المعنىٰ فيه سُمّي به لعود الفَرَح فيه كلّ سنةٍ فيوم العيد يوم الفَرَح والسّرُور فَمن لَم يَقبل اللّه صومه وصلٰوته وعبادته في شهر رمضان مثلاً كيف يكون أوّل الشّوال عيده أو كيف يكون مَسرُوراً مَع أنّ أعماله لم تُقبَل أو إن قُبلت لا يَعلم به ولأجل هذا أي لأجل أخذ مَفهُوم السّرور في العيد قال ﷺ كلّ يومٍ لا يُعصىٰ اللّه فيه فَهو عِيد:

﴿٤١٢﴾

▫ قوله ﷺ: إِنَّ أَعْظَمَ الحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيامَةِ حَسْرَةُ رَجلٍ كَسَبَ مالاً في غَيرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحانَهُ فَدَخَلَ به الْجَنَّةَ ودَخَلَ الأَوَّل بِهِ النَّارَ...

◁ الشّرح

الحَسرة، النّدامة علىٰ شيءٍ مضىٰ وقته ولا يمكن لِلإنسان تَداركه وبهذا يفرق بينهما وبين النّدامة، فالنّدامة في الدّنيا لإمكان تداركها والحَسرة في الآخرة لعدم إمكانه وقد تحصلان لِلإنسان في الدّنيا أيضاً والملاك ما ذكرناه وأن كان الفرق إعتباريّاً وحاصل المعنىٰ أنّ أشدّ النّاس حَسَرةً يوم القيامة رجل كَسَب مالاً في الدّنيا في غير طاعة اللّه ثُمّ مات وخَلّف المال لوارثه وهو أنفَقَه في طاعة اللّه سُبحانه ووَجه الحَسَرة قد بيّنه ﷺ بقوله فَدَخل أي دَخَل الوارث به أي بالمال الّذي أنفَقه في طاعة اللّه الجنّة ودَخَل الثّاني وهو المُورّث الغافل به أي بماله النّار:

أمّا الأوّل: فمعلوم.

وأمّا الثّاني: فلأنّه كَسَب المال في غير طاعة اللّه علىٰ الفرض فلحقه في الآخرة وزره ووباله ففي الحقيقة، هو الّذي صار سَبباً لدخُول الوارث الجنّة ودخُوله في النّار وأيّة حَسَرةٍ أعظَم منها:

٤١٣

▫ قوله ﷺ: إنَّ أخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً وأخْيَبَهُمْ سَعْياً رَجُلٌ أخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ وَلَمْ تُسَاعِدْهُ المَقادِيرُ عَلىٰ إرَادَتِهِ فَخَرَجَ منَ الدُّنْيا بحَسْرَته وقَدِمَ علىٰ الآخَرَةِ بِتَبِعَتِهِ...

◁ الشّرح

الصَّفْقَة بفتح الصّاد وسكون الفاء وفتح القاف ضرب اليَد علىٰ اليَد في البيع، العَقد وذلك لأنّ العَرب كانت اذا وجَب البَيع ضرب أحَدهما يَده علىٰ يَد صاحبه ولذلك قيل بارك اللّه في صَفقةٍ يدك وقد وَرَد في الدّعاء أعوذ بك من صفقةٍ خاسرة أي بيعةٍ خاسرة، والأخيَب بفتح الياء أفعَل التّفضيل من الخَيبة وهي اليأس والحرمان والمعنىٰ أخسَر النّاس في بيعه وأحرَمهم في سَعيه رجل أخلَق وأتعَب بَدنه في الدّنيا في طلب ماله ولم تُساعده المَقادير في بلُوغه الىٰ آماله الدّنيوية علىٰ ما أراد فَخَرَجَ منَ الدُّنْيا بحَسْرَته وقَدِمَ علىٰ الآخِرَةِ بتَبِعَتِهِ وَوباله والحقّ أنّ أكثرنا لولا كلّنا كذلك أعاذنا اللّه منه وقوله ﷺ: **لمْ تُسَاعِدْهُ المَقادِيرُ** فيه نكتة وهي أنّه لو ساعدته المقادير فَحسَرته أقلّ ممّن لم تساعده المقادير.

﴿٤١٤﴾

▫ قوله عليه السلام: الرِّزْقُ رِزْقَانِ طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ فَمنْ طَلَبَ الدُّنْيا طَلَبهُ الْمَوْتُ حتّىٰ يَخْرِجَهُ عَنْها. وَمَنْ طَلَبَ الآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيا حتّىٰ يَسْتَوفِيَ فِي رِزْقَهُ مِنْهَا...

◁ الشّرح

قد مَرّ الكلام في الرّزق وأقسامه في شرح قوله عليه السلام: **الرّزق رزقان** رزقٌ تطلبه ورزق يطلبُك (كلام ٣٧١) وقوله عليه السلام: **فمن طلب الدّنيا** الخ معناه أنّ طالب الدّنيا لا يصل اليها قطعاً لأنّه قبل بلُوغه الىٰ آماله يدركه المَوت فيَخرجه منها الىٰ الآخرة فليس كذلك فأنّ الدّنيا تطلبه حتّىٰ يستوفي رزقه منها فينبغي للعاقل أن يكون طالباً لِلآخرة مُعرضاً عن الدّنيا:

رُوي في البحار بأسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال من أصبَح وأمَسىٰ والدّنيا أكبَر هَمّه جَعل الله تعالىٰ الفقر بين عَينيه وشتّت أمره ولم يَنَل من الدّنيا إلّا ما قَسَم له ومن أصَبَح وأمَسىٰ والآخرة أكبَر هَمّه جَعَل الله تعالىٰ الغِنىٰ في قلبه وجَمع له أمره انتهىٰ....

وبأسناده عنه عليه السلام قال من كَثُر إشتباكه بالدّنيا كان أشدّ لحَسرته عند فراقها انتهىٰ« ج ١٥ الجُزء الثّالث ص ٦٩»...

﴿٤١٥﴾

□ قوله عليه السلام: إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ هُمْ الَّذِينَ نَظَرُوا إلىٰ باطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إلىٰ ظَاهِرِها واشْتَغَلُوا بآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلُوا النَّاسُ بِعاجِلِهَا فأَمَاتُوا مَنْها ما خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ وَتَركُوا مِنْها مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيتركُهُمْ ورَأَوْا اسْتِكْثارَ غَيرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلالاً وَدَرَكَهُم فَوْتاً أَعْدَاء مَا سَالَمَ النَّاسَ وَسِلمٌ ما عادَىٰ النَّاسُ بِهِم عُلِمَ الْكِتَابُ وبِه عَلِمُوا وَبِهم قَامَ الْكِتابُ وَبِهِ قَامُوا لا يَرَوْنَ مَرْجُوّاً فَوْقَ مَا يَرْجُونَ وَلا مَخُوفاً فَوْق مَا يَخافُونَ...

◁ الشّرح

وصَفَ عليه السلام أولياء اللّه من عباده بأُمورٍ يُعرفون بها:

أوّلها: أنّ أولياء اللّه نظروا الىٰ باطن الدّنيا اذا نظر النّاس الىٰ ظاهرها وذلك لأنّ الدّنيا بل وكلّ موجودٍ له ظاهر وباطن، فظاهر الدّنيا حُلْو وباطنها مُرّ، أو أنّها كالحيّة، ليّنٌ مَسّها وفي جوفها سَمٌّ، أو أنّها كعجُوزةٍ زيّنت ظاهرها لبَعلها أو لغيره وهي تريد قتله، وغير ذلك من الأمثلة فَمن كان له بَصيرة في دينه ودُنياه ينظر اليها بنظر الإعتبار لا بنظر الإستقرار ومن لا يكون كذلك يغتّر بها ثمّ يهلك كما قيل:

يــا خاطب الدّنــيا الىٰ نــفسها   تَــنّح عــن خُــطبتها تَســلم
أنّ الّتــي تَــخطب غــدّارةٌ   قــريبة العِــرس مــن المأتــم

قال اللّه تعالىٰ في وَصف الغافلين: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ

الأَخِرَةِ هُمْ غَافِلُون﴾[1] وأمّا أولياء اللّه فلم ينظروا اليها إلّا بنظر الإعتبار لعلمهم بأنّها دار بالبلاء مَحفُوفة وبالغَدر مَعرُوفة فلم يعتمدوا عليها ولَم يَلجأوا اليها وإدَّخَروا منها لآخرتهم ما نَفَعهم فيها قال اللّه تعالىٰ:**﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الأَخِرَةِ خَيْرٌ﴾**[2] وقد تكّلمنا فيها غير مرّةٍ في هذا الكتاب:

الثّاني: أنّ أولياء إشتَغلوا بآجلها أي بما تنتهي الدّنيا اليه وهو المَوت إذا إشتَغل النّاس بعاجلها أي بحياتها الفانية فالأولياء تَركوها لعَدم بقاءها وأخذوا بالآخرة لبقاءها ودوامها، وأمّا غيرهم من النّاس إعتمدوا عليها وتبعوها متابعة الفصيل لأمّه فالأولياء أماتوا من الدّنيا ما خشوا وخافوا أنْ يُميتهم كالغَضَب والشَّهوة وأمثالها ممّا يُميت الفضائل وتركوا منها أي من الدّنيا ما علموا أنّه سيَتركهم من اللّذات العاجلة الّتي علمُوا أنّها ستَتركهم والحاصل أنّ أهل المَعرفة أماتوا الشَّهوات وتَركوا اللّذات وكمال السّعادة بهما:

الثّالث: **أنّهم أي أولياء اللّه رأوا ما عدّه النّاس من الدّنيا كثير، قليلاً لقوله تعالىٰ:﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالأَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾**[3] وقوله:**﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيٰوة الدّنيا في الآخرة إلّا قليل﴾**[4] ودَركهم لها فَوتاً، أي أنّهم رأوا ما عَدّوه دَركاً ونَيلاً، فوتاً، وذلك لأنّهم أي أهل الدّنيا بدَركهم الدّنيا فَوّتُوا الآخرة فأخذوا بالأخسّ وتركوا الأشْرَف ومِثل هذا لا يُعدّ عند العقلاء دَركاً بل هو فَوت لو كانوا يعلمُون ويمكن أن يكون المراد بالفَوت فَوت العُمر فيما لا نفع فيه والمآل واحد.

**الرّابع: **أنّهم أي أولياء اللّه أعَداء ما سالَم النّاس وسِلم ما عادىٰ النّاس، وذلك لأنّ النّاس يُسالمُون الشّهوات وأولياء اللّه يُحاربُونها، والنّاس يُحاربُون العِفّة والعَدالة مثلاً وأولياء اللّه يُسالمونها وينصرونها وهكذا والجامع أنّ المَرء مَع ما أحَبَّه:

١- الرّوم ـ٧
٢- النّحل ـ٣٠
٣- النّساء ـ٧٧
٤- التّوبة ـ٣٨

الخامس: بهم أي بأولياء اللّه عُلم الكتاب وبه أي بالكتاب عُلموا والمقصود أنّهم يُعرّفون الكتاب والكتاب يُعرّفهم لوجود الأُنس والعلاقة بينهم وبين الكتاب كما أنّ أهل الدّنيا بالنّسبة اليها كذلك فالدُّنيا عُلمت بهم وهَم عُلموا بها.

السّادس: بهم أي بالأولياء قام الكتاب والأولياء قاموا به وذلك لأنّهم عمِلوا بالكتاب وأحَيوه بذلك ولا نعني بالقيام إلّا هذا وأمّا أنّهم قامُوا به فلأنّ قوامهم بالدّين وما فيه من الأحكام والدّين يُؤخذ منه، السّابع لا يَرون مَرّجُواً فَوق ما يَرجُون ولا مَخُوفاً فوق ما يَخافُون، وذلك لأنّ أولياء اللّه لا يَرجُون إلّا اللّه وما عنده من النّعم وأيّ مَرّجوٍ فَوقه، وأنّهم يخافُون اللّه ولا يخافُون غيره وأيّ مَخُوفٍ أخَوَف فيه ونتيجة ذلك لا يَرجُون إلّا اللّه ولا يخافُون إلّا منه، ويمكن أن يراد بالأوّل الحَسنات وبالثّاني السّيئات والذّنوب وهذا الإحتمال أيضاً يرجع الىٰ ما ذَكرناه أوّلاً عند التّأمل كما أنّ إحتمال من احَتَمل بالأوّل الثّواب وبالثّاني العقاب أيضاً يرجع الىٰ ما ذكرناه:

﴿٤١٦﴾

□ قوله ﷺ: أُذْكُرُوا انْقِطَاعُ اللَّذَّاتِ وَبقَاءَ التَّبِعَاتِ...

◁ الشَرح

أي إذكروا حين تنقطع اللّذات وتبقىٰ التَّبعات والأوزار في أعناقكم وهو كناية عن ذكر المَوت فكأنّه ﷺ قال إذكروا هادم اللّذات ومُبقي التَّبعات أمّا أنّ المَوت يقطع اللّذات فلأنّ المَوت ليس في الحقيقة إلّا الإنقطاع وفراق الأحبّة وأمّا أنّه مُبقي التَّبعات والأوزار أن كانت فهو واضح وفي هذا الكلام في الحقيقة إشارة الىٰ عَدم الإعتماد علىٰ الدّنيا ولذّاتها لكونها فانية دائرة ولا سيّما وجود التَّبعات بعد اللّذات يُرشد العاقل الىٰ أنّ اللّذات ليست إلّا في عالَم الخَيال ولا وجود لها خارجاً حقّاً أمّا لدثُورها وأمّا لأجل أنّ اللّذة اذا كان بعدها تَبِعة فهي نقمة ولنعم ما قيل:

يا واقفين ألَم تكونوا تَعلمُوا ... أنّ الحمام بكم علينا قادمُ
لا تستَغروا بالحَياة فأنكم ... تَبنُون والمَوت المُفرّق هادمُ
لو تنزلُون بشَعبنا لعَرفتموا ... أنّ المُفَرّط في التَّزود نادمُ
ساوىٰ الرّدىٰ ما بيننا في حُفرةٍ ... حيث المُخَدّم واحدٌ والخادم

وقال الآخر:

وغاية هذه الدّار لذّة ساعةٍ ... ويعقبها الأحزان والهَمّ والنّدم
وهاتيك دار الأمن والعِزّ والتُّقىٰ ... ورحمة ربّ النّاس والجُود والكَرم

وقال الآخر:

حسّنت ظنّك بالأيّام اذ حَسُنت ... ولَم تَخف سُوء ما يأتي به القَدَرُ
وسالمتك اللّيالي فاغتَررت بها ... وعند صَفو اللّيالي يحدث الكَدرُ

﴿٤١٧﴾

▫ قوله ﷺ: أُخْبُرْ تَقْلِهِ...

ومن النّاس من يَروي هذا لِلرّسُول ﷺ وممّا يـقّوي أنّـه مـن كـلام أمـير المؤمنين ﷺ ما حكاه تغلب عن ابن الأعرابى، قال المأمون: لولا أنّ علّياً قـال «أُخبر تقِله» لقلتُ أقِله تُخبَر..

◁ اللّغة

(**أُخبُر**) بضّم الباء أمر من خَبَر يَخبُر مثل نَصَر يَنصُر يقال خَبُرته أي علمته بالإختبار (**تقِله**) مضارع مجزوم بعد الأمر وهاؤه للوقُوف ويُعبّر عنها بـالهاء السّكت والفعل منه قَلىٰ يقلي مثل رمىٰ يَرمي بمعنىٰ البُغض قال الرّضـي ﵀ ومن النّاس، كلمة (**من**) للتّبعيض أي بعض النّاس:

◁ الشّرح

أي إختبر الشّخص إذا أعَجَبك ظاهره فربّما وجَدت فيه ما لا يَسّرك فتُبغضه وَوَجه ما إختاره المأمون أنّ المَحبّة سترٌ للعيُوب فإذا أبَغَضت شخصاً أمَكَنك أن تعلم حاله كما هو وحاصل الفرق بين كلامه ﷺ وما قاله المأمون هُو أنّه ﷺ جَعَل أساس الإختبار علىٰ المَحبّة فكأنّه قال إذا أردتَ إختبار شخصٍ متظاهرٍ بحُبّك فأحبب اليه أو إختَبره بأيّ نحوٍ شئت لتَعلَم باطنه، وأمّا المأمون فَجَعل الأساس علىٰ إظهار البُغض بالنّسبة اليه مستّدلاً بأنّ المَحبّة سَترٌ للعيُوب فلا

يُمكن إختبار الشّخص بها وقول المأمون لولا أنّ عليّاً قال كذا لقلت كذا يدّل علىٰ ترديده في صحّة قوله وأنّ ما قاله عليه السلام هو الحقّ وهو كذلك وكان المأمون لم يفهم أنّ ما قاله عليه السلام ليس من الأحكام الكلّية الشّاملة لجميع الموارد بل هو حُكمٌ أكثَريّ أي أنّ الإختبار في أكثر الموارد علىٰ هذا الأساس ولا يُنافيه أن يكون في بعض الموارد علىٰ غير ما ذَكره عليه السلام ضرورة أنّ الأحكام الصّادرة لا علىٰ سبيل الشّمُول والعمُوم لا يُنافيها خُروج بعض المصاديق وعليه فلا يبعد أن يكون ما ذَكره المأمون أيضاً حقّاً في بعض المَوارد كما قيل:

وأنّـي لألقـىٰ المَـرء أعـلمُ أنّـه عدّوي وفي أحشاءه الضّغن كامنٌ
فأمـنحه بُشـري فـيَرجع قـلبه سليماً وقد ماتت لَـدَيه الضّـغائن

وقال الآخر:

جرّبتُ دهرِي وأهليه فما تَرَكت لي التّجارب في وُدّ إمرئٍ غَرَضا

وقال الآخر:

عَـتبتُ علىٰ سـلمٍ فـلمّا فَقدتُه وجرّبتُ أقواماً رَجعتُ الىٰ سلمٍ

٤١٨

□ قوله ﷺ: ما كانَ اللّهُ لِيَفْتَحَ علىٰ عَبْدٍبابَ الشُّكْرِ ويُغْلِقَ عنْهُ بابَ الزّيادَةِ ولا لِيَفْتَحَ علىٰ عَبْدٍ بابَ الدُّعاءِ ويُغْلِقَ عنْهُ بَابَ الإجَابَةِ وَلا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍبابَ التَّوْبَةِ ويُغْلِقَ عنْهُ بابَ المَغْفِرَةِ...

◁ الشّرح

أي أنّ اللّه تعالىٰ علّق الزّيادة في النّعمة علىٰ الشّكر فقال في كتابه: ﴿وَلَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١] وعلّق الإجابة علىٰ الدّعاء فقال: ﴿أدعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢] وعَلَّق المَغفرة علىٰ التّوبة فقال: ﴿لاتَقْنَطُوا مِّن رَحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٣]

و: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِئَاتِ﴾[٤]

وقد مَرّ الكلام في هذه الأُصول الأربعة غير مرّةٍ وذكرنا الآيات ولأخبار الواردة فيها بما لا مزيد عليه:

١- إبراهيم ـ٧
٢- غافر ـ٦٠
٣- الزّمر ـ٥٣
٤- الشّورىٰ ـ٢٥

﴿٦١٩﴾

□ وسُئلَ مِنهُ عليه السلام: أيما أفضَل: العَدلُ، أوِ الجُودُ؟ فقال عليه السلام: العَدْلُ يَضَعُ الأُمُورَ مَواضِعَها وَالجُودُ يُخْرِجُها منْ جِهَتِها والعَدْلُ سَائِسٌ عامٌ والجُودُ عارِضٌ خاصٌّ فالْعَدْلُ أشْرَفُهُما وأفْضَلُهُما...

◁ الشَرح

إستَدل عليه السلام علىٰ كون العَدل أشَرَف وأفْضَل من الجُودُ بأمرين:

أحَدهما: أنّ العَدل يَضع الأُمور مَواضعها أي يَضَع كلّ شيٍ في مَوضعه اللائق به وكأنّ الحُكماء منه أخذوا تعريف العَدل حيث قالوا العَدل وضع الشّئ في محلّه والظّلم وضعه في غير محلّه، ثُمّ قال عليه السلام والجُود يُخرجها أي يُخرج الأُمور من جَهتها ولعلّه إشارة الىٰ أنّ الجُود من شئون العَدل وشقوقه فأنّ إخراج المال مثلاً من جهته أي فيما ينبغي والىٰ ما ينبغي عين العَدل لأنّه مِن وَضع الشّئ في مَحلّه ولازم ذلك أنّ إخراج الشّئ من غير جهته ليس من الجُود بشئٍ مثل أن تجود بمال غيرك أو تجود بمالك في غير مَورده كلّ ذلك خارج من الجُود لأنّه ليس من إخراجه فيّ جَهة:

وثانيهما: أنّ العَدْل سَائِسٌ عامّ أي نفسه يشمل الكلّ، والجُود عارضٌ خاصّ فلا يشمل غير من تجود اليه وعليه فالجُود خاصّ والعَدل عامّ والخاصّ موجودٌ في العامّ ولا عكس فالعَدل أفَضل وأشَرف رُوي في البحار **عن بعض أصحابنا عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال قلت له ما حدّ السّخاء قال تخرج**

من مالك الحقّ الّذي أوجَبه اللّه عليك فتَضعه في مَوضعه انتهىٰ وبأسناده عنه ﷺ قال السَّخي الكَريم الّذي يُنفق مالَه في حقٍّ انتهىٰ وبأسناده عن أحمد بن سلمان قال سَأل رجل أبا الحَسن ﷺ وهو في الطّواف فقال له أخبرني عن الجواد فقال ﷺ أنّ لكلامك وجهين فأن كنتَ تسأل عن المَخلوق فالجواد الّذي يُؤدّي ما إفترَض اللّه تعالىٰ عليه والبَخيل من بَخل بما إفتَرض اللّه عليه وأن كنتَ تعني الخالق فهو الجواد أن أَعطىٰ وهو الجواد أن مَنَع لأنّه أن أعطىٰ عَبداً أعطاه ما ليس له وأن مَنَع مَنَع ما ليس له انتهىٰ« ج ١٥ الجُزء الثّاني ص ٢٠٠»...

أقول يظهر من هذه الأحاديث أنّ إطلاق الجواد عليه تعالىٰ غير إطلاقه علىٰ العَبد فأنّ الجُود في العَبد بمعنىٰ السّخاء وأمّا في حقّه تعالىٰ فهو أفاده ما ينبغي لا لعوضٍ ولا لغَرَضٍ وذلك لأنّ السّخي يتَوقع العِوض إمّا من الخَلق أو من الخالق فالأوّل كما فينا والثّاني ثابت في الأنبياء والأوصياء حيث أنّهم لم يقصدوا في عطيّاتهم إلّا ثواب اللّه، وأمّا الجُود فليس فيه شئ من هذه الأمور ولذلك إتّفقُوا علىٰ أنّ الجواد بمعناه الواقعي المُطلق هو اللّه تعالىٰ ولا يطلق علىٰ غيره حقيقتاً واذا أُطلق فهو بمعنىٰ السَّخي وعليه يُحمل كلام أمير المؤمنين أيضاً فأنّ قوله ﷺ والجُود عارضٌ خاصّ، يدّل علىٰ ما ذَكرناه وذلك لأنّ الجُود فينا عارضٌ خاصّ وأمّا في حقّ اللّه تعالىٰ فلا اذ لا عارض هناك مُضافاً الىٰ أنّ الجُود فيه عامّ كالعَدل فَجُوده عَدله وعَدله جُوده ومحصّل الكلام هو أنّ ما ذكره ﷺ في معنىٰ الجُود لم يرد به الجُود بمعناه الواقعي المطلق بل أراد الجُود الثّابت في الإنسان الّذي هو عبارة أُخرىٰ عن السّخاء فأنّ الجُود بهذا المعنىٰ فيه يصّح أن يقال أنّه عارضٌ خاصّ فتأمل في المقام وحيث إنجر الكلام الىٰ هُنا وذكرنا بعض الأخبار في الجُود والسّخاء نَذكُر لك بَعض ما وَرَد في العَدل أيضاً قال اللّه تبارك وتعالىٰ: **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ**

﴿وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ (١)

و : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (٢)

و : ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٣)

رُوي في البحار بأسناده عن الصّادق عليه السلام قال تبع حكيم حكيماً سَبع مائة فَرسخ في سَبع كلمات فمنها أنّه سَأله ما أوسَع من الأرض قال العَدل أوسَع من الأرض انتهىٰ...

وقال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله عَدل ساعةٍ خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها وجَور ساعةٍ في حكمٍ أشدّ وأعظَم عند اللّه من معاصي ستّين سَنة انتهىٰ...

وبأسناده عن مُحمّد الحلبي أنّه سَأل أبا عبد اللّه عن قول اللّه تعالىٰ أنّ اللّه يحيي الأرض بعد مَوتها قال عليه السلام العَدل بعد الجَور انتهىٰ وبأسناده عنه عليه السلام قال العَدل أحلىٰ من الماء يُصيبه الظّمأن ما أوسَع العَدل إذا عَدل فيه وأنّ قلّ انتهىٰ...

وبأسناده عنه عليه السلام قال العَدل أحلىٰ من الشّهد وألين من الزّبد وأطيَب ريحاً من المسك انتهىٰ...

وبأسناده عن جعفر بن مُحمّد عن آباءه عليهم السّلام عن النّبي صلى الله عليه وآله قال السّلطان ظلّ اللّه في الأرض يأوي اليه كلّ مظلوم فَمن عَدل كان له الأجر وعلىٰ الرّعية الشّكر ومن جار كان عليه الوِزر وعلىٰ الرّعية الصّبر حتّىٰ يأتيهم الأمر انتهىٰ...

والأحاديث في الباب كثيرة وما نقلناه نقلناه عن البحار« ج ١٦ ص ٢١١ الىٰ ص ٢١٤» ولنعم ما قيل:

فَلم أرَ مثل العَدل لِلمَرء رافعاً ... وَلَم أرَ مثل الجَور للمَرء واصفاً

١- آل عمران ـ١٨
٢- النّحل ـ ٩٠
٣- المائدة ـ٨

وقال الآخر :

لا تَظلمنّ إذا ما كنتَ مُقتدراً فالظّلم مصدره يُفضي الىٰ النّدم
تنام عيناك والمَظلُوم مُنتبهٌ يَدعُو عليك وعين اللّه لَم تَنم

وقال الآخر :

وحقّ اللّه أنّ الظّلم لؤمٌ وأنّ الظّلم مَرتعه وخيمُ
الىٰ ديّان يوم الدّين نَمضي وعند اللّه تجتمع الخصُوم

وقال الآخر :

حتّىٰ متىٰ لا يُرىٰ عَدلاً نَسُر به ولا يُرىٰ لولاة الحقّ أعواناً
مُستَمسكين بحقٍ قائمين به إذا تَلَّون أهل الجَور ألواناً
ياللرّجال لداءٍ لا دواء له وقائدٍ ذي عمىٰ يقتاد عُمياناً

٤٢٠

□ **قوله ﷺ: النّاس أعْدَاء مَا جَهِلُوا...**

◁ الشَرح

قد مَرّ البحث في العِلم والجهل وقلنا أنّ العِلم نُور والجَهل ظُلمة ولذلك يكون الجَهل مَبغُوضاً لِلكُل وهو واضح.

﴿٤٢١﴾

▫ قوله عليه السلام: **الزُّهد كُلُّهُ بيْنَ كلمَتيْنِ منَ القُرْآنِ قالَاللَّهُ سُبْحَانَهُ:(لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلىٰ مَا فَاتَكُم وَلا تَفْرَحُوا بمَا أَتاكُمْ) ومَنْ لَمْ يَأْسَ عَلىٰ المَاضِي ولمْ يَفْرَحْ بالآتِي فَقَدْ أخَذَ الزُّهْدَ بِطَرفَيْهِ...**

◁ الشّرح

قد مَرّ الكلام في الزُّهد وأنّه عبارة عن ترك الدّنيا والإعراض عنها بالقلب فمن كان كذلك يكون إقبال الدّنيا وإدبارها بالنّسبة اليه علىٰ حدٍّ سواء فلا يَفْرَحْ بما يأتيه منها ولا يَحزن علىٰ ما يفوته منها لأنّ المفروض إعراضه عنها قـلباً ولذلك قال عليه السلام: **ومَنْ لَمْ يَأْسَ علىٰ المَاضِي ولمْ يَفْرَحْ بالآتِي فَقَدْ أخَذَ بطَرَفيه** أي بطَرَفي الزُّهد وهما ما مضىٰ وما يأتي ويظهر منه أنّ الأخذ بأحدهما ليس من الزُّهد بشيءٍ وهو كذلك وقد مرّت الأخبار والآيات في مَدح الزُّهد غير مرّةٍ:

﴿٤٢٢﴾

□ قوله عليه السلام: مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ...

◁ الشرح

أي قد يجمع العازم على أمرٍ فإذا نام وقام وُجِدَ إنحلالٌ في عَزيمته أو يغلبه النّوم عن إمضاء عَزيمته وفيه إشارة الى أنّ القلُوب بيَد اللّه وليس لِلإنسان إنفاد كلّ ما أراد كما مَرّ سابقاً.

﴿٤٢٣﴾

□ قوله عليه السلام: الوِلاَيَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجالِ...

◁ الشَرح

أي تُعرف الرّجال بها كما تُعرف الخيل بالمِضمار، والمِضمار بكسر الميم المكان الّذي تُضمر فيه الخَيل لِلسّباق والولايات أشبه شيءٍ بالمَضامير إذ يُتَبين فيها، الجواد من البرذون، والشّجاع من الجبان، والعادل من الظالم وهكذا وهو كلام مَتين مُجّرب:

٤٢٤

□ قوله ﷺ: ولَيْسَ بَلَدٌ بأحَقَّ منْ بَلَدٍ خيرُ الْبِلاَدِ ما حَمَلَكَ...

◁ الشّرح

أي أنّ البَلَد بما هو هو لا فَضل فيه أو أنّه ليس بأحقّ لتَسكن فيه من بَلَدٍ آخر فكلّ البلاد تَصلح سَكناً وأنّما أفضلها ما حمَلَك أي ما كنتَ فيه علىٰ راحةٍ فكأنّك مَحمولٌ عليه، وفيه إشارة الىٰ أنّ الملاك في خير بلدٍ وشّره للسّكُون فيه ليس هو نفس البَلَد من صِغره وكبره وأنّما الملاك في حُسنه حِفظ الدّين والدّنيا فكلّ بلدٍ أحفظ لهما فهو خير لك، وأمّا قول المشهُور حُبّ الوطن من الإيمان فهو علىٰ فرض صحّته لا يُنافي ما ذكره ﷺ لأنّ حُبّ الشّئ غير السّكُون فيه:

والكلام في الثّاني لا الأوّل والأصل في كلامه ﷺ هو قول الّه تعالىٰ حكايةً عن بعض النّاس حيث قال: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيٰهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كَنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّٰهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً، إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً، فَأُوْلَئِكَ عَسَىٰ اللّٰهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللّٰهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾** (١)

فهذه الآيات كما ترىٰ تُنادي بأنّ الملاك ما ذكره ﷺ لا ما ذكره بعض من لا خُبرة له:

١- النّساء-٩٧.

﴿٤٢٥﴾

□ **قوله ﷺ: وقدْ جاءَهُ نَعْيُ الأَشْتَرِ رَحِمَهُ اللهُ: مالِكٌ وما مالِكٌ لوْ كانَ جَبَلاً لَكَانَ فِنْداً لا يَرْتَقِيهِ الحَافِرُ وَلا يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ.قال الرّضى ﷺ: والفِنْدُ: المُنْفَرِدُمنَ الجِبَالِ.**

◁ اللّغة

(**نَعْيُ**) بفتح النّون وسكون العين مصدر قولك نَعى ينعىٰ نعياً يـقال نَـعاه بمَوت فلان أي أخبَره به (**فِنْداً**) الفِند الجَبَل العظيم وقال المُعتزلي الفِند قطعة الجبل طولاً وليس الفِند القِطعة كيفما كانت ولذلك قال ﷺ لا يرتَقيه الحافر لأنّ القِطعة المأخوذة من الجبل طُولاً في دقّةٍ لا سبيل للحافِر الىٰ صُعودها ولو أُخذت لأمكن صُعودها (**حافِرُ**) الحافِر للدّابة بمنزلة القدم لِلإنسان (**يُوفِي**) أي يَصل ولا يُوفي اليه الطّائر أي لا يصل اليه أو لا يصعد عليه الطّائر لإرتفاعه:

◁ الشّرح

لما بَلَغه مَوت الأشتر ﷺ وقد مرّ شرحه سابقاً تفصيلاً فقال ﷺ مالِك ومـا مالِك تكرار اللّفظ للتّفخيم والتّعظيم كأنّه قال ﷺ مالك وما تدري من هو أو أيّ شيءٍ هو لو كان جبلاً لكان فِنداً أي مُنفرداً من الجبال بحيث لا يرتقيه الحافِر لإرتفاعه وهو كناية عن علّو مقام مالك عنده ﷺ وإرتفاع شأنه ولا يُوفي أي لا يصل عليه الطّائر وهو أيضاً كناية عن عُلّو شأنه فما ذكره ﷺ في المقام نظير ما ذكره في الخطبة الشّقشقية حيث قال ينحدر عنّي السّيل ولا يرقى الىٰ الطّير، وقد مرّ الكلام في معناه هناك.

۴۲۶

□ قوله عليه السلام: قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٌ مِنْهُ...

◁ الشّرح

أي أنّ العَمَل القليل الّذي تدوم عليه بالطّوع والرّغبة خير من عمل الكثير إذا صَدَر منك علىٰ وجه السّأم والملالة وذلك لأنّ الكثير علىٰ هذا الوجه فيه مَظَنّة القَطع بخلاف القليل المَدوم، أو لأنّ الكثير كذلك تحميلٌ علىٰ النّفس بخلاف القليل، أو لأنّ الدّوام علىٰ القليل في الأعمال يفيد النّفس مَلَكة الطّاعة والخير وصيرورتها أخلاقاً بخلاف الكثير المملُول.

﴿٤٢٧﴾

◘ قوله ﷺ: لِغالِبِ بنِ صَعْصَعَةَ أبي الفَرَزدق في كلامٍ دار بينهما:

مَا فَعَلتْ إبِلُكَ الكَثيرَةُ قَالَ ذَعْذَعَتْها الْحقُوقُ يَا أميرَ الْمؤمِنِينَ فقال ذَلِكَ أحْمَدُ سُبْلِها...

◁ الشّرح

روي أنّ غالب إبن صَعصَعة دخل على علّي ﷺ في أيّام خلافته وهو شيخ كبير ومَعَه إبنه الفَرزدَق وهو يومئذٍ غلام فقال ﷺ مَن الشّيخ فقال أنا غالب بن صَعصَعة قال ذو الإبل الكثيرة قال نعم قال ﷺ: **مَا فَعَلتْ إبِلُكَ** قال ذَعذَعتها الحقوق أي أذهَبتها الحالات والنّوائب فقال ﷺ: **ذَلِكَ أحْمَدُ سُبْلِها** أي أفضل طرق إفنائها فقال ﷺ من هذا الغلام فقال هذا إبني همام وقد روّيته الشّعر يا أمير المؤمنين وكلام العرب ويُوشك أن يكون شاعراً مجيداً فقال ﷺ لو أقرأته القرآن فهو خير له وكان الفَرزدق يروي هذا الحديث ويقول ما زالت كلمته في نفسي حتّىٰ قَيَّد نَفسَه بقَيدٍ وآلىٰ ألّا يَفُكّه حتّىٰ يحفظ القرآن فما فكّه حتّىٰ حَفِظه، أقول الفَرزدَق هذا هو الّذي قال القصيدة المشهُورة في مَدح زين العابدين ﷺ في مسجد الحرام عند هشام بن عبد المَلك أوّلها:

هذا الّذي تعرف البطحاء وَطأته	والبيت يعرفه والحِلّ والحَرَمُ

وقد ذكرناها بتمامها في هذا الكتاب سابقاً والحقّ أنّها من أحسَن القصائد في الباب:

٤٢٨

▫ قوله عليه السلام: إِذَا كانَ فِي رَجلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فأَنْتَظِرُوا أَخَوَاتِها...

◁ الشّرح

أي إذا كان في رجلٍ خِصّلةٌ رائقة أي عالية مُرتَقية وفي بعض النّسخ (رائعة) بالعين المُهملة أي مُعجبةٍ بديعة فأنتظروا أخواتها أي فأنتظروا وجود أخواتها من الخصال فيه ولعلّ الوجه فيه أنّ وجود الخصلة مظنّة أن يكون في جملة من الأخلاق الفاضلة كَمن يكون من شأنه الصّدق فأنّه يتوقع منه الوفاء وحُسن الصّحبة وبالعكس:

٤٢٩

□ قوله عليه السلام: مَنْ اتَّجَرَ بِغَيرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ في الرِّباءِ...

◁ الشّرح

أي أنّ التّاجر ينبغي له قبل التّجارة العلم بمسائلها ولذلك قيل الفِقه ثمّ المَتجَر فأن لم يفعل ذلك ووقع فيها بغير علمٍ فقد إرتَطَم أي وقع في وَرطة الرّباء جَهلاً وذلك لأنّ أكثر مسائل الرّبا مُشتبهةً بمسائل البيع بحيث لا يفرّق بينها إلّا أكابر الفقهاء مع وقوع الخلاف فيها بينهم:

﴿٤٣٠﴾

▫ قوله ﷺ: مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ المَصَائِبِ ابْتَلاَهُ اللَّهُ بِكِبارِها...

◁ الشّرح

تعظيم صغار المصائب أي عدّها عظيمة في الحقيقة يرجع الىٰ عدم الشّكر عليها وتضّجره وتَسّخطه من قضاء اللّه وَقَدره وذلك يوجب زيادة البلاء ليَعلم المُصاب معنىٰ المُصيبة الكبيرة وذلك مثل من لم يشكر علىٰ ما هو فيه من الفقر والمَرَض وأمثالهما فأنّ اللّه يبتليه بما هو أشدّ وأصعَب فكما أنّ الشّكر علىٰ النّعمة يوجب الزّيادة عليها كذلك عدم الشّكر علىٰ المُصيبة يُوجب الزّيادة عليها لأنّه كاشف عن عدم رضاءه بقضاء اللّه وَقَدره.

﴿٤٣١﴾

▫ قوله عليه السلام: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ...

◁ الشّرح

قالوا وذلك لكونهما عَدوّين فإكرام أحدهما يستلزم إهانة الأُخرىٰ فَمن كَرُمت عليه نفسه لَزمه حفظها وحمايتها من عذاب الله وذلك مستلزم لِهَوان شَهَوته عليه وعدم مراعاتها لأنّها تقتضي ضدّ ذلك والجَيّد النّادر في هذا قول الشّاعر:

فأنّك إن أعطَيتَ بطَنك سُؤلَه وفَرجَك نالا مُنتهىٰ الذّم أجمَعا

أقول: أظّن أنّ المقصود من هذا الكلام أنّ كريم النّفس يكون شهواته عليه سَهلة بمعنىٰ أنّه لا يرتكبها لِكرامة نفسه فأنّ سُهولة الشّهوة كناية عن غلبة النّفس عليها هذا إذا قلنا بأنّ كرامة النّفس عظمتها وشَرفها وأمّا أن كان المراد بها نخوتها وكبرها فالمعنىٰ أنّ نخوة النّفس وتكبّرها توجب إرتكاب الشّهوات بسُهولةٍ والأوّل أظهَر:

﴿٤٣٢﴾

▫ قوله ﷺ: مَا مَزَح امْرُؤٌ مَزْحَةٍ إلَّا مَجَّ منْ عَقْلِهِ مَجَّةً...

◁ الشَرح

المَزح والمزاحة والمِزاح بمعنىٰ واحد وهو المُضاحكة بقولٍ أو فعلٍ وأغلبه لا يخلو عن سُخرته والمَجّ بفتح الميم والجيم المشدّدة الرّقي يقال مَجَّ الماء مِن فيه أي رماه فكأنّ المازح يرمي لعقله ويقذف به في مطارح الضّياع ومحصّل الكلام أنّ المازح يرمي بعقله في مطارح الضّياع والنّقصان فتَركه أولىٰ من فِعله:

قال رسُول اللّه ﷺ المزاح إستدراجٌ من الشّيطان وإختلاعٌ من الهَوىٰ، وقال بعض الحُكماء تجَنَّب سوء المَزح ونَكد الهَزل فأنّهما بابان إذا فَتحا لم يغلقا إلّا بعد غمٍّ، وقال حكيم، لكلّ شيءٍ بَذر وبَذر العداوة المَزاح: قال الشّاعر:

فأيّاك أيّاك المَزاح فأنّه ... يُجرىعليك الطّفل والرّجل النّذلا
ويُذهب ماء الوَجه بعد بهاءها ... ويُورث بعد العِزّ صاحبه ذّلا

وقال الآخر:

أنّ الصّديق يُريد بَسطك مازحاً
فإذا رأىٰ منك الملالة يقصر
وترىٰ العدّو إذا تيّقن أنّه
يؤذيك بالمَزح العنيف يكثر

٤٣٣

□ قوله عليه السلام: زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ ورَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكِ ذُلّ نَفْسٍ...

◁ الشّرح

أي بُعدك وتركك مَن يَتّقرب منك ويرغب اليك نقصان حَظٍ لك أي لا تَركه كما أنّ تقرّبك ورغبتك لمن يتّبعد عنك ذُلّ وحقارة لنفسك والحاصل إرغب فيمن يرغب اليك وأترك مَن تَبّعد عنك فأنّ ذلك يوجب حَظّ نفسك والوجه فيهما واضح:

٤٣٤

□ قوله ﷺ: الغِنىٰ والفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضَ علىٰ اللَّهِ...

◁ الشَرح

أي لا يُعدّ الغني غنيّاً في الحقيقة إلّا من حَصل له ثواب الآخرة الّذي لا ينقطع أبداً ولا يعدّ الفقير فقيراً إلّا من لم يحصل له ذلك وذلك هو الفقر بالحقيقة وأمّا غنىٰ الدّنيا وفقرها فأمران عَرَضيان زوالهما سريعٌ وإنقضائهما وَشيك فربّ غنّيٍ في الدّنيا يكون فقيراً في الآخرة وبالعكس:

٤٣٥

▫ قوله ﷺ: ما لأبْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ أوَّلهُ نُطفةٌ وآخِرُهُ جِيفَةٌ ولا يَرْزُقُ نَفْسَهُ وَلا يَدْفَعُ حَتفَهُ...

◁ الشّرح

كلمة (ما) إستفهّامية على سبيل التّعجب أي أنّـي أتـعجب مـن إبـن آدم والفَخر أوّله نُطفة أي مادّة الخلقة فيه نُطفة أبيه وهي قذَرة والدّليل على أنّ أوّله نُطفة قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (١)

و: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلاً﴾ (٢)

و: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ (٣)

وأمّا أنّ آخره جيفة مُنتِنَة فلا يحتاج الى دليل لأنّه من المحسُوسات ومن شَكّ فيه فعلَيه بالقُبور وأمّا أنّه لا يرزق نفسه ولا يدفع حَتفه ومَوته فهو أيضاً محسوس فأنّ الرّازق والمُميت هو اللّه تعالى، قال اللّـه تـعالى: ﴿إِنَّ اللّـهَ هُـوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ (٤)

و: ﴿أَمَّنْ هٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَه﴾ (٥)

و: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ (٦)

١- النّحل ـ٤
٢- الكهف ـ٣٧
٣- المؤمنون ـ١٣
٤- الذّاريات ـ٥٨
٥- الملك ـ٢١
٦- الشعراء ـ٨١

و : ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثمّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُم﴾ (١)

و : ﴿إِنّا لَنَحْنُ نُحْيِ وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوارِثُونَ﴾ (٢)

فإذا كان الإنسان أوّله وآخره كذلك ومع ذلك لا يقدر على رزق نفسه ودفع المَوت عنها فهو موجود ضعيف حقير فالإفتخار لِماذا والآيات والأخبار في ذمّ الفخر كثيرة: قال اللّه تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ مَن كانَ مُخْتالاً فَخُوراً﴾ (٣)

و : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُم﴾ (٤)

و : ﴿إِنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾ (٥)

وقال سيّد السّاجدين عَجَباً لِلمتكبّر الفخور الّذي كان بالأمس نطفة ثمّ هو غداً جيفة انتهىٰ...

وقال الباقر عليه السلام عَجباً للمختال الفخور وأنّما خلق من نطفة ثمّ يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يُصنع به انتهىٰ...

وقال عليه السلام صعد رسُول اللّه صلى الله عليه وآله المنبر يوم فتح مكّة فقال أيّها النّاس أنّ اللّه قد أذهَب عنكم نخوة الجّاهلية وتفاخرها بآبائكم إلّا أنّكم من آدم وآدم من طين إلّا أنّ خير عباد اللّه عبدٌ إتقاه انتهىٰ...

وعن الصّادق عليه السلام قال قال رسُول اللّه صلى الله عليه وآله آفة الحَسَب الإفتخار والعُجب انتهىٰ...

وقال عليه السلام أتىٰ رسُول اللّه صلى الله عليه وآله رجل فقال يا رسُول اللّه أنا فلان بن فلان حتّىٰ عدّ تسعة فقال رسُول اللّه أما أنّك عاشرهم في النّار انتهىٰ...

ونُقل أنّ قريشاً تفاخروا عند سلمان فقال ولكنّي خُلقت من نطفة قَذرة ثمّ أَعُود جيفة مُنتنة ثمّ الىٰ الميزان فأن ثقل فأنا كريم وأن خفّ فأنا لئيم انتهىٰ جامع السّعادات ج ١ ص ٣٦٧ والاخبار كثيرة في الباب.

١- الروم ـ ٤٠   ٢- الحجر ـ ٢٣
٣- النّساء ـ ٣٦   ٤- الحديد ـ ٢٠
٥- لقمان ـ ١٨

قـــولا لأحـــمقٍ يَـلوي التّـيه أخـدعه

لو كُـنتَ تـعلم مـا فـي التّيه لَـم تَـتِه

التّـــــيه مَـــفسَدةٌ للـــدّين مَـــنقَصةٌ

للـــــعقل مُـــهلِكةٌ لِـــلعِرض نـــاتِنة

ثمّ إعلم أنّ الفخر والمُفاخرة منشأه عَصبيّة الجاهليّة فأنّ الأعـراب فـي عـهد الجاهليّة كانوا يتّفاخرون بآبائهم وأنسابهم وأموالهم وأولادهم كما قـال اللّـه تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿**أَلْهَيكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ (١)

فلمّا طَلَع الإسلام وغلب الحقّ علىٰ الباطل قال اللّه تعالىٰ: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَيكُمْ**﴾ (٢) وقال رسُول اللّه ﷺ أنّ نبيّكم واحد وأنّ أباكم واحد وأنّه لا فضل لعربّي علىٰ عجّمي ولا لأحمر علىٰ أسـوَد إلّا بـالتّقوىٰ ألا هَـل بَـلّغتُ ولذلك ترىٰ الرّسُول ﷺ مع علّو شأنه وَشرَف نَسبَه وفضله علىٰ كلّ المخلوق خاطبه اللّه في كتابه وقال: ﴿**وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (٣) فهو ﷺ كان مُتواضعاً بحيث يُضرب به المَثَل فيه وهكذا كان أمير المؤمنين وأولاده وأتباعه وأشياعه وقد قال اللّه تـعالىٰ: ﴿**لَـقَدْ كَـانَ لَكُـمْ فِـي رَسُـولِ اللّـهِ أُسْـوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ (٤) وأنّه ﷺ كان مُتواضعاً فينبغي لِمن تَبعه أن يكون كذلك ولنعم ما قاله سلمان الفارسي في المقام:

أبـي الإسـلام لا أبَ لي سـواه إذا إفـتخروا بـقيسٍ أو تـميمٍ

وقال الآخر في مقام الفَخر:

وأنّـــي مـــن القـــوم الّـذين هُـمُ هُـمُ

إذا مـــات مـــنهم سـيّدٌ قـام صـاحبه

نـــجوم ســـماءٍ كـــلّما غـاب كـوكبٌ

بـــداكـــوكبٌ تأوي اليـــه كـواكـبه

١- التّكاثر ـ١و٢
٢- حجرات ـ١٣
٣- الشّعراء ـ٢١٥
٤- الأحزاب ـ٢١

أضــاءت لهــم أحســابهم ووجــوههم

دُجــیٰ اللّــيل حــتّیٰ نــظّم الجـزع ثـاقبه

ومـــا زال فـــيهم حــيث كـان مُسّــود

تســير المــنايا حــيث ســارت ركــائبه

وَكَتب الحَكم بن عبد الرّحمٰن المَرواني من الأندلس الىٰ صاحب مـصر يفتخر عليه:

ألســنا بــني مــراون كـيف تـبدّلت

بــنا الحــال أو دارت عـلينا الدّوائــر

إذا ولد المـــولود مـــنّا تــهلّلت

له الأرض وإهــتزّت اليــه المــنابر

وقال الآخر:

نــحن المــلوك فــلا حــيٌّ يـفاخرنا

فــينا العــلاء وفــينا تـنصب البـيَع

ونـحن نـطعمهم فـي القـحط مـا أكـلوا

مــن العَــبيط إذا لم يــؤنس القَــزَع

ونَـنحر الكــوم عـبطاً فـي أُرومـتنا

للــنّازلين إذا مــا أُنــزلوا شَــبعُوا

تــلك المكــارم حُــزناها مـقارعةً

إذا الكــرام عــلىٰ أمــثالها إقـترعُوا

٤٣٦

▫ **وسُئِلَ مَنْ أشْعَرُ الشُّعَرَاءِ؟ فقال ﷺ: إِنَّ القَوْمَ لَمْ يَجْرُو فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الغايَة عِنْدَ قَصَبَتِها فَإِنْ كانَ ولابُدّ فالمَلِكُ الضِّلِيلُ...**

قال الرّضي ﷺ: يُرِيدُ امْرَأالقَيْسِ...

◁ الشّرح

لمّا سُئِلَ ﷺ عن أشْعَرُ الشُّعَرَاءِ فقال أنّ القوم أي الشّعراء لم يَجروا في حَلبةٍ والحَلَبة بفتح الحاء المُهملة القطعة من الخيل تجتمع للسّباق للطّريقة الواحدة، أي لم يجتمعوا في مجلسٍ واحدٍ للمُسابقة في الشّعر حتّىٰ تعرف الغاية عند قَصَبتها، وهي ما ينصبه طلبة السّباق حتّىٰ إذا سَبق سابق أخذه ليعلم أنّه السّابق بلا نزاع وكانوا يجعلون هذا من قَصَب ومحصّل المعنىٰ أنّه لم يكن كلامهم في مقصدٍ واحدٍ بل ذَهَب بعضهم مذهب التّرغيب وآخر مَذهب التّرهيب وثالث مَذهب الغَزَل والتشّبيب فلا يمكن الحُكم بينهم ثمّ قال ﷺ فأن كان ولابدّ من الحكم بينهم فالمَلَك الضّليل، أي إمرؤ القيس سمّاه ضليلاً لأنّه كان فاسقاً وهو مع ذلك كان مُعلِناً به في أشعاره فمن أراده فليطلبه من مجموع شعره منها قوله:

فَمِثلك حُبلىٰ قد طُرقت ومُرضعاً
فألهَيتَها عن ذي تمائم فَحولِ

إذا ما بكىٰ من خلفها إنصرفت له

بِشِقٍّ وتحتي شِقّها لَم يُحوَّل

وقوله :

سَمَوتُ اليها بعد ما نام أهَلها

سُمُّو حَباب الماء حالاً علىٰ حالٍ

فقالت لَحا الله إنّك فاضِحي

ألَسَت ترىٰ السُّمار والنّاس أحوالي

فقُلتُ لها تاللّه أبَرَح قاعِداً

ولو قَطَعُوا رأسي لَدَيك وأوَصالي

فلّما تنازَعنا الحَديث وأسَمَحت

هَصَرتُ بَغُصنٍ ذي شماريخ مَيّال

فصُرنا الىٰ الحُسنىٰ وَرَّق كلامُنا

ورَضُتُ فَذّلت صَعَبةً أيّ إذلالٍ

حَلَفتُ لها بالله حَلَفة فأجو

لنامُوا فما أن مِن حديث ولا صالي

فأصبحتُ معشُوقاً وأصبح بَعَلُها

عليه القِتام كاسِف الوَجه والبالِ

﴾٤٣٧﴿

□ قوله عليه السلام: الاَحُرٌّ يَدَعُ هذِهِ اللُّمَاظَةَ لأَهْلِها إِنَّهُ لَيسَ لأَنْفُسِكُم ثَمَنٌ إِلَّا الجَنَّةَ فَلاَ تَبِيعُوها إِلّا بِها...

◁ الشرح

(اللّماظة) بضم اللام بقية الطعام في الفم وهي في المقام كناية عن الدّنيا باعتبار قلّتها وحقارتها والمعنى أليس حُرٌّ يَدَع ويترك هذه الدّنيا الدّنية الحَقيرة لأهلها إنّه ليس لأنفسكم ثَمَنٌ إلّا الجنّة فلا تبيعُوا أنفُسكُم إلّا بها أي بالجنّة وفي الكلام إشارات:

الأولى: إنّه قال أليس حُرٌّ ولم يقل أليس إنسان مثلاً أو أحَدٌ أو شخص مُشعِراً بأنّ النّاس فيها على صَنفين، صِنف الأحرار وصِنف العبيد، أمّا الأحرار فقد طَلّقُوا الدّنيا ثلاثاً لا رَجعة لهم فيها ولم يَعتَنُوا بها لِعلمَهم بأنّها غدّارة ومع ذلك فانية، وأمّا العَبيد فهُم أبناء الدّنيا كما قال مولانا الحُسين عليه السلام النّاس عَبيد الدّنيا والدّين لَعقٌ على ألسِنَتهم فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الدّيانُون وإنّما قال عليه السلام النّاس باعتِبار إنّ أغلَب النّاس كذلك والحُرّ قليلٌ:

الثّانية: تَعبيره عليه السلام عن الدّنيا باللّماظة الّتي هي بقية الطّعام في الفَم إشارة الى دَناءتِها وحقارتها وإنّه لا يُعبأ بها كما إنّ بقّية الطّعام في الفَم كذلك:

الثّالثة : قوله عليه السلام إنّه ليس لأنفُسَكم ثَمَن إلّا الجنّة وفيه إشارة الى قوله تعالى حيث قال: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾(١) وقد مرّالكلام في الدّنيا:

١- التّوبة ـ ١١١

٤٣٨

▫ قوله ﷺ: **مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيا...**

◁ **الشّرح**

المَنهُوم بفتح الميم المُفرِط في الشّهوة وأصله في شهوة الطّعام والمعنىٰ صِنفان لا يشبعان لِكَونهما مُفرطين أحدهما طالب العِلم والثّاني طالب الدّنيا والأوّل ممدُوح والثّاني مذمُوم،

أمّا مَدح الأوّل: فلأنّ العِلم كمال والعَمَل به سعادة فطالبه سَعيد.

وأمّا ذمّ الثّاني: فلأنّ الدّنيا وطلبها وحُبّها أساس الشّقاوة والضّلالة ولذلك قال رسُول اللّه حُبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة ومن المعلُوم إنّ طالب الدّنيا إذا كان طلبه أيّاها لِلآخرة لا ذّم فيه وإنّماالكلام ناظر الىٰ طلبها لِنَفسها كما مَرّ الكلام فيه مفّصلاً وأمّا طلب العِلم فهو مُرغّب فيه علىٰ كلّ حالٍ قال رسول اللّه ﷺ – **إطلبُوا العِلم من المَهد الىٰ اللّحَد** فلو كان طلَبه مَذمُوماً لم يقل هذا والأحاديث كثيرة فيهما:

□ قوله ﷺ: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَىٰ الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُك وَأَنْ لا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ وأنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ...

◁ الشّرح

ذَكَر ﷺ لِلإيمان ثلاث شروط، الأوّل أن تُؤثَر الصّدق أي تَختاره حيث يضّرك علىٰ الكِذب حيث ينفَعك أي إذا فَرضنا إنّ في الصِّدق ضَرَرٌ وفي الكِذب مَنَفعة بالنّسبة الىٰ قائله فالإيمان يقتَضي تَرجيح الصِدّق علىٰ الكِذب وينبغي أن يقّيد الضّرر بما لا يكُون فاحِشاً قبل ذِهاب أصل ماله رأساً وأن لا يكُون علىٰ النّفس كما إذا كان الصِدّق مُوجباً لإتلاف النّفس المُحترمة سواء فيه نفسه ونفس غيره وحيث إنّ الموضوع له أهمّية نافِعة في الدّين والدّنيا فَلنَتكّلم فيه إجمالاً فَنَقُول الصِدّق ممَدُوحٌ عقلاً وشَرعاً والكِذب مذمُوم كذلك أمّا عقلاً فلأنّ العَقل يحكُم حُكماً قطّعياً بِحُسنه ولذلك لم تجد في العُقلاء من قال بِحُسن الكِذب وقُبح الصِدّق وهو يكفينا من حيث العَقل:

وأمّا النّقل فقد قال اللّه تعالىٰ في كِتابه: **﴿هَٰذَا يَوْمَ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾**(١)

و: **﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾**(٢)

١ - المائدة ـ ١١٩

٢- الأحزاب ـ ٢٤

و : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾ (١)

و : ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٢)

و : ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣)

و : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٤) وغيرها منها:

وقال رسول اللّه ﷺ - تقبّلوا اليّ بِسّت أتّقبل لكم بالجّنة إذا حدّث أحَدكم فلا يَكذب، وإذا وَعَد فلا يَخلف وإذا إئتَمن فلا يَخُن، وغُضّوا أبصاركُم، وكُفّوا أيديكُم واحِفِظُوا فُروجُكم انتهىٰ...

وعن الصّادقين عليهم السلام - إنّ الرّجل ليصدق حتّىٰ يكتَبُه اللّه صَديقاً انتهىٰ وعنه عليه السلام من صَدَق لِسانَه زكّىٰ عَمَله ومن حَسَنت نيّته زيد في رزقُه ومن حَسُن برّه بأهل بيته مُدّ له في عُمره انتهىٰ...

وعنه عليه السلام قال لا تنظروا الىٰ طول ركُوع الرّجل وسجُوده فإنّ ذلك شيئ إعتاده ولو ترَكَه لأستَوحش لذلك ولكن إنظروا الىٰ صدق حديثه وإداء أمانته انتهىٰ...

وعنه عليه السلام - إنّ اللّه لم يبعث نبّياً إلّا بصدق الحَديث وإداء الأمانة الىٰ البّر والفاجِر انتهىٰ...

وعنه عليه السلام قال -أربعٌ من كُنّ فيه كُمل إيمانه ولو كان ما بين قَرَنه الىٰ قَدَمه ذنُوب لم ينقصه ذلك قال - هي الصّدق وأداء الأمانة، والحَياء، وحُسن الخُلق انتهىٰ والأحاديث في الباب كثيرة جدّاً وما رويناه نقلناه عن « مفتاح السّعادة ج ٢ ص ٣٢٩»...

وحيث علمت الصّدق ومَدحه عقلاً ونقلاً فقد عَلِمت الكَذِب وذمّه أمّا عقلاً فلأنّه ضدّه وقانُون الضِدّية يقتَضي ذلك ونعني بالضِدّ في المقام الضِدّ الشامل للنّقيض أعني به الضّد بالمعنىٰ الأعّم لا الضِدّ بالمعنىٰ الأخّص الّذي

١- الأنعام ـ١١٥   ٢- البقرة ـ١٧٧
٣- العَنكبوت ـ٣   ٤- الزّمر ـ٣٣

هو من الأمُور الوجُودية مثل البياض بالنّسبة الىٰ السّواد وذلك لأنّ الكِذب ليس من الأمُور الوجُودية علىٰ التّحقيق بل هو عدم الصِدّق فهو نَقيضه نعم علىٰ قول من عدّه من الوجُوديّات فهو ضدّه وكيف كان يلزم من مدح الصِدّق ذمّ الكَذِب لإستحالة إجتماع النّقيضين وإرتِفاعهما فالكلام لا يكُون صِدقاً وكَذِباً معاً ولا يخلُو منهما معاً فلا محالة يلزم من صِدقه أن لا يكُون كَذِباً ومن كَذَبه أن لا يكُون صِدقاً ولذلك أي لأجل التّقابُل بينهما قُلنا عرفت الكَذِب وذمّه قال الشّاعر:

لا يكَذِب المَرء إلّا مِن مهانته
أو فِعله السُوء أو من قلّة الأدب
لبعضُ جيفة كلبٍ خير رائحة
من كذبة المَرء في جدٍّ وفي لَعبِ

وأمّا نقلاً: فلقوله تعالىٰ: **﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾**(١)

و: **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾**(٢)

و: **﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾**(٣)

و: **﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾**(٤)

وقال رسُول اللّه ﷺ أيّاكم والكذب فأنّ الكذب يهدي الىٰ الفجُور والفجُور يهدي الىٰ النّار انتهىٰ...

وقال ﷺ المؤمن إذا كذب من غير عُذرٍ لَعنه سبعُون ألف ملك وخرج من قلبه نتن حتّىٰ يبلغ العرش فيَلعنه حمَلة العرش وكتب اللّه عليه بتلك الكذب سَبعين زَنية أهَونها كم زَنىٰ مَع أُمّه انتهىٰ...

وسُئل ﷺ يكون المؤمن جباناً قال نعم قيل ويكون كذّاباً قال لا انتهىٰ...

وقال ﷺ الكذب ينقص الرّزق...

١- البقرة ـ ١٠
٢- غافر ـ ٢٨
٣- العنكبوت ـ ٣
٤- النحل ـ ١٠٥

وقال ﷺ ألا أُخبركم بأكبر الكبائر، الإشراك بالله، وعقُوق الوالدين، وقول الزُّور أي الكذب انتهى...

وقال أبو جعفر عليه السلام أنّ الله عزّ وجلّ جَعَل للشّر أقفالاً وجَعَل مفاتيح تلك الأقفال الشّراب والكذب شَر من الشّراب انتهى...

وقال عليه السلام الكذب هو خراب الإيمان: وقال عليه السلام أنّ أوّل من يكذّب الكذّاب الله عزّ وجلّ ثُمّ المَلكان اللّذان مَعه ثُمّ هو يَعلم أنّه كاذب...

وقال الإمام العسكري جُعلت الخَبائث كلّها في بيتٍ وجعل مفتاحها الكذب انتهى» جامع السّعادات ج ٢ ص ٣١٧»...

والأخبار كثيرة إذا عرفت مَدح الصّدق وذَمّ الكذب عقلاً ونقلاً فلنذكر لك ما يُستثنىٰ في الباب تكميلاً للبَحث فنقول قال الشّيخ رحمه الله في المكاسب في النّوع الرّابع ممّا يحرم التّكسّب به بعد عدّه الكذب من الكبائر ونقله بعض ما نقلناه من الأخبار والآيات الدّالة علىٰ أنّه من الكبائر ما هذا لفظه فاعلم أنّه يسّوغ الكذب لوجهين:

أحَدهما، الضّرورة اليه فيسّوغ معها بالأدلّة الأربعة.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ (١)

و : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (٢)

وقوله عليه السلام ما من شيٍ إلّا وقد أحلّه الله لمن إضطّر اليه، وقد إشتهر أنّ الضّرورات تُبيح المَحظورات والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصىٰ وقد إستفاضت أو تواترت بجواز الحَلف كاذباً لدفع الضّرر البّدني أو المالي من نفسه أو أخيه والإجماع أظهر من أن يدّعي أو يحكي والعقل مستّقل بوجوب إرتكاب أقلّ القَبيحين الىٰ أن قال رحمه الله ولا إشكال في ذلك كلّه إنّما الإشكال والخلاف في أنّه هل تَجب التّورية لمن يقدر عليها أم لا ظاهر المشهُور هو

١- النّحل ـ١٠٦

٢- آل عمران ـ٢٨

الأوّل كما يظهر من المقنعة والمَبسُوط والغُنية والسّرائر والقـواعـد واللّـمعة وشرحها والتّحرير وجامع المقاصد والرّياض ومحكىٰ مـجمع البـرهان فـي مسئلة جواز الحَلف لدفع الظّالم عن الوديعة قال في المقنعة من كانت عنده أمانة فطالبها ظالم فليَجحد وأن إستَخلفه ظالم علىٰ ذلك فليَحلف ويُوَري في نفسه بما يخرجه عن الكذب الىٰ أن قال فأن لم يحسن التّورية وكان نيّته حفظ الأمانة أجَزأته النيّة وكان مأجوراً انتهىٰ ما أرَدنا نقله عنه ﷺ ثُمّ عـقّب الشّـيخ كلامه هذا بمقل أقوال الفقهاء وفصّل الكلام في الباب إن شئت فراجعه ويظهر من جميع كلماتهم أنّ الضّرورة من مسّوغات الكذب ولم يخالف فيه أحَد من علماء الشّيعة إلّا أنّ الخلاف في وجوب التّوريَة مع القُدرة عليها وعَدمه وهو أمرٌ غير ما نحن بصدده قال الشّيخ ﷺ والثّـاني مـن مسّـوغات الكـذب إرادة الإصلاح وقد إستفاضت الأخبار بـجواز الكـذب عـند إرادة الإصـلاح فـفي صحيحة معاوية بن عمّار المُصلح ليس بكذّاب ونحوها روايـة مـعاوية بـن حَكم عن أبيه عن جدّه عن أبي عبد اللّه وفي رواية عيسىٰ بن حسّـان عـن الصّادق كلّ كذب مسئول عنه صاحبه يوماً إلّا في ثلاثة رجل كائد في حَربه فهو موضوع عنه ورجل أصَلَح بين إثنين يلقىٰ هذا بغير ما يلقىٰ به هذا يريد بذلك الإصلاح، ورجل وَعَد أهله وهو لا يريد أن يتّم لهم وبمضمُون هذه الرّواية في إستثناء هذه الثّلاثة روايات انتهىٰ.

أقول ثُمّ نقل الشّيخ ﷺ بعض الأخبار أعَرضنا عن نقله مُراعاةً لِـلإختصار وحَذراً عن الإطالة ومحصّل الكلام هو أنّه لا خلاف بين علماء الشّـيعة فـي جواز الكذب في هذين المَوردين أعني بهما الضّرورة، والإصلاح بين النّاس وعليه فالأخبار الدّالة علىٰ حرمة الكذب تُحمل علىٰ غير المَوردين وإن شئت قلت تَتَخَصص بهما وهكذا كلام أمير المؤمنين ﷺ فـي المـقام ولذلك قـال الشّيخ ﷺ نعم يستحب تحمّل الضّرر المالي الّذي لا يجحف وعليه يُحمل قول أمير المؤمنين في نهج البلاغة علامة الإيمان أن تؤثّر الصّدق حيث يضّرك علىٰ

الكذب حَيث ينفعك:

أي إذا كان الصّدق مُوجباً لضرر مالّي لا يُتّحمل عادةً فلا يجب الصّدق واللّه العالم بحقيقة الأمر قال النّراقي ﷺ في جامع السّعادات بعد نقله الأخبار الواردة في الباب ما هذا لَفظه:

وهذه الأخبار وأن إختُّصت بالمقاصد الثّلاثة إلّا أنّ غيرها من المقاصد الضّرورية التّي فوقها أو مثلها في المَصلحة يلحقها من باب الأَوْلوية أو إتّحاد الطّريق والأخبار التّي وَرَدت في ذَمّ هَتك السِّر وكشف العيُوب والفَواحش تفيد وجوب القول بعدم الإطّلاع وأن كان مطّلعاً مع كونه كَذباً فلا إثم علىٰ أحَدٍ بصدور الكذب عنه إذا كان وسيلة الىٰ شيٍ من المقاصد الصّحيحة الضّرورية له أو لغيره من المُسلمين فأن أخَذه ظالم وسألَه عن ماله فَلَه أن ينكر، وأن أخَذه سلطان وسأله عن فاحشة إرتكبها بينه وبين اللّه فلَه أن يَنكُر، وأن سُئل عمّا يعَلمه من عَيب أخيه أو سِّره فَلَه أن ينكره ولو وقع بين أثنين فسادٌ فَلَه أن يكذب توّسلاً الىٰ الإصلاح بينهما وساق الكلام الىٰ أن قال والحاصل أنّ الكذب لدفع ضررٍ أو شّرٍ أو فسادٍ جائزٌ بشرط صحّة القَصد انتهىٰ.

۴۴۰

▫ قوله ﷺ: يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ علىٰ التَّقْدِيرِ حتّىٰ تَكُونَ الآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ...

قال الرّضى ﷺ: وَقَد مَضىٰ هذَا الْمَعنىٰ فِيما تَقدّمَ بِرِوايَةٍ تُخالِفُ هذِهِ الأَلْفاظَ...

◁ الشّرح

قد مَرّ نظير هذا الكلام عنه ﷺ مراراً وحاصله أنّ القضاء والقَدَر يغلب علىٰ تقدير العَبد وتدبيره في الأُمور كما قيل العَبد يُدّبر واللّه يُقدّر ولا يكون إلّا ما قُدّر ومعنىٰ قوله ﷺ: **حتّىٰ تَكُونَ الآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ**، هو أنّ الإنسان لمّا كان جاهلاً بأسرار القَدَر الإلٰهي كان بناء تقديره وتدبيره لنفسه علىٰ أوهام لا ثِقة بها فحار فيما دبّره هو لنفسه وأعتقده مُسّبباً لِلمَصلحة أن يكون من أسباب مَفسدَته وهلاكه قاله المُحقّق البحراني في شرح الكلام، أقول لا يحتاج الكلام الىٰ هذه التّخريجات والحقّ فيّ شرح العبارة هو أنّ القَدَر الإلٰهي غالب علىٰ تقدير العَبد لنفسه ولَيسَت الغَلَبة من أجل أنّ اللّه أقوىٰ من العَبد فلا جَرم يُنفذ ما أراد بل الوَجه فيه أنّ المَصلَحة مع ما قَدَّره اللّه تعالىٰ والمَفسدة مع ما دَبَّره العَبد لنفسه وهو لا يعلم بها فالآفة في تدبير العَبد لا في تقدير الخالق وذلك لأنّه لو غلب تقدير العَبد وتدبيره علىٰ القَدَر الإلٰهي يلزم منه أحَد الأمرين، أمّا جهل الخالق، وأمّا ضعفه وكلاهما يُنافيان مقام الأُلوهيّة وأمّا جهل المخلوق وضعفه فهو مطابق للأصل:

﴿٤٤١﴾

▫ قوله عليه السلام: **الحِلْمُ وَالأَناةُ تَوْأَمَانِ يَنْتِجُهُما عُلُوُّ الْهِمَّةِ ...**

◁ الشَرح

قد مَرّ الكلام في الحِلم وقلنا أنّه عبارة عن طمأنينة النّفس بحيث لا يحّركها الغَضب بسهولةٍ ولا يُزعجه المَكروه بسرعةٍ، وأمّا الأناة فهُو التأنّي في الأُمور وهو المعنىٰ الرّاتب في القلب الباعث علىٰ الإحتياط في الأُمور والنّظر فيها والتّأني في إتّباعها والعَمَل بها والمراد بكونهما توأمين هو أنّهما مَولُودان في بَطنٍ واحد شبّه عليه السلام: **الحِلْمُ وَالأَناةُ** بمولُودين في بَطنٍ واحد لكون المَصَدر فيهما هو الطّمأنينة في النّفس فهما يُنشأن منها ذلك لأنّ لازم الحِلم التأنّي فهما مُتلازمان يلزم من وجود أحدهما وجود الآخر وأمّا قوله عليه السلام: **يَنْتِجُهُما عُلُوُّ الْهِمَّةِ** فالمقصود أنّهما نتيجتان لِعُلّو الهِمّة والوجه فيه واضح فأنّ الإنسان إذا كان عالي الهِمّة في مقاصده وآماله لا محيص له عن الحِلم والتّأني فَمن كان عالياً في هِمّته يحلم ويتأنىٰ لِعلمه بأنّه لا يصل الىٰ ما أراد إلّا بهما ومن لَم يكن متّصنعاً بعُلّو الهِمّة فهو يغضب ويستعجل في الأُمور.

﴿٤٤٢﴾

▫ قوله ﷺ: الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ...

◁ الشّرح

الغِيبة بكسر الغين ذكرك الآخر بما يكره وهو غائب والغِيبة سلاح العاجز ينتقم به من عَدُّوه بزَعمه وقوله ﷺ: **جُهده**، بضّم الجيم أي أنّها غاية ما يمكنه ولا يقدر علىٰ شيءٍ آخر وهو دليل علىٰ عجزه إذ أيّ أثرٍ يترّتب علىٰ الغيبة يُوجب الإنتقام منه وهي من المُحرّمات بالأدّلة الأربعة وقد نَصّ اللّه سبحانه علىٰ ذَمّها في كتابه وشبّه صاحبها بآكل لحم الميتة فقال: **﴿وَلا تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾** (١)

و: **﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾** (٢)

وقال رسُول اللّه ﷺ المُسلم علىٰ المُسلم حرامٌ دَمه وماله وعِرضه، وقال ﷺ أيّاكم والغِيبة فأنّ الغِيبة أشدّ من الزّنا فأنّ الرّجل قد يزني فيتوب اللّه عليه وأنّ صاحب الغِيبة لا يُغفر له حتّىٰ يَغفر له صاحبه، وقال ﷺ مررتُ ليلة أُسري بي علىٰ قومٍ يُخمشون وجوههم بأظافرهم فقلت ياجبرئيل من هؤلاء قال الّذين يغتابُون النّاس ويقعُون في أعراضهم، ومَرَّ ﷺ علىٰ قبرين يُعذّب صاحبهما فقال أنّهما يتّعذبان في كبيرة أمّا أحدهما فكان يغتاب

١ - الحجرات ـ ١٢

٢ - ق ـ ١٧

النّاس وأمّا الآخر فكان لا يستبرئ من بَوله الحديث، وقال ﷺ من أغتاب مسلماً لم يَقبل اللّه صلوته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلّا أن يَغفر له صاحبه...

وقال ﷺ من أغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع اللّه بينهما في الجنّة أبداً الحديث...

وقال ﷺ كذب من زَعم أنّه وُلد من الحلال وهو يأكل لحُوم النّاس بالغِيبة إجتنب الغيبة فأنّها أدام كلاب النّار« جامع السّعادات ج ٢ باب الغيبة ص ٢٩٧»...والأحاديث كثيرة جدّاً:

وأمّا الإجماع والعقل على حُرمة الغِيبة فواضح لا خفاء فيه فإنّا لم نَسمَع من أحَدٍ من المُسلمين قال بجوازها ومن أراد الإطّلاع على تفصيل الكلام فيها وما يشبهها فعليه بكُتب الأخلاق:

﴿٤٤٣﴾

▫ قوله ﷺ: رُبّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ القَوْلِ فِيهِ...

◁ الشّرح

أي ربّ إنسانٍ يكون مَفتُوناً مغروراً بسبب حُسن قول النّاس فيه فأن كان عالِماً يُقصّر في إكتساب العلم إتّكالاً علىٰ ثناء النّاس عليه وعدّهم أيّاه من العُلماء وأن كان زاهداً يقّصر في عبادته لأنّ النّاس قالوا فيه أنّه كذا وكذا والحاصل أنّ ثناء النّاس ومَدحهم إذا كان في حدّ الإفراط كما هو كذلك في الأكثر يُوجب خُروج الإنسان المَمدُوح عمّا هو عليه إلاّ أن يكون له ما يَحجزه عنه كالإيمان الكامل مثلاً ثُمّ أنّ الإنسان إذا خَرَج عن حدّ الإعتدال فقد وَقع في خطرٍ عظيم وقد ثَبت بالعلم والتّجربة أنّ ثناء النّاس إذا بَلَغ حدّ الإفراط يُوجب خُروج الإنسان عن حدّ الإعتدال ودخُوله في العُجب ومن أُعَجَب بنفسه فقد هَلَك وقد مَرّ الكلام فيه مفصّلاً إعلم أنّ الشّراح قد أتّفقُوا علىٰ أنّ الرّضي ﵀ قطع كتاب نهج البلاغة علىٰ هذا الفَصل وعليه فهذا الفَصل هو آخر نهج البلاغة قال شارح المُعتزلي بعد نقله ما نقلناه هكذا وجدتُ النُّسخة بخطّه ونَقَل عن النّسخة التّي رآها، هذا حين إنتهاء الغاية بنا الىٰ قطع المُنتزع من كلام أمير المؤمنين ﷺ حامدين لِللّه سُبحانه علىٰ ما مَنّ به من توفيقنا لِضَم ما أنتَشر من أطرافه وتَقريب ما بَعُد من أقطاره مقّررين الغرم كما شرطنا أوّلاً علىٰ تفضيل أوراقٍ من البياض في آخر كلّ باب من الأبواب لتكون لإقتناص الشّارد

واستلحاق الوارد وما عساه أن يظهر لنا بعد الغمُوض ويقع الينا بعد الشّذوذ وما توفيقنا إلّا بالله عليه توكّلنا وهو حَسبنا ونعم الوكيل نِعم المولىٰ ونعم النّصير إنتهىٰ كلام الرّضي بنقل الشّارح المُعتزلي ثُمّ قال الشّارح ما لفظه:

ثُمّ وجَدنا نُسخاً كثيرة فيها زيادات بعد هذا الكلام قيل أنّها وجُدت في نسخةٍ كُتبت في حياة الرّضي ﷺ وقُرأت عليه فأمضاها وأَذِن في إلحاقها بالكتاب ونحن نذكرها انتهىٰ.

وأنا أقول ما ذَكَره الشّارح المُعتزلي في المقام كأنّه هو الأصل في هذا المِضمار من بين الشّروح الموجودة في عَصرنا إذ لم نجد في سائر الشّروح ما قاله الشّارح بقوله (هكذا وجدتُ النُّسخة بخطّه الىٰ آخر ما نقل عنها) فأنّ النُّسخة ليست عندنا ولا عند غيرنا فيما نعلم نعم يمكن أن تكون النّسخة موجودة عند من لا نعرفه وكيف كان فنحنُ أيضاً نشرح ما شَرحوه فنقول:

٤٤٤

□ قوله عليه السلام: الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا ...

◁ الشَرح

أي أنّ الدُّنيا خُلقت لتكون سبيلاً الىٰ الآخرة ولم تُخلق الدّنيا لنفسها مع قطع النظّر عن الآخرة فوجود الدّنيا آلّيٌ لا إستقلالّي والآخرة بـالعكس وقـد تكلّمنا فيهما بما لامزيد عليه:

﴿٤٤٥﴾

▫ قوله ﷺ: أنَّ لِبَني أُمَيَّةَ مُرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِ وَلَوْقَد اخْتَلَفُوا فُيما بِيْنَهُمْ ثُمِّ كادَتْهُمْ الضِّباعُ لَغَلَبَتْهُمْ...

والمَزوِي هُنا مفعَلٌ منَ الإزوَادِ، وَهُوَ الإمهَالُ وَالإنْظَار، وَهَذا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلاَمِ وأغرَبه، فَكأَنّهُ شَبّهَ المَهَلةَ الّتي هُمْ فِيها بِالمِضمَارِ الّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إلىٰ الْغَايَةِ، فَإِذَا بَلَغُوا مِنطقَهَا انْتَقَضَ نِظامُهُمْ بَعْدَها...

◁ **الشَرح:**

أَخبَر أنّ لَبني أُميّة مِروداً إمهالاً وإنظاراً من اللّه تعالىٰ يجرُون فيه فإذا وجد الإختلاف بينهم ثمّ كادتهم الضِّبَاع لَغلَبتهم أي لَغَلبت الضّباع عليهم والضّبَاع جمع ضَبُع وهو كناية عن بني العبّاس شبّه ﷺ المُهلة الّتي هم فيها بالمضمار الّذي يَجرون فيه فإذا بَلغوا في هذا المضمار مِنطقَها وفي أكثر النّسَخ فنقطعُها، إنتقض نظامَهم أي دَولتهم وقد مرّ الكلام في كيفيّة إنتفاض نظامهم وإستئصال دَولتهم وإنتقالها الىٰ أولاد العبّاس مُفصّلاً.

٤٤٦

□ قوله عليه السلام: في مَدح الأنصار: هُمْ واللَّهِ رَبُّوا الإِسْلاَمَ كَمَا يُرَبِّي الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّباطِ وألْسِنَتِهِمُ السِّلاَطِ...

◁ الشّرح

الأنصار هم الّذين نَصرُوا النّبي صلى الله عليه وآله بعد دخُوله المَدينة كما أنّ المهاجرين من هَجَر معه صلى الله عليه وآله من مكّة الىٰ المَدينة قال اللّه تعالىٰ: **﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ﴾** (١) وقد مَدَحهم الرّسُول صلى الله عليه وآله في كثير من الأخبار والحقّ أنّهم أي الأنصار كانوا أنصاراً لدين اللّه ولذلك قال عليه السلام: **هُم واللّه رَبّوا الإسلام كما يُرّبي الفلُوّ**، والفِلّوّ بكسر الفاء وفتحها وضمّ اللاّم وتشديد الواو وقيل بضمّتين ثمّ التشّديد، المُهر إذا فطم أو بلغ السّنة، شبّه عليه السلام الأنصار في تربيتهم الإسلام بالفِلّوّ الّذي ربّاه أُمّه ثمّ يفصل عن أُمّه ثمّ قال عليه السلام: **مَعَ غَنَائِهِمُ** مع غنىٰ الأنصار وإستغنائهم عن غيرهم في دنياهم أي لم تكن نصرتهم لِلإسلام لأجل فقرهم وإستئصالهم بل كانت لِللّه تعالىٰ ولذلك قال عليه السلام: **مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّباطِ** و هي جمع سَبط يعني السّماح وقد يقال للحاذق بالطّعن أنّه لَبسط اليَدين يريد الثّقافة، ويَروي

١- التّوبة ـ ١٠٠

بأيديهم البِساط، أي الباسطة، ويُروي أيضاً السّياط بالياء وهو جمع سَوط كناية عن حمايتهم ومراعاتهم الإسلام وأمّا السّلاط جمع سَليط، الشّديد واللّسان الطّويل والمقصود أنّهم مع كونهم أغنياء بأيديهم السّباط وألسنتهم السّلاط أي نصروا الإسلام بأيديهم وألسنتهم، وأن شئت قلت بجُودهم وفصاحتهم:

﴿٤٤٧﴾

□ **قوله ﷺ: الْعَيْنُ وِكاءُ السَّهِ...**

قال الرّضي وهذه من الإستعارات العَجيبة كأنّه شبّه السّر بالوعاء والعَين بالوكاء فإذا أطلق الوِكاء لم ينضبط الوِعاء وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النّبي ﷺ وقد رواه قومٌ لأمير المؤمنين ﷺ وذكر ذلك المبّرد في كتاب المُقتَضَب في باب اللّفظ بالحروف وقد تكلّمنا على هذه الإستعارة في كتابنا الموسوم بمحاذاة الآثار النّبوية.

◁ **الشّرح**

السَّه بفتح السّين وتخفيف الهاء العجز ومؤخر الإنسان، والمراد بالعَين الباصِرة، والوِكاء بكسر الواو الوِعاء والمعنى أنّ الباصِرة وِعاء العجز قالوا في شرح الكلام أنّ الشّخص إذا حفظ من خلفه لم يصب من أمامه في الأغلب فكأنّه وعاء الحياة والسّلامة إذا حفظ حفظاً والباصِرة وِكاء ذلك الوِعاء أي رباطه لأنّها تَلحَظ ما عساه يصل اليه فَتنبّه الغريمة لدفعه والتّوقي منه فإذا أَهمَل الإنسان النظّر الى مؤخرّات أحواله إدراكه العَطب والكلام تمثيل لفائدة العين في حفظ الشّخص ممّا قد يعرض عليه من خَلفه وأنّها لا تختلف عن فائدتها في حفظه ممّا يستقبله من أمامه وإرشاد الى وجوب التّبصر في مظلمات الغفلة وهذا هو المحمَل اللائق بمقام النّبي ﷺ أو مقامه ﷺ إنتهى.

قال الرّضي ﷺ وهذه من الإستعارات العَجيبة كأنّه ﷺ شبّه السّه بالوِعاء

(حيث قال ﷺ: **العين وِكاء السَّه أي أنّ العين كالوِكاء والسَّه كالوِعاء) فإذا أطلق** الوِكاء لم ينضبط الوِعاء وذلك لأنّ إنضباط الوِعاء في تقييد الوِكاء) ثمّ قال الرّضي وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النّبي ﷺ وقد رواه قومٌ لأمير المؤمنين ﷺ الىٰ آخر كلامه ﷺ.

قال المحقّق البحراني ﷺ في شرح الكلام وأقول أنّه أستعار لفظ الوِكاء وهو رباط القِربة للعين بإعتبار حفظ الإنسان في يقظته لنفسه من أن يخرج منه ريح ونحوها كما يحفظ الوِكاء ما يُوكي به وفي ذلك ملاحظة تشبيه السَّه بالوِكاء كالقِربة ومن تمام الخبر عن رسُول اللّه ﷺ فإذا نامَت العينان إستطلق الوِكاء انتهىٰ ما ذكره:

وأنا أقول: العَين الباصِرة، والوِكاء رباط القِربة، والسَّه مؤخر الإنسان أعني به الدُبَر شبّه ﷺ السَّه أي الدُبَر الّذي يخرج منه الغائط والرّيح بالوِعاء أعني به الإناء (**الظّرف**) لكونه وِعاءً (**ظرفاً**) للغائط والرّيح وشبّه العين الباصِرة بالوِكاء وهو رباط القِربة أي ما يُشدّ به رأسها لئلا يجري الماء منها ووجه الشّبه إمّا في الأوّل أعني تشبيه السَّه بالوِعاء معلوم لا خفاء فيه لأنّ المَقعد كالظّرف (الوِعاء) لِما فيه وأمّا في الثّاني أعني به تشبيه العين بالوِكاء فلأنّه كما أنّ الرّباط يمنع من خروج الماء من القِربة كذلك العين الباصِرة تمنع عن خروج الرّيح من الدُبَر فكأنّ العين الباصِرة رباط له ولذلك قال ﷺ في آخر الحديث فإذا نامت العينان إستطلق الوِكاء أي أنّ الإنسان إذا نام فقد أطلَق وكائه لخروج الرّيح ولعلّه لذلك كُره النّوم في المسجِد:

﴿٤٤٨﴾

□ **قوله ﷺ: فـي كـلاَمَ لَـهُ: وَوَلِيَهُمْ والٍ فأَقامَ واسْتَقَامَ حتّىٰ ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ...**

◁ الشّرح

قال الشّارح المعتزلي الجِران مقدّم العُنُق وهذا الوالي هو عُمر بن الخطاب وَتَبعه البحراني عليه وقال بعض آخر المراد به النّبي ﷺ وَوَليهم أي تـوّلىٰ أُمورهم وسياسته الشّريعة فيهم والمعنىٰ واضح وفي قـوله ﷺ: **حتّىٰ ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ** إستعارة وذلك لأنّ الجِران بكسر الجيم مقدّم عُنق البعير يُضرب علىٰ الأرض عند الإستراحة والمقصود أنّ الوالي أقام الـدين فـيهم وأستقام حتّىٰ ضرب الدّين بِجرانِهِ وهو كـناية عـن بَسـطه وثـباته عـلىٰ رغـم أُنـوف المخالفين وأنت تعلم أنّ هذا الوَصف للدّين قد حَصَل في حياة النّبي وأمّا بعده فلا نعم لو قال ﷺ حتّىٰ ضَرب البِدَع بِجرانـه كـان الحقّ مَـع الشّارح المعتزلي.

﴿٤٤٩﴾

▫ قوله عليه السلام: يأتِي علىٰ النَّاسِ زَمانٌ عَضُوضٌ يَعَضُّ المُوسِرُ فِيهِ علىٰ ما فِي يَدَيْهِ ولمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ سُبْحانَهُ (وَلا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ) تَنْهَدُ فِيهِ الأَشْرَارُ وَتُستَذَلُّ الأَخْيَارُ وَيُبايَعَ المُضْطَرُّونَ وقَدْ نَهىٰ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ بَيْعِ المُضْطَرِّينَ...

◁ الشرح

العَضوض بفتح العين الشّديد، والمُوسر بضمّ الميم الغني،وقوله تَنْهد أي تَرتَفع والمعنىٰ يأتي على النّاس زمان شديد ثمّ بيّن عليه السلام وجه الشِّدة فيه فقال يَعضّ المُوسر أي يبخل الغَنّي فيُمسكه علىٰ ما في يده ولا يُنفقه في مورده والحال أنّه لم يؤمر به أي بالإمساك والبُخل قال اللّه سبحانه:(**ولا تنسُوا الفضل بينكم**) أي بالبُخل والإمساك، وتَنهَد أي ترتفع فيه أي في ذلك الزّمان الأشرار والمقصود من إرتفاعهم أنّهم يُدبّرون الأمور في النّاس ويحكمون عليهم بما يُريدون ولازم ذلك سقوط الأخيار عن مقامهم كما قال عليه السلام وتستذّل الأخيار والصلحاء أي يستذّلونهم الأشرار، ويُبايع المُضطّرون وقد نهىٰ رسول اللّه صلى الله عليه وآله عن بيع المضطّرين فقال رُفع عن أُمّتي تِسعة، وعدّ منها ما أضطّروا اليه وهو يشمل البيع أيضاً هذا مضافاً الىٰ أنّ الإختيار شرط في صحّة البَيع ومنهم من قرأ البيع بكسر الباء وفتح الياء وعليه فهو جمع بيعة بكسر الباء هَيئة البَيع لهيئة الجُلوس: وأنا أقول هذا الّذي ذكره وأخبر به قَد وَقَع في زماننا هذا طابِق النّعل بالنّعل:

٤٥٠

▫ قوله عليه السلام: يَهْلِكُ فِي رَجُلاَنِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَباهِتٍ مُفْتَرٍ...
وهذا مثلُ قوله عليه السلام: هَلَكَ فيَ رَجُلاَنِ مُحِبٌ عالٍ وَمُبْغِضٌ قالٍ..

◁ الشّرح

أفاد عليه السلام أنّ الحُبّ كغيره من الأُمور ينبغي أن يكون خالياً عن الإفراط لأنّ الحُبّ المُفرِط يُخرج الإنسان المحبُوب عن مقامه ويضَعه فوق ما هو لائق به كما أنّ التّفريط يوجب تَنزّله عمّا هو فيه وهو في الحقيقة تضييع لِحقّه ولذلك قال عليه السلام يَهلك فيَ رجلان مُحبٌّ لي مُفرِط في حُبّه كالغُلاة، وباهت مُفتِر أيِ من قال فيَ ما لم أَفعَل فأنّه فيه قد إفترىٰ عَلّيَ والحاصل من نَسَب إلَيَ خِلاف الحقّ فقد أفتَرىٰ علّيَ وقد مرّ الكلام في الباب عند قـوله عليه السلام: **مُحبٌّ غالٍ ومُبغِضٌ قالٍ.**

﴿٤٥١﴾

◻ قوله ﷺ: أَلتَّوحِيدُ أَنْ لا تَتَوَهَّمَهُ وَالعَدْلُ أَنْ لا تَتَّهِمَهُ...

◁ الشّرح

سُئل عن التَّوحِيدِ وَالْعَدْلِ اللّذين هما أَصلان من الأُصول فالتَّوحيد من أُصول الدّين والعَدل من أصول المَذهَب علىٰ المشهُور وقد مَرّ الكلام في التَّوحيد والعَدل والقُدرة والإرادة وغيرهما من الصِّفات في المُجلد الأوّل من هذا الكتاب عند شرحنا لقوله ﷺ أوّل الدّين معرفته وكمال معرفته التّصديق به وكمال التّصديق به توحيده الىٰ آخر الخُطبة فراجعه أن شئت وأمّا الّذي ذَكَره ﷺ في المقام فحاصله أنّ التّوحيد الواقعي المنطبق علىٰ أقسامه الثّلاثة أعني لا شريك له في وجوبه الذّاتي، ولا شَريك له في خالّقيته، ولا شَريك له في وجوده الحقيقي المختّص له علىٰ ما فصّلناه سابقاً، هو أن لاتتَّوَهمه أي لا تتَّوهم اللّه تعالىٰ وتَوضيحه بحسب الأعمال أنّه قد ثبت في العلوم العقلية أنّ الوَهم يُدرك المعاني الجّزئية المتّعلقة بالمَحسُوس ولابدّ له أن يستعين في إدراكه وضبطه بالقوّة المتّخيلة حتّىٰ تصّوره ويلحقه بالأُمور المَحسُوسة ولما كان الباريَ تعالىٰ منّزهاً بمقتضىٰ العقل الصّرف عن المَحسُوسات وما يتّعلق بها لا جَرم توّجه الوَهم اليه فلا يجري فيه تعالىٰ أحكام الوَهم إذ لا يكون في حقّه إلّا كذباً لاقتضائها كونه تعالىٰ مَحسُوساً أو متّعلقاً بالمَحسُوس الّذي في شأنه الكثرة والتّركيب المُنافيان لِلوَحدة المُطلقة فيكون قد عرف التّوحيد

بخاصّةٍ من خواصّه وهي لازم سلّبي، وأمّا العَدل فالمراد بـه إعـتقاد جـريان العَدل في جميع أفعاله تعالىٰ وأقواله ومن لوازم ذلك الخاصّة به أن لا يتّهمه العَبد أنّه يُجبر علىٰ القَبيح ثمّ يُعاقبه عليه وأنّه يكلّفه ما لا يطيقه ونحو ذلك من مسائل أُصول الدّين التّي أعتَمد عليها المُعتزلة علىٰ ظواهر كلامه ﷺ هكـذا قيل:

والّذي حَصَل لنا في المقام مُضافاً الىٰ ما نقلناه عن بعض المُحقّقين مـن الشّراح هو شئ آخر أمّا في التّوحيد فنقول لو كان الواجب تعالىٰ بذاته مُتعلقاً للوَهم فلا محالة يدخل فيه وكلّ داخلٍ في الوَهم أو في أيّة قوةٍ مـن القُـوىٰ النّفسانية فهو مُحاط للقُوة وهي مُحيطة به وكلّ مُحاطٍ مُتناه وقد فَرضناه غير متناه وهذا خلف:

وأيضاً قد ثبت أنّ القوىٰ الجسّمانية مُتناهية التّأثير والتّأثر فـإذا فَـرضنا أنّ الواهمة أحاطت بذات الواجب وهو غير متناه يلزم أن تكون القُوة أيضاً غير مُتناهية لإستحالة إحاطة المُتناهي بما هو هو بغير المُتناهي كذلك وهو أيضاً محال لأنّ القُوة المُتناهية علىٰ الفَرض لو صارت غير مُتناهية مع حفظ تناهيها يلزم إجتماع النّقيضين أعني بهما التّناهي وعَدمه وأن كانت مَع عـدم حـفظ التّناهي يلزم الإنقلاب في الماهيّة وهو محال هذا **أولاً**:

وثانياً: أنّ مُتعلق الوَهم لا يكون إلّا موجوداً لأنّه لا يتّعلق بالمَعدوم بما هو معدوم فإذا كان موجوداً فلا يخلو حال الوجود فيه من قسمين أمّا أن يكون موجوداً في الخارج، وأمّا أنْ يكون موجوداً في الذِهن ولا ثالث لهما:

لا سبيل الىٰ الثّاني للزومه أن يكون الواجب من المَوجودات الذِهنية دون الخارّجية وبعبارةٍ أُخرىٰ يلزم أن يكون من المَوهُومات التّي لا واقع لها مثل أكثر المَوهُومات التّي لا وجود لها إلّا في وعاء الذِهن بمعنىٰ أنّها من مُنشأته ومن المعلوم أنّ هذا الوجُود مخلُوق لِلنّفس فيلزم أن يكون خـالق النّـفس مخلُوقاً لها وهو كما ترىٰ، وأمّا الوَجه الأوّل وهو أن يكون من المَـوجُودات

الخارجية فهو أيضاً يتصور على قسمين، أحدهما أن يكون الموجود في الخارج له وضعٌ وجهةٌ وأينٌ وأمثال ذلك كما في الأجسام، وثانيهما أن لا يكون كذلك كما في المجردات لا سبيل الى الأوّل للزومه أن يكون الواجب جسماً أو جسمانياً وقد ثبت خلافه، وأمّا الثّاني وهو أن يكون مجرداً منسلخاً عن المادّة ولواحقها فهو حقّ إلّا أنّ تعلّق الوهم به محال لأنّ الوهم لا يتّعلق بما ليس في جهةٍ ووضعٍ والمجرد مجرد عنهما هذا في التّوحيد:

وأمّا في العَدل، فنقول قد عرفت أنّ العَدل هو وضع الشّئ في محلّه فالعادل الحقيقي من وَضع الأشياء في محالّها وهو لا يكون إلّا اللّه تعالى فمن زَعَم أنّه تعالى وَضَع شيئاً في غير محلّه أي شئ كان فقد أتّهمه بالظّلم عبارة عن وضع الشّئ في غير محلّه فَمن زَعَم أنّ اللّه عادل ومَع ذلك كلّف الإنسان بما لا يطاق، أو أجبَره على فعلٍ ثُمّ عاقبه عليه وهكذا فقد أساء الظّن به قال الشّارح المعتزلي في شرح هذا الكلام هذان الرّكنان هما ركنا علم الكلام وهما شعار أصحابنا المعتزلة وقال في آخر كلامه وجملة الأمر أنّ مذهب أصحابنا في العَدل والتّوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين وهذا من المَواضع الّتي قد صرّح فيها بمذهب أصحابنا بعينه وفي كلامه من هذا النّمط ما لا يُحصى إنتهى كلامه وأنا أقول في جوابه:

وكلٌّ يَدّعي وصَلاً بليلى | وليلى لا تَقِرّ لهم بذاكا

ثُمّ أقول، قد ثبت في العقّليات أنّ الكلّي يُوجَد بوجود الفَرد منه ويُعدم بعَدَم جميع الأفراد فإذا قلنا الإنسان موجود يكفي في صدق القَضية وجود فردٍ من أفراده وإذا قلنا أنّه مَعدُوم لا يكفي في صدقها بعض الأفراد بل يلزم عَدم جميعها إذا عرفت هذا فقوله عليه السلام والعَدل أن لا تَتّهمه حكم كلّي أي لا تَتّهمه أصلاً في موردٍ من المَوارد فإذا أتّهمته في موردٍ واحدٍ يصدق عليك الإتّهام في عدله وهو يكفي في سلب العَدالة عنه فأنّ حُكم الأمثال واحدٍ وبعبارةٍ أخرى الحُكم بكونه عادلاً ليس معناه أنّه عادل في بعض المَوارد أو في أكثَرها ولا

يضّره الظّلم في موردٍ واحدٍ بل معناه أنّه عادل في الجميع فالإتّهام في عَدله ولو في موردٍ واحدٍ يُخرجه عن العَدل الكّلي الّذي ثبت في حقّه تعالىٰ عقلاً ونقلاً:

فنقول للمُعتزلي أن كان الأمر علىٰ هذا المِنوال وأنتم علىٰ ما تَدّعُون من العَدّلية وأخَذتم العَدل والتّوحيد من كلامه ﷺ فَمن الّذي قال في خُطبة الكتاب وقَدّم المَفضُول علىٰ الأفضل لمصلحة إقتضاها التّكليف، ألَيس هذا مُخالفاً لِلعَدل اللّهم إلّا أن يكون العَدل الّذي أخذتُم به غير العَدل المَبحُوث عنه في الإسلام، ألَيس العَدل وضع الشّئ في محلّه والظّلم وضَعُه في غير محلّه، وعَلَيه ألَيس تقديم المَفضُول علىٰ الأفضل قبيحاً، وكلّ قَبيح ظلمٌ، فلو كان اللّه تعالىٰ هو الواضع لما جرىٰ بعد النّبي ﷺ من إيجاد السّقيفةً وما خَرج منها بمقتضىٰ عدله فَلِم تقول قدّم المفضُول علىٰ الأفَضل ألا تعلم أنّه يُنافي عَدلهُ وأن كان الواضع هو النّاس لأنّهم بايعوا أبا بكر ثُمّ عُمر ثُمّ عُثمان ثُمّ علّي فما ذنب اللّه حتّىٰ يقال أنّه قَدّم المَفضُول بل الحقّ أن يقال أنّ النّاس قدّمُوا المَفضُول علىٰ الأفَضل وعلىٰ فَرض صحّة قولك من أنّ اللّه قَدّم المَفضُول علىٰ الفاضل فيكف تحكم بأنّه عادل وكيف تقول في أوّل الخطبة الحَمد لِلّه الواحد العَدل، وأيّ ظلمٍ أقَبحَ وأفَحَش من هذا الظّلم الّذي مَلأ أقطار الأرضين ولنعم ما قيل أنّ الحَياء من الإيمان:

﴿٤٥٢﴾

◻ قوله ﷺ: لا خيرَ في الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ كما أَنَّهُ لا خيرَ فِي القَوْلِ بِالجَهْل...

◁ الشَرح

أي أنّ السّكوت عن الحكم فيما ينبغي التّكلم به لا خير فِيه كَما أَنَّهُ لا خيرَ فِي القَوْلِ بالجَهْل أي التّكلم بما لا ينبغي وفيما لا ينبغي والوَجه في ذَمّها أنّ الأوّل من التّفريط والثّاني من الإفراط وكلاهما مذمُومان فَمن سَكَت عن الحُكم فرّط فيه وضَيّع حقّ غيره ومن قال بالجَهل أفَرَط فيه:

والظّاهر أنّ المراد بالحُكم هو الحِكمة أو كلّ كلام فيه خير للمُخاطب كالمَواعظ والنّصائح والأخلاق وغيرها وليس المراد به الحُكم الشّرعي الّذي يجب علىٰ الإنسان بيانه ويحرم كتمانه قال اللّه تعالىٰ في كتابه: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾**(١)

كما أنّ المراد بالقول جهلاً ليس القول في الأحكام الشّرعية عن جهلٍ فأنّه أيضاً حرام، لقوله تعالىٰ: **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾**(٢)

وأنّما حَمَلنا كلامه ﷺ علىٰ ما حَملناه لأنّ قوله ﷺ: **لا خير**، ظاهر في أنّ

١- البقرة ـ ١٥٩

٢- النّحل ـ ١١٦

تَركه أولىٰ من فعله ولا يُستفاد منه الحُرمة وأمّا اذا قلنا بأنّ عدم الخَير أعمّ من الحُرمة والنّدب فالكلام يشمل ما ذكرناه بإطلاقه فأنّ نفي الخَير يُوجب وجود الشّر وهو يطلق علىٰ الحُرمة والنَّدب لأنّه مَقولٌ بالتّشكيك علىٰ مصاديقه.

قال رسُول اللّه ﷺ لا خير في علمٍ إلّا لمُستمعٍ واعٍ أو عالمٍ ناطقٍ.

وقال ﷺ أيّما رجل أتاه علماً فكَتَمه وهو يَعلمه لقىٰ اللّه عزّ وجلّ يوم القيامة ملجماً بلجامٍ من نار انتهىٰ« بحار الأنوار ج ١ ص ٨٨»...

وقد مَرّ الكلام في الباب سابقاً.

﴿٤٥٣﴾

▫ **قوله ﷺ: في دُعاءٍ استَسْقىٰ بِهِ:**

اللَّهُمَّ اسقِنَا ذُلُلَ السَّحَابِ دُونَ صِعابِها...

قال الرّضي ﷺ: في شرح الكلام وهذا من الكلام العَجيب الفَصاحَة، وذلك إنّه ﷺ شبّه السّحاب ذوات الرّعُود والبوارق والرّياح والصّواعِق بالإبل الصَّعاب الّتي تقمص بِرَحالِها وتتوقص بِرُكبانها، و شبّه السّحاب خالية من تلك الرّوائع بالإبل الذّلل الّتي تحتلبُ طيعَة وتقتعد مُسمحةً..

▷ **الشّرح**

قد كَفانا السّيد ﷺ في شرحه لِكلامه ولكنّا نُوضح ما قاله السّيد، يقول إنّ هذا من الكلام العَجيب الفصاحة لإنّه ﷺ قد شبّه السّحاب الّتي لها رَعدٌ وبَرقٌ ورياح وصاعِقة بالإبل الصَّعاب وهي الّتي يَصعب علىٰ الرّاكِب ركُوبها وتقمص برحالها أي تمتنع حتّىٰ علىٰ رِحالِها، وقوله وتتوقّص برُكبانها معناه تقحّمت به فَكَسرت عُنقه، ثمّ شبّه ﷺ السّحاب خالية من تلك الرّوائع المُفزعة من الرّعد والبَرق والرّياح والصّاعِقة بالإبل الذُلُل الّتي تُحتَلب طيّعةً بتشديد الياء أي شديدة الطّاعة أي إنّها تُحتلب لَبَنها وهي مُطيعة، وتقتعِد، مَبنّي لِلمَجهُول من إقتَعَد يقتَعد يُقال إقتعده أي إتخّذه قُعدة بضّم الكاف أي يَركبه في جميع حاجاته وقوله مُسمحة إسم الفاعِل من أسَمَح أى جادَ وسماحها مجاز من إتيان مايريده الرّاكب من حُسن السّير والمعنىٰ واضح بعد شرح اللّغات:

﴿٤٥٤﴾

□ قوله ﷺ: الخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ! يُرِيدُ وَفاةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ...

◁ الشّرح

قال قايل له ﷺ لو غيّرت شيبك يا أمير المؤمنين فقال ﷺ في الجواب الخِضاب زينة ونحن قوم في مُصيبة أي في مُصيبة رسول اللّه ﷺ فإنّها من أعظم المَصائب الواردة علىٰ أهل الإسلام ثمّ إنّ الخِضاب بكسر الخاء لما يُخضب به من أيّ لونٍ فإنّ الخَضب في اللّغة اللّون يقال خَضب الشئ أي لَونّه وأمّا قوله ﷺ إنّه زينة أراد بها زينة الظّاهر لا زينّ الباطِن فإنّ زينة الباطن بخضاب غير خِضاب الدّنيا وقد روي من طريق المُخالفين إنّ رسول اللّه ﷺ قال عليكم بالخِضاب فإنّه أهَيب لعّد.كم وأعَجَب لِنِسائكم، وقيل إنّ الخِضاب بالحَناء يصفي البَصر ويذهب بالصّداع ويزيد في الباء والكلّ لا مأخَذَ له والحقّ ما قاله ﷺ من إنّه زينة وقيل وفد عبد المطلب علىٰ سفير بن ذي يَزَن فقال له لو خَضَبت شعرك فلمّا رجَع الىٰ مكّة إختَضب فقالت إمرأنه نبيلة ما أحَسَن هذا لو دام فقال:

ولو دام لي هذا الخِضاب حَمِدته — وكان بَديلاً من خليل قد إنصَرم
تـمتّعت مـنه والحياة قصيرة — ولابّد مـن مَوت نـبيلة أو هَـرم

وقال الآخر:

يـــــا خـــــاطب الشّـــيب الّـــذي

فـــي كـــــلّ ثـــــالثة يـــعُود

إنّ الخِــــضاب إذا نَــــضا

فكــــأنّه شـــــيبٌ جَــــديد

فَـــــدعِ المُشـــــيب ومـــا يـــريد

فـــلَن يـــعُود كــــما تُـــريد

وقال الآخر:

فما منك الشّباب ولَست منه إذا ساقك لحيتك الخَضابا

٤٥٥

▫ قوله عليه السلام: لزياد بن أبيه ـ وقد استخلفهُ لعبدِ اللّهِ بنِ العَباسِ علىٰ فارسَ وأعمالِها في كلامٍ طويلٍ كان بينهما نهاهُ فيهِ عِنْ تَقَدُّمِ الخَراجِ ـ إِسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ واحْذَرِ الْعَسْفَ والحَيْفَ فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بالجَلاَءِ والْحَيفَ يَدْعُو إلىٰ السَّيْفِ...

◁ الشرح

قد مرّ نَسَب زياد بن أبيه وسيرته فيما مضىٰ وقلنا هناك إنّه كان قبل إستلحاق معاوية إيّاه بأبي سُفيان علىٰ خلاف سنّة الرّسول حيث قال صلى الله عليه وآله الوَلد للفراش وللعاهر الحَجَر، كان من أصحاب أمير المؤمنين ثمّ لَحَقته الشّقاوة فصار من أصحاب معاوية وأنصاره وفَعل بأمره ما فَعَل علىٰ ما مرّ تفصيله ولنرجع الىٰ شرح كلامه عليه السلام: **قال إِسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وإِحْذَرِ الْعَسْفَ** أي وإحذر الشّدة في غير حقّ، والحَيف، بفتح الحاء أي لا تمشي في حكومتك علىٰ غير حقٍّ ولا تظلم أحداً ثمّ عَلّل عليه السلام ما ذكره بقوله فإنّ العَسَف يَعُودُ بالجَلاَءِ أي إنّه يُوجب تفرّق الرّعية وتشتّتهم وبالنتيجة جلائهم عن أوطانهم، والحَيف والظّلم يَدْعُو إلىٰ السّيْفِ أي إنّه يَدعُو المظلومين الىٰ القتال والخرُوج عن طاعتك، أقول ما ذكره عليه السلام حقّ لا مرية فيه فإنّا نرىٰ في زماننا هذا جلاء النّاس عن أوطانهم وخروجهم علىٰ حكّامهم وليس هذا إلّا من أجل ظلم الحكّام وشدّتهم علىٰ الرّعية وأظّن بل أقطع قطعاً لاشّك فيه إنّ الحكّام والأمراء في كلّ عهدٍ وزمان لو راعُوا هذين الأصليين كان خيراً له ولرعاياهم في الدّنيا والآخرة وإنّىٰ لهم والعَمَل بهذا الكلام وأمثاله:

﴿٤٥٦﴾

▫ قوله ﷺ: أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ...

◁ الشّرح

قد مرّ البحث فيه عند قوله ﷺ أشّد الذّنوب ما إستهان بـه صاحبه كـلام (٣٤٢) والكـلام الكـلام لإنّ الإستهانة الإستخفاف ولعّل الوجـه فـيه إنّ الإستخفاف بالذّنب يوجب عدم الإعتناء بـه ويلزم مـنه الإعتياد بـالذّنب والإعتياد يرفع قبح الذّنب عنه في نظر صاحبه ولذلك قال ﷺ هو أشّد الذّنوب كما مرّ بيانه:

۴۵۷

□ قوله ﷺ: مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَىٰ أهْلِ الْجَهْلِ أنْ يَتَعَلَّمُوا حتّىٰ أخَذَ عَلىٰ أهْل الْعِلْمِ أنْ يُعلِّمُوا...

◁ الشّرح

أي إنّ اللّه تبارك وتعالىٰ أوَجب علىٰ العُلماء أن يعلّموا الجهال قبل أن أوَجب علىٰ الجّهال أن يَتَعَلَّمُوا منهم وعليه فليس التعّلم من الجهّال أوجَب من التّعليم لِلعلماء بل الأمر بالعكس:

عن أبي جعفر ﷺ قال رسول اللّه ﷺ -إنّ مُعّلم الخير يستغفر له دوّاب الأرض وحيتان البَحر وكلّ ذي روح في الهواء وجميع أهل السّماء والأرض وإنّ العالم والمُتعّلم في الأجر سواء يأتيان يوم القيٰمة كَفَرسي رِهان يزدحمان انتهىٰ...

وعن أبي عبد اللّه ﷺ قال معلّم الخير تستغفر له دَواّب الأرض وحيتان البحر وكلّ صغيرة وكبيرة في أرض اللّه وسمائه انتهىٰ...

وعن أبي بصير قال سمعتُ أبا عبد اللّه ﷺ يقول من علّم خيراً فَله بمثل أجر من عَمل به قلت فأن علمه غيره يجري ذلك له قال إن عَلمه النّاس كلّهم جرىٰ له قلت فأن مات قال وإن مات انتهىٰ...

وعنه ﷺ قال قال رسُول اللّه ﷺ يُجيِّ الرّجل يوم القيامة ولَه من الحَسنات كالسّحاب الرّكام أو كالجبال الرّواسي فيقول يارب أنّىٰ لي هذا

ولم أعملها فيقول هذا علمك الّذي عَلمتّه النّاس يُعمل به من بعدك انتهىٰ...

وعن أبي جعفر عليه السلام قال عالمٌ يُنتفع بعلمه أفضل من عبادة سبعين ألف عابد انتهىٰ والأحاديث كثيرة من أن تُحصىٰ «بحار الأنوار ج ١ ص ٧٥ ط كُمپاني»...

وعن إبن بناتة قال قال أمير المؤمنين علّي بن أبي طالب عليه السلام تَعلّمُوا العِلم فأنّ حَسَنته ومدارسَته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صَدقة وهو عند اللّه لأهلّه قربة لأنّه معالم الحلال والحرام وسالك طالبه سبيل الجنّة وهو أنيسٌ في الوَحشة وصاحبٌ في الوَحدة وسلاحٌ علىٰ الأعداء وزين الأخلاّء يرفع اللّه به أقواماً يجعلهم في الخير أئمّة يُقتدىٰ بهم ترمق أعمالهم وتُقتبس آثارهم وترغب الملائكة في خلتّهم يُمسحونهم بأجنحتهم في صلوٰتهم لأنّ العلم حياة القلوب ونور الأبصار من العمي وقوّة الأبدان من الضّعف وينزل اللّه حامله منازل الأبرار ويمنحه مجالسة الأخيار في الدّنيا والآخرة بالعلم يُطاع اللّه ويُعبد ويُوّحد وبالعلم يُعرف الحلال والحرام والعلم إمام العقل والعقل تابعه يُلهمه اللّه السّعداء ويُحرمه الأشقياء انتهىٰ.« بحار الأنوار ج ١ ص ٥۴» ولنعم ما قيل:

تعلّم فَليسَ المَرء يُولد عالماً ... وليس أخو علمٍ كَمن هو جاهلُ

وقال الآخر:

تَعلّم فليس المَرء يُخلق عالماً ... وما عالمٌ أمرأً كَمن هو جاهل

وقال الآخر:

ولَم أرَ فرعاً طال إلاّ بأصله ... ولَم أرَ بَدء العلم إلّا تَعَلّماً

وأيضاً:

العِلم يُحيي قلوب الميتين كما ... يُحيّا البلاد إذا ما مَسّها المَطَر

والعِلم يجلو الغنىٰ عن قلب صاحبه ... كما يُجلّي سواد الظّلمة القَمَر

۴۵۸

▫ قوله عليه السلام: شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ...

قال السيد رحمه الله: لأَنَّ التَّكْلِيفَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْمَشَقَّةِ وَهُوَ شَرٌّ لازِمٌ عَنِ الأَخِ المُتَكَلَّفِ لهُ فَهوَ شَرُّ الإِخْوَانِ...

◁ الشّرح

وذلك لأنّ الأخوّة الصّادقة يوجب الإنبساط بين الإِخوَانِ وترك التكلّف من بعضهم لبعضٍ فإذا إحتيجَ الىٰ التكلّف له فقد دلّ ذلك علىٰ أن ليس هناك أخٌ صادق ومن ليس بأخٍ صادقٌ فهو من شّر الأخوان ونبّه عليه السلام بكلامه هذا علىٰ إجتنابه إذا كان كذلك:

قال بعض الحُكماء إخوان الصّفا خير مكاسب الدّنيا هُم زينة في الرّخاء وعُدّة في البلاء، ومعونةٌ علىٰ الأعداء كما قيل:

لَعمرك ما مال الفتىٰ بذخيرةٍ ولكنّ إخوان الصّفاء الذّخائر

وقال بعض آخر: خير الأخوان أن إستغنيت عنه لَم يَزدك في المَوَدّة، وأن إحتجتَ اليه لَم ينقُصك منها وأن كوثرت عَضدك وأن إستَرفَدت وَفدك وأنشَد:

أخوك الّذي أن تَدُعه لِمُلّمةٍ
يُجبك و أن تغضب الىٰ السّيف يُغضب

ولآخر:

أخاك أخاك أنّ من لا أخاً له كساعٍ الىٰ الهَيجاء بغير سلاحٍ

وأنّ إبن عمّ المَرء فإعلم جَناحه وهَل يَنهَض البازي بغير جَناحِ

قالوا خير الأخوان من أقبَل عليك إذا أدبَر الزّمان عنك قال الشّاعر:

فأنّ أولىٰ التّـوالي أن تُـواليـه
عـند الشّـرور لمَن واسـاك في الحَزن
أنّ الكـريم إذا مـا أسـهَلوا ذكَـروا
مـن كـان يألفـهم فـي المَنزِل الخَشِن

قيل لبعض الولاة كم صديقاً لك قال لا أدري الدّنيا مقبلة عَلّي والنّاس كلّهم أصدقائي وأنّما أعرف ذلك إذا أدبَرت عنّي: وأمّا أصناف الأخوان:

فقال بعض الحُكماء الأخوان ثلاثة أصناف، فرعٌ بائنٌ من أصله، وأصلٌ متّصل بفَرعه وفرعٌ ليس له أصل، فأمّا الفَرع البائن من أصله فأخاء بُنيَ علىٰ مَوَّدةٍ ثُمّ إنقَطعت فحُفظ علىٰ ذمام الصُّحبة وأمّا الأصل المُتّصل بفَرعه فأخاءٌ أصَله الكَرم وأغصانه التّقوىٰ وأمّا الفَرع الّذي لا أصل له فالمُمَوه الظّاهر الّذي ليس له باطن:

وقال النّبي ﷺ الصّاحب رقعة في قَميصك فأُنظر بِمَ تُرّقعه، ولنـعم مـا قيل:

ليس الصّـديق الّـذي أن زَلّ صـاحبه
يـوماً رأىٰ الذّنب مـنه غـير مَـغفُورِ
وأن أضـاع له حـقّاً فـعاتَبه
فـيه أتـاه بـتَزويق المـعاذير
أنّ الصّـديق الّـذي ألقـاه يَـعذر لي
مـا ليس صـاحبه فـيه بـمَعذُورِ

﴿٤٥٩﴾

▫ قوله ﷺ: إذَا احْتَشَم الْمُؤمِنُ أَخاهُ فَقَدْ فارَقَهُ...

قال السيد ﷺ :يُقالُ: حَشَمَهُ وَأحْشَمَهُ إذَا أغْضَبهُ، وَقِيلَ: أخْجَلَهُ، «او احْتَشَمَهُ» طَلَبَ ذَلِكَ لهُ وَهُوَ مَظِنَّةُ مُفارَقتِهِ...

◁ الشرح

الإحتشام الإستحياء كما وَرَد في حديث علّيٍ ﷺ مَعَ السّارق، أنّي لأحتشم أنّي لا أدَع له يَداً.

أي أنّي أسَتحي منه، قال أرباب اللّغة الإحتشام الإفتِعال من الحِشمة بالكسر بمعنىٰ الإنقباض والإستحياء ويَحتشمها ويَحتشمُونه جاء في الحديث وهو بهذا المعنىٰ وكيف كان فالكلام يدّل علىٰ أنّ المؤمن ينبغي أن يكون مُراعياً لأخيه فلا يصدر منه ما يُوجب الإنقباض فأنّه إمارة المُباينه والمُفارقة قال الرّضي ﷺ وهذا حين إنتهاء الغاية بنا الىٰ قطع المُختار من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام حامدين لِلّه سُبحانه علىٰ ما مَنَّ به من توفيقنا لِضّم ما إنتشر من أطرافه وتَقريب ما بَعُد من أقطاره وتَقُّرر الغرم كما شرطنا أوّلاً علىٰ تفضيل أوراقٍ من البياض في آخر كلّ بابٍ من الأبواب ليكون لإقتناص الشّارد وإستلحاق الوارد وما عسىٰ أن يظهر لنا بعد الغمُوض ويقع الينا بعد الشّذوذ وما توفيقنا إلّا باللّه عليه توكّلنا وهو حَسبنا ونعم الوَكيل وذلك في رجب سنة أربع مائة من الهجرة وصلّىٰ اللّه علىٰ سيّدنا مُحمّدٍ خاتم الرّسُل والهادي الىٰ

خير السّبُل وآله الطّاهرين وأصحابه نجُوم اليَقين انتهىٰ.

ونحن أيضاً نقول هذا آخر ما أرَدنا جَمعه من الفوائد ونَظمه من الفَرائد وإذ وفقّني اللّه تعالىٰ لإتمام هذا الشّرح المُنيف والسّفر الجَليل مَع تلاطم أمواج الهمُوم وتَراكم أفواج الغمُوم وخلُو الدّيار عَمّن يَعرف قَدر غوامض الأسرار وعلُوم الأبرار من أهل بَيت المُصطفين الأخيار وسيّما في هذا الزّمان الّذي إنطَفت فيه أنوار الحكمة وإنطَمَست فيه أسرار المَعرفة وقد أبتلينا بجماعةٍ من العَوام كالأنعام بل هُم أضَّل سبيلاً ممّن يرون مخالفة جماهير الخَلق ضلالة والمُوافقة لهم سعادة وهداية ولعمري هذا الزّمان هو الّذي أخبر عنه أمير المؤمنين حيث قال، **سيأتي يوماً علىٰ النّاس لا يبقىٰ من الإسلام إلّا إسمه ولا من القرآن إلّا رَسمه**، وهذا هو الزّمان العَضوض الّذي يعضّ المُوسر فيه علىٰ ما في يَديه، قد إنهّدت فيه الأشرار وإستَذّلت الأخيار والىٰ اللّه المُشتكىٰ فأنّه رؤوف بعباده وهو حَسبنا ونعم الوَكيل ثُمّ أنّي ألتمسّ مِمّن جبلت طبيعته علىٰ الإنصاف وتَنّزهت عن البغي والإعتساف أن يَنظر في هذا الشّرح بعين الإنصاف لأنّه عند التّأمل فيما ألّفته بطوله وتفصيله يعلم أنّ مثل هذا المؤلف لا يمكن أن يكون خالياً عن الخَطأ والإشتباه فاذا عَثُر فيه علىٰ سَهَوات وزلأت أغَمض عنها بذيل التّجاوز والعَفو فأنّي مُقرّ بالخَطأ والتّقصير فضلاً عن القصُور والعَجز وقلّة البضاعة وقصُور الباع في الصّناعة ومَع هذا كلّه فقد جاء هذا الشّرح بحَمد اللّه جامعاً كافياً قريباً الىٰ الأفهام رفيعاً عالياً في المقام مشتملاً علىٰ تصَرفات مليحة شريفة حاوياً لنكاتٍ لم يسبق اليها الأوائل وكم تَرك الأوائل لِلأواخر كيف لا يكون كذلك وقد صرفتُ في جَمعه وتَهذيبه وتَحقيقه مُدّةً طويلة قريبة من ستّة عَشر سَنة مَع أنّ هذه المُدّة بالنّسبة الىٰ هذه المَجموعة قليلة جدّاً مُضافاً الىٰ المَوانع التّي حَصَلت لي في خلال المُدّة وأنّي لا أشّك أنّ إتمام هذا الكتاب مَع ما فيه من التّحقيقات لَم يَتيسر إلّا بعَون الملك الوهاب وعناية صاحب الولاية المُطلقة علىٰ جميع العباد فأن كنت في شّكٍ

ممّا قلت لك فأُنظر الىٰ الكُتب المؤلفة في هذا المضمار ثُمّ أقض بينهما ما أنت قاض وأسئل اللّه تعالىٰ أن يَجْعله ذُخراً ليوم لا يَنفع فيه مالٌ ولا بَنُون إلّا من أتىٰ اللّه بقلبٍ سَليم وأمّا بنعمة ربّك فَحدّث وقد فَرغت من تأليف هذا الشّرح في ليلة الجمعة من شهر ذي القعدة الحرام من شهُور سنة ثلاث وأربع مائة بعد الألف من الهُجرة النّبوية علىٰ هاجرها ألاف الثّناء والتّحية حامداً مُصلّياً بمحروسه طهران صانه اللّه عن الآفات وأنا العبد الذّليل الحَقير المسكين المُحتاج الىٰ ربّه الغنّي مُحمّد تقي بن المرحوم مُحمّد باقر حشره اللّه مَع أجداده الطّاهرين آمين ياربّ العالمين أنّه قريب مُجيب وبالإجابة جَدير والحَود لِلّه ربّ العالمين والصّلٰوة والسّلام علىٰ سيّدنا ونبينا مُحمّد صلىٰ اللّه عليه وآله الطّيبين الطّاهرين المَعصُومين المُكرّمين ولا سيّما يَعسُوب الدّين وقائد الغُرّ المحجّلين قاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين سيّدنا ومولانا وإمامنا أمير المؤمنين حسبنا اللّه ونعم الوكيل نعم المَولىٰ ونعم النّصير.

خير السّبُل وآله الطّاهرين وأصحابه نجُوم اليَقين انتهى.

ونحن أيضاً نقول هذا آخر ما أرَدنا جَمعه من الفوائد ونَظمه من الفَرائد وإذ وفقّني اللّه تعالىٰ لإتمام هذا الشّرح المُنيف والسّفر الجَليل مَع تلاطم أمواج الهمُوم وتَراكم أفواج الغمُوم وخلّو الدّيار عَمَّن يَعرف قَدر غوامض الأسرار وعلُوم الأبرار من أهل بَيت المُصطفين الأخيار وسيّما في هذا الزّمان الّذي إنطَفت فيه أنوار الحكمة وإنطَمَست فيه أسرار المَعرفة وقد أبتلينا بجماعةٍ من العَوام كالأنعام بل هُم أضَّل سبيلاً ممّن يرون مخالفة جماهير الخَلق ضلالة والمُوافقة لهم سعادة وهداية ولعمري هذا الزّمان هو الّذي أخبر عنه أمير المؤمنين حيث قال، **سيأتي يوماً علىٰ النّاس لا يبقىٰ من الإسلام إلّا إسمه ولا من القرآن إلّا رَسمه**، وهذا هو الزّمان العَضوض الّذي يعضّ المُوسر فيه علىٰ ما في يَديه، قد إنهّدت فيه الأشرار وإستَذّلت الأخيار والىٰ اللّه المُشتكىٰ فأنّه رؤوف بعباده وهو حَسبنا ونعم الوَكيل ثُمّ أنّي ألتمسّ مِمّن جبلت طبيعته علىٰ الإنصاف وتَنّزهت عن البغي والإعتساف أن يَنظر في هذا الشّرح بعين الإنصاف لأنّه عند التّأمل فيما ألّفته بطوله وتفصيله يعلم أنّ مثل هذا المُؤلف لا يمكن أن يكون خالياً عن الخَطأ والإشتباه فاذا عَثُر فيه علىٰ سَهوات وزلأت أغمض عنها بذيل التّجاوز والعَفو فأنّي مُقرّ بالخَطأ والتّقصير فضلاً عن القصُور والعَجز وقلّة البضاعة وقصُور الباع في الصّناعة ومَع هذا كلّه فقد جاء هذا الشّرح بحَمد اللّه جامعاً كافياً قريباً الىٰ الأفهام رفيعاً عالياً في المقام مشتملاً علىٰ تصّرفات مليحة شريفة حاوياً لنكاتٍ لم يسبق اليها الأوائل وكم تَرك الأوائل لِلأواخر كيف لا يكون كذلك وقد صرفتُ في جَمعه وتَهذيبه وتَحقيقه مُدّةً طويلة قريبة من ستّة عَشر سَنة مَع أنّ هذه المُدّة بالنّسبة الىٰ هذه المَجموعة قليلة جدّاً مُضافاً الىٰ المَوانع التّي حَصَلت لي في خلال المُدّة وأنّي لا أشّك أنّ إتمام هذا الكتاب مَع ما فيه من التّحقيقات لَم يَتيسر إلّا بعَون الملك الوهاب وعناية صاحب الولاية المُطلقة علىٰ جميع العباد فأن كنت في شّكٍ

ممّا قلت لك فأُنظر الىٰ الكُتب المؤلفة في هذا المضمار ثُمّ أقض بينهما ما أنت قاض وأسئل اللّه تعالىٰ أن يَجعله ذُخراً ليوم لا يَنفع فيه مالٌ ولا بَنُون إلّا من أتىٰ اللّه بقلبٍ سَليم وأمّا بنعمة ربّك فَحدّث وقد فَرغت من تأليف هذا الشّرح في ليلة الجمعة من شهر ذي القعدة الحرام من شهُور سنة ثلاث وأربع مائة بعد الألف من الهُجرة النّبوية علىٰ هاجرها ألاف الثّناء والتّحية حامداً مُصلّياً بمحروسه طهران صانه اللّه عن الآفات وأنا العبد الذّليل الحَقير المسكين المُحتاج الىٰ ربّه الغنّي مُحمّد تقي بن المرحوم مُحمّد باقر حشره اللّه مَع أجداده الطّاهرين آمين ياربّ العالمين أنّه قريب مُجيب وبالإجابة جَدير والحَود لِلّه ربّ العالمين والصّلٰوة والسّلام علىٰ سيّدنا ونبينا مُحمّد صلىٰ اللّه عليه وآله الطّيبين الطّاهرين المَعصُومين المُكرّمين ولا سيّما يَعسُوب الدّين وقائد الغُرّ المحجّلين قاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين سيّدنا ومولانا وإمامنا أمير المؤمنين حسبنا اللّه ونعم الوكيل نعم المَولىٰ ونعم النّصير.

الفهرست

١٠٦.. ٥

قوله ﷺ: نحنُ النُّمْرُقَةُ الوُسْطىَ بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي وإليْها يَرْجِعُ الْغالِي متن. ٥

١٠٧.. ٨

قوله ﷺ: لا يُقِيمُ أمْرَ اللّٰهِ سُبْحانَهُ إِلَّا مَنْ الى ولايَتَّبِعُ المَطامِعَ متن ٨

١٠٨.. ٩

قوله ﷺ: وقدْ تُوُفِّيَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفِ الأَنْصَارِيّ الى لِلْفَقْرِ جِلْباباًمتن ... ٩

١٠٩.. ١١

قوله ﷺ: لا مَالَ أعْوَدُ منَ الْعَقْلِ ولا وَحْدَةَ الى منَ المُشَاوِرَةِ متن ١١

١١٠.. ٢١

قوله ﷺ: إذا اسْتَوْلىَ الصَّلاَحُ علىَ الزَّمانِ وأهْلِهِ الى فَقَدْ غَرَّرَمتن ٢١

١١١.. ٢٢

وقيل لهُ ﷺ: كَيْفَ نَجِدُكَ يا أميرَ الْمُؤمِنينَ؟ فَقَالَ الى مِنْ مِأمَنِهِمتن ... ٢٢

١١٢.. ٢٣

قوله ﷺ: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بألإِحْسَانِ إِلَيْهِ الى بِمِثْلِ الإِمْلاَءِ لهُمتن.... ٢٣

١١٣.. ٢٤

قوله ﷺ: هَلَكَ فِيَّ رَجُلاَنِ مُحِبٌّ غالٍ ومُبْغِضٌ قالٍمتن ٢٤

١١٤.. ٢٦

قوله ﷺ: إِضَاعةُ الْفُرصَةِ غُصَّةٌمتن ٢٦

١١٥.. ٢٧

قوله ﷺ: مَثَلُ الدُّنْيا كَمَثَلِ الحَيَّةِ لَين مَسُّهاالى ذُوالُّلبُّ العَاقِلُ متن ٢٧

١١٦ .... ٢٨
وسُئِلَ ﷺ: عنْ قُرَيْشٍ: أمَّا بَنُو مَخْزُوم فَرَيحانَةُ الى وأنْصَحُ وأصْبَحُ متن ٢٨
١١٧ .... ٣٠
قوله ﷺ: شَتَّانَ ما بَيْنَ عَمَلَينِ عَمَلٍ تَذْهَبُ الى مَؤُنَتهُ ويَبْقَى أجْرُهُ متن . ٣٠
١١٨ .... ٣١
وتَبِعَ جنازَةً فَسَمِعَ رَجُلَ يَضحكُ فقال : كأنَّ المَوتَ الى جَائِحَةٍ متن . . ٣١
١١٩ .... ٣٣
قوله ﷺ: طُوبَى لِمنْ ذَلَّ نَفْسِه وطَابَ كَسْبُهُ والى إلَى الْبِدْعَةِ متن ٣٣
١٢٠ .... ٣٦
قوله ﷺ: غَيرَةُ المَرْأةِ كُفْرٌ، وغَيْرَةُ الرَّجُلِ إيمَانٌ متن. ٣٦
١٢١ .... ٣٧
قوله ﷺ: لأَنْسُبَنَّ الإسْلامَ نِسبةً لَمْ يَنْسُبْها الى والأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ متن . . ٣٧
١٢٢ .... ٤٢
قوله ﷺ: عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتعْجِلُ الفَقْرَ الى الْفَناءِ وتَارِكِ دَارَ البَقاءِ متن ٤٢
١٢٣ .... ٤٩
قوله ﷺ: مَنْ قَصَّرَ في الْعَمَلِ إبْتَلَى بالْهَمِّ الى مَالِه ونَفْسِهِ نَصِيبٌ متن . . ٤٩
١٢٤ .... ٥١
قوله ﷺ: تَوَقَّوا الْبَرْد في أوّلِهِ وتَلَقَّوْهُ في آخِرِهِ الى وآخِرُهُ يُورِقُ متن . . ٥١
١٢٥ .... ٥٢
قوله ﷺ: عِظَمُ الخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ المَخْلُوقَ فِي عَيْنِكَ متن ٥٢
١٢٦ .... ٥٣
وقدْ رَجَعَ منْ صِفِّينَ فأشرَفَ علىٰ الْقُبورِ بِظَاهِرِ الى الزَّادِ التقْوىٰ متن . ٥٣
١٢٧ .... ٥٥
قوله ﷺ: وقَدْ سَمعَ رَجُلاً يَذُمُّ الدُّنْيا: أيُّها الذَّامُّ لِلدُّنْيا الى فاتَّعَظُوا متن . ٥٥

١٢٨ .... ٦٤
قوله عليه السلام: أنَّ لِلّهِ مَلَكاً يُنادِي في كلِّ يَوْمٍ لِدُو الى وأبنُوا لِلْخَرَابِ متن ٦۴
١٢٩ .... ٦٦
قوله عليه السلام: الدُّنيا دَارُ مَمَرٍّ إلىٰ دَارِ مَقَرٍّ فِيها الى ابْتاعَ نَفْسَهُ فأعْتَقَهامتن .. ٦٦
١٣٠ .... ٦٨
قوله عليه السلام: لاَ يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حتّىٰ يَحْفَظَ الى وغَيْبَتِه وَوَفاتِهِمتن . ٦٨
١٣١ .... ٧٠
قوله عليه السلام: مَنْ أُعْطِيَ أرْبَعاً لمْ يُحْرَمْ أرْبَعاً مَنْ الى يُحْرَمِ الزِّيادَةَمتن.... ٧٠
١٣٢ .... ٧٢
قوله عليه السلام: الصَّلاَةُ قُرْبَانُ كلِّ تَقِيٍّ والحَجُّ جِهَادُ الى حُسْنُ التَّبَعُّلِ متن ... ٧٢
١٣٣ .... ٧٥
قوله عليه السلام: إستَنزِلُوا الرِّزْقَ بالصَّدَقَةِمتن ٧٥
١٣٤ .... ٧٧
مَن أيْقَنَ بالْخَلَفِ جادَ بالْعَطِيَّةِمتن ٧٧
١٣٥ .... ٧٨
تَنزِلُ المَعُونَةُ عَلىٰ قَدْرِ المَؤُنَةِمتن ٧٨
١٣٦ .... ٨٠
قوله عليه السلام: ما أعالَ مَنِ اقْتَصَدَمتن ٨٠
١٣٧ .... ٨١
قوله عليه السلام: قِلَّةُ الْعِيالِ أحَدُ الْيَسَارَيْنِمتن ٨١
١٣٨ .... ٨٢
قوله عليه السلام: التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِمتن ٨٢
١٣٩ .... ٨۴
قوله عليه السلام: الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِمتن ٨۴

١٤٠ .... ٨٥

قوله عليه السلام: يَنْزِلُ الصَّبْرُ عَلَىٰ قَدْرِ المُصِيبَةِ. **الى** مُصيبَةٍ حَبِطَ عَمَلُهُ**متن** .. ٨٥

١٤١ .... ٨٧

قوله عليه السلام: كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ منْ صِيامِهِ إلّا**الى**الأَكْيَاسِ وإفْطَارَهُمْ**متن** ٨٧

١٤٢ .... ٩٠

قوله عليه السلام: سُوسُوا إيمَانَكُمْ بالصَّدَقَةِ وحَصِّنُوا **الى** البَلاَءِ بالدُّعاءِ**متن** ... ٩٠

ومن كلامه ٧ (١٤٣) عليه السلام ٩٤

يا كُمَيْلُ إنَّ هذِهِ القُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُها أوْعاها**الى** إنْصَرِفْ إذا شِئْتَ**متن** ٩٥

اللّغة ٩٥

الشّرح ٩٦

قوله عليه السلام: يا كُمَيْلُ إنَّ هذِهِ القُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُها أوْعاهَاو..... .... ٩٦

قوله عليه السلام: النَّاسُ ثلاثَةٌ، فَعالِمٌ رَبَّانِيٌ، ومُتَعَلِّمٌ علىٰ سَبِيلِ نَجَاةٍ، و...... ... ٩٨

قوله عليه السلام: يا كُمَيْلُ العِلْمُ دِينٌ يُدَانُ بِهِ، بِهِ يكْسِبُ الإنسَانُ و...... ...... ١٠٠

قوله عليه السلام: والْعِلْمُ حاكِمٌ والمَالُ مَحكُومٌ عليه.......................... ١٠٢

قوله عليه السلام: يا كُمَيْل هَلَكَ خُزَّانُ الأَمْوَالِ وهُمْ أحْياءٌ والْعُلَماءُ و....... ١٠٣

قوله عليه السلام: إنَّ هٰهُنا لَعِلْماً جمّاً (وأشَارَ إلىٰ صَدره) لوْ أصَبْتُ و....... ١٠٦

قوله عليه السلام: اللّهُمَّ بَلىَ لا تَخْلُو الأَرْضُ منْ قائِمٍ لِلّٰهِ بحُجَّةٍ ,إمَّا و...... ١٠٩

قوله عليه السلام: وكَمْ ذَا وأَيْنَ أُولَئِكَ. أُولَئِكَ واللّٰهِ و..................... ١١٩

قوله عليه السلام: وأَنِسُوا بمَا أسْتَوحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وصَحِبُوا و..... .... ١٢٠

قوله عليه السلام: أُولَئِكَ خُلفاءُ اللّٰهِ في أرْضِهِ والدُّعاةُ إلىٰ دِينِهِو..... .... ١٢١

١٤٤ .... ١٢٢

قوله عليه السلام: المَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ**متن** ١٢٢

١٤٥ .... ١٢٤

قوله عليه السلام: هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ**متن** ١٢٤

١٤٦..١٢٥
قوله عليه السلام: لِرَجُلٍ سَألهُ أنْ يَعِظَهُ) لا تَكُنْ مِمَّنْ الى رَبّهُ في خَلْقِهِمتن .. ١٢٦
١٤٧..١٣١
قوله عليه السلام: يكْرَهُ المَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ ويُقيمُ علىٰ مَا يكْرَهُ المَوْتَ لَهُمتن ١٣١
١٤٨..١٣٨
قوله عليه السلام: لِكُلّ إمْرِئٍ عاقِبَةٌ حُلوَةٌ أوْ مُرَّةٌمتن ١٣٨
١٤٩..١٣٩
قوله عليه السلام: ولِكُلِّ مُقْبِلٍ إدبارٌ وما أدْبَرَ كأَنْ لمْ يكُنْمتن ١٣٩
١٥٠..١٤٠
قوله عليه السلام: لا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وإنْ طالَ بهِ الزَّمانُمتن............ ١٤٠
١٥١..١٤١
قوله عليه السلام: الرّاضي بِفِعْلِ قَوْمٍ كالدَّاخِلِ فيهِ الى وإثمُ الرِّضَى بهِمتن ... ١٤١
١٥٢..١٤٢
قوله عليه السلام: إعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ في أوْتادِهامتن........................ ١٤٢
١٥٣..١٤٣
قوله عليه السلام: عَليكُمْ بِطَاعةِ مَنْ لا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتهِمتن.............. ١٤٣
١٥٤..١٤٤
قوله عليه السلام: قدْ بُصِّرتُمْ إنْ أبْصَرْتُمْ وقدْ هُدِيتُمْ الى إن إسْتَمَعْتُمْمتن.... ١٤٤
١٥٥..١٤٥
قوله عليه السلام: عاتِبْ أخاكَ بالإحْسَانِ إليْهِ وأرْدُدْ شَرَّهُ بالإنْعامِ عَلَيْهِمتن... ١٤٥
١٥٦..١٤٦
قوله عليه السلام: مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهَمَةِ فَلاَ الى أسَاءَ بهِ الظَّنَّمتن... ١٤٦
١٥٧..١٤٧
قوله عليه السلام: منْ مَلَكَ إسْتَأثَرَمتن.................................. ١٤٧

١٥٨ .... ١٤٨
قوله عليه السلام: من إستَبَدَّ بِرَأيِهِ هَلَكَ ومَنْ شاوَرَ الى في عُقُولِهامتن ١٤٨
١٥٩ .... ١٥١
قوله عليه السلام: مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كانَتِ الخَيَرَةُ بِيَدِهِمتن ١٥١
١٦٠ .... ١٥٣
قوله عليه السلام: الفَقْرُ المَوْتُ الأَكْبَرُمتن ١٥٣
١٦١ .... ١٥٦
قوله عليه السلام: مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُمتن ١٥٦
١٦٢ .... ١٥٧
قوله عليه السلام: لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِمتن ١٥٧
١٦٣ .... ١٥٨
قوله عليه السلام: لا يُعابُ المَرْءِ بِتأخيرِ حَقِّهِ إنّما يُعابُ الى ما لَيْسَ لَهُمتن .. ١٥٨
١٦٤ .... ١٥٩
قوله عليه السلام: الإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الإزْدِيادِمتن ١٥٩
١٦٥ .... ١٦٠
قوله عليه السلام: الأَمْرُ قَرِيبٌ والاصْطِحَابُ قَلِيلٌمتن............ ١٦٠
١٦٦ .... ١٦١
قوله عليه السلام: قَدْ أَضاءَ الصُّبْحُ لِذِيَ عَيْنَيْنِمتن ١٦١
١٦٧ .... ١٦٢
قوله عليه السلام: تَرْكُ الذَّنْبِ أَهْوَنُ منْ طَلَبِ المَعُونَةِمتن ١٦٢
١٦٨ .... ١٦٣
قوله عليه السلام: كَمْ منْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلاَتٍمتن ١٦٣
١٦٩ .... ١٦٤
قوله عليه السلام: أَلنَّاسُ أَعْدَاءُ ما جَهِلُوامتن ١٦٤

۱۷۰........................... ۱۶۵
قوله عليه السلام: من إسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآرَاء عَرَفَ مَوَاقِعَ الخَطَاءِمتن ۱۶۵
۱۷۱........................... ۱۶۶
قوله عليه السلام: مَنْ أحَدَّ سِنَانَ الغَضَبِ لِلّٰهِ قَوِيَ على قَتْلِ أَشَدَّاء البَاطِلِ متن ۱۶۶
۱۷۲........................... ۱۶۸
قوله عليه السلام: إذا هِبْتَ أمْراً فَقَعْ فِيْهِ فأنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ الى مِمّا تَخَافُ مِنْهُمتن ۱۶۸
۱۷۳........................... ۱۶۹
قوله عليه السلام: آلَةُ الرِّيَاسَةِ سَعَةُ الصَّدْرِمتن ۱۶۹
۱۷۴........................... ۱۷۰
قوله عليه السلام: إزْجُر المُسِيءَ بِثَوابِ المُحْسِنِ متن ۱۷۰
۱۷۵........................... ۱۷۱
قوله عليه السلام: أُحْصِدُ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غيرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَمتن ۱۷۱
۱۷۶........................... ۱۷۲
قوله عليه السلام: اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأيَ متن ۱۷۲
۱۷۷........................... ۱۷۳
قوله عليه السلام: ألطمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌمتن ۱۷۳
۱۷۸........................... ۱۷۴
قوله عليه السلام: ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ النَّدَامَةُ وثَمَرَةُ الحُكْمِ السَّلاَمَةُمتن ۱۷۴
۱۷۹........................... ۱۷۵
قوله عليه السلام: لا خيرَ في الصَّمْتِ عَن الْحُكْمِ كما أنَّهُ الى عن الجَهْلِ متن . ۱۷۵
۱۸۰........................... ۱۷۶
قوله عليه السلام: ما اخْتَلَفَتْ دَعْوَتانِ إلّا كانَتْ إحْدَاهُما ضَلاَلَةَمتن ۱۷۶
۱۸۱........................... ۱۷۷
قوله عليه السلام: ما شَكَكْتُ في الحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُمتن ۱۷۷

۱۸۲ 178
قوله عليه السلام: ما كَذَبتُ ولا كُذِّبتُ ولا ضَللتُ ولا ضُلَّ بی متن 178
۱۸۳ 179
قوله عليه السلام: لِلظّالِمِ البادِی غَداً بِكَفِّهِ عَضَّةٌ متن 179
۱۸۴ 180
قوله عليه السلام: الرَّحيلُ وَشيكٌ متن 180
۱۸۵ 181
قوله عليه السلام: مَنْ أَبدَى صَفحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ متن 181
۱۸۶ 182
قوله عليه السلام: مَنْ لَمْ يُنجِهِ الصَّبرُ أَهلَكَهُ الْجَزَعُ متن 182
۱۸۷ 183
قوله عليه السلام: وَاعَجَباهُ! أَتَكُونُ الخِلافَةُ بالصَّحابَةِ الی فی هذَا المَعْنَی متن . 183
۱۸۸ 185
قوله عليه السلام: إنّما المَرْءِ في الدُّنيا غَرَضٌ تَنتَضِلُ الی وتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا متن 185
۱۸۹ 187
قوله عليه السلام: يا ابْنَ آدَمَ مَا كَسَبتَ فَوْقَ قُوتِكَ فأَنْتَ فِيهِ خازِنٌ لِغَيرِكَ متن 187
۱۹۰ 188
قوله عليه السلام: إنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وإقْبالاً وإدْباراً الی إذا أُكْرِهَ عَمِيَ متن 188
۱۹۱ 189
قوله عليه السلام: مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إذا غَضِبْتُ .أحِينَ الی لِي لَوْ عَفَوْتَ متن . 189
۱۹۲ 190
قوله عليه السلام: وقَدْ مَرَّ بِقَذَرٍ علی مَزبَلَةٍ: هَذا الی تَتَنافَسُونَ فِيهِ بالأَمْسِ امتن 190
۱۹۳ 191
قوله عليه السلام: لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مالِكَ ما وَعَظَكَ متن 191

۱۹۴ .... ۱۹۲
قوله عليه السلام: إنَّ هَذِهِ الْقُلُوبُ تَمَلُّ الأَبْدَانُ فابْتَغُوا لها طَرَائِفَ الحِكْمَةِ متن ۱۹۲
۱۹۵ .... ۱۹۳
قوله عليه السلام: لمّا سَمِعَ قول الخَوارج: «لا حكم إلّا اللّٰه» الى بهَا باطِلٌ متن. ۱۹۳
۱۹۶ .... ۱۹۴
قوله عليه السلام: في صفةِ الغَوْغاءِ: هُمُ الّذينَ إذا إجْتَمَعُوا الى كلِّ سَوْأةٍ متن . ۱۹۴
۱۹۷ .... ۱۹۷
قوله عليه السلام: إنَّ مَعَ كلِّ إنْسَانٍ مَلَكَينِ يَحفظَانِهِ الى جُنَّةٌ حَصِينَةٌ متن ۱۹۷
۱۹۸ .... ۱۹۸
قوله عليه السلام: وقدْ قَالَ لَهُ طِلْحَةُ والزُّبَيْرُ: نُبايِعُكَ الى العَجْزِ والأَوْدِ متن... ۱۹۸
۱۹۹ .... ۱۹۹
قوله عليه السلام: أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا اللّٰهَ الّذِي إنْ قُلْتُمْ الى نَسِيتُمُوه ذَكَرَكُمْ متن. ۱۹۹
۲۰۰ .... ۲۰۱
قوله عليه السلام: لا يُزْهِدَنَّكَ فى المَعْرُوفِ مَنْ لا الى يُحِبُّ المُحْسِنِينَ متن. . ۲۰۱
۲۰۱ .... ۲۰۲
قوله عليه السلام: كلُّ وِعاءٍ يَضِيقُ بمَا جُعِلَ فِيهِ إلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ فإنَّهُ يَتَّسِعُ متن . ۲۰۲
۲۰۲ .... ۲۰۳
قوله عليه السلام: أَوّلَ عِوَضِ الحَليمِ مِنْ حِلْمِهِ أنَّ الى علىٰ الجَاهِلِ متن ۲۰۳
۲۰۳ .... ۲۰۴
قوله عليه السلام: إنْ لمْ تَكُنْ حَليماً فَتَحلَّمْ فإنَّهُ قَلَّ الى أنْ يَكُونَ مِنهُمْ متن... ۲۰۴
۲۰۴ .... ۲۰۵
قوله عليه السلام: مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ وَمَنْ غَفَلَ عنهاالى فَهِمَ عَلِمَ ستّة متن ۲۰۵
۲۰۵ .... ۲۰۸
قوله عليه السلام: لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيا عَلَيْنا بَعْدَ الى ونَجْعَلَهمْ الْوَارِثِينَ متن..... ۲۰۸

٢٠٦........................... ٢٠٩
قوله عليه السلام: إتَّقُوا اللّهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيداً الى وَمَغَبَّةِ المَرْجِعِ متن.... ٢٠٩
٢٠٧........................... ٢١١
قوله عليه السلام: الجُودُ حَارِسُ الأعْرَاضِ، والْحِلْمُ فِدَامُ الى لاتَأمَنَنَّ مَلُولاًمتن ٢١١
٢٠٨........................... ٢١٥
قوله عليه السلام: عُجْبُ المَرْءِ بِنَفْسِه أحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِمتن........... ٢١٥
٢٠٩........................... ٢١٦
قوله عليه السلام: أغْضِ علىٰ الْقَذَى والألَمِ تَرْضَ أبَداًمتن........... ٢١٦
٢١٠........................... ٢١٧
قوله عليه السلام: مَنْ لاَنَ عُودُهُ كَثُفَتْ أغْصَانُهُمتن........... ٢١٧
٢١١........................... ٢١٨
قوله عليه السلام: الخِلاَفُ يَهْدِمُ الرَّأيَ متن........... ٢١٨
٢١٢........................... ٢١٩
قوله عليه السلام: مَنْ نَالَ إسْتَطَالَ متن........... ٢١٩
٢١٣........................... ٢٢٠
قوله عليه السلام: فِي تَقَلُّبِ الأحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجالِمتن........... ٢٢٠
٢١٤........................... ٢٢٢
قوله عليه السلام: حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ المَوَدَّةِمتن........... ٢٢٢
٢١٥........................... ٢٢٣
قوله عليه السلام: أكثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ المَطَامِعِ متن........... ٢٢٣
٢١٦........................... ٢٢٤
قوله عليه السلام: لَيْسَ مِنَ العَدْلِ الْقَضَاءُ عَلىٰ الثِّقَةِ بالظَّنِّ متن........... ٢٢٤
٢١٧........................... ٢٢٥
قوله عليه السلام: بِئْسَ الزَّادُ إلىٰ المَعادِ الْعُدْوَانُ علىٰ الْعِبَادِمتن........... ٢٢٥

٢١٨........................ ٢٢٦
قوله عليه السلام: منْ أشْرَفِ أعمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ متن ٢٢٦
٢١٩........................ ٢٢٧
قوله عليه السلام: مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ متن........ ٢٢٧
٢٢٠........................ ٢٢٨
قوله عليه السلام: بِكَثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ، الى تَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ متن ... ٢٢٨
٢٢١........................ ٢٣٤
قوله عليه السلام: الْعَجَبُ لِغَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلامَةِ الأَجْسَادِ ٢٣٤
٢٢٢........................ ٢٣٦
قوله عليه السلام: الطَّامِعُ فِي وَثَاقِ الذُّلِّ........................ ٢٣٦
٢٢٣........................ ٢٣٧
قوله عليه السلام: وسُئل عن الإيمان)الإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بالْقَلْبِ الى بِالأَرْكانِ متن . ٢٣٧
٢٢٤........................ ٢٣٨
قوله عليه السلام: مَنْ أَصْبَحَ عَلىٰ الدُّنيا حَزِيناً فَقد الى وأمَلٍ لا يُدْرِكَهُ متن ... ٢٣٨
٢٢٥........................ ٢٤٣
قوله عليه السلام: كَفىٰ بالقَنَاعَةِ مُلكاً وَبِحُسْنِ الْخُلقِ نَعِيماً متن ٢٤٣
٢٢٦........................ ٢٤٤
وسُئِل عليه السلام عن قوله تعالى:(فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَياةً طَيِّبَةً) هيَ الْقَنَاعَةُ متن ٢٤٤
٢٢٧........................ ٢٤٥
قوله عليه السلام: شَارِكُوا الَّذِي قَدْ أقْبَلَ عليهِ الرِّزْقُ الى الْحظِّ عَلَيهِ متن ٢٤٥
٢٢٨........................ ٢٤٦
قوله عليه السلام: قوله تعالىٰ:(إِنَّ اللَّهَ يَأمرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ)الى التَّفَضُّلُ متن ٢٤٦
٢٢٩........................ ٢٤٧
قوله عليه السلام: مَنْ يُعْطِ باليَدِ القَصيرَةِ يُعْطِ باليَدِ الطَّوِيلَةِ تُنتزَعُ متن........ ٢٤٧

۲۳۰........................ ۲۴۸
قوله علیه السلام: لإبنِه الْحَسَنِ علیه السلام: لا تَدْعُونَّ إِلىٰ الى وَالبَاغِي مَصْرُوعٌ متن .. ۲۴۸
۲۳۱........................ ۲۴۹
قوله علیه السلام: خِيَارِ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الى يَعْرِضُ لَهامتن..... ۲۴۹
۲۳۲........................ ۲۵۱
قِيلَ لَهُ علیه السلام: صف لنا العاقلَ، فقال علیه السلام: هُوَ الَّذى الى وَضْعِ الْعاقِلِ متن ۲۵۱
۲۳۳........................ ۲۵۲
قوله علیه السلام: وَاللّٰهِ لَدُنْياكُمْ هذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي الى يَدِ مَجْذُومٍ متن ۲۵۲
۲۳۴........................ ۲۵۳
قوله علیه السلام: إن قَوْماً عَبَدُوا اللّٰهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ الى عِبادَةُ الأَحْرارِ متن ۲۵۳
۲۳۵........................ ۲۵۴
قوله علیه السلام: الْمرْأةُ شَرٌّ كلُّها وَشَرُّ مَافِيها أَنَّهُ لابُدَّ مِنْهامتن........... ۲۵۴
۲۳۶........................ ۲۵۶
قوله علیه السلام: مَن أَضاعَ التَّوانِي ضَيَّعَ الحُقُوقَ وَمَنْ الى ضَيَّعَ الصَّدِيقَ متن . ۲۵۶
۲۳۷........................ ۲۵۷
قوله علیه السلام: الحَجَرُ الْغَصِيبُ في الدَّارِ رَهْنٌ على خَرابِها متن ۲۵۷
۲۳۸........................ ۲۵۹
قوله علیه السلام: يَوْمُ الْمظْلُومِ عَلىٰ الظَّالِمِ أَشَدُّ الى عَلىٰ المظْلُومِ متن...... ۲۵۹
۲۳۹........................ ۲۶۰
قوله علیه السلام: إتَّقِ اللّٰهَ بَعْضَ التُّقَىٰ وَإِن قَلَّ واجْعَلْ الى سِتْراً وَإِنْ رَقَّ متن.. ۲۶۰
۲۴۰........................ ۲۶۱
قوله علیه السلام: إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوابُ خَفِيَ الصَّوَابُ متن.............. ۲۶۱
۲۴۱........................ ۲۶۲
قوله علیه السلام: إِنَّ لِلّٰهِ في كُلِّ نِعْمَةٍ حَقّاً الى خاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِه متن ۲۶۲

٢٤٢ .... ٢٦٤

قوله عليه السلام: إِذَا كَثُرَتْ المَقْدُرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُمتن ٢٦٤

٢٤٣ .... ٢٦٥

قوله عليه السلام: إِحْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍمتن ٢٦٥

٢٤٤ .... ٢٦٦

قوله عليه السلام: الْكَرَمَ أعْطَفُ منَ الرَّحِمِمتن ٢٦٦

٢٤٥ .... ٢٦٧

قوله عليه السلام: مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُمتن ٢٦٧

٢٤٦ .... ٢٦٨

قوله عليه السلام: أَفْضَلُ الأَعْمَالِ مَا أكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِمتن ٢٦٨

٢٤٧ .... ٢٦٩

قوله عليه السلام: عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحانَهُ بِفَسْخِ العَزَائِمِ وحَلِّ الْعُقُودِمتن....... ٢٦٩

٢٤٨ .... ٢٧٠

قوله عليه السلام: مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلاَوَةُ الآخِرَةِ الى الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِمتن ٢٧٠

٢٤٩ .... ٢٧٢

قوله عليه السلام: فَرَضَ اللَّهُ الإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الى وَحَّدَ اللَّهَ تَعالىٰمتن ٢٧٢

٢٥٠ .... ٢٨٧

قوله عليه السلام: ياابْنَ آدَمَ كُنْ وَصِّي نَفْسِكَ فِي مَالِكَالى فيهِ مَنْ بَعْدِكَمتن . ٢٨٧

٢٥١ .... ٢٨٨

قوله عليه السلام: الحِدَّةُ ضَرْبٌ منَ الْجنُونَ لأَنَّ الىفَجنُونُهُ مُسْتَحكَمٌمتن ... ٢٨٨

٢٥٢ .... ٢٨٩

قوله عليه السلام: صِحَّةُ الجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الحَسَدِمتن.......................... ٢٨٩

٢٥٣ .... ٢٩٠

قوله عليه السلام: يا كُمَيْلُ مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا في الى غَرِيبَةُ الإِبِلِمتن ٢٩٠

٢٥٤........ ٢٩٤
قوله عليه السلام: إذَا أَملَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللّهَ الصَّدَقَةِ متن ٢٩٤
٢٥٥........ ٢٩٥
قوله عليه السلام: الوَفاءُ لأَهْلِ الغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ اللّهِ الى وَفاءٌ عِنْدَ اللّهِ متن ٢٩٥
قال في حديثه عليه السلام (١) ٢٩٧
فإذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ الى يَجْتَمِعُ قَزَعُ الخَرِيفِ متن........ ٢٩٧
قال في حديثه عليه السلام (٢) ٢٩٨
هَذَا الخَطِيبُ الشَّحْشَحُ متن........ ٢٩٨
قال في حديثه عليه السلام (٣) ٢٩٩
إنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَماً متن........ ٢٩٩
قال في حديثه عليه السلام (٤) ٣٠٠
إذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الحِقَاقِ فالعَصَبَةُ أَوْلىٰ متن........ ٣٠٠
قال في حديثه عليه السلام (٥) ٣٠١
إنَّ الإيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِي القَلْبِ الى الإيمَانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ متن ٣٠١
قال في حديثه عليه السلام (٦) ٣٠٢
إنَّ الرَّجُلَ إذا كانَ لَهُ الدَّيْنُ الظَّنُونُ الى لِمَا مَضَىٰ إذا قَبَضَهُ متن ٣٠٢
قال في حديثه عليه السلام (٧) ٣٠٣
أنَّهُ شَيَّعَ جَيْشاً يُغْزِيهِ، فَقالَ)إعْذِبُوا عَنِ النِّساءِ ما اسْتَطَعْتُمْ متن ٣٠٣
قال في حديثه عليه السلام (٨) ٣٠٤
كاليَاسِرِ الفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ منْ قِدَاحِهِ متن ٣٠٤
قال في حديثه عليه السلام (٩) ٣٠٥
كُنَّا إذَا احمَرَّ البأسُ اتَّقَيْنا بِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله الى يَخَافُونَهُ بِمكانِهِ متن ٣٠٥
٢٥٦........ ٣٠٦
قوله عليه السلام: لَمَّا بَلَغَهُ إغارةُ أصْحَابِ مُعاوِيَةَ عَلىٰ الى يَخْذُلا الْباطِلَ متن ٣٠٦

٢٥٧.......................... ٣٠٩
قوله عليه السلام: صَاحِبُ السُّلْطَانِ كرَاكِبِ الأَسَدِ يُغبِطُهُالى أعْلَمُ بمَوْضِعِهِمتن ٣٠٩
٢٥٨.......................... ٣١١
قوله عليه السلام: أحَسِنُوا في عَقِبِ غَيرِكُمْ تُحفَظُوا في عَقَبكُم متن ٣١١
٢٥٩.......................... ٣١٢
قوله عليه السلام: إنَّ كلاَمَ الحُكَماءِ إذَا كَانَ صَوَاباً كانَ الى خَطَأً كانَ دَاءً. متن . ٣١٢
٢٦٠.......................... ٣١٣
وسألهُرجُلٌ أنْ يعرّفه الإيمان فقال عليه السلام:إذا كانَ الغَدُالى يُخْطِئُها هذَامتن ٣١٣
٢٦١.......................... ٣١٤
قوله عليه السلام: يَا ابْنَ آدَمَ لا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِيالى فِيهِ بِرِزْقِكَمتن ... ٣١٤
٢٦٢.......................... ٣١٥
قوله عليه السلام: أحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْناً مَا عَسَى أنْ الى حَبِيبَكَ يَوْماً مَّامتن ... ٣١٥
٢٦٣.......................... ٣١٦
قوله عليه السلام: النَّاسُ لِلدُّنْيا عَامِلاَنِ عامِلٌ عَمِلَ الى حاجَةً فَيَمْنَعَهُمتن ... ٣١٦
٢٦٤.......................... ٣١٨
إنَّالقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلىَ النبيِّ صلى الله عليه وآله والأَمْوَالُالى وَتَرَكَ الْحُلْيَ بِحالِهِمتن... ٣١٨
٢٦٥.......................... ٣٢١
فقال عليه السلام: أَمَّا هَذَا فهُوَ منْ مَالِ اللّهِوَلا حَدَّ الىالحَدُّ فَقَطَعَ يَدَهُمتن ... ٣٢١
٢٦٦.......................... ٣٢٢
قوله عليه السلام: لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِالى لَغَيَّرتُ أشْياءَمتن ٣٢٢
٢٦٧.......................... ٣٢٥
قوله عليه السلام: إعْلَمُوا عِلْماً يَقِيناً أنَّ اللّهَ لَمْ يَجْعَلْالى مُنْتَهَى رِزْقَكَ متن .. ٣٢٥
٢٦٨.......................... ٣٣٢
قوله عليه السلام: لا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلاً وَيَقِينَكُمْالى تَيَقَّنْتُمْفأقْدِمُوامتن.... ٣٣٢

٢٦٩ .... ٣٣٣
قوله عليه السلام: إنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيرُ مُصْدِرٍ وَضَامِنٌ الى مَنْ لا يأتِيهِ **متن** ... ٣٣٣
٢٧٠ .... ٣٣٥
قوله عليه السلام: اللَّهُمَّ إنّي أعُوذُ بِكَ أنْ تُحَسِّنَ **الى** تَباعُداً من مَرْضاتِكَ **متن** . ٣٣٥
٢٧١ .... ٣٣٦
قوله عليه السلام: لا والَّذِي أمْسَينا مِنْهُ في غُبْرِ لَيلَةٍ **الى** كانَ كذَا وكذَا **متن** ٣٣٦
٢٧٢ .... ٣٣٧
قوله عليه السلام: قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أرْجى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ **متن** ٣٣٧
٢٧٣ .... ٣٣٨
قوله عليه السلام: إذا أضَرَّتِ النَّوافِلُ بالْفَرائِضِ فارْفُضُوها **متن** ٣٣٨
٢٧٤ .... ٣٣٩
قوله عليه السلام: مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ **متن** ٣٣٩
٢٧٥ .... ٣٤٠
قوله عليه السلام: لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كالمُعايَنَةِ مَعَ الإبْصارِ **الى** مَنِ اسْتَنْصَحَهُ **متن** . ٣٤٠
٢٧٦ .... ٣٤١
قوله عليه السلام: بَينكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجابٌ مِنَ الْغِرَّةِ **متن** ٣٤١
٢٧٧ .... ٣٤٢
قوله عليه السلام: جَاهِلُكُمْ مُزْدادٌ وعالِمُكُم مُسَوِّفٌ **متن** ٣٤٢
٢٧٨ .... ٣٤٣
قوله عليه السلام: قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ المُتَعَلِّلِينَ **متن** ٣٤٣
٢٧٩ .... ٣٤٤
قوله عليه السلام: مَا قالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ طُوبَى لَهُ إلَّا **الى** الدَّهْرُ يَوْمَ سُوءٍ **متن** ... ٣٤٤
٢٨٠ .... ٣٤٥
قوله عليه السلام: كُلُّ مُعاجَلٍ يَسألُ الأنْظَارَ وَكُلٌّ **الى** يَتَعلَّلُ بالتَّسْوِيفِ **متن** .. ٣٤٥

٢٨١ .... ٣٤٦

قوله ﵇: (وسُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ) طَرِيقٌ مُظْلِمٌ الى اللّٰهِ فَلاَ تَتَكلَّفُوهُمتن... ٣٤٦

٢٨٢ .... ٣٤٧

قوله ﵇: إِذَا أَرْذَلَ اللّٰهُ عَبْداً حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْممتن ٣٤٧

٢٨٣ .... ٣٤٨

قوله ﵇: كانَ لِي فِيما مَضَى أَخٌ فِي اللّٰهِ وكانَ الى تَرْكِ الكَثِيرمتن ... ٣٤٨

٢٨٤ .... ٣٥٣

قوله ﵇: لَوْ لَمْ يَتَوَعِدَّ اللّٰهُ علىٰ مَعْصِيَتِه الى يُعْصَىٰ شُكْراًلِنِعَمِهمتن.. ٣٥٣

٢٨٥ .... ٣٥٤

قوله ﵇: وَقَد عَزّىٰ الأَشْعَث بن قيس عن إبن له الى وَرَحْمَةٌمتن ... ٣٥٤

٢٨٦ .... ٣٥٦

قوله ﵇: علىٰ قبر رسول الله٩ساعة دفنه إِنَّ الصَّبرَ الى لَجَلَلٌ متن ... ٣٥٦

٢٨٧ .... ٣٥٩

قوله ﵇: لا تَصْحَبِ الْمَائِقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ الى أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُمتن ... ٣٥٩

٢٨٨ .... ٣٦١

وقدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ مَا بيْنَ المَشْرِقِ الى مَسيرة يَوْمٍلِلشَّمْسِمتن.... ٣٦١

٢٨٩ .... ٣٦٢

قوله ﵇: أَصْدِقاؤُ كَ ثَلاَثَةٌ وَأَعْدَاؤكَ ثَلاَثَةٌ الى وصَدِيقُ عَدُوكَمتن .. ٣٦٢

٢٩٠ .... ٣٦٣

قوله ﵇: لِرَجُلٍ رَآهُ يَسْعىٰ علىٰ عَدُوٍ لهُ بِما الى لِيَقْتُلَ رِدْفَهُمتن..... ٣٦٣

٢٩١ .... ٣٦٤

قوله ﵇: مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وأَقَلَّ الإِعْتِبارَمتن ٣٦٤

٢٩٢ .... ٣٦٥

قوله ﵇: مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ ومَنْ قَصَّرَ الى اللّٰهَ مَنْ خاصَمَمتن ٣٦٥

٢٩٣ .... ٣٦٦
قوله عليه السلام: مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حتّى أُصَلّيَ رَكْعَتَيْنِ **متن** ٣٦٦
٢٩٤ .... ٣٦٧
وَسئِلَ عليه السلام: كَيْفَ يُحَاسِبُ الْخَلْقَ عَلىٰ كَثْرَتِهِمْ **الى** وَلا يَرَوْنَهُ **متن** ٣٦٧
٢٩٥ .... ٣٦٩
قوله عليه السلام - رَسُولُكَ تَرْجَمَانُ عَقْلِكَ وكِتابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ **متن** . ٣٦٩
٢٩٦ .... ٣٧٠
قوله عليه السلام: مَا الْمُبْتَلي الَّذِي الَّذِي اشْتَدَّ بِهِ **الى** لا يَأْمَنُ بِهِ البَلاَءِ **متن** ... ٣٧٠
٢٩٧ .... ٣٧١
قوله عليه السلام: النَّاسُ أَبْناءُ الدُّنْيا وَلا يُلاَمُ الرَّجُلُ علىٰ حُبِّ أُمِّهِ **متن** ٣٧١
٢٩٨ .... ٣٧٣
قوله عليه السلام: إِنَّ المِسكِينَ رَسُولُ اللّهِ فَمَنْ مَنَعَه فَقَدْ **الى** أَعْطَى اللّهُ **متن** . ٣٧٣
٢٩٩ .... ٣٧٦
قوله عليه السلام: ما زَنىٰ غَيُورٌ قَطُّ **متن** ٣٧٦
٣٠٠ .... ٣٧٧
قوله عليه السلام: كَفىٰ بالأَجَلِ حارِساً **متن** ٣٧٧
٣٠١ .... ٣٧٨
قوله عليه السلام: يَنامُ الرَّجُلُ علىٰ الثُّكْلِ ولا يَنَامُ عَلىٰ الْحَرَبِ **متن** ٣٧٨
٣٠٢ .... ٣٧٩
قوله عليه السلام: مَوَدَّةُ الآباءِ قَرابَةٌ بيْنَ الأَبْناءِ وَالْقَرَابَةُ **الى** إِلىٰ القَرابَةِ **متن** ٣٧٩
٣٠٣ .... ٣٨٠
قوله عليه السلام: اتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ اللّهَ **الى** الْحَقَّ علىٰ أَلْسِنَتِهِم **متن** .. ٣٨٠
٣٠٤ .... ٣٨١
قوله عليه السلام: لا يَصَدُقُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتّىٰ يَكُونَ بِما **الى** بِمَا فِي يَدِهِ **متن** .. ٣٨١

٣٠٥..........................٣٨٢
إنّي أنْسِيتُ ذلِكَ الأمْرَ. فقال عليه السلام: إنْ كُنْتَ الى لا تُوَارِيها الْعِمَامَةمتن . ٣٨٢
٣٠٦..........................٣٨٤
قوله عليه السلام: إنَّ لِلقُلُوبِ إقْبالاً وإدْباراً فإذا الى بِهَا عَلىٰ الفَرَائِضِ متن... ٣٨٤
٣٠٧..........................٣٨٥
قوله عليه السلام: وفي الْقُرْآنِ نَبأُ ما قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ الى وحُكْمُ ما بَيْنَكُمْمتن ... ٣٨٥
٣٠٨..........................٣٨٧
قوله عليه السلام: رُدّوا اَلْحَجَر منْ حَيْثُ جَاءَ فإِنَّ الشَّرَّ لا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرمتن . ٣٨٧
٣٠٩..........................٣٨٨
قوله عليه السلام: لكاتِبِه عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ رافِعٍ أَلِقْ الى أجْدَرُ بِصبَاحَةِ الخَطِّمتن.. ٣٨٨
٣١٠..........................٣٩٠
قوله عليه السلام: أنا يَعْسُوبُ الْمُؤمِنِينَ وَالْمَالُ يَعسُوبُ الْفُجّارِمتن ٣٩٠
٣١١..........................٣٩٢
قوله عليه السلام: وقالَ لهُ بَعضُ اليَهُود: ما دَفَنْتُمْ نَبيكم الىقَوْمٌ تَجْهَلُونَمتن . ٣٩٢
٣١٢..........................٣٩٤
قوله عليه السلام:قيل لهبأي شيءٍغَلَبْتَ الأَقْرَانَ؟ فقال عليه السلام:مالى علىٰ نَفْسِهِمتن ٣٩٤
٣١٣..........................٣٩٥
قوله عليه السلام: لابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ: يابُنَّي إنّىالى دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِمتن... ٣٩٥
٣١٤..........................٣٩٧
قوله عليه السلام: لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ مُعْضِلةٍ: سَلْ الى بالجَاهِلِ المُتَعَنِّتِمتن ... ٣٩٧
٣١٥..........................٣٩٨
قوله عليه السلام: لعبد اللّه بن عبّاس ،و قد أشار اليه في شيءٍالى فَأَطِعنىمتن ٣٩٨
٣١٦..........................٣٩٩
ورُوي أنّهُ عليه السلام، لَمّا وَرَدَ الكُوفَةَ قادِماً من صِفّينَالى وَمَذَلّةٌ لِلْمُؤمِنِمتن ٣٩٩

٣١٧.. ٤٠١
قوله عليه السلام: قَدْ مَرَّ بِقَتَلى الخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوانِ**الى** بِهِمْ النَّارَ**متن**...... ٤٠١
٣١٨.. ٤٠٢
قوله عليه السلام: إتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الخَلَوَاتِ فإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ**متن** . ٤٠٢
٣١٩.. ٤٠٣
قوله عليه السلام:لَمَّا بَلغهُ قتل مُحمّد بن أبي بكر إنَّ حُزْنَنا**الى** حَبِيباً**متن** ٤٠٣
٣٢٠.. ٤٠٤
قوله عليه السلام: الْعُمْرُ الَّذي أَعْذَرَ اللَّهُ فِيهِ إِلىٰ ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً**متن** ٤٠٤
٣٢١.. ٤٠٦
قوله عليه السلام: ما ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمِ بِهِ والغَالِبُ بالشَّرِّ مَغْلُوبٌ**متن** ٤٠٦
٣٢٢.. ٤٠٧
قوله عليه السلام: إِنَّ سُبْحَانَهُ فَرَضَ في أَمْوَالِ **الى**سائِلُهُمْ عن ذٰلِكَ**متن** ٤٠٧
٣٢٣.. ٤٠٩
قوله عليه السلام: الإِسْتِغْناء عَنِ الْعُذْرِ أعَزُّ منَ الصِّدقِ بهِ**متن** ٤٠٩
٣٢٤.. ٤١٠
قوله عليه السلام: أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّهِ أنْ لا تَسْتعِينُوا بِنِعَمهِ عِلىٰ مَعَاصِيهِ**متن**.. ٤١٠
٣٢٥.. ٤١١
قوله عليه السلام: إنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعةَ **الى** عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ**متن** ... ٤١١
٣٢٦.. ٤١٢
قوله عليه السلام: السُّلْطَانُ وَزَعةُ اللَّه في أرَضِه **متن**.................... ٤١٢
٣٢٧.. ٤١٣
قوله عليه السلام: فِي صِفَةِ الْمؤمِنِ: المؤمِنُ بِشْرُهُ في**الى** أذَلُّ منَ العَبْدِ**متن** .. ٤١٣
٣٢٨.. ٤١٦
قوله عليه السلام: لَوْ رَأىٰ العَبْدُ الأَجَلَ وَمَصِيرَهُ لأَبْغَضَ الأَمَلَ وغُرُورِهُ**متن**... ٤١٦

٣٢٩.. ٤١٧
قوله ﷺ: لِكُلِّ امْرِؤٍ في مالِهِ شَرِيكانِ الوَارِثُ والحَوادِثُ متن ٤١٧
٣٣٠.. ٤١٨
قوله ﷺ: الدَّاعِي بِلاَ عَمَلٍ كالرَّامِي بِلاَ وَتَرٍ متن.............. ٤١٨
٣٣١.. ٤١٩
قوله ﷺ: الْعِلْمُ عِلْمانِ مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ الى لمْ يكُنْ المَطْبُوعُ متن... ٤١٩
٣٣٢.. ٤٢١
قوله ﷺ: صَوَابُ الرَّأيِ بالدُّوَل يُقْبِل بإقْبالِها وَيَذْهَبُ بِذِهابِهَا متن... ٤٢١
٣٣٣.. ٤٢٣
قوله ﷺ: العَفَافُ زِينَةُ الفَقْرِ والشُّكْرُ زِينَةُ الغِنىٰ متن.............. ٤٢٣
٣٣٤.. ٤٢٤
قوله ﷺ: يَوْمُ الْعَدْلِ عَلىٰ الظَّالِمِ أشَدُّ منْ الى علىٰ الْمَظْلُومِ متن..... ٤٢٤
٣٣٥.. ٤٢٦
قوله ﷺ: الأَقاوِيلُ مَحْفُوظةٌ، والسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ الى الْخُسْرَانُ المُبِينَ متن . ٤٢٦
٣٣٦.. ٤٢٩
قوله ﷺ: مِنَ الْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ الْمَعاصِى متن.............. ٤٢٩
٣٣٧.. ٤٣٠
قوله ﷺ: ماءَ وَجهِكَ جامِدٌ يُقْطِرُهُ السُّؤالُ فأنْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقطِرُهُ متن . ٤٣٠
٣٣٨.. ٤٣٢
قوله ﷺ: الثَّناءَ بأكْثَرَ منَ الإسْتِحْقاقِ الى الإسْتِحقاقِ عِيِّ وحَسَدٌ متن . ٤٣٢
٣٣٩.. ٤٣٤
قوله ﷺ: أشَدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ متن.............. ٤٣٤
٣٤٠.. ٤٣٦
قوله ﷺ: مَن نَظَرَ في عَيْبِ نَفْسِه اشْتَغَلَ الى كَلاَمُهُ إلَّا فِيما يَعْنِيهِ متن.. ٤٣٦

٣٤١........................ ٤٤٠
قوله عليه السلام: لِلظَّالِمِ منَ الرِّجَالِ ثَلاَثُ عَلاَمَاتٍ الى القَوْمَ الظَّلَمَةَ**متن**.... ٤٤٠
٣٤٢........................ ٤٤١
قوله عليه السلام: عِنْدَ تَنَاهِي الشِّدَّةِ تَكُونَ الفَرجَةُ**الى** يَكُونُ الرَّخاءَ**متن**..... ٤٤١
٣٤٣........................ ٤٤٣
قوله عليه السلام: لِبعضِ أصْحابِهِ: لا تَجْعَلَنَّ أكْثَرَ شُغْلِكَ**الى** بِأعْدَاءِ اللَّهِ**متن** . ٤٤٣
٣٤٤........................ ٤٤٤
قوله عليه السلام: أَكْبَرُ الْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ**متن**............... ٤٤٤
٣٤٥........................ ٤٤٥
قوله عليه السلام: وهَنَّأَ بِحَضْرَتِه رَجُلٌ رَجُلاً بِغُلامٍ **الى** و رُزِقْتَ بِرَّهُ**متن** ٤٤٥
٣٤٦........................ ٤٤٦
وبَنى رَجُلٌ منْ عُمالهِ بِناءً فَخْماً، فقال عليه السلام: **الى** يَصِفُ لَكَ الْغِنَىٰ**متن** . ٤٤٦
٣٤٧........................ ٤٤٧
قيل له عليه السلام: لَوْ سُدَّ عَلىٰ رَجُلٍ بَابُ بَيْتِه وَتُرِكَ**الى** يَأتِيهِ أجَلُه**متن** ٤٤٧
٣٤٨........................ ٤٤٨
وَعَزَّىٰ قَوْماً عَنْ مَيِّتٍ ماتَ لهمْ، فقال عليه السلام: إن هذا**الى** قَدِمْتُمْ عَليْهِ**متن** ٤٤٨
٣٤٩........................ ٤٤٩
قوله عليه السلام: أيُّها النَّاسُ لَيَرَكُمْ اللَّهُ مَنَ النعْمةِ **الى** فَقَدْ ضَيَّعَ مأمُولاً**متن**.. ٤٤٩
٣٥٠........................ ٤٥٠
قوله عليه السلام: يا أَسْرىٰ الرَّغْبَةِ اقْصِرُوا فَإِنَّ المُعَرِّجَ**الى** ضَراوةِ عاداتِها**متن**. ٤٥٠
٣٥١........................ ٤٥٢
قوله عليه السلام: لا تَظُنَّنَّ بكَلِمَةٍ خَرَجَتْ منْ أَحَدٍ الى الخَيرِ مُحْتَمِلاً**متن**... ٤٥٢
٣٥٢........................ ٤٥٤
قوله عليه السلام: إِذا كانَتْ لَكَ إِلىٰ اللَّهَ سُبْحَانَهُ **الى** وَيَمْنَعُ الأُخْرَىٰ**متن**.... ٤٥٤

٣٥٣..................................... ٤٥٦
قوله ﷺ: مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ المِراءَ**متن** ٤٥٦
٣٥٤..................................... ٤٥٧
قوله ﷺ: مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الإمكانِ والأَناةُ بَعْدَ الفُرْصَةِ **متن**.. ٤٥٧
٣٥٥..................................... ٤٥٨
قوله ﷺ: لا تَسأَلْ عَمَّا لا يَكُونُ فَفي الَّذِي قدْ كانَ لَكَ شُغْلٌ**متن** ٤٥٨
٣٥٦..................................... ٤٥٩
قوله ﷺ: الْفِكْرُ مِرآةٌ صَافِيَةٌ، والإِعْتِبَارُ مُنذِرٌ**الى** ما كَرِهْتَهُ لِغَيرِكَ**متن**.. ٤٥٩
٣٥٧..................................... ٤٦١
قوله ﷺ: الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بالعَمَلِ فَمنْ عَلِمَ عَمِلَ**الى** ارتَحَلَ عَنْهُ**متن**... ٤٦١
٣٥٨..................................... ٤٦٢
قوله ﷺ: يا أَيُّها النَّاسُ مَتاعُ الدُّنْيا حُطَامٌ**الى** يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ**متن** ٤٦٢
٣٥٩..................................... ٤٦٥
قوله ﷺ: إِنَّ اللَّهَ سُبْحانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ على **الى** لَهُمْ إِلَىٰ جَنَّتِهِ**متن**.. ٤٦٥
٣٦٠..................................... ٤٦٦
ورُوِي أَنَّهُ ﷺ قَلَّما اعْتَدَلَ بهِ الْمِنْبَرُ **الى** الآخِرَةِ بأدْنىٰ سُهْمَتِهِ**متن**... ٤٦٦
٣٦١..................................... ٤٦٨
قوله ﷺ: يَأْتِي عَلىَ النَّاسِ زَمانٌ لاٰ يَبْقىٰ **الى** اللّٰهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ**متن**... ٤٦٨
٣٦٢..................................... ٤٧١
قوله ﷺ: لا شَرَفَ أَعْلىٰ منَ الإِسْلاَمِ، ولا عِزَّ **الى** مَسَاوِئِ الْعُيُوبِ**متن** ٤٧١
٣٦٣..................................... ٤٧٤
قوله ﷺ: لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابِرُ **الى** لزَّوالِ وَالفَنَاءِ**متن** ٤٧٤
٣٦٤..................................... ٤٧٦
أَيُّها المُؤمِنُونَ إِنَّهُ ومَنْ رَأىٰ عُدْوَاناً يُعْمَلُ **الى** فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ**متن** .. ٤٧٦

٣٦٥.......................... ٤٧٨
وفي كلاَمٍ آخرَ لهُ يَجْرِي هَذَا الْمَجرىٰ: فَمِنْهُمْ الى وأسْفَلَهُ أعْلاَهُ متن . ٤٧٨
٣٦٦.......................... ٤٨٢
قوله عليه السلام: إنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيٌّ وإنَّ الْباطِلَ خَفِيفٌ وَبيٌ متن ٤٨٢
٣٦٧.......................... ٤٨٣
قوله عليه السلام: لا تأمَنَنَّ علىٰ خَيرِ هذِهِ الأُمَّةِ عَذَابَ الى منْ رَوْحِ اللّٰهِ متن . ٤٨٣
٣٦٨.......................... ٤٨٤
قوله عليه السلام: البَخِيلُ جامِعٌ لِمَسَاوِئِ الْعُيُوْبِ الى بهِ إلىٰ كلِّ سُوءٍ متن ٤٨٤
٣٦٩.......................... ٤٨٥
قوله عليه السلام: الرِّزْقُ رِزْقانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ورِزقٌ الى ماقدْ قُدِّرَ لَكَ متن ٤٨٥
٣٧٠.......................... ٤٨٧
قوله عليه السلام: رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَيْسَ بِمُستَدْبِرِهِ الى بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ متن . ٤٨٧
٣٧١.......................... ٤٨٨
قوله عليه السلام: الكلاَمَ فِي وَثاقِكَ مَا لَمْ تتكلَّمْ الى وجَلَبَتْ نِقْمَةٍ ورَدمتن .. ٤٨٨
٣٧٢.......................... ٤٩٠
قوله عليه السلام: لا تَقُلْ مَا لا تَعْلَمْ بَلْ لا تَقُلْ كلَّ الى عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ متن .. ٤٩٠
٣٧٣.......................... ٤٩١
قوله عليه السلام: إحْذَرْ أنْ يَرَاكَ اللّٰهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ الى عَنْ مَعْصِيَةِ اللّٰهِ متن ... ٤٩١
٣٧٤.......................... ٤٩٢
قوله عليه السلام: الرّكُونُ إلىٰ الدُّنيا مَعَ ما تُعايِنُ الى قبْلَ الإخْتِبارِ عَجْزٌ متن .. ٤٩٢
٣٧٥.......................... ٤٩٣
قوله عليه السلام: مِنْ هَوَانَ الدُّنْيَا عَلىٰ اللّٰهِ أنَّهُ الى مَا عِنْدَهُ إلَّا بِتَرْكِها متن ٤٩٣
٣٧٦.......................... ٤٩٥
قوله عليه السلام: مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أوْ بَعْضَهُ متن ٤٩٥

۳۷۷........................... ۴۹۶
قوله عليه‌السلام: مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ ومااِلى دُونَ النَّارِ عافِيَةٌمتن........ ۴۹۶
۳۷۸........................... ۴۹۸
قوله عليه‌السلام: ألا وإِنَّ مِنَ البَلاَءِ الْفَاقَةَ .وَأشَدُّ الى الْبَدَنِ تَقْوَىٰ الْقَلْبِمتن . ۴۹۸
۳۷۹........................... ۵۰۰
قوله عليه‌السلام: لِلْمُؤمِنَ ثَلاَثَ سَاعَاتٍ فَسَاعَةٌ الى في غيرِ مَحَرَمٍمتن..... ۵۰۰
۳۸۰........................... ۵۰۲
قوله عليه‌السلام: إزْهَدْفيِ الدُّنْيا يُبَصِّرَكَ اللّهُ عَوْرَاتِهاالى بمَغْفُولٍ عَنْكَمتن .. ۵۰۲
۳۸۱........................... ۵۰۳
قوله عليه‌السلام: تَكلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنّ الْمَرْء مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِمتن........ ۵۰۳
۳۸۲........................... ۵۰۴
قوله عليه‌السلام: خُذْ منَ الدُّنْيا مَا أتاكَ وتَوَلَّ عَمَّا الى فِي الطَّلَبِمتن ۵۰۴
۳۸۳........................... ۵۰۵
قوله عليه‌السلام: رُبَّ قَوْل أنَفَذُ مِنْ صَوْلٍمتن........................ ۵۰۵
۳۸۴........................... ۵۰۶
قوله عليه‌السلام: كلُّ مُقْتَصَرٍ عليْهِ كافٍمتن.......................... ۵۰۶
۳۸۵........................... ۵۰۷
قوله عليه‌السلام: المَنِيَّةُ ولاَ الدَّنيَّةُ والتَّقَلُّلُ الى كانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرمتن ۵۰۷
۳۸۶........................... ۵۱۰
قوله عليه‌السلام: مُقَارِبَةُ النَّاسِ فِي أخْلاَقِهِمْ أمْنٌ منْ غَوَائِلِهِممتن......... ۵۱۰
۳۸۷........................... ۵۱۱
قوله عليه‌السلام: لبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ: وقدْ تَكَلَّمَ بكَلِمَةٍ الى وَهَدَرْتَ سَقْباًمتن.. ۵۱۱
۳۸۸........................... ۵۱۲
قوله عليه‌السلام: مَنْ أوْمأَ إلىٰ مُتَفاوِتٍ خَذَلَتْهُ الحِيَلُ متن ۵۱۲

٣٨٩........................... ٥١٣
قوله عليه السلام: وَقَدْ سُئل عنْ معنىٰ (لا حَولَ ولا قُوّة...)الى تَكلِيفَهٌ عَنّامتن ٥١٣
٣٩٠........................... ٥١۶
قوله عليه السلام: لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، وَقَدْ سَمعهُ يراجعُ الى عاذِراً لِسَقَطاتِهِمتن . ٥١۶
٣٩١........................... ٥١٨
قوله عليه السلام: مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ الأَغْنيَاء لِلْفُقَراءِالى إتّكالاً علىٰ اللّهِمتن .. ٥١٨
٣٩٢........................... ٥١٩
قوله عليه السلام: ما اسْتَوْدَعَ اللّهُ أمْرأً عَقْلاً إلّا استَنْقَذَهُ بِهِ يَوْماً مَامتن...... ٥١٩
٣٩٣........................... ٥٢١
قوله عليه السلام: منْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعهُمتن ٥٢١
٣٩۴........................... ٥٢٣
قوله عليه السلام: اَلْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِمتن ٥٢٣
٣٩٥........................... ٥٢٥
قوله عليه السلام: التُّقَىٰ رَئِيس الأَخلاَقِمتن..................... ٥٢٥
٣٩۶........................... ٥٢۶
قوله عليه السلام: لا تَجْعَلَنَّ ذَرَبِ لِسَانِكَ علىٰ مَنْ الى علىٰ مَنْ سَدَّدكَمتن.. ٥٢۶
٣٩٧........................... ٥٢٧
قوله عليه السلام: كَفاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنابُ مَا تَكْرَهُهُ منْ غَيرِكَمتن....... ٥٢٧
٣٩٨........................... ٥٢٨
قوله عليه السلام: مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الأَحْرَارِ وإلّا سَلاَالى سُلُوَّ الْبَهائِمِمتن ٥٢٨
٣٩٩........................... ٥٢٩
قوله عليه السلام: في صفةِ الدُّنْيا: تَغُر وتَضُرُّ وتَمُرُّ الى سَائِقُهُمْفازتَحَلُوامتن . ٥٢٩
۴٠٠........................... ٥٣١
قوله عليه السلام: لابنه الحَسَن عليه السلام:لا تُخَلِّفَنَّ وراءكَ شَيْئاًالىبَقِیٰ رِزْقِ اللّهِمتن ٥٣١

۴۰۱ .... ۵۳۴
قوله عليه السلام: لقائل قال بحضرته:«أستغفر اللّه» ثَكِلَتْكَ الى أسْتَغْفِرُ اللّهَ متن ۵۳۴
۴۰۲ .... ۵۴۱
قوله عليه السلام: الحِلْمُ عَشيرَةٌ متن ۵۴۱
۴۰۳ .... ۵۴۲
قوله عليه السلام: مِسكينٌ ابْنُ آدَمَ مَكْتُومُ الأَجَلِ مَكْنُونُ الى تُنْتِنُهُ العَرْقَةُ متن.. ۵۴۲
۴۰۴ .... ۵۴۳
قوله عليه السلام: ورُوِيَ أنَّهُ كَانَ جَالِساً فى أصْحَابِهِ الى أوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ متن. ۵۴۳
۴۰۵ .... ۵۴۵
قوله عليه السلام: إفْعَلُوا الْخَيْرَ وَلا تَحْقِرُوا مِنْهُ الى مِنْهُما كَفاكَمُوهُ أَهْلُه متن... ۵۴۵
۴۰۶ .... ۵۴۷
قوله عليه السلام: مَنْ أصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أصْلَحَ اللّهُ الى بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ متن ۵۴۷
۴۰۷ .... ۵۴۸
قوله عليه السلام: الحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ والعَقْلُ حُسَامٌ قاطِعٌ، الى هَوَاكَ بِعَقْلِكَ متن ۵۴۸
۴۰۸ .... ۵۵۰
قوله عليه السلام: إنَّ لِلّهِ عِبَاداً يَخْتَصُّهُمُ اللّهُ الى حَوَّلَها إلىٰ غيرِهِم متن..... ۵۵۰
۴۰۹ .... ۵۵۳
قوله عليه السلام: لا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَينِ الى غَنِيّاً إذا افْتَقَرَ متن..... ۵۵۳
۴۱۰ .... ۵۵۵
قوله عليه السلام: مَنْ شَكَا الحَاجَةَ إلىٰ مُؤمِنٍ فَكَأنَّه الى فَكَأَنَّمَا شَكَا اللّهَ متن . ۵۵۵
۴۱۱ .... ۵۵۷
قوله عليه السلام: في بَعْضِ الأَعْيادِ: إنَّما هُوَ عِيدٌ الى اللّهُ فِيهِ فَهوَ عِيدٌ متن ... ۵۵۷
۴۱۲ .... ۵۵۸
قوله عليه السلام: إنَّ أعْظَمَ الحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيامَةِ الى ودَخَلَ الأوَّلُ بِهِ النَّارَ متن ۵۵۸

۴۱۳ .... ۵۵۹
قوله ﷺ: إنَّ أخسَرَ النَّاسِ صَفقَةً وأخيَبَهُم الى الآخَرَةِ بِتبِعَتِهِمتن ۵۵۹
۴۱۴ .... ۵۶۰
قوله ﷺ: الرِّزْقُ رِزْقَانِ طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ الى فِي رِزْقَهُ مِنْهامتن ۵۶۰
۴۱۵ .... ۵۶۱
قوله ﷺ: إنَّ أوْلِيَاء اللّهِ هُمْ الّذِينَ نَظَرُوا الىٰ فَوْق مَا يَخافُونَ متن ۵۶۱
۴۱۶ .... ۵۶۴
قوله ﷺ: أذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ وَبقَاءَ التَّبعَاتِمتن ۵۶۴
۴۱۷ .... ۵۶۵
قوله ﷺ: أُخبُرْ تَقْلِهِمتن ۵۶۵
۴۱۸ .... ۵۶۷
قوله ﷺ: ما كانَ اللّهُ لِيَفْتَحَ علىٰ عَبْدٍباب الى عنْهُ بابَ المَغْفِرَةِمتن ۵۶۷
۴۱۹ .... ۵۶۸
وسُئلَ مِنهُ ﷺ:أيّما أفضَلَ: العَدْلُ أوِ الى أشْرَفُهما وأفْضَلُهمامتن ۵۶۸
۴۲۰ .... ۵۷۲
قوله ﷺ: النّاس أعْدَاء مَا جَهِلُوامتن ۵۷۲
۴۲۱ .... ۵۷۳
قوله ﷺ: الزُّهد كُلُّهُ بيْنَ كلمَتيْنِ منَ القُرآنِ الى أخَذَ الزُّهْدَ بِطَرفَيْهِمتن ۵۷۳
۴۲۲ .... ۵۷۴
قوله ﷺ: مَا أنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ اليَوْمِمتن ۵۷۴
۴۲۳ .... ۵۷۵
قوله ﷺ: الوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجالِمتن ۵۷۵
۴۲۴ .... ۵۷۶
قوله ﷺ: ولَيْسَ بَلَدٌ بأحَقَّ منْ بَلَدٍ خيرُ الْبِلَادِ ما حَمَلَكَمتن ۵۷۶

۴۲۵ .... ۵۷۷
قوله عليه السلام: وقدْ جاءَهُ نَعْيَ الأَشْتَرِ رَحِمَةُ اللَّهُالى يُوفِي عَلَيْهِ الطَّائِرُ.... ۵۷۷
۴۲۶ .... ۵۷۸
قوله عليه السلام: قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيرٌ منْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُمتن.......... ۵۷۸
۴۲۷ .... ۵۷۹
قوله عليه السلام: لِغالِبِ بنِ صَعْصَعَةَ أبي الفَرَزدق فيالى أحْمَدُ سُبْلِهامتن... ۵۷۹
۴۲۸ .... ۵۸۰
قوله عليه السلام: إذَا كانَ فِي رَجلٍ خَلَّةٌ رَائِقَةٌ فأَنْتَظِرُواأخَوَاتِهامتن ۵۸۰
۴۲۹ .... ۵۸۱
قوله عليه السلام: مَنْ اتَّجَرَ بِغَيرِ فِقْهٍ فَقَدِ ارْتَطَمَ في الرِّباءِمتن ۵۸۱
۴۳۰ .... ۵۸۲
قوله عليه السلام: مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ المَصَائِبِ ابْتَلاَهُ اللَّهُ بِكَبارِهامتن ۵۸۲
۴۳۱ .... ۵۸۳
قوله عليه السلام: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُمتن ۵۸۳
۴۳۲ .... ۵۸۴
قوله عليه السلام: مَا مَزَح امْرُؤٌ مَزْحَةٍ إلَّا مَجَّ منْ عَقْلِهِ مَجَّةًمتن ۵۸۴
۴۳۳ .... ۵۸۵
قوله عليه السلام: زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ الى فِيكِذُلّ نَفْسٍمتن.. ۵۸۵
۴۳۴ .... ۵۸۶
قوله عليه السلام: الغِنىٰ والفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضَ علىٰ اللَّهِمتن ۵۸۶
۴۳۵ .... ۵۸۷
قوله عليه السلام: ما لأبْنِ آدَمَ وَالْفَخْرِ أوَّلهُ نُطفةٌ وآخِرُهُ جِيفَةٌ الى حَتَفهُمتن.. ۵۸۷
۴۳۶ .... ۵۹۱
وسُئِلَ مَنْ أشْعَرُ الشُّعَرَاءِ؟ فقال عليه السلام:إنَّ القَوْمَالى فالمَلِكُ الضِّلِيلُمتن. ۵۹۱

۴۳۷ .... ۵۹۳
قوله عليه السلام: الأَحْرُ يَدَعُ هذِهِ اللُّمَاظَةَ لأَهْلِهاالى تَبِيعُوها إلّا بِهامتن ۵۹۳
۴۳۸ .... ۵۹۴
قوله عليه السلام: مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعانِ طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيامتن ۵۹۴
۴۳۹ .... ۵۹۵
قوله عليه السلام: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ الى اللَّهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَمتن ۵۹۵
۴۴۰ .... ۶۰۱
قوله عليه السلام: يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ على التَّقْدِيرِ حتّى تَكُونَ الآفَةُ فِي التَّدْبيرِمتن ۶۰۱
۴۴۱ .... ۶۰۲
قوله عليه السلام: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ تَوْأَمَانِ يَنْتِجُهُما عُلُوُّ الْهِمَّةِ متن ۶۰۲
۴۴۲ .... ۶۰۳
قوله عليه السلام: الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِمتن ۶۰۳
۴۴۳ .... ۶۰۵
قوله عليه السلام: رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِمتن ۶۰۵
۴۴۴ .... ۶۰۷
قوله عليه السلام: الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَامتن ۶۰۷
۴۴۵ .... ۶۰۸
قوله عليه السلام: أنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مُرْوَداً يَجْرُونَ فِيهِالى الضِّباعُ لَغَلَبَتْهُمْمتن ۶۰۸
۴۴۶ .... ۶۰۹
قوله عليه السلام:مَدح الأنصار:هُمْ واللّهِ رَبُّواالإِسْلاَمَالى وأَلْسِنَتِهِمُ السِّلاَطِمتن ۶۰۹
۴۴۷ .... ۶۱۱
قوله عليه السلام: الْعَيْنُ وِكاءُ السَّهِمتن ۶۱۱
۴۴۸ .... ۶۱۳
قوله عليه السلام: في كلاَمَ لَهُ: وَوَلِيَهُمْ والٍ فأَقامَ واسْتَقَامَالى الدِّينُ بِجِرَانِهِمتن ۶۱۳

۴۴۹ .... ۶۱۴
قوله عليه السلام: يأتي على النّاسِ زَمانٌ عَضُوضٌ الى بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ متن .. ۶۱۴
۴۵۰ .... ۶۱۵
قوله عليه السلام: يَهْلِكُ في رَجُلاَنِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَباهِتٌ مُفْتَرٍ متن ۶۱۵
۴۵۱ .... ۶۱۶
قوله عليه السلام: ألتّوحِيدُ أنْ لا تَتَوَهَّمَهُ وَالعَدْلُ أنْ لا تَتَّهِمَهُ متن ۶۱۶
۴۵۲ .... ۶۲۰
قوله عليه السلام: لاخيرَ في الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ كما أنَّهُ الى القَوْلِ بِالجَهْلِ متن ۶۲۰
۴۵۳ .... ۶۲۲
قوله عليه السلام: في دُعاءٍ اسْتَسْقىٰ بِهِ: اللّهُمَ اسقِنَاالى دُونَ صِعابِهامتن ۶۲۲
۴۵۴ .... ۶۲۳
قوله عليه السلام: الخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍالى رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله متن ۶۲۳
۴۵۵ .... ۶۲۵
قوله عليه السلام: لزِياد بنِ أبيه ـ وقد استخلفهُ لعبدِ الى يَدْعُو إلىٰ السَّيْفِ متن ۶۲۵
۴۵۶ .... ۶۲۶
قوله عليه السلام: أشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَ بِهِ صاحِبُهُ متن ۶۲۶
۴۵۷ .... ۶۲۷
قوله عليه السلام: مَا أَخَذَ اللّهُ عَلَىٰ أهْلِ الْجَهْلِ أنْالى الْعِلْمِ أنْ يُعلِّمُوامتن ... ۶۲۷
۴۵۸ .... ۶۲۹
قوله عليه السلام: شَرُّ الإخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ متن ۶۲۹
۴۵۹ .... ۶۳۱
قوله عليه السلام: إذَا احْتَشَم الْمُؤمِنُ أخاهُ فَقَدْ فارَقَهُالى المُرسر فيه علىٰ متن. ۶۳۲